شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٤ — آب (اغسطس) ١٩٧٣

شـــهرية فكرية لمعـــالجة احداث القضية الفلسطينية وشـــؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحـــاث في منظمـــة التحرير الفلســـطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقـــدم الهيثم الايـــوبي ، بـــلال الحســـن ،
د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجـــي علوش ، حبيب قهوجـــي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنـــا ميخائيـــل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بنايـــة الدكتـــور راجي نصر ، شـــارع كولومبـــاني
(متفرع مـــن الســـادات) ، راس بـــيروت ، بـــيروت ـــ لبنـــان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وامريكيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وامريكيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : اثريات فلسطينية ٢٠٠٠ سنة ق.م.

المحتويات

صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، الدكتور انيس صايغ .

٥ **كيف نقول « لا » للدولة الفلسطينية** ، شفيق الحوت .

١٥ **فلسطين ــ قضية أم مشكلة** ، الدكتور كلوفيس مقصود .

٢٢ **من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشا** ، محمود درويش .

٣٣ **الخطر الاسرائيلي على لبنان** ، خليل ابو رجيلي .

٤٥ **فيتنام وفلسطين : ندوة** ، تحسين بشير ، داود تلحمي ، محمود سويد ، د. حسن الشريف ، منير شفيق ، محمد كشلي . أدار الندوة المقدم الهيثم الايوبي .

٧٠ **نقد المقاومة الفلسطينية وموضوعية الحزب والنظرية الثوريين** ، سعيد جواد .

٩٩ **النفط العربي كمحرك سياسي في ازمة الطاقة** ، عودة ابو ردينة .

١١٥ **جيش الانقاذ (١٩٤٧ ــ ١٩٤٩)** ، هاني الهندي .

١٣٣ **سياسة العمل العبري بين الامس واليوم** ، عبد الحفيظ محارب .

١٦١ **رسالة من قارىء حول مقال « سقوط صفد »** ، أسعد محمد برغوثي .

١٦٦ **مراجعات** : الماركسية والعالم الاسلامي ، الدكتور خليل احمد خليل . الشارع الاصفر ، أ.خ. اسرائيل في ضمير الشعوب ، فيصل دراج . قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان ، الدكتور محمد المجذوب .

١٨٥ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٩٢ **اسرائيل والتكنولوجيا : ثلاثة تقارير** ، التقرير الاول : التكنولوجيا في اسرائيل ، الدكتور محمد عجلان . التقرير الثاني : بعض الملامح البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ، الدكتور محمد خيري بنونه . التقرير الثالث : دور الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل في البحث العلمي والتكنولوجي ، بكر مصباح تنيرة .

٢٢٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي . (٣) المناطق المحتلة ، ع.م. مع ملحق : الذكرى السادسة لحرب حزيران ومناقشات مجلس الامن في صحف الضفة الغربية ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، عماد شقور. (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٣ — ١٩٧٣/٧/١٢ ، غازي خورشيد .

٢٥٩ **وثيقة جديدة** ، اعادة توطين اللاجئين : اتفاقية هبة .

شؤون فلسطينية

..... الدكتور انيس صايغ

كثيرة هي الصفات المفروض تواجدها لدى افراد الثورة الفلسطينية وجميع العـــاملين في الحقل الفلسطيني .

وطويلة هي المواعظ والنصائح والارشادات والتوجيهات التي يمكن ان نوجههـــا الى بعضنا بعضا والتي نحتاج ان نصارح بها أنفسنا .

ولكننا الان ، في هذه الفترة بالذات ، التي تتكاثر بها الضربات ، من العدو ومن القريب، والتي تشتد فيها المؤامرات ، دولية وعربية ، مدعـــوون لأن نختصر جميـــع المواعظ والنصائح والارشادات والتوجيهات وان نركز على صفة واحدة ، أساسية ، وحيوية ، تبرز فوق كل الصفات الضرورية . وهي الصمود : صمود المقاتل في خندقه ، وصمود المسؤول في مركز قيادته ، وصمود الباحث او الكاتب في موقعه .

لقد اخترنا جميعا ، نحن ابناء الثورة الفلسطينية ، مصيرنا . وليس بيننا من ورث هذا المصير ولا من تحمله بالاكراه او بالمجاملة او بالخطأ . اخترناه عن ايمان وعن أمل . وقد غربلتنا التجارب والمحن ، فرسب من رسب وثبت من ثبت . رسب مـــن ضعف ايمانه او خبا أمله ، وثبت من اشتد ايمانه وامتد امله .

ان طرق الهروب كثيرة . وان اغراءات الخروج جذابة . وان دوافع الانسحاب قوية . وان اثمان التنازلات مجزية . لكن ايمان الثائر الصحيح ، قائدا كان او مقاتلا ، وباحثا كان او كاتبا ، وسياسيا كان او مهنيا ، ايمانه أكبر وأمله أقوى . وبهذا الايمان وبهذا الامل صمد ويصمد الكثيرون ، وسيظلون صامدين حتى النصر .

ليست الثورة حرفة حتى يبدلها الانسان . وليست مكسبا حتى يتخلى عنها ان قل دخله. وليست وجاهة حتى ينال بها مقصدا آخر .

الثورة ، عند الثائر الحقيقي ، حياة . وهي ارتباط لا يفك . وهي سلوك لا رجعة فيه . والصمود هو أساس الثورة ، وهو طريقها الى النصر .

ويشرّف «شؤون فلسطينية» الا تكون أداة للصمود ، ودعوة للايمان والامل ، فحسب ، بل ان تكون عنصرا من عناصر الصمود الفلسطيني ، دليلا ناطقا حيا عليه . يشرّفها الا تكون مجرد لسان يهاجم الانحراف ويفضح الاستسلام ويكشف الانهزام ، بل ان تكون ، فوق ذلك كله ، موقعا متقدما ناميا بثبات الصامدين من العـــاملين فيه ، مؤشرا الى صمود الثورة ككل ومؤكدا على حتمية انتصارها بفضل هذا الصمود .

ذلك ان الثورة لا تصمد بالشعارات . ولا بالمقالات ولا بالخطب . بل هي تصمد بالبندقية التي لا تتخلى عنها يد المقاتل . وبالمسؤول الذي لا ينسحب بمجرد سقوط رفيقـــه . وبالكاتب الذي يلازم موقعه ولو استهدفته الاخطار . أولم ندرك ، منذ ان اخترنا الثورة مصيرا لنا ، أن ثمنها غال وحملها ثقيل ، ان اجتيازها صعب ومسلكها وعر ؟

الثائرون الحقيقيون يدركون ذلك . ويصمدون .

١٩٧٣/٧/١٩

كيف نقول
« لا »
للدولة الفلسطينية

..... شفيق الحوت

لست من الذين يغالون في تقدير دور الافراد في صنع التاريخ ودفع عجلته لدرجة الايمان بأنه لو كان أنف كيلوباطرة اطول سنتمترا عما كان لتغير وجه التاريخ .

ولست ــ كذلك ــ من الذين يلغون دور الافراد على الاطلاق في هذا المضمـــار لدرجة الاعتقاد بأنه كان يمكن أن يقوم الاسلام بدون محمد وان تنتصر ثورة اكتوبر بدون لينين وان تتوحد المانيا بدون بسمـــارك ، الى آخر تلك السلسلة مـــن الظواهر التاريخية المرتبطة بأبطال محددي الصفات والسمات . طبعا لن يغفل عن الذهن ان ظروفا ملائمة واكبت او ربما تسببت في ظهور هؤلاء وتهيئة المناخ اللازم لنجاح دعواتهم .

وبغض النظر عن المنطلق الفكري والفلسفي الذي قد يعتمده اي منا في تحليـــل هؤلاء الافراد العظام ، فان ثمة اجماعا على أن القاسم المشترك بينهم جميعا ، كان يتمثل في قدرتهم على استشفاف المستقبل من خلال ظواهر الحاضر الذي كانوا يحيونه .

بعبارة اخرى كانوا جميعا أصحاب رؤى ، وقدرة على استلهام القرار المناسب في الوقت المناسب خدمة لاهدافهم المستقبلية .

ففي الماضي كما في الحاضر ، كما في الغد ، ان القائد المسؤول ، شخصـــا فردا كان أم جماعة ، كثيرا ما يجد نفسه امام القضايا المصيرية حائرا بين حيثيات الموقف المطـــالب باتخاذ قرار بصدده .

القضايا الكبرى ، والقرارات المصيرية ، لا يستطيع القائد المسؤول أن يراها بلونين فقط : أبيض واسود .

وبين اللونين ، يجد احيانا ، عالما من الالوان يصعب التمييز في درجة السواد والبياض التي فيهـــا .

ويتطلع القائد الى مستشاريه ، الى صحابته ، الى آلته الحاسبة ، فيجدها هي الاخرى حائرة بين السلب والايجاب ، مؤثرة في النهاية ان تترك له ، لالهامه ، لقدرته علـــى استشفاف المستقبل ان يقرر .

وكلنا يذكر ، من تاريخ أمسنا المعاصر ، تلك الحيرة التي أصابت عبد الناصر عندمـــا وصلته وهو في عرض البحر بين بريوني والاسكندرية أخبار الغزو الامريكي لشواطىء لبنان تمهيدا للرد على ثورة الرابع عشر من تموز العراقية .

يومها استدعى مستشاريه الى مقصورته الخاصة طالبا الرأي والمشورة، وانتهى هؤلاء جميعا الى القول بلسان شيخهم آنئذ الدكتور محمود فوزي :

ـ في مثل هذه اللحظات الحاسمة ليس هناك من رأي يفوق ما يستلهمه القائد المسؤول، وكلنا ثقة بقدرتك على اتخاذ القرار المناسب .

والتاريخ مليء بمثل هذه المواقف ، التي رفعت البعض الى قمم العمالقة ، كما انزلت آخرين الى أسفل سافلين . وليس يحضرني من مثل اروع للتدليل على ذلك من وقفة التناقض التي وقفها كل من ديغول وبيتان من قضية الاحتلال النازي لفرنسا .

الفرق بين الرجلين ، في التحليل النهائي ، كان فرقا في القدرة على رؤية المستقبل ، ولو كان الماريشال بيتان في نظرته أبعد مدى ، بعد تقديره للموقف من كل جوانبه ، لما انتهى الى ما انتهى اليه في قبر مجهول . وبالتالي لما انتهى ديغول الى ما انتهى اليه كأحد آخر عمالقة التاريخ الاوروبي المعاصر .

والقضية ليست قضية حظ او قدر . انها تنطوي كذلك على مجموعة عوامل مادية ، تشكل نفسية القائد وقدرته على الاحتمال والصمود وبديهيا ، أن نشير الى دور المحيطين بالقائد من رفاق ومستشارين والى الاطار السياسي او « الماكينة » السياسية التي يعمل القائد من خلالها سواء من حيث خلفيتها الفكرية وانتمائها الطبقي وتاريخها النضالي وغير ذلك من المقومات الاساسية للفئة المتصدية لقيادة الشعب او البلاد او القضية ، اي قضية .

●

أردت من هذا الحديث كله أن امهد لمقولة متواضعة ، لا نشكل بحد ذاتها اكتشافا جديدا ، وانما أردت التركيز عليها ، بقصد استيعاب العبرة منها . هذه المقولة تتلخص بأن احداث التاريخ ليست جثثا محنطة ولا مواقف معلبة. وبالتالي فانه لا يمكن الاستغناء عن الخيال ، وربما الخيال الشاعري ، في صناعة المستقبل .

مثلان اثنان اسوقهما للشهادة من تاريخنا المعاصر . ثورة الجزائر ، وثورة كوبا . هاتان ثورتان ، عندما هبتا في سبيل تحقيق اهدافهما ، اتهم قادة كل منهما بالجنون والمغامرة . وممن ؟ من الثوريين التقليديين قبل أي فريق اخر . وقبيل النصر بقليل ، وعندما بدأت شمسه تلوح بالافق سقط « التاريخ » بكل حججه . وانتصرت الثورتان . ثم جاء التاريخ اليهما على استحياء يعتبر من تجاربهما ويغذي امعاءه بقوانين جديدة للثورة والثوار .

من غير صاحب خيال جامح كان يتصور ان تتحرر الجزائر قبل فلسطين ، ومن كان يتصور ان يقوم في كوبا النظام الاشتراكي الماركسي قبل انكلترا التي خيبت «بصمودها» المحافظ توقعات ماركس ؟

بديهي انه ما كان ممكنا ان نقول ما نقول الان لو انهزمت الثورتان ، ولربما كانت وقفتنا اليوم من رواد الثورتين وقفة تنديد لا تمجيد . ولكن هذه هي اهم سنن التاريخ وقوانين الحياة وهي ان المنتصر وحده يكتب التاريخ .

●

اذن ليس في التاريخ ما هو ثابت او محنط او معلب . والتاريخ يتقدم ولكن ليس بميكانيكية ذاتية وانما بدفع من خارجه . ولكنه صحيح أيضا ان تقدم التاريخ لا يسير في خط بياني غير متعرج . خط التاريخ تصاعدي ولكنه متعرج ومتذبذب ، يقفز طورا وينحدر طورا وينام في خط تراوحي مستقيم طورا ثالثا ... ولكنه يصعد دائما .

فتاريخنا العربي المعاصر ، في نصف القرن الاخير ، تصاعد من غير ريب ، ولكن بذبذبة شديدة القفز والانحدار واحيانا بحدة شديدة .

فضياع الاسكندرون ، وعربستان ، وفلسطين ، وفشل الوحدة المصرية ــ السورية . . . هذه كلها منحدرات في مسيرة تاريخنا المعاصر ، تعادلها ربما ، تلك القفزات التي سجلها خط المسار بزوال الملكية في أكثر من قطر ، وتقبل الاشتراكية كفكرة ، والوعي على الوحدة والنضال من أجلها ، ونمو الحركة الوطنية الجماهيرية، وقيام الثورة الفلسطينية المسلحة الى غير ذلك مما نراه من ايجابيات هنا وهناك .

ومن المؤكد ان الدراسة النقدية لتجاربنا في نصف القرن هذا ، ستكشف عن كثير من الاخطاء والخطايا التي ارتكبها من تصدي لمهام المسؤولية من قادة ، على الصعيدين القطري والقومي .

ولا أظن ان « التجربة النضالية » الفلسطينية خلو من هذه الاخطاء وهذه العيوب ، وذلك على الرغم من أن «التابو» لم ينحسر نهائيا بعد عن البحث في تاريخ هذه التجربة، وكأن قدسية القضية قد انسحبت كذلك على اخطائها فباتت الاخطاء كذلك مقدسة لا تجرؤ عين الناقد على كشفها وان كشفتها عجز لسانه عن ترددها وتسجيلها .

ولست ادعي وانا أشير الى هذه القضية بالذات ان نقد التجربة الفلسطينية النضالية هو بالامر الهين .

لان القضية الفلسطينية ، وكما كشفت الايام ، من أشد قضايا عالمنا المعاصر تعقيدا ، ولان عدو الشعب فيها يختلف كثيرا جدا عن العدو التقليدي للشعوب والذي عرف خلال المئتي سنة الماضية بالاستعمار .

ان الصهيونية كأيديولوجية ، معتمدة على اليهود بالذات ــ وهم ليسوا كغيرهم من أبناء ما تعرف الارض من مذاهب ــ بتحالفها الذكي مع الاستعمارين القديم والجديد ، تجسد مفهوما جديدا للاستعمار لم يعرف له التاريخ من مثيل .

انها مشكلة فلسفية ونفسية تستحق وقفة كبرى ، عندما يكتشف الانسان ان اليهودي في موسكو ــ وبعد خمسين سنة من الحياة في ظلال الشيوعية ــ يلتقي بنفس الحماس على نفس الآراء السياسية مع يهودي الولايات المتحدة والتشيلي واليمن .

انها مشكلة سياسية تستعصي على الفهم أن تجد الاميركي الليبرالي يستسلم في نيويورك لارادة اليهودي هناك في اقامة المجتمع المفتوح غير الديني ، في الوقت الذي تجده يدافع عن هذا اليهودي بالذات في بناء المجتمع الاسرائيلي المتعصب والمغلق . بل واكثر من ذلك تجد ذلك الاميركي يساوم السوفياتي من حسابه التجاري الخاص كي يفتح الاخير ابواب بلاده للهجرة اليهودية الى اسرائيل .

وكما قيل ، أكثر من مرة ، وباختصار ، ان العرب يواجهون في قضية فلسطين اكثر العقائد رجعية في الفكر وأكثرها وحشية وتخلفا ، ولكنها في نفس الوقت أكثرها تمتعا بأحدث قدرات التكنولوجيا والعلم الحديث .

ومن هنا فان التجربة النضالية ضد هذا العدو ، وفي مرحلة تمتد عبر سنوات طويلة من حرمان الامة العربية من ارادتها الحرة والفاعلة ، لم تكن بالتجربة الهينة . وليس من السهل اليسير الاشارة الواثقة الى مواقع الخطأ والصواب فيها ، ولا سيما بالنسبة للمواقف المصيرية .

●

وبكثر هذه الايام الحديث عن هذه التجربة ، ربما ليس بدافع علمي تأريخي مجرد ، وانما لاسباب سياسية وتوجيهية محددة .

ومن جملة ما تردد طرحه في هذه الايام ، الحديث عن وقفة القيادة الفلسطينية من قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ وهل كان صائبا ام خاطئا .

سؤال ما كان ليطرح لو انتصر العرب في حرب ١٩٤٨ ، ولربما قفزنا عنه لو انتصرنا في حرب ١٩٦٧ . اما وقد كانت الهزيمة ـــ بغض النظر عن الاسباب ـــ هي الحليف العربي في الحربين ، وفي أجواء انحسار الثورة الفلسطينية بعد أن أصابها ما أصابها من الاشقاء والاعداء على حد سواء ، فانه ليس من المستغرب ان يطرح مثل هذا السؤال مجددا .

ومما يزيد في حدة الصراع حول الرد على هذا السؤال ، أن في أجواء الحاضر السياسي مقترحات وحلولا ليست مقطوعة الصلة عن السؤال عن الماضي ، عنيت بذلك ما يسمى بمشروع « الدولة الفلسطينية » ، وتحركات الرئيس التونسي ووزير خارجيته ، وغير ذلك من ايماءات وتلميحات وبالونات اختبار لا نعرف من يطيرها ولكننا نراها تطوف في سمائنـــا .

وقبل التعرض بالتعليق لهذا المشروع او غيره من المشاريع التي قد تطرح ، لا بد من التذكير ـــ بسرعة وبشدة ـــ بأن حركة المقاومة الفلسطينية ، الممثلة الشرعية الوحيدة لشعب فلسطين ، ترفع شعارا استراتيجيا متفقا عليه وغير قابل للمساومة باجماع أعضاء كل مجالسها الوطنية هو تحرير كامـــل التراب الفلسطيني من الصهيونيـــة الاسرائيلية واقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية الواحدة .. الى آخره .

ونحن مع التزامنا بهذا الهدف الستراتيجي ، لا نرى مع ذلك ، وعلى صعيد تكتيكي محض ، أي حرج من أن نناقش مثل هذه المشاريع . والمناقشة شيء والموافقة شيء آخر والفرق بينهما شاسع وهام .

لماذا نناقش ؟ لان النضال السياسي هو شرط اساسي لنضالنا المسلح . وان لم نمارس يوميا نضالا سياسيا يكسب لنا المزيد من الاصدقاء ، أو يحيد لنا ـــ ولو القليل ـــ من الاعداء ، نكون متخلفين في فهمنا للعمل الثوري ، وغير مدركين على الاطلاق لمجموعة الصراعات الدائرة من حولنا على جميع الاصعدة : فلسطينيا وعربيا ودوليا .

لا يكفي أن يكون « التحرير الكامل لتراب الوطن » شعارا لنـــا أو يافطة على مداخل مخيماتنا . يجب ان يكون « التحرير الكامل » قناعة دائمة ومستمرة لجماهير شعبنا على انه هدف ممكن مهما بدت الصورة قاتمة أو يائسة .

بالرد على المشاريع المطروحة ، بالرد المقنع فقط ، نستطيع أن نبقي شعبنا في الارض المحتلة وخارجها على صموده وتصميمه ، فلا نتركه فريسة الاعلام المضاد يصور له الواقع الراهن كما تراه وتتمناه عين العدو والخصم .

بالاقناع الدائم ، وليس بالارهاب الفكري نربح المسيرة في النهاية ، ولا سيما في ثورة مثل ثورتنا نصفها في الارض المحتلة ونصفها الآخر فوق أرض ليست لها وان كانت الراية عربية وصلة القربى واردة . ثورة الفلسطينيين كي تنتصر يجب ان تصبح ثورة العرب ، وهذه مدعاة أخرى لضرورة الحوار السياسي وعدم الخوف من مناقشة اي مشروع .

●

شخصيا ، ومن محصلة تجربة ذهنية وميدانية متواضعة ، أومن ايمانا راسخا ، اراهن عليه ، أن العدو الصهيوني الاسرائيلي ، لن يقبل تحت اي ظرف من ظروف الضغط السياسي بقيام أي كيان سياسي يحمل اسم فلسطين ، لا في الضفة الغربية ولا في قطاع غزة ، ولا في شرق الاردن ، ولا في هذه كلها معا .

قد تتنازل اسرائيل عن بعض تعنتها في ما اغتصبته من أرض عربية خارج فلسطين ، وبعد توفير كل ما ارادته من شروط . أقول « قد » ولا أراهن على ذلك ، اما في موضوع

أرض فلسطين وشعب فلسطين فليس من امكانية تنازل على الاطلاق وتحت اي ضغط الا ضغط القهر العسكري الذي لا تملك الا الرضوخ اليه .

ان فلسطين ــ من وجهة النظر الصهيونية ــ هي النقيض لاسرائيل ، وشعب فلسطين هو الشاهد على هذا التناقض وعلى الجريمة التي خلفها . اذن ، وكما حاولت اسرائيل، ونجحت الى حد كبير ولمدة ١٦ سنة ، من شطب اسم فلسطين عن الخارطة العالمية ، فانها اليوم وبعد حرب ١٩٦٧ وانتصارها فيها ، أكثر تعصبا لاستكمال شطب فلسطين والفلسطينيين معا .

وليس أدل على ذلك من ردود فعل حكام اسرائيل الاخيرة في موضوع « الدولة الفلسطينية » وتلميحات وتصريحات الرئيس التونسي . وباستطاعة اي راغب بالتدقيق أن يعود للصحف والاذاعة الاسرائيلية وما تحفل به من أقوال . وهي ليست مطلقا اقوال مناورة بل هي أقوال يعنيها المسؤولون الاسرائيليون بكل حرف من حروفها .

وفي رأيي ان هذا الحوار التراشقي بين تونس وتل ابيب ، وبين تل أبيب وأي فريق آخر ــ غير فلسطيني ــ يعود علينا كفلسطينيين أمام الرأي العام العالمي ، ولا سيما بين ذلك الفريق المحايد او اللامبالي بكسب سياسي كبير ، لانه يكشف لهؤلاء جميعا ، أكثر وأكثر ، حقيقة اسرائيل والصهيونية .

واني من الواثقين بأن اسرائيل ومن يخطط لها ، كانت وراء أكثر من مشروع مماثل [كمشروع روجرز ومشروع المملكة العربية المتحدة] قذفت به شركا الينا لنسارع نحن الى رفضه والتنديد به او لنختلف من حوله وننشق شيعا وفرقا دون أن تكون جادة او صادقة في ما تطرح اطلاقا .

نحن ننسى في كثير من الاحيان ان الكرة الارضية قد صغرت بشكل مذهل وان وسائل الاتصال جعلت من الدنيا كلها ساحة واحدة تقريبا . لذلك فكثيرا ما نخاطب العالم وكأننا نخاطب أنفسنا ، تحت وهم الظن بأن الدول والشعوب لا تملك بين يديها من مشاكل سوى قضيتنا .

غير العربي ، في كل مكان بهذه الدنيا ، بل وحتى بعض العرب أحيانا ، تحت وطأة ما يعانيه الانسان من مشاكل ذاتية وعامة لا يستطيع ان يفهم لماذا يرفض الفلسطيني دولة تقدم اليه على طبق من سلام !!

الصورة لديه هكذا . انه لم يعان ما عانيناه ، ولا يعرف عدونا حقيقة معرفتنا به ، وهو أكثر صلة بأجهزة الاعلام المعادية منه بأجهزتنا الاعلامية (ان كان لنا أصلا أجهزة) . لذلك لا بد ونحن نرفض او نقبل او نناقش ان ندرك هذه الحقيقة المرة ، وان نكون بالتالي على مستوى من الذكاء والدهاء في قلبها وتحويلها لصالحنا وصالح الحقيقة الموضوعية والمصلحة الوطنية .

ولنعترف اننا في كثير من المرات وجدنا انفسنا ــ كثورة فلسطينية ــ في نفس الموقف مع اسرائيل من هذه القضية أو تلك بالرغم من اننا نقف بالسلاح في الخندق المواجه لهذا العدو التاريخي البشع ، الامر الذي كان يحتار اصدقاؤنا في تفسيره او فهمه .

وكانت تجربتنا مريرة ايام روجرز ومشروعه ، يوم وقع الخلاف بين الثورة وعبد الناصر على جلد الدب والدب يسرح ويمرح بأمان في حديقة البيت الابيض مما مهد للنظام الاردني انسب الشروط لتصفيتنا كما فعل في ايلول ١٩٧٠ .

ولا يجب أن تغيب عن بالنا حقيقة ان اسرائيل ، لا العرب ، هي التي أحبطت كل مشاريع الحل السلمي ، وكلما قدم العرب مزيدا من التنازل كانت اسرائيل تقدم مزيدا من مطالب التنازل العربي .

●

ان نقطة الضعف المركزية في التجربة النضالية الفلسطينية ، كانت في رأيي ولا تزال تكمن في عجزنا عن التفريق الحاسم بين الستراتيجية والتاكتيك . والسياسي الثوري الناجح والممتاز هو ذلك السياسي القادر على هذا التفريق والقادر على استثمار حرية الحركة بين أهدافه الثابتة والتاريخية وبين أهدافه المرحلية والمؤقتة .

ومرفوض أي تشنج ذهني يقول بغير ذلك ، بل أن مثل هذا التقدير هو نوع من المزايدة على الذات شبيهة بقضبان الحديد نضعها تلقائيا واراديا من حول أنفسنا .

هل يعني ذلك انني من الموافقين على الدولة الفلسطينية ؟ لا . أقولها ببساطة ودون تبجح ، ولكنني من دعاة تبرير هذه « اللا » من خلال مناقشة المشروع وتسجيل ما أستطيع من أهداف في شبكة العدو .

وفي رأيي واجتهادي ان الرفض الذكي لفكرة « الحكومة المؤقتة » التي طرحها الرئيس السادات ، والرفض المشابه والمحدد لفكرة «الدولة الفلسطينية» من قبل قيادة المقاومة والذي تمثل في التصريح الذي أدلى به الاخ ابو عمار في هذا الصدد والذي قال فيه : « في معظم الاوقات كان بعض الدول العربية يتصرف بوحي من تصور خاص به . على ان الثورة الفلسطينية منذ بدئها قامت على تصور واضح ومحدد بشأن مصير فلسطين . اي الدولة الديمقراطية غير العنصرية . وسنواصل كفاحنا من أجل هذا الهدف . وعلى هذا فأي تحرك يجري خارج هذا التصور لا علاقة لنا به البتة » [الرأي العام ٧/١٣]، كان علامة نضوج سياسي مميزة بالنسبة للرفض الصارخ الضاج لمشروع روجرز . لقد كان هذا الموقف بهدوئه كالطعم لكل من تونس ومن وراءها ولتل ابيب اضطرها للخوض في التفاصيل فكشفت عن حقيقة موقفها وسجلت بالتالي على سياستها — أمام من هم عادة معها — **موقفا سلبيا سيحمل في طياته التبرير المطلوب دوما لنا في الاستمرار بحمل السلاح وتصعيد كفاحنا المسلح .**

بينما لو انبرينا ، بعفوية ساذجة ، للرد على هذا المشروع بعنف وقطع وتخوين الخ ... ماذا تكون النتيجة ؟ تصمت اسرائيل وتقول للرأي العام : أرأيتم موقف الارهابيين ؟ انهم لا يريدون أي حل سوى اقتلاعنا وتدميرنا الى آخر الاسطوانة المعروفة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون قد فشلنا حتى في « تحييد » رئيس عربي تجاه موقفنا بغض النظر عن اهمية هذا التحييد وتقدير شعبنا أو قادتنا له .

ان الموقف الفلسطيني الرافض للوجود الاسرائيلي الصهيوني الاستعماري هو موقف مبدئي عادل .وقد اكتسب هذا الموقف تأثيره وفعله الايجابي بعد انطلاق الثورة وطرحها مفهومها لمستقبل فلسطين . وقد كان للثورة ولمفهوم الدول الديمقراطية الذي آمنت به واعلنته ، الفضل فيما كسبته قضيتنا من أصدقاء ومؤيدين ، ولم يكن الفضل في ذلك لا للتنازل ولا للمساومة .

ثم ومن ناحية ايجابية ، تتعلق بشعب فلسطين بالذات ، باعتباره وقود الثورة وأداتها ، انني من المؤمنين بحماس هذا الشعب وايمانه بعدالة قضيته واستماتته في سبيل تحقيق أهدافه . ولكن أليس من حق هذا الشعب على قادته أن يعملوا دوما على تنويره وتثقيفه وتحويل حماسته الى قناعة نضالية مستمرة وعدم تركه فريسة الاعلام الآني يرفعه مرة وينزله مرة اخرى . **ان الصراع طويل طويل ولكن لا يكفي أن نقول ذلك ونمضي . لا بد من افهام الشعب بأن طول المسيرة الثورية وتكلفتها مهما كان ثمنهما يبقيان في النهاية أقل كلفة وخسارة من الاستسلام للمشاريع المشبوهة والحلول التصفوية .**

نحن مطالبون بالغوص كثيرا في شرح ابعاد قضيتنا وصراعنا ، ولا يكفي الاعتماد على شواهد التاريخ بترداد أمثلته من فيتنام أو الجزائر على أهمية هذه الشواهد وما توقده في النفوس من همم وعزائم .

قضيتنا لها ملامحها الخاصة ومشاكلها الخاصة وتعقيداتها الخاصة ، وبالتالي فلا بد لها من مجابهات خاصة تتميز عن غيرها من مجابهات غيرنا من الثوار لمشاكلهم . لا سيما وان الظروف السياسية ، على كل المستويات ، هي ظروف متغيرة ومتحركة ، وما قد يجوز ويمكن في فترة ما ، قد لا يجوز ولا يمكن في فترة أخرى .

معظم المراقبين السياسيين لمسار الاحداث في أمريكا اللاتينية مثلا ، كانوا مجمعين على ان الولايات المتحدة لن تسمح بتكرار التجربة الكوبية بعد ان وعت دروسها وعبرها ، ولكن ما من أحد تصور أن تصل تشيلي الى ما وصلت اليه عن طريق النضال السياسي البرلماني .

●

نعود لموضوعنا وسنعطفه الآن على المقدمة الطويلة التي بدأنا بها هذا الحديث .

ان الثورة الفلسطينية بقدر ما استطاعت أن تثبت وجودها بقدر ما ستنهال عليها العروض والمشاريع . هكذا يحدث في كل الثورات . في الجزائر كما في الفيتنام . وما من عرض وما من مشروع يقدم في مرحلة الثورة يكون في مستوى أحلامها وأهدافها ، ولكن علينا ان ندرك انه لولا الثورة ولولا استمرارها لما كان ثمة عروض او من يعرضون .

من هنا ، وعلى ضوء ما ستتعرض له الثورة في المستقبل من عروض تصفوية مختلفة ، علينا ان نكون في مستوى الرد التاكتيكي الذكي القادر على كشف هذه العروض في أطار تبويظها وكشف النوايا التي وراءها .

ومن هنا أيضا نصل الى ما بدأنا به عند حديثنا عن قدرة القائد على استشفاف المستقبل، واتخاذ المواقف الصحيحة على طريق هذا المستقبل والمستفيدة من كل ظواهر المرحلة الراهنة .

القيادات التاريخية وحدها هي التي تكفل الانتصارات التاريخية وقضيتنا بحاجة الى نصر تاريخي ومن دون مثل هذا النصر لن يكون ثمة سلام ولا حلول حقيقية وانما مزيد من القتال والنضال والتصميم .

ان الستراتيجية والتاكتيك هما أهم قانون من قوانين الثورة ، وعلينا أن نعمق من فهمنا لهذا القانون ، وان نتصرف دائما من موقع الثقة بثورتنا وثوارنا وان ننبذ الى الابد سياسة المزايدات وتسجيل الموقف تمهيدا للخروج من مستنقع الوهم بأن الستراتيجية الثابتة هي قيد من حديد على حقنا الثوري بالتاكتيك والمناورة .

فلسطين —
قضية أم مشكلة ؟

..... الدكتور كلوفيس مقصود

ان تكاثر التصريحات والاقتراحات حول حل « المشكلة الفلسطينية » يؤكد حقيقة اساسية وهي ان نضال الشعب الفلسطيني — بانتصاراته وانتكاساته — تمكن ان يفرض نفسه عاملا رئيسيا في ازمة الشرق الأوسط . واذا كانت هذه الحقيقة هي بديهية بالنسبة الى الجماهير العربية والقوى التقدمية في العالم الا انها تتخذ الان مدلولات جديرة بالاهتمام والدراسة . ورغم انه باستطاعتنا ان نتجاهل هذه التصريحات والاقتراحات من حيث انها لا تعبر عن مضامين او حتى عن مخططات الثورة الفلسطينية المرحلية الا ان التجاهل ، رغم سلامته المبدئية ، لا يعفينا في هذه المرحلة الدقيقة والشديدة التعقيد والصعوبة من اعارة هذه التصريحات والاقتراحات اهتمامنا .

الا انه لا بد من التأكيد ، ان هذا الاهتمام يصدر عن التوقيت وعن الملابسات القومية والدولية التي تكتنف واقع ازمة الصراع العربي — الاسرائيلي والتردي العام في واقع الرؤيا الراهنة للاقطار العربية والتخبط الذي تعانيه معالجات الازمة من جراء حالة التفكك وغياب الحد الادنى من الالتزام القومي او حتى الحد الادنى من التنسيق على المستوى العربي العام .

ومن حيث ان معظم ما يقال بشأن « المشكلة الفلسطينية » يأتي من مواقع المسؤولية في عدد من الدول العربية فان هذا من شأنه أن يكسبها بعض المصداقية اذ أن العالم يفترض انه ما دام العرب ملتزمين **بالقضية الفلسطينية** فان التصريحات والمقترحات العربية لا بد ان تكون حائزة على موافقة ما ، من أصحاب القضية نفسها . الا ان الاهتمام «بالمشكلة الفلسطينية» شيء والالتزام بالقضية الفلسطينية امر آخر وبالتالي فهو مختلف تماما . من هنا خطورة تكاثر التصريحات والمقترحات « العربية » اذ أنها في مجملها ، كما سنبين ، تعمل على تقليص او بالاحرى تحويل **القضية** الفلسطينية الى **مشكلة** فلسطينية . فالقضية الفلسطينية كقضية لها صفة الشمول ، تستوجب التعبئة العامة والالتزام الكامل وما يستتبع هذا من وضوح استراتيجي وتنظيم من أجل تحديد المراحل واعداد من أجل نضالات طويلة الامد، لا تختصر الا بمقدار ما يتحقق من انجازات في مجالات التعبئة ووضوح الالتزام وتنظيم النضال . ان القضية تمس صميم المصير العربي وبالتالي تستحوذ على كلية الاهتمام وتشكل اولوية مطلقة في التفكير والعمل . اما « المشكلة » الفلسطينية فتعني ان مصير الشعب الفلسطيني صار مرشحا للحل من حيث ان تواجده ومستقبله وكيانه تشكل مسألة عالقة وبالتالي يمكن حلها بمعزل عن عملية تقويض الكيان الصهيوني ومؤسساته الذي جعل من فلسطين قضية

العرب . بكلام آخر فان تحول القضية ، الى « مشكلة » يعني سعيا دؤوبا نحو توظيف مقتضيات الوجود الفلسطيني من خلال الاقرار او الاعتراف بالوجود الاسرائيلي الصهيوني وبمقتضيات أمنه وسلامته . من هنا تصير « المشكلة الفلسطينية » في الواقع مشكلة الفلسطينيين وبهذا التحول يصبح الفلسطينيون الى حد كبير مشكلة للعرب ولاسرائيل من حيث ضرورة التوجه نحو ايجاد حل مشترك لهم . وكي يصار التوصل الى مثل هذا الحل لا بد من المباشرة في تلمس الصياغات والمقترحات التي من شأنها تمكين الاقطار العربية من ايجاد حل يوجد للفلسطينيين كيانا دوليا وبالضرورة تقبل به اسرائيل .

هذا يحدونا ، استطرادا ، ان ننبه الى ان الذين يعملون على معالجة المسألة الفلسطينية كمشكلة سوف يعملون على محاولة استغلال الارهاق الناتج عن الاحتلال او التشرد مدخلا لاجل طرح الحلول الجزئية او المبتورة كحالات افضل ومتقدمة على ما هو عليه الشعب الفلسطيني الان . كما سيعمد معالجو « المشكلة الفلسطينية » الى تبيان الفوائد النسبية والتكتيكية المنتظرة من مثل هكذا تطور . وكون القبول او حتى الرضوخ لمثل هذه الحلول من شأنها تأمين الحصول على الجزء بدلا من الامعان في خسارة « الكل » .

كي لا تبدو بعض الاقطار العربية وكأنها منساقة الى مثل هذه « الواقعية » المستجدة وتبدو وكأنها متخلية عن مواقفها الملتزمة السابقة فانها تسعى الى تغليف عملية التوجه نحو معاملة القضية الفلسطينية كمشكلة بمفردات القضية حتى تتاح امامها فرص افقاد الجماهير قدرة التمييز بين الملتزمين الثوريين والذرائعيين الجدد . الا ان الجماهير الفلسطينية والعربية تعي انه بينما يعتبر الذرائعيون الجدد — والقدامى — ان واقع الاحتلال والتشرد هو ذريعة لقبول متسرع لكيان هزيل ومبتور لفلسطين ، فان الجماهير تقيم واقع الاحتلال والتشرد مدخلا لمزيد من الالتزام ومن التعبئة الثورية وتأكيدا لصحة وسلامة تقييمها لطبيعة الصهيونية وللكيان الاسرائيلي الراهن المنبثق عنها .

يتراءى لنا الآن من المساعي المبذولة من أجل تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة والتي يعتبر تكاثر التصريحات والمقترحات والتحركات صورة علنية لها انما تستهدف مرحليا اتمام ما يلي :

أولا — اقناع أوسع القطاعات الفلسطينية والعربية بأن خيار التحرير قد سقط نهائيا من الخيارات المتاحة « واقعيا » أمام الشعب الفلسطيني وبالتالي فهو مطالب بأن يتدارس الخيارات الاخرى المطروحة والتي تتفاوت من اقليم فلسطيني داخل مملكة متحدة (مشروع الملك حسين) أو دولة على الضفة الغربية أو مع قطاع غزة الخ... هذه المحاولة تتخذ أشكالا عدة ، منها التمهيد لجعل التخلي عن خيار التحرير كأنه تخلي عن احدى الخيارات والبدائل بدلا من الحقيقة الاساسية بأن مثل هذا التخلي هو في الواقع تخلي عن الخيار الوحيد الذي بدونه لا وجود لقضيتهم ولا مستقبل لمصيرهم . ان خيار التحرير بالنسبة للشعب الفلسطيني وللجماهير العربية ليس **أحد** الخيارات حتى اذا سقط فان امامه خيارات أخرى بل محور الالتزام والنقطة المركزية للتعبئة النضالية. من هنا فان اشاعة فكرة تعدد الخيارات والبدائل أمام الشعب الفلسطيني — وامام الجماهير العربية الملتزمة بالقضية الفلسطينية — هو بمثابة التمهيد لعملية قبول فلسطيني بالبحث ومن ثم الاقتناع بخيارات وبدائل أخرى . ان ما يجب تثبيته في هذا المضمار هو ان مجرد القبول بتعدد الخيارات هو في الواقع بدء الاقتناع بمساواتها من حيث مشروعية طرحها ان لم يكن بمساواتها المطلقة . هذا هو الفخ الذي تعمل هذه التصريحات والمقترحات على ايقاعنا فيه لانه بمجرد الالتفات الى البحث في مثل هذه الصياغات المطروحة نكون قد انزلقنا فعلا — بوعي او بدون وعي — في اطار التصادم

مع حركة التحرير وبالتالي دخولنا شئنا أم أبينا في منطق الثورة المضادة . لذلك فان أي قبول بتعدد الخيارات أمام الفلسطينيين — حتى ولو كان التحرير أحدهم — في هذا الوقت او في اي وقت لاحق هو بمثابة رفع مختلف الخيارات الى مستوى خيار التحرير . من هنا يصبح بامكان الامبريالية ودعاة الحلول الجزئية والمبتورة والتصفوية اسقاط التحرير فعلا والاحتفاظ به شكلا ، اذا ما تمكنوا من تسريب منطق تعدد البدائل أمام الشعب الفلسطيني ودفعهم بالتوجه نحو معالجة القضية كمشكلة .

ثانيا — ترسيخ قناعة أوسع القطاعات بعدد من الخيارات امام الشعب الفلسطيني ، لا بد من ان يتواقت مع عملية تحويل المقاومة الفلسطينية من كونها الجهة الشرعية المؤهلة لقيادة الشعب الفلسطيني والنطق باسمه ، الى كونها في أحسن الاوضاع **احدى** الجهات الفلسطينية ، التي لا يحول وجودها دون وجود او قيام قيادات فلسطينية اخرى . وهنا يدور الحوار أو الجدل بين الساعين لتصفية القضية الفلسطينية . منهم ، كالسلطة الاردنية ، من يعمل على تصفية المقاومة نهائيا ، لان وجودها حتى كاحدى القيادات من شأنه ان يعرقل ويعطل مسيرة الحلول السياسية والاستسلامية المطروحة . اما البعض الآخر فيقول ان وجود المقاومة **كاحدى** فئات الشعب الفلسطيني — لكن بشكل محاصر او مضمون احتوائه — من شأنه ان يكون عنصر تهديد يمكن بعض هذه الانظمة العربية من تحقيق المزيد من التنازلات ضمن مفاهيم الحلول السياسية المطروحة . وهناك أنظمة عربية ترضى بالمقاومة كقيادة شرعية للشعب الفلسطيني وتعمل على دفعها بأن تكون أداة للاسهام في معالجة القضية الفلسطينية كمشكلة عالقة واغرائها بأنها ستكون مستفيدة من النتائج او الكيان الذي ينبثق عن التسوية المرتقبة .

لقد شاهدنا ان مجزرة أيلول ١٩٧٠ في الاردن كانت محاولة لسحق المقاومة وبالتالي محاولة لتغييبها عن الساحة الفلسطينية بشتى وسائل القمع والاكراه والاغتيال الجماعي . وبما ان هذا الاسلوب ادى الى عزل تام للسلطة العميلة في الاردن وبالتالي الى افقاد هذه السلطة امكانيات مزاولتها التعاطي الفعال في المنطقة ، فقد وجد المحور الاميركي — الاسرائيلي فرصة لتحريك البدائل الاخرى والايحاء بأن الولايات المتحدة مستعدة للاستغناء عن خدمات النظام العميل فيما اذا كانت هذه البدائل تبدو وكأنها مرشحة للنجاح في الوصول الى نفس النتائج المتوخاة . الا ان النظام الاردني سيبقى متنقلا من كونه أداة مباشرة للمحور الاميركي — الاسرائيلي أو أداة احتياطية ضاغطة في حال فشل أو عدم جدوى الخيارات الاخرى والموافق عليها أميركيا .

ان تصفية المقاومة قد تبدو مغامرة سياسية داخلية — لاكثر ان لم نقل لكل الانظمة العربية القائمة — لهذا فان السعي لجعل المقاومة **احدى** القيادات الفلسطينية من شأنها أن تستبق المردود السلبي الذي قد ينتج عن تصفية المقاومة ، وقد يسهل بالتالي ايجاد موازين قوى تترجح فيه ، بمساعدات عربية ، قيادات فلسطينية على قيادة المقاومة . من هنا فان توجه هذه الدعوات الى الاعتراف بوجود « جهات أخرى » غير المقاومة للنطق باسم الشعب الفلسطيني هو توجه مشبوه من حيث ان نتيجته المنطقية « فلسطنة الفلسطينيين » ، من حيث تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني ، وجعله يتصارع فيما بينه حول بدائل يكون التحرير احداها . الا ان تبني قطاع منه ، كبديل آخر ، يصبح مكتسبا لشرعية معينة عندئذ . وحين يدخل الشعب الفلسطيني في عملية التحاور والتصارع بموضوع يجب ان يعتبر من المسلمات البديهية ، يكون الشعب الفلسطيني والجماهير العربية — قد وقعوا في المصيدة التي تعمل الامبريالية الاميركية ، والمحور الاميركي — الاسرائيلي على ايقاعها به. اما المصيدة فهي العمل على نزع أهلية المقاومة، بأن تكون هي وحدها الممثلة للشعب الفلسطيني والقائدة لمسيرته التحررية . اذا نجح هذا المخطط تكون أهلية المقاومة ، في أحسن الاحتمالات ، تساوت مع أهلية القيادات المفتعلة

والمزورة المخطط لايجادها وطرحها في الساحة الفلسطينية . ان عملية تكثير الجهات الفلسطينية القيادية والراضية بالحلول الجزئية كمشروع الدولة الفلسطينية ، أو الاقليم الفلسطيني او القبول بأي من التعديلات القليلة أو الكثيرة على هذه المشروعات ، تستهدف حصر فعالية المقاومة وتصويرها كاحدى القوى « المتطرفة » في الواقع الفلسطيني . هنا تتوضح لنا صورة مستقبلية وهي ان اي قبول بصيغة تعدد الجهات الفلسطينية ، هو مباشرة أكثر لباقة في عملية تصفية للمقاومة لان مجرد التسليم بشرعية قيام قيادات متعددة للشعب الفلسطيني هو تسليم مسبق بعملية تنفيذ الاعدام للمقاومة في مرحلة لاحقة . نقول هذا من موقع القناعة التامة بأن واقع وظروف وتركيب الشعب الفلسطيني تجعل المقاومة هي بالضرورة الطليعة القيادية الشرعية له ولنضاله في سبيل حقوقه المشروعة . فقيادة المقاومة لنضال الشعب الفلسطيني هي وحدها الجهة الشرعية للفلسطينيين ولا شرعية خارج المقاومة .

يتراءى لنا اذا أنه في النتيجة الموضوعية ، ان جعل المقاومة احدى الجهات او الاطراف الفلسطينية هو تاريخيا في نفس خانة تصفية المقاومة وان كان بوسيلة أخرى .

ازاء هذا الاصرار على ان المقاومة هي القيادة الوحيدة المؤهلة لتمثيل الشعب الفلسطيني وقيادة مسيرته ، واعتبار هذا الاصرار على التمسك بالموقع الطليعي للمقاومة ، هو حقيقة سياسية مستمرة وناشطة ، يقوم العاملون من اجل تحويل القضية الفلسطينية الى مشكلة بالاقتراح ان تكون المقاومة نفسها ممثلة بمنظمة التحرير ، هي الجهة التي تتفاوض وتقبل بالمشاريع البديلة للتحرير والتي تكاثر البحث بها في الاسابيع الاخيرة . ومن اجل الامعان في تغليف هذه المحاولات وتصويرها بأنها نابعة من موقع الالتزام للقضية وليس من موقع التربص لها ، كان هذا الفريق يصر بأن دخول المقاومة في دوامة الحل للمشكلة لن يكون الا بعد تهيئة الظروف التي تمكنها ان تحقق الحد الاقصى من التنازلات الممكنة للشعب الفلسطيني.أي انه بمقابل اسقاط المقاومة الفلسطينية التزامها التحرير الكامل فانه باستطاعتها تجيير رصيدها النضالي السابق من أجل تأمين كيان «فلسطيني» يكون بمثابة تحويل المقاومة من حركة تصنع التاريخ ، الى أداة اجهاض لكل تراثها ولمستقبل الاجيال التي ائتمنتها على مصيرها وعلى مسيرتها الثورية . نصل الآن الى ان ما هو أخطر من هذا كله هو ان المسعى في هذا المضمار يستهدف خلق تيار داخل المقاومة يضع مثل هذه البدائل موضع النقاش والحوار ، حتى اذا جاء جواب المقاومة الحاسم بالرفض الكامل استطاع محولو القضية الفلسطينية الى مجرد كونها مشكلة ، من وصف المقاومة « بالسلبية » ، وبجهل التكتيك ، او « بتجاهل الوقائع والمعطيات الجديدة » ، او نعتها بنعوت اخرى لا تدين مثالية المقاومة ، بل تشكك في قدرتها على مماشاة العصر ، والتشكيك بسلامة تقييماتها وبالتالي بجدواها في واقعنا الراهن .

ان نعت المقاومة بالسلبية هو من أهون النتائج ، اذ أن ما تسعى اليه بعض الاوساط الرسمية العربية ، هو استدراج المقاومة ، الى تنفيذ مخططات التصفية للقضية الفلسطينية — حتى تكون التصفية ذاتية ولديها تغطية فلسطينية اصيلة — بعد التمهيد لمثل هذا الاستدراج بمحاولة جعل المقاومة تنساق الى منطق معالجة القضية الفلسطينية كمشكلة من جراء تسليمها بأن تعدد البدائل أمامها أمر وارد أو محتوم .

هكذا نجد أن مزيجا من حرب الاستنزاف الدموي ومن الحرب النفسية السياسية تشن بنفس الوقت تقريبا على المقاومة بغية الغاء فعاليتها او من أجل تصفيتها اذا أمكن . ولعل احدى انجع الوسائل في هذا السبيل هو خلق المناخ الذي تجد المقاومة نفسها فيه وكأنها في مأزق وبالتالي عاجزة عن الخروج منه . وتقع المقاومة في مثل هذا المأزق عندما تستدرج الى حالة يتحتم عليها اما التصادم العلني في وقت سابق لاوانه مع انظمة عربية

تدعو الى بدائل فلسطينية غير التحرير أو أن يفسر سكوتها عـــن الرد على خيارات اللاتحرير اما موافقة ضمنية او عن رفض عاجز عن تعليل الاسباب . في كل هذه الحالات يصار الى دفع المقاومة الى اتخاذ مواقف في غـــير الوقت الذي تحدده او في ترجمة اللاموقف وكأنه موقف محدد من هذه المشاريع المطروحة .

من هنا يتضح لنا أيضا كيف ان معظم الانظمة العربية القائمة تسعى الى وضع المقاومة في مثل هذا المأزق لانه في حال نجاحها تكون الانظمة هذه حققت خطـــوة نحو احتواء المقاومة او نحو افقادها بعض ركائزها الراهنة . لانه اذا وافقت المقاومة من ذاتها على اسقاط خيار التحرير أو أعطت أي دليل على عدم التمسك الكامل به فانها عندئذ تفقد صفتها المقاومة (بكسر الواو) وبالتالي أهليتها لتمثيل الشعب الفلسطيني ناهيك عن فقدانها شرعية قيادتها له . اذا فمعظم الانظمة العربية التـــي تتقدم بمثل المقترحات المتعلقة « بدولة فلسطينية » او باقليم فلسطيني في الاردن او بغيرها يدركون تمامـــا استحالة اقدام المقاومة على مثل هذه الموافقة لذلك فانه من المنطقي ان نعتبر ان مثل هذه المقترحات هي مقدمة لتحويل رفض المقاومة لمشاريعها ذريعة لتطويق المقاومة ومن ثم الانقضاض عليها .

من جهة أخرى فان هذه الدوائر العربية نفسها تعتبر انه بامكان المقاومة أن توافق على **درس** هذه المشاريع والمقترحات وبالتالي تكون هذه الدوائر والانظمة قد نجحت في عملية شراء الوقت لنفسها من خلال ادخالها المقاومة في متاهات دراسة ما تقدمت به . فاذا ما حصل ذلك تكون هذه الانظمة قد أوصلت خياراتها الفلسطينية الى المرتبة المتساوية لخيار التحرير لدى المقاومة . هذا بدوره يضع المقاومة بوعي او بغير وعي في بوتقة وضمن منطق الانظمة القائمة . وعندما يحصل هذا التطور تتفرغ المقاومة من جوهرها الثوري ومن قدرتها على التفكير الجذري المطلوب من اجل تجاوز المأزق .

كما ان هناك احتمالا آخر بأن تعلن المقاومة رفضها القاطع لكل المشاريع المطروحة في وقت قد يكون غير مناسب لها أن تظهر بحالة تناقض صريح او تصادم مع بعض الانظمة المتقدمة لمثل هذه المشاريع والمقترحات نظرا للمقتضيات المرحلية لستراتيجية المقاومة . وفي هذا المضمار لا بد من لجوء هذه الانظمة الى تفسير رفض المقاومة لمقترحاتها كمبرر لها أن تتخلى عن بعض او كل التزاماتها السياسية والمادية او حتى العسكرية الراهنة للمقاومة معتبرة رفض المقاومة القاطع لا دليلا على تزمت المقاومة فحسب بل على سلوك من شأنه دفع الانظمة نحو سبر غور قطاعات فلسطينية مختلفة . كذلك فقد تتعمد هذه الدوائر والانظمة العربية الى تشجيع حوار داخل المقاومة من أجل بلورة صيغة للرد او للرفض مما يؤدي الى قذف طابة الحوار والنقاش في الموضوع من أيدي الانظمة الى أيدي المقاومة . بهذه الطريقة يصبح بامكان هذه الانظمة التي تكاثرت تصريحات ممثليها أن تظهر وكأنها أكثر وضوحا وحسما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية بينما تبدو المقاومة وكأنها مرتبكة في ايجاد الاجوبة او الردود على مسألة مفروض انهـــا متعلقة بصميم وجودهم وانها المبرر لدورهم الطليعي ومهماتهم القيادية . واذا بدت المقاومة لجماهيرها وكأنها سجينة اللاحسم فان هذا من شأنه ان يجعل من التنازلات الرئيسية التي تنطوي عليها البدائل التي تطرحها معظم الانظمة العربية وكأنها مهمة في «انقاذ الممكن» بمجابهة الاصرار على « المستحيل » .

يتبين لنا من هذا التحليل ان هذا المسلسل من مقترحات الحـــل للمسألة الفلسطينية استهدف تحريف المقاومة الفلسطينية عن مهمتها المركزية ـــ التعبئة المستمرة من أجل ثورة التحرير وشل قدراتها التنظيمية في دائرتهـــا الطبيعية ـــ الشعب الفلسطيني ـــ واظهارها بمظهر الذي يقوم بتمرينات في العبث . فاذا ما وجد هذا الانطباع وتشكلت هذه القناعة شغرت الساحة الفلسطينية من قيادتها التاريخيـــة المشروعة وأصبحت

مرشحة للتسيب وبالتالي لان ينهشها منطق الانهزامية عند الانظمة فيتحول الشعب الفلسطيني من كونه بؤرة ثورية طليعية وأداة تفجير لطاقات الثورة العربية الى احدى الوحدات المستضعفة في موزاييك التردي العربي .

الا أن أسوأ ما في الموضوع هو ليس في المأزق الذي تريد معظم الانظمة العربية ان تضع المقاومة فيه بل في الذهنية المهيمنة على السلوك العام لهذه الانظمة والمقتنعة ان كل تنازل في جوهر القضية الفلسطينية من شأنه ان يوسع رقعة التأييد وان يمعن في « احراج اسرائيل » . الا أن هذا المنطق المعكوس والذي هو في خلفية التوجه نحو تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة يعتبر ان عملية « الاحراج » لاسرائيل أولى بالمجابهة من أجل التحرير . فمما لا شك فيه انه كلما تبين ان المسألة الفلسطينية لم تعد بمستوى القضية عندئذ يهون على العالم أن يؤيد المطاليب المبهتة خاصة وان هذا التأييد لا يصطدم فعلا مع أي وجه من أوجه المؤسسة الصهيونية أو الكيان الاسرائيلي أو مع أي من أهدافها الحقيقية . نقول هذا لا من أجل الانتقاص من قيمة العمل الدبلوماسي الساعي نحو عزل اسرائيل معنويا وسياسيا الا ان هذا لا يجب أن يكون على حساب كون قضية التحرير هي محور الالتزام للامة العربية . ففي نهاية المطاف فان تأييد موقف عربي في « المشكلة الفلسطينية » هو نوعيا مختلف ومتخلف عن التأييد الذي يحرزه نضال عربي من أجل قضية التحرير الفلسطيني وان كانت رقعة التأييد أضيق في المراحل الاولى . هنا يصبح من الضرورة تجنب الالتباس الذي يوجده التوجه نحو الحصول على مزيد من التأييد كأن هذا هدف بحد ذاته وأن يبقى التوجه الرئيسي نحو ما يجب أن يكون عليه — التعبئة المكثفة للالتزام العربي . ففي بعض المنعطفات التاريخية تجد الامم نفسها مضطرة الى انتزاع احترام العالم كأولوية على استجلاب عطفه أو تأييده . في هذا المضمار يتعين علينا أن نبقى بمنأى عن ما تحاول معظم الانظمة العربية من اغراقنا في اعلام يجعل من التأييد الباهت لمطاليب محدودة في مشكلة محصورة بديلا عن استمرارنا في الالتزام لقضية مصيرية هي من صلب طموحاتنا القومية والتغييرية المشروعة والتي بدونها تتلاشى معطيات كثيرة جدا من الثورة العربية المعاصرة .

●

ان المقاومة الفلسطينية من حيث هي الجهة الشرعية والمسؤولة عن نضال ومصير الشعب الفلسطيني تؤمن بأن العمل الفلسطيني الثوري لا يستقيم الا من خلال التداخل العضوي مع حركة الجماهير العربية . الا ان حق المشاركة العربية في طرح بدائل وخيارات يصبح حقا مشروعا اذا انطلق من موقع الالتزام المطلق لهدف التحرير الكامل لفلسطين وتفقد المشاركة مشروعيتها اذا هي استهدفت اسقاط خيار التحرير أو جعله احدى الخيارات . من هنا الطعن بمشروعية الطرح لمشاريع هي شكلا وموضوعا دون هدف التحرير وفي الواقع تستهدف تصفية العاملين من أجل التحرير . فحق المشاركة العربية ينبثق من المسلمة البديهية بأن فلسطين هي جزء من الوطن العربي وبالتالي فان تحريرها هي مسؤولية مباشرة قومية للعرب . لذلك فحق المشاركة في التخطيط ينبع من مسؤولية المساهمة في التحرير . اما ما عدا ذلك فتصبح مسؤولية المقاومة الفلسطينية تثوير الوطن العربي وجماهيره حتى تستقيم موازنات القوى لصالح التحرير . اننا نشدد على هذه النقطة الرئيسية لنتفادى فهم المشاركة القومية بغير المفاهيم الثورية اذ ان اية مشاركة من غير المفهوم الثوري والجدلي يعني تدخلا من قبل الانظمة العربية من شأنه أن يكرس التجزئة القائمة في الوطن العربي من خلال التخلي عن هدف ومسؤولية تحرير جزء من وطنه .

هكذا يظهر ان عملية تحويل القضية الفلسطينية الى مشكلة هو من صلب القناعة والالتزام بمنطق وصوابية وديمومة التجزئة في الوطن العربي. وهكذا نجد كيف ان القول

بوجود « أمة فلسطينية » كما أشار الدكتور محمد حسن الزيات في خطابه انما يعكس قناعة بوجود أمم في الوطن العربي . فاذا نحن سلمنا بأن فلسطين هي أمة بدلا من كونها — كما هي — جزءا من أمة عربية يتبين لنا كيف تتحول المسؤولية المباشرة المنبثقة من واقع الوحدة القومية الى مجرد تبرع غير ملزم في مساندة حل مشكلة لشعب قريب منا وقع عليه ظلم أو غبن . اذا فان تمرير مفردات التجزئة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية امر لا يمكن التساهل فيه لان حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصير وتحرير أرضه هو من صلب المصير العربي بأسره . من هنا فان استعمال « أمة فلسطينية » يؤدي في أحسن الاحتمالات الى أن تكون المسألة الفلسطينية قضية للفلسطينيين ومشكلة لباقي العرب . فاذا ما تم مثل هذا التفكير يكون العرب قد دفعوا بالفلسطينيين الى أن يحولوا هم بدورهم قضيتهم المصيرية الى مجرد مشكلة لان الاصرار على التخلي العربي عن المشاركة المصيرية والتحريرية يجعل الاصرار الفلسطيني على التمسك والنضال من أجل قضيتهم بمثابة دفع نحو عملية انتحار نبيل . ولقد رأينا في اجتماعات مجلس الامن كيف ان تفكيك مسألة الانسحاب عن « المستقبل الفلسطيني » أوجدت انطباعا بأن هذا من شأنه تحديد الهوية الفلسطينية لما سمي في قرار ٢٤٢ « باللاجئين » لكن في الواقع وضع موضوع الانسحاب وكأنه المقدمة المطلوبة لانهاء عملية تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة عالقة .

يضاف الى هذا بأن قرار التقسيم الذي جعل أساسا قانونيا لتحقيق الحل لم يكن المطلوب تنفيذه بل طرحه كالاساس لوجود أمتين مستقلتين على أرض فلسطين . أي ان « الامة الفلسطينية » المطلوب لها دولة لها الحق في مثل هذا الوجود من خلال الوثيقة نفسها التي أجازت قيام الدولة الصهيونية . من هنا يتبين لنا كيف ان تحويل القضية الى مشكلة يتغاضى عن حقيقة تاريخية وأساسية في غاية الاهمية وهي ان الرفض الفلسطيني والعربي لقرار التقسيم لم يكن على نسبة الارض المعطاة بموجب التقسيم لليهود بل على مبدأ التخلي الطوعي عن جزء من وطن وعلى اعتبار الرفض الفلسطيني والعربي يبقى « شرعية » قيام اسرائيل أمر مشكوك فيه واذا أمكن مطعون فيه دوليا . لقد كان الرفض الفلسطيني مبعثه قناعة فلسطينية رسختها التجارب والمعاناة ان ما يواجهونه في بلادهم وما يواجهه العرب في فلسطين هو غزوة استيطانية استعمارية وبالتالي فان الرفض والنضال هما العاملان اللذان يحولان دون أن ترسي هذه الغزوة وتكتسب من قبول ضحاياها بها الشرعية التي تعمل اسرائيل على انتزاعها بشتى الوسائل والاساليب . فالرفض الفلسطيني — والعربي — لاضفاء أية شرعية على وجود كيان صهيوني ليس ادمانا على السلبية والرفضية كما يعتقد البعض بل الشرط الاساسي الذي اعطى ويعطي لثورة التحرير مشروعيتها المعنوية والسياسية والدولية . اذا فالرفض الفلسطيني الذي تجسده المقاومة هو تعبير عن ايجابية نضالية من حيث ان هذا الرفض يمكن الشعب الفلسطيني من استبقاء حقوقه المشروعة والتي اخذت القطاعات والهيئات الدولية تعترف بها وتعترف بحق النضال في سبيلها ، كما يثبت ذلك سجل قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة خاصة بعد عام ١٩٧٠ .

اذا فان عدم قبول المقاومة الفلسطينية بمشروع « الدولة » الفلسطينية يصبح أمرا طبيعيا لانه ينبثق من التمسك الفلسطيني — والعربي — بالشرعية التاريخية والمعترف بها دوليا بحق الشعب الفلسطيني بالنضال من أجل تقرير مصيره واذا كان هناك من محاولات في جعل « تقرير المصير » مرادفا لقيام دولة فلسطينية في جزء من فلسطين فهذا يعني ان الفلسطينيين أنفسهم تخلوا عن هدف التحرير وبالتالي تكون الدولة الفلسطينية وليدة معادلة قبول واعتراف بحق اليهود في ايجاد دولة صهيونية في فلسطين . أكثر من هذا فان قيام دولة فلسطينية من خلال التسليم بحق اسرائيل في الوجود يصبح نهاية المطاف لمسيرة الالتزام القومي لان طبيعة توازن القوى في المنطقة التي تكون جاءت

بالدولة الفلسطينية تحتم كونها مقبولة اسرائيليا وما يعني هذا من ترجيح للهيمنة الاسرائيلية على مصير المنطقة . كما ان قيام الدولة الفلسطينية الى جانب سلبياته الواضحة من حيث ما تنطوي عليه الدولة من تخل عن حق التحرير والتسليم بهيمنة اقتصادية لاسرائيل داخل الدولة ومشاركة امنية مرئية او غير مرئية بين الدولة الفلسطينية واسرائيل يعني أن قيام هذه الدولة من شأنه ان يرسخ بشكل يكاد يكون قاطعا عوامل التفسخ والتجزئة والترهل في الوطن العربي وان يلغي حوافزه للوحدة والتحولات الجذرية المطلوبة في المجتمع العربي من حيث ان الدولة الفلسطينية هذه تمارس سيادة شكلية في حين تبقى قدرتها على المبادرة خاضعة لمستلزمات الهيمنة الاسرائيلية .

لا بد أن نزيد على أسباب الرفض سببا آخر وهو ان مجرد طرح الاحتمال بقيام مثل هكذا دولة من شأنه ان يضعف الموقف العربي وبدون أن يكسبه حتى في المجال الذرائعي المحض أية مكاسب مطلقة. ويعود هذا الى ان الجهة المطالبة ان تساهم في تسهيل مهمة قيام الدولة المبتورة هي نفسها رافضة لمثل هذا التطور . ورغم ان هناك قلة اسرائيلية تعتقد ان تلبية مثل هذا الاتجاه قد يؤمن لها أهدافا أمنية مرحلية بالاضافة الى المكسب الاساسي الذي تسعى اليه منذ نشوئها — أي اعتراف عربي بحقها في الوجود والبقاء — الا أن المؤسسات الحاكمة والموجهة في اسرائيل لا ترى أي حافز لها يفرض عليها حتى القبول بمثل هذا القدر من التنازل العربي في فلسطين، من حيث ان مجرد طرح الموضوع من قبل جهات عربية يترجم وكأنه بديل عن تصميم عربي لخلق القوة العربية ولجعلها رادعة لاسرائيل ومن ثم مرجحة عليها لتفرض عليها حتى تلبية الحد الادنى من مستلزمات قرار مجلس الامن ٢٤٢ . لاجل ذلك فان اسقاط خيار التحرير كجزء من مخطط لترغيب اسرائيل في تلبية أهداف مرحلية لبعض الدول العربية هو بمثابة مساومة تقوم على حساب قضية الشعب الفلسطيني لا يمكن له — ولا لجماهيره العربية المشاركة له — ان تكون طرفا في هذه العملية لا من الوجهة المبدئية او السلوكية بل بالعكس فان مثل هذا التطور يحتم على المقاومة احتواء ومنع التفلت الحاصل من جراء واقع التسيب والتفكك في الواقع العربي الراهن .

اما ان تتصور بعض الدوائر ان المشادة الدبلوماسية بين السلطة في عمان والسلطة في تونس هي بمثابة أزمة حقيقية لن تغيب عن الشعب الفلسطيني والجماهير العربية الحقيقة الموضوعية الاساسية بأن هذا هو انعكاس للتناقضات المحتومة في معسكر الذين حولوا القضية الفلسطينية الى مشكلة وبالتالي فان أية مفاضلة تصبح غير واردة اطلاقا — ولا تؤدي هذه المشادة الا الى المزيد من التوعية الحقيقية للجماهير وتصلبها في النضال والالتزام والانضباط . ورغم انه من الطبيعي جدا أن يتأتى من جراء التجربة المأساوية التي عاشها الشعب الفلسطيني مع السلطة الاردنية بلورة في ادانة الملك حسين وقطع في رفض مشاريعه الا أن هذا يكون في اطار ترتيب حدة مواقفنا من أطراف التناقض لكن لا ينتقص موضوعيا من ضرورات مجابهة مختلف هذه المشاريع والتعميات الاعلامية التي تلازمها .

وفي هذا الصدد تطرح قضية المفاوضات — المباشرة او غير المباشرة خاصة فيما يتعلق بمحاولة تشبيه مع المفاوضات التي أجرتها كل من الثورتين الجبارتين — الجزائرية والفيتنامية . ليس هنا مجال البحث في موضوع المفاوضات بشكل عام او بالاسباب التي تجعل العرب — والفلسطينيين بشكل خاص — يرفضون التفاوض على أي مستوى مع اسرائيل . الا اننا نرغب هنا في تبديد أي من الاوهام التي قد تنشأ عن عملية المقارنة في هذا الموضوع . لقد سبق وأشرنا مفصلا الى هذا الموضوع في مقال كتبته (« من فيتنام

الى فلسطين » ــ شؤون فلسطينية عدد ١٩) .لكن لا بد من التأكيد مرة اخرى ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ولا يجوز أن تكون ضد مبدأ المفاوضات بالمطلق وهي ليست ضد التفاوض كأسلوب في التعامل وحل للقضايا . الا ان السؤال هو أي متى تستطيع الثورة ــ أية ثورة أصيلة ــ أن تباشر بعملية التفاوض . الجواب واضح وصريح وهو عندما تنضج الثورة الاوضاع الى درجة يصبح العدو في الموقع الذي يجد نفسه مضطرا ان يتخلى عن المؤسسات والكيانات والسياسات التي جعلت من العدو عدوا والتي دفعت الشعب الى الثورة . في هذه الحالة تصبح المفاوضات استكمالا للثورة لان الثورة تفاوض اجراءات المرحلة النهائية التي تسبق صيرورة أهدافها كاملة . وكما حصل في كل الثورات التحريرية الاصيلة ــ وآخرها ثورة الشعبين الفيتنامي والكمبودي ــ فان التفاوض كان قد سبقه حوار قتالي ونضالي مستمر حتى عندما بدأ هذا الحوار يجني ثماره رضخت الكيانات الاستعمارية وصارت تفاوض ازالة كياناتها . من هنا يمكن القول ان الثورة الفلسطينية تكون على أتم الاستعداد للمباشرة بعملية التفاوض عندما تنضج الاوضاع في المنطقة وفي الساحة الفلسطينية بالذات ويجد العدو نفسه مضطرا ان يتفاوض لا من أجل «انسحابه من الاراضي المحتلة» بل من أجل كيفية التخلي عن المؤسسات الصهيونية التي تقوم عليها اسرائيل تمهيدا لقيام المجتمع الديمقراطي العلماني في كل فلسطين المنتمية مصيريا وتاريخيا الى الامة العربية . فاذا كانت الدول العربية المعنية عاجزة عن ايجاد درجة من الاستنفار والتعبئة والتنسيق من أجل أن تفرض على اسرائيل الرضوخ لقرارات دولية تتعلق بانسحاب قواتها من الاراضي المحتلة فكيف يمكن في هذه الحالة مطالبة الشعب الفلسطيني أو قيادته الثورية بأن يقوم بأي اتصال ــ ناهيك عن مطالبته بالتفاوض ــ من اجل سراب لم يتضح بعد ، الى الدرجة المطلوبة ، ما زرعته المقاومة من بذور الثورة التحررية الشاملة ضد الكيان الاسرائيلي . اما التكرم بالاضفاء على المقاومة كونها الهيئة الشرعية لتمثيل الشعب الفلسطيني كاحدى الاغراءات كي تقوم بمبادرات على اي مستوى دون ان تكون هذه مبادرات ذاتية وبموجب توقيت وجدول زمني تحدده هي على ضوء الظروف الموضوعية والثورية التي تعيش بها والمحيطة بها ، فانه يعني تعريضها لمخاطر يكون أقلها ارتهانها لواقع ومعادلات مفروض انها ثورة عليه ومن ثم امتصاص المقاومة في دوامة منطق الانظمة والمفروض ان تكون المقاومة بدء عملية ثورية تصحيحية في الساحة العربية . لهذا الواقع ولهذا المنطق يبقى موضوع « حكومة في المنفى » من حيث انها تصبح صيغة توفيقية بين استمرار الالتزام بخيار التحرير وبين التنفيذ الفوري لقيام دولة فلسطينية . في هذا المجال ايضا لا يمكننا أن نجزم بشكل مطلق اننا ضد « حكومة في المنفى ». الا انه لا بد من التفريق بأن «حكومة بالمنفى » كشكل قانوني وهيكل منظم لتدبير أمور وشؤون الفلسطينيين شيء و« حكومة بالمنفى » كجهاز أساسي من اجهزة الثورة شيء آخر . ويمكن لهذه الصيغة ان تكون اما من الفئة الاولى او الثانية على ضوء التوقيت والظروف التي تنشأ فيها هذه «الحكومة». لذلك فاذا جاءت الحكومة ابان حالة من الانحسار الثوري أو وسط واقع التردي العربي يكون مشروع « الحكومة بالمنفى » أسلوبا من اساليب امتصاص الطاقة الثورية في الشعب الفلسطيني وبالتالي ترشيحه من خلال نزعة التمكتب والمراسيمية والوجود السياسي الملازم للحكومة أن يتحول هدف الشعب الفلسطيني الى الانتقال الى ارض من أجل الحكومة . وهكذا تكون «حكومة المنفى» الممهد لحكومة الدولة الفلسطينية . ولا يخلو هذا من جعل الشعب الفلسطيني بأن يتدرج نحو اهدافه من خلال نقلة الحكومة من المنفى الى « الدولة » . وهكذا يتبين ان مشروع « حكومة المنفى » في غير وقته وفي غير ظروفه هو وسيلة اخرى من اجل الاسراع بتحويل القضية الى مشكلة واظهارها كأنها عمل فلسطيني ذاتي . اما قيام « حكومة فلسطينية بالمنفى » كاحدى اجهزة الثورة فهي ضرورة عندما تكون الثورة متصاعدة ومنجزة وتكون قد باشرت في عمليات التحرير

وأنشأت لنفسها قواعد صلبة وانتقلت من عمليات العصابات المحاربة الى حالة الحرب الشعبية الشاملة . عندئذ لا بد للثورة أن تفرغ بعض كوادرها لمهمات ادارية ولانشاء علاقات دولية واعطاء الثورة جهازا يعبر عن الكيان المستقبلي الوشيك التحقيق لها . لقد تمكن نضال الشعب الفلسطيني أن ينتزع لنفسه اعترافا قاطعا بوجوده كشعب حتى من الد أعدائه . ورغم ان الفقرة التي جاءت في البيان المشترك بين الرئيس الاميركي نيكسون والزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف اعترفت له « بمصالح مشروعة » الا ان المصالح المشروعة تبقى دون «الحقوق المشروعة» التي أقرتها الجمعية العامة باكثرية محترمة . الا أنه لا بد من الاشارة الى أنه اذا أتحنا للقضية الفلسطينية ان تتحول الى مشكلة عندئذ تستأثر مواقع التقرير الراهنة في المنطقة وفي العالم تحديد ماهية المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني . وهذا يتحدد على ضوء موازين القوى القائمة في الساحة الفلسطينية وفي المنطقة اجمالا .

اما اذا تمسكنا بالتزامنا التحرير الكامل وأبقينا القضية الفلسطينية بمستوى القضية عندئذ نكون قد باشرنا في التنظيم والعمل من أجل أن تتأمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وهذا يعني ان علينا ان نخطط ونعمل لتغيير جذري في موازين القوى في الساحة الفلسطينية بالذات وفي المنطقة كلها .

ان اعدل قضية لا تتحول الى مجرد مشكلة عالقة لا لكونها قضية فحسب بل لانها عادلة. المهم ان نتصرف كأصحاب قضية عادلة لا كمتلهفين يغلب علينا الدلع في الاروقة الدولية. فاما ان نكون بمستوى التحدي او ان يلفظنا التاريخ . لاننا تواطأنا في بلقنة وطننا العربي في حين اننا نمتلك كل الامكانيات وتوفرت لنا كل الطاقات بأن نكون جديرين بالطموح المشروع وبالعظمة الحقيقية .

أي اتجاه سنأخذ متوقف الى حد كبير على قدرتنا على ان نبقي القضية الفلسطينية بمنأى عن ان تتقلص الى مشكلة وما يرافق هذه القدرة من التزام بأهداف الثورة الفلسطينية وانضباط مسيرتها .

من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشا ...

محمود درويش

فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية ، يصدر في الخريف القادم عن مركز الابحاث .

هنا ينامون . أسماؤهم كثيرة وموتهم واحد . كانوا متعبين وكان الغروب صغيرا ، فسقطوا بسهولة ولم يقولوا شيئا لان الموعد كان مفاجئا . وماذا لو أحيطوا علما ؟ فالوصايا معهم .. والعائلة كلها عائدة من العمل ، والعالم ليس لهم .

هنا ينامون . نالوا عقابا على جريمة غامضة . لم يخرجوا في مظاهرة واحدة ، ولم يدافعوا عن الحياة والتراب الا بالصلوات . كانوا يخرجون من البؤس في الصباح الباكر ويعودون الى البؤس في الغروب الباكر . وكانوا ينتظرون المطر ، فجاءهم الموت في غزارة المطر .

هنا ينامون . ويكبر الغروب ، ويتحول الى غابات من الشجر الجاف . لا وقت لذكراهم ولا مناسبة ولا موعد . الحجارة هي الوقت ، وامتداد الغـــروب الذي لا لون له هو الوقت . وماذا نسميهم ؟

ليست مذبحة كفرقاسم يوما للذكرى . وليست مرحلة يغلبها النسيان . انها تاريخ كراهية ممتد منذ استل هرتسل سيفه من التوراة وأشهره في وجه الشرق . فسكان هذه القرية المسحوقة المهملة لم يفعلوا شيئا يثير غضبة أحد ولو كان عدوا متطوعا . لم يقاتلوا الا الطبيعة القاسية والبؤس الاسود . فمن أجل ماذا ماتوا ؟ لم يموتوا من أجلنا كثيرا . هم ضحايا لا شهداء . وتلك هي مأساتهم المزدوجة ، وذاك هو حزننا المزدوج عليهم . بوسعنا ان نقول انهم ماتوا من اجـــل ان نعمق كراهيتنا للظلـــم والاغتصاب . ومن أجل أن نعمق عبادتنـــا للارض . ولكننـــا لا نحتاج هذا البرهان الضاري . اننا قادرون على تنمية حاسة الحب والكراهية بدون هذا الموت المجاني . فمن أجل ماذا ماتوا اذن ؟.

ليس من أجلنا ، بل من أجل القتلة . لكي يمتلىء الصهيوني بالاحساس بأنه قادر على أن يمثل دورا في التاريخ غير دور الضحية . من أجل هذا البرهان يتلذذ بالقتل . « اما أن اكون قاتلا واما أن أكون قتيلا » . هذا هو الخيار الضيق الذي وضعه لنفسه . ان

تاريخا واسعا من الحقد ومركبات النقص يتدفق في اللحظة التي يمارس بها الصهيوني عملية القتل . ولم يكن مدخل قرية كفرقاسم الا مسرحا يثبت به القاتل جدارته بالانتماء الى العالم .

في المحكمة ــ المسرحية ، استجوب المحامي جنديا اسرائيليا من الذين اشتركوا في المذبحة :

ــ هل صحيح أنك تعمل في البلاد ، وانه طيلة حياتك أدخل اليك الشعور بأن العرب هم أعداؤنا ؟

الجندي : نعم .

المحامي : هل صحيح انك تحمل هذا الشعور نفسه تجاه العرب في اسرائيل والعرب خارجها ؟

الجندي : نعم . ليس عندي أي فرق

المحامي : هل صحيح أنك شعرت بأنك اذا لم تنفذ الامر بقتل كل عربي في كفرقاسم اذا رأيته خارج بيته ، فانك تكون قد خنت الروح التي تربيت عليها في الجيش وفي حرس الحدود ؟

الجندي : نعم .

المحامي : لو كنت تسير ، أيام الحرب ، في احد شوارع يافا مثلا ، ولقيت عربيا ، فهل تطلق الرصاص عليه ؟

الجندي : لا أعرف .

القاضي : لو جرى معك في كفرقاسم ما يلي : بعد الساعة الخامسة نادتك امرأة ، وكنت متأكدا من أنها ليست خطرة ولا تهدد الامن . فقط نادتك وأرادت أن تسألك سؤالا او تطلب منك السماح لها بالعبور الى بيتها . ولنفترض ان هذا كان في الساعة الخامسة وعشرين دقيقة مثلا ، فلو كانت هذه المرأة تبعد ١٠ امتار عن بيتها وهي تطلب منك السماح لها بدخوله . ماذا تفعل ؟

الجندي : لا أسمح لها .

القاضي : ماذا كنت تفعل ؟

الجندي : اذا كانت في الشارع .. أطلق عليها الرصاص .

القاضي : ولكن لم يكن أي خطر . كل ما في الامر أن شخصا ما ، بسبب خطأ ما ، أو بسبب أنه لم يعلم بأمر منع التجول توجه اليك وأراد ، باذن منك ، قطع الشارع .

السؤال هو : انك ، رغم ذلك ، كنت ستقتل كل واحد أم أنك كنت تميز وتمتنع عن القتل في حالات معينة ؟

الجندي : ما كنت أميز .

القاضي : هل كنت ستقتل كل واحد ؟

الجندي : نعم .

القاضي : حتى لو كان ذلك الشخص امرأة أو طفلا ؟

الجندي : نعم .

القاضي : كنت تقتل كل من تراه .

الجندي : نعم .

وهذا ما حدث فعلا ..

طفل عمره ثماني سنوات ، واسمه طلال شاكر عيسى . هربت عنزة من ساحة داره الى الشارع . لا الطفل ولا العنزة يفهمان بأن أمر منع التجول قد أصبح ساري المفعول في القرية منذ دقائق معدودة . ركض الطفل وراء العنزة ، فانهمر رصاص بندقية وارداه قتيلا .

لحق به ابوه ، فاستأنفت البندقية مهمتها .

ركضت الام نحو زوجها وابنها ، فاستأنفت البندقية مهمتها . لحقت الابنة نورة بوالديها وأخيها ، فاستأنفت البندقية مهمتها .

وماذا كانت مهمة البندقية ؟.

عشية الهجوم الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، دعا اللواء شدمي الرائد مالينكي الى مقر قيادته ، وأبلغه بالمهمات الملقاة على الوحدة الخاضعة له . كانت احدى هذه المهمات التي القيت على عاتق حرس الحدود في المنطقة الوسطى فرض منع التجول وبقاء السكان داخل بيوتهم في قرية كفرقاسم والقرى المجاورة لها، ابتداء من الساعة الخامسة مساء حتى السادسة صباحا . ودار بين القائدين الحوار التالي كما ثبت في قرارات المحكمة المركزية فيما بعد :

شدمي : يجب ان يكون منع التجول حازما جدا ، وتتم المحافظة عليه بيد قوية ، لا بواسطة اعتقال المخالفين ، وانما باطلاق النار عليهم . ومن الافضل قتلهم بدلا من تعقيدات الاعتقالات .

مالينكي : وما هو مصير المواطن الذي يعود من عمله خارج القرية ، دون ان يعلم بأمر منع التجول ، ومن المحتمل أن يقابل في مدخل القرية وحدات من حرس الحدود ؟

شدمي : لا اريد عواطف . الله يرحمه !

وبانتهاء الحوار السريع والحازم ، قدم مالينكي الى ضابط قوات الاحتياط التابع لفرقته أمرا يتضمن العبارة التالية : « لا يسمح لاي ساكن ان يترك بيته خلال منع التجول . ومن يترك بيته تطلق عليه النار . ولا تكون اعتقالات » .

ودار الحوار التالي بين مالينكي وبين جنوده ، كما ثبت في قرارات المحكمة المركزية فيما بعد :

جندي : ماذا نفعل بالمصابين ؟

مالينكي : يجب عدم الاهتمام بهم . أو يجب عدم نقلهم . أو لن يكون هناك جرحى . [حسب الشهادات التي وردت في المحكمة] .

قائد أحد الاقسام : وماذا بشأن النساء والاطفال ؟

مالينكي : بدون عواطف .

القائد نفسه : وماذا بشأن العائدين من العمل ؟

مالينكي : حكمهم كحكم الجميع . الله يرحمهم . هكذا قال القائد .

في اليوم ذاته ، وفي الساعة الرابعة والنصف ، أي قبل سريان مفعول منع التجول بنصف ساعة فقط ، كان رقيب من حرس الحدود يعلم مختار قرية كفرقاسم بفرض منع

التجول ابتداء من الساعة الخامسة مساء وحتى السادسة صباحا . وحذره بأن منع التجول سيكون حازما ويتضمن خطر الموت . وطلب منه أن يعلن ذلك في القرية. فأخبره المختار أن أربعمائة عامل من كفرقاسم موجودون ، في هذه اللحظة ، في أماكن عملهم خارج القرية . قسم منهم في أماكن قريبة . وقسم آخر في أماكن بعيدة مثل يافا واللد . وانه من المتعذر عليه ابلاغهم بأمر منع التجول في مثل هذه الفترة القصيرة. بعد المناقشة وعد الرقيب المختار بأنه سيسمح للعائدين من العمل بالمرور على عاتقه وعلى عاتق الحكومة !.

وعلى عاتقه .. وعلى عاتق الحكومة ، تم في الساعة الاولى من منع التجول .. بين الخامسة والسادسة مساء قتل سبعة وأربعين مواطنا عربيا من قرية كفرقاسم على أيدي حرس الحدود . ومن بين القتلى سبعة اولاد وبنات وتسع نساء .

بعد عشر سنين من المذبحة التي روت عطش الاسرائيلي الى الدم العربي الاعزل روى أحد الذين نجوا من المذبحة بأعجوبة (صالح خليل عيسى) للشاعر توفيق زياد شهادته على المجزرة :

« في ذلك اليوم كنت أعمل في بيارة مع اثنين من أبناء عمي . أنهينا العمل بعد الساعة الرابعة بقليل ، وركبنا دراجاتنا عائدين الى القرية . في الطريق التقينا بعمال آخرين قالوا لنا ان في القرية منع تجول واطلاق رصاص ولا أحد يعرف لماذا . هكذا سمعوا . بعد تردد قررنا مواصلة الطريق . كان عددنا يزداد حتى أصبح خمسة عشر عاملا . صرنا على بعد كيلومتر من القرية . لم تكن لدينا مخاوف جدية . احتمال واحد كنت أفكر به .. وهو أن يتعرض لنا ضابط قوة الحدود « بلوم » . ربما سيشتمنا ويضربنا قليلا كالعادة . ولم أفكر بشيء آخر .

بعد قليل سمعنا صوت اطلاق رصاص . بدأت أحس أن المسألة خطيرة . قلت لابن عمي : فلنرجع . راح يشجعني . وكان معنا شيخ في حوالي الستين راح يشجعنا بآيات قرآنية . واقتربنا حتى صرنا على بعد مائة متر عن اقرب بيت في القرية .

فجأة .. ظهر رجل من حرس الحدود واعترض طريقنا : قفوا !. وحتى تلك اللحظة ، فان ما كنت أتصوره هو الضرب .. لا الموت .

نزلنا عن الدراجات . وأمرنا الجندي بالوقوف في صف :

— من أين أنتم ؟

— من كفرقاسم . صحنا بصوت واحد .

— وأين كنتم ؟

— في العمل .

ابتعد عنا حوالي خمسة أمتار ، حيث كان اثنان من زملائه يحمل كل واحد منهما مدفعا رشاشا وصاح :

— أحصدوهم !

ولم أصدق الا عندما راح الرصاص ينهمر في اتجاهنا . الرشة الاولى على أرجلنا . والثانية أعلى قليلا . وسقطت مع الآخرين . كانت بجانبي عربة خيل كانوا قد احتجزوا صاحبها وأطلقوا عليه الرصاص معنا . سقطت خلف العربة ، لا أعرف كيف . شعرت أنني ما زلت حيا فقط بعدما سقطت . وهذا كل شيء . وابتعد عنا الجنود الثلاثة حوالي عشرة أمتار .

وجاءت ، بعد لحظات ، سيارة شحن . أوقفوها . أمروا ركابها بالنزول . كان فيها كثيرون (عرفت فيما بعد أن عددهم كان ثلاثة وعشرين) من عمـــال شركة اساميا للزراعة .

تقدم منهم نفس الآمر الذي أصدر الامر باطلاق الرصاص علينا ، وامرهم بالنـــزول والاصطفاف خلف السيارة . وبعد أن اصطفوا خلف السيارة ملتصقين ، ابتعد عنهم ذلك الآمر ثم صرخ :

ـــ أحصدوهم !

هرب البعض . وسقطت الاكثرية .

وعاد القتلة الثلاثة حيث كنت وباقي ركاب الدراجات القتلى.وأخذوا يكومونهم في كومة واحدة على بعد ثلاثة أمتار مني . كانوا يستعملون بطاريات ويطلقون الرصاص . انهم يجهزون على الجرحى .

واقتربوا مني . سحبوا العربة بعيدا . دولابها الحديدي مشى بكل ثقله على قدمي . كنت أصر بأسناني حتى لا أصرخ . تظاهرت بأني ميت . سحبوني ووضعوني على الكوم .. وابتعدوا .

بعدما كوّموا قتلى سيارة الشحن على بعد عشرة أمتار منا ، جاءت سيارة شحن أخرى كان فيها شخصان . قتلوهما . وسمعت هدير سيارة جيب آتية من الطريق الشرقي.. من ناحية القرية . كانت مطفأة . سمعت لغطا ورأيت شخصا ينزل منها . لم أفهم الكلام اذ كانوا على بعد عشرين مترا مني . ثم عادت السيارة من حيث أتت .

وسادت فترة هدوء .

ورأيت القتلة الثلاثة يسيرون ثم يجلسون على بئر القرية . ثم جاءت سيارة شحن . [لعلك لاحظت أنهم كانوا يقتلون كل فوج جديد على بعد بضعة أمتار من الذي سبقه في الاتجاه المعاكس للقرية ، حتى لا يرى الفوج الجديد مصير سابقه] ولكن السيارة التي أشرت اليها مرت على أكوام القتلى . ويبدو ان القتلة مـــا عادوا يكترثون بأن يلاحظ الضحايا الجدد مصير الذين سبقوهم أم لا يلاحظون . ومرت السيارة من جانب كوم القتلى الذي كنت فيه . سمعت أصواتا نسائية . كان في السيارة كما عرفت فيما بعد ثلاث عشرة امراة من اثنتي عشرة سنة فما فوق ، وأربعة رجال .

وفجأة ، ركض القتلة الثلاثة وراء السيارة ، واوقفوها ، وانزلوا ركابها .

وفكرت . السيارة تبعد عني من عشرين الى خمسة وعشرين مترا. وشعرت بقوة هائلة تنفضني . وقفت ورحت أركض . لم أدر كيف قفزت عن سياج أمامي . كنت أركض في اتجاه مواز للسيارة دون أن أعي . ومثل المطر ، انهمر الرصاص في اتجاهي . واختلط صوت الرصاص بزعيق النساء وأصوات ارتطام أجسامهـــن بالأرض . وأحسست بالرصاص يخترق ثيابي . عندها فقط عرفت أين أنا . انبطحت . ثم رحت أحبو على يدي ورجلي في كرم زيتون . كنت أتصور الزيتون مملوء جيشا وسيارات عسكرية ، وانه من الممكن أن أصطدم بهم في كل لحظة . وخلف صخرة كبيرة ، تحت زيتونة ، اختبأت وأنا أفكر بالموت الذي يمكن أن يغتالني في أية لحظة . بقيت هناك حتى الصباح والدم ينزف من جرحين في يدي ورجلي . وفي الصباح اكتشف موضعي جنديان ، ونقلت الى المستشفى » .

في صباح اليوم التالي ، بحث المجرمون عن وسيلة لدفن الجريمة . أحضروا أشخاصا من القرية المجاورة ـــ جلجولية ـــ الى مقبرة كفرقاسم،وأمروهم بأن يحفروا سبعة واربعين قبرا . لم يعرف المكلفون بحفر القبور شيئا عن الجريمة . كان عليهم ان يحفروا وكفى..

ومن يومها ، كبرت مقبرة كفرقاسم وصارت مزار شعب ، ودليلا علـــى « طهارة » السلاح اليهودي في اسرائيل !

لم تنته الجريمة بدفن الموتى . لم تنته المجزرة بجفاف الدم . فلكي تستكمل عملية القتل شروطها الاسرائيلية ، كان لا بد « للضمير الاسرائيلي » المشهور بالحساسية تجاه اي خدش يصيب اي يهودي في أي مكان من العالم ، من دخول تجربة الاختبار الانساني . كان لا بد من البحث عن حقيقة وجود هذا الضمير الحساس . كان الضمير غائبا .. غائبا لان ضحايا المجزرة عرب . ويبدو ان شرعية قتل العرب او عدم الاكتراث تجاه قتلهم أصبح حالة تلقائية سائدة في المجتمع الاسرائيلي الذي ربي على غريزة العداء لهذه المخلوقات التي تعكر صفو « النقاء » اليهودي في فلسطين . كان الصمت السادي او المبتهج سائدا . ولم تخرج عن قانون الصمت الا بعض الاقلام التي آلمها انتهاك شروط السمعة الطيبة للسلاح اليهودي التي يروجها دعاة الجرائم الصهيونية . لم تكن قصيدة الشاعر الاسرائيلي البارز ناتان الترمان دفاعـــا عن العدالة الصريعة علـــى مدخـــل كفرقاسم ، بقدر ما كانت دفاعا عن سمعة مجتمع الاغتصاب الاسرائيلي :

لا يجب الكتابة عن شيء آخر.

لا كتابة قصة ولا قصيدة ، لان اللغة العبرية ترفض أن تمر بصمت على هذا العمل القذر الذي جرى في اسرائيل .

هذه هي طبيعة هذه اللغة . وهذه صفتها .

يقولون : ستجري محاكمة ـــ وينتهي الامر . سيتكلم العدل ويصدر حكمه .

يقولون : لنترك ذلك للاجراءات القضائية . أو لا يكفي ذلك ؟

ـــ لا . ذلك ليس كل شيء .

ان القضاء أبجدية مفروغ منها ، لانه لا يمكن للجريمة ألا توقظ القانون .

لكن قبل المحاكمة وبعدها ـــ سيظل ينقص هذه القضية مبدأ كبير .

لا يمكن ان يقوم مجتمع انساني حدثت فيه مثل هذه النذالة ،

دون أن تثور فيه رعشة وغضب

غضب جماهيري يحمل السخط الانساني والفردي

سخط الرجال والنساء .

ذلك لانه بدون هذا يكون القضاء رد فعل ميكانيكي ، مبرمج وآلي ،

رد فعل يدور في فراغ وليس في وسط شعب واع متيقظ الحواس .

ولقد دمر الكاتب بوعز عبرون ادعاء السمعة الاخلاقية والروحية التي يروج لها دعـــاة السلطة الاسرائيلية ، فكتب « منذ الجريمة ونحن في امتحان . لقد وضعت استقامتنا وانسانيتنا وشجاعتنا في امتحان فشلنا في اجتيازه » . وعدّد أربعة مذنبين : « الاول ، الصحافة . فباستثناء صحيفتين أو ثلاث صحف من الشواذ ، اتفقت الصحافة على مؤامرة صمت وأسدلت ستارا على الجريمة . فبدلا من الكتابة عن القتل والجريمة في كفرقاسم ، كتبت عن « مصيبة » وعن « خطيئة » وعن « الحادث المؤسف » . وحين كتبت هذه الصحف عن ضحايا المصيبة لم يعد واضحا عمن تتحدث : عن القتلى أم عن القتلة . « المذنب الثاني هو القيادة الدينية والاوساط الدينية في البلاد . هؤلاء الذين

يطلبون سلطة لكي « يسيطر الخلق اليهودي » و« روح جدنا اسرائيل » . هؤلاء صمتوا بلا مبالاة كاملة . حتى ولا شخصية دينية واحدة هبت لتنقذ شرف الديانة اليهودية . « المذنب الثالث هو القيادة الاكاديمية . فباستثناء قليل من « المجانين » لم يوجد تقريبا بروفيسور أو محاضر واحد يصرخ « هذا قتل » . « والمذنب الرابع هو القيادة الادبية — الفنية . فمنظمة الادباء التي عرفت دائما أن « تحتج بكل شدة » وان « تتوجه الى ضمير العالم المستنير » صمتت وما زالت صامتة وستصمت » . واضاف الكاتب : « وماذا عن الاحزاب التي كانت تجلس طوال ذلك الوقت كله في الحكم ملوحة بشعارات السلام والعدل وأخوة الشعوب ؟ أين كان الثوريون ؟ وأين كنا نحن . . المواطنين البسطاء الذين احسسنا بالقرف والاحتقار ، ونحن نشاهد رقصة الجن ؟ » .

رقصة الجن هي المحاكمة .

وهي الفصل الثالث في الجريمة التي بدأت بالقتل ثم الصمت . . ثم المحاكمة . تمهيدا للمحاكمة — التي راوغت الحكومة في اجرائها — تجري مصالحة مهينة بين حكومة اسرائيل وبين ذوي ضحايا كفرقاسم !.

خصصت وزارة الدفاع مبلغ مائة الف ليرة ثمنا لخمسين ضحية عربية .

أرخص ثمن في التاريخ . .

وتمت التسعيرة بالشكل التالي : الفا ليرة لمن هو في الخامسة عشرة . ألف ليرة سعر ما دون الثامنة . المتزوج وليس له أولاد ثمنه ثلاثة آلاف ليرة . المتزوج وله ولد واحد يساوي أربعة آلاف ليرة . المتزوج وله أكثر من ولد واحد يساوي خمسة آلاف ليرة . وبالوسائل الاسرائيلية ، المعروفة وغير المعروفة ، فرضت السلطة المصالحة والتعويضات .

ثم . . بدأت محاكمة القتلة ، بعدما أدين القتلى !. .

بعد سنتين من وقوع الجريمة ، أصدرت المحكمة التي استغرقت وقتا طويلا قراراتها . ما أجمل أن توزع السلطة العسكرية أدوارها بين قاتل وقاض وشاهد .

وفي حكمها « العادل » قررت المحكمة أنها وجدت الرائد شموئيل مالينكي والملازم جبرائيل دهان مذنبين في قتل ثلاثة وأربعين مواطنا . فحكمت على الاول بالسجن لمدة سبع عشرة سنة وعلى الثاني خمس عشرة سنة . اما المتهم الثالث شالوم عوفر ، الذي ارتكب بصورة رهيبة أكثر عمليات القتل — كما جاء في كتاب المحامي صبري جريس استنادا الى قرارات المحكمة المركزية — فقد وجد مذنبا مع دهان بقتل ٤١ مواطنا وحكم عليه بالسجن لمدة خمس عشرة سنة . اما المتهمان الرابع والخامس — الجندي مخلوف حريش والجندي الياهو ابراهام — فقد وجدا مذنبين بقتل ٢٢ مواطنا . والمتهمون السادس والسابع والثامن — العريف جبرائيل عوليل ، والجندي ألبرت فحيمه ، والجندي ادموند نحماني — فقد وجدوا مذنبين بقتل ١٧ مواطنا ، وحكم على كل واحد منهم ومن الاثنين السابقين بالسجن لمدة ثماني سنوات . وبرأت المحكمة المتهمين الثلاثة الباقين .

ومع أن هذه الاحكام الخفيفة — التي تنطوي على تشجيع مزيد من القتل تحت غطاء التسامح القانوني — قد أثارت دهشة المواطنين العرب وقلقهم على مستقبلهم ، فانها قد أثارت سخط المتطرفين اليهود في اسرائيل الذين ادعوا أن القتلة قاموا بواجبهم القومي. ولم يتورع بعض الصحف الاسرائيلية عن المطالبة باصدار العفو عن القتلة .

ولم يكن مدهشا ومفاجئا أن يستجيب المسؤولون الاسرائيليون الى هذه المطالبة الشعبية ، فقد وجدت المحكمة العسكرية العليا للاستئناف ان الحكم الصادر ضد القتلة كان قاسيا جدا ومن الواجب تخفيفه ، فأصدرت حكما بتخفيض الحكم ضد مالينكي الى ١٤ سنة ، وضد دهان الى عشر سنوات ، وضد عوفر الى تسع سنوات . ثم تدخل رئيس أركان الجيش فخفض الحكم ضد مالينكي الى عشر سنوات ، وضد دهان الى ثماني سنوات ، وضد بقية القتلة الى أربع سنوات .

وجاء رئيس الدولة ليعمق مبادىء عدالة القتل الاسرائيلي ، فمنح كلا من مالينكي ودهان عفوا جزئيا وخفض الاحكام ضدهما الى خمس سنوات !..

لقد أخذت سلسلة التخفيفات هذه شكل المباراة في تقديم المكافآت الى القتلة تقديرا لنجاحهم في القتل بدم بارد ، فتبرعت « لجنة اطلاق سراح المسجونين » بتخفيض الثلث من مدة السجن لكل واحد من المحكوم عليهم . وأطلق سراح آخر واحد من القتلة في بداية عام ١٩٦٠ . ووجد المسؤولون الاسرائيليون ان جبرائيل دهان الذي قتل ٤٣ عربيا خلال ساعة واحدة يستحق وظيفة مدنية جديرة بصلات الدم التي تربطه بالعرب ، فأعلنت بلدية الرملة في العام ذاته انها قبلت دهان للعمل فيها بوظيفة « المسؤول عن شؤون العرب في المدينة » .

وماذا عن اللواء شدمي الذي أصدر اوامره الى مالينكي ؟.واوصاه بأن ينشر بين جنوده تعاليم « بدون عواطف » ؟. وماذا عن المصدر الكبير الذي تلقى منه شدمي الاوامر العليا ؟. ان محاكمة شدمي ، بصورة حقيقية ، ستكشف النقاب عن المصدر الاعلى للاوامر . ولذلك ، قدم شدمي امام محكمة عسكرية صورية عين اعضاءها رئيس أركان الجيش .

تمت المحاكمة بشكل سريع . ووجدت المحكمة ان شدمي مذنب في « خطأ تكني فقط » . ولهذا حكمت .. بتوبيخه ، وبدفع غرامة مالية قدرها : قرش اسرائيلي واحد .

لعل قرش شدمي اثمن عملية في تاريخ الجرائم . ستطول شهرته كثيرا ما دام للجريمة مكان على سطح الكرة الارضية . ان المسؤول عن قتل تسعة وأربعين مدنيا بريئا في قرية آمنة يعاقب بدفع قرش واحد . هذا لا يحدث كثيرا .. لا يحدث كثيرا في التاريخ ، الا عندما يتعلم ضحايا النازية كيف يقلدون قتلتهم . هذا هو الدرس الذي تعلمه اصحاب التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين . ان الحقد التاريخي الذي عبأت به الصهيونية جنودها ضد الانسانية والعالم يجري تدريباته وتمريناته على اللحم العربي الذي أصبح معهدا لتخرج خبراء القتل المجاني .. القتل الذي لا معنى ولا هدف له الا تفريغ مركبات النقص .

وماذا كتب آحاد هعام ــ المفكر اليهودي الذي كرس حياته لدعوى الصهيونية ومقاومة اندماج اليهود في أوروبا الشرقية ؟ ماذا كتب حين شاهد ، بعينيه ، سلوك المهاجرين اليهود الى فلسطين عام ١٨٩١ ، وقبل أن ينشئوا دولتهم ؟ كتب : « وماذا يفعل اخواننا المهاجرون اليهود في فلسطين ؟ كانوا عبيدا في بلاد الدياسبورا ، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية بلا حدود ، وسط حرية لا رادع لها . ولقد ولد هذا التحول المفاجىء في نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما تكون الحال عندما يصير العبد سيدا . وهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ، ويمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة ، ثم يوجهون لهم الاهانات دون أي مبرر كاف ويفاخرون بتلك الافعال فوق كل ذلك . وليس هناك بيننا من يقف بوجه هذا الميل الخسيس والخطير في آن واحد » . اذا كان آحاد هعام الصهيوني الكلاسيكي قد اشتكى من شراسة المهاجرين الاوائل ، قبل ان ينشئوا دولة ويملكوا جيشا وسلاحا ، فماذا من الممكن أن يكتب المراقب الآن بعدما تحولت الجريمة الى المبرر والوسيلة الوحيدتين لبقاء الحكم الاسرائيلي ؟.

لم تكتف غريزة الجريمة لدى الحكم الاسرائيلي بقتل ٤٩ عربيا في كفرقاسم ، وتبرئة المنفذين ، وبعدم محاكمة المسؤولين لان ذلك يعني محاكمة الكيان الاسرائيلي من اساسه . لم تكتف بذلك ، وانما امتلكت من السادية والنفاق قدرا جعلها تبتز من الضحايا اعترافا بالشرعية وتأييدا للسلاح الفاتك . فبالوسائل الاسرائيلية ابتزت السلطة الاسرائيلية، بعد المجزرة مباشرة ، تأييدا للحزب الحاكم في الانتخابات البرلمانية. فقد حصل الحزب الحاكم القاتل على الاغلبية الساحقة من أصوات الناخبين في القرية المنكوبة . فصارت الجريمة مزدوجة : قتلوهم .. وأرغموهم على اعلان الولاء . لقد استجوبوا الجثث ، واستنطقوها لتقول للغزاة القتلة : نعم !

أراد القتلة أن يصوروا ما حدث في كفرقاسم بأنه حادث ، فهل هو حادث .. أم هو طبيعة ملازمة للممارسة الصهيونية على أرض فلسطين ، وسياسة مستمرة تجاه المواطنين العرب الواقعين تحت الاسر الاسرائيلي ؟. لقد قالوا عن دير ياسين أيضا انها حادث ، فهل يكون الحادث حادثا اذا تكرر عشرات المرات . ان القتل ، بدم بارد ، والعنف المسلح هما فلسفة اسرائيلية في تثبيت وجودها . وقد ملأ الفكر الصهيوني صفحات كثيرة لاعطاء العنف شرعية مستمدة من الحاجة الى قيام اسرائيل والمحافظة عليها . وقد نلاحظ ان بعض الصهيونيين الليبراليين انما يعارضون بعض مظاهر العنف عندما يضيع الفارق بين العنف الذي يرمي الى تحقيق هدف سياسي وبين العنف الذي يرتكب جريمة ليس وراءها هدف غير الانتقام الحيواني . وهذا ما يفسر غضبة آحاد هعام الشهيرة ، لان الموقف المتكامل من معارضة العنف الصهيوني انما يستدرج صاحبه الى رفض القاعدة القانونية التي نشأ عليها كيان اسرائيل ، وهي العنف المسلح . ولكن ما جرى في كفرقاسم يتجاوز مفاهيم العنف المسلح الذي يجد له تبريرا سياسيا لدى البعض . فلم تكن الجريمة هناك مثل جريمة دير ياسين مثلا التي هدف الغزاة منها الى دب الفزع بين العرب لدفعهم الى الرحيل وحققت أهدافا سياسية لمصلحة التوسع والانتصار الاسرائيليين . ولم تكن الجريمة « وقائية » للمحافظة على اي مطلب من متطلبات الامن الاسرائيلي ، اذ لم يهدد عمال كفرقاسم وفلاحوها وأطفالها ونساؤها أمن دولة اسرائيل ، ولم يعرقلوا اندفاع جيشها نحو سيناء ! الجريمة هنا خططت ونفذت بدون « ضرورة » و« حاجة » اذا جاز التعبير . انها جريمة من اجل الجريمة . انها أعلى أشكال الجريمة التي تحركها غرائز القتل والانتقام . وقد عبر عن هذا النوع من العنف المسلح الارهابي الشهير مناحيم بيغن ، حين كتب ان أساليب العنف التي لجأ اليها الصهيونيون قبل ١٩٤٨ هي الطريق الوحيد الفعال لتأمين الاهداف القومية في فلسطين ، وانها « أشبعت رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام » . كان ذلك قبل ٤٨ ، فلماذا في كفرقاسم ٥٦ ؟. لعل فلسفة الوجود كما يفهمها الصهيوني الارهابي « أنا أحارب اذن أنا موجود » تحتاج دائما الى ممارسة مستمرة والى برهان جديد . ولعل الصهيوني الاسرائيلي الذي يحمل رغبة مكبوتة للانتقام — كما يقول بيغن — محتاج الى تجديد وجوده بطريقة وحيدة هي الحرب ، والى ملء هذا الوجود بأسباب مستمرة لجدارة التفرد ، وهي القتل والقتل والقتل . « كن أخي والا سأقتلك » . هكذا يضيف فيلسوف الجريمة . وليس بوسع العربي الواقع في الاسر الاسرائيلي أن يؤاخي قاتله . وهكذا تبقى حلقة القتل مفرغة بلا نهاية .

ليس في الفكر الصهيوني نهاية للمبررات التي لا تحصى للعنف المسلح الذي لا يفتقر الى وحي من الديانة أيضا . ولهذا ، صار يهوشع بن نون بطلا اسرائيليا معاصرا بسبب وحشية أسلوبه في التعامل مع الشعوب غير اليهودية هذه الوحشية التي تشكل تشابها تاريخيا مع التطبيق الصهيوني اليوم يحتاجه اصحاب القرار السياسي في اسرائيل

كمصدر وحي والهام ، وكركيزة تراثية لاستئناف البعث الاسرائيلي في فلسطين ، على اعتبار ان كل جريمة تصير شرعية وقانونية من أجل تحقيق الهدف الصهيوني . وقد بلغ التطرف باستحضار ارهاب يهوشع بن نون مدى دفع بعض « العقلاء » الاسرائيليين الى الدعوة لتحريم تدريس يهوشع بن نون في المدارس لانه يشكل افسادا لروح الشباب يجعله عاجزا عن التعود على الحياة ، بسلام ، مع العرب في حالة تغير ظروف العلاقات بين العرب واليهود .

ان ما تدعيه اسرائيل من حساسية تجاه ما تعتبره ظلما لاحقا باليهـــود في أي مكان بالعالم ، سرعان ما يتحول الى عمل انساني مشروع حين تمارسه ضد العرب . وان ما كان يعتبر جريمة وحشية عندما كان يمارس ضد يهودي ، سرعان ما يتحول الى واجب قومي يهودي عندما ينفذ بالسلاح اليهودي « الطاهر » عندما يتم تطبيقه ضد العرب . وليس عربيا القائل ان الصهيونية « تعتبر العمل الواحد حقا وصوابا اذا قامت هي به وخطأ غير مشروع اذا قام به غيرها». القائل هو موشيه سميلانسكي الذي قال ان القومية اليهودية في فلسطين مبنية على أنانية عسكرية تؤمن بالعنف وبعيدة كل البعد عن الانسانية .

خلاصة القول ان الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد السكان العرب المدنيين والتي تمثل مذبحة كفرقاسم تجسيدا صارخا لها ، ليست ناشئة عـــن تطبيق « رديء » للتراث الصهيوني « الجيد » ، ولكنها تطبيق جيد للتراث الصهيوني الرديء . وهذه النقطـــة بالذات هي التي تشكل صخرة صماء وعقدة مستعصية الحل امام الذين يدافعون عن مباديء الصهيونية «النظيفة» ويعترضون على التطبيق الاسرائيلي القذر لهذه المباديء، او الذين يعترضون على «الانتهاكات» الاسرائيلية «لقداسة» التعاليم الصهيونية . ان الاعتراض على الممارسة الاسرائيلية سيبقى محاولة لاجتراح المستحيل اذا بقي أسير الالتزام بفكرة الدفاع عن سلامة الايديولوجية الصهيونية ، وضربا من ضروب خداع النفس وخداع الاخرين . ان الذي ينطلق من مبدأ طهارة الفكرة الصهيونية مدعو الى الالتزام بالخط المنطقي للامـــور الذي يقود الى الاشتراك في المسؤولية عن جـــرائم اسرائيل .

ان تراث الصهيونية وينبوعها «الصافي» هو الذي حلل العنف والجريمة. كان جابوتنسكي واضحا مع نفسه حين قال لمستشار الطلبة اليهود في فينا : « تستطيع ان تلغي كل شيء : القبعات ، والاحزمة ، والالوان ، والافراط في الشراب ، والاغاني . اما السيف فلا يمكن الغاؤه . عليكم ان تحتفظوا بالسيف ، لان الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا المانيا، بل هو ملك لاجدادنا الاوائل . ان السيف والتوراة انزلا علينا من السماء ».

ليس التحدي الذي اختارته الصهيونية دائرا على القيم الانسانية والتحدي الحضاري كما تدعي ، ولكنه التحدي حول اولوية الانتماء الى العنف المسلح والى السيف . وقد بلغت المنافسة حول هذه الصفة بمفكر صهيوني آخر هو جوزيف بيرديشفسكي حدا جعله يعترض على صحبة السيف والكتاب ، فقال : « ان كلا من السيف والكتاب يناقض الاخر بل ويقضي عليه كليا . ان الفترة التي يعيشها الشعب اليهودي هي فترة عصيبة. وفي مثل هذه الفترات يعيش الرجال والامم بالسيف وليس بالكتاب . ان السيف ليس شيئا مجردا او بعيدا عن الحياة . انه تجسيد مادي للحياة في أنقى معانيها ، اما الكتاب فليس كذلك » .

مثلما لا نجد نهاية ، في الفكر الصهيوني ، لمبررات الارهاب والعنف المسلح المستلهمة من الاحكام السياسية والذرائع الدينية ، وعقدة الكبت التاريخي ، كذلك لا نجد على

الطبيعة الاسرائيلية نهاية لهذا التطبيق . دعا الرواد الاوائل الى العنف ، ومارسه الجنود الاسرائيليون وحرس الحدود ، وادعى الدعاة ان السلاح الاسرائيلي أطهر سلاح وان الغزاة الاسرائيليين هم أجمل الغزاة . وقد برهنوا هذه المزاعم ، مرات كثيرة ، وأثبتوا جمالهم وطهارتهم في كل طرائق تعاملهم مع السكان العرب ، وبالذات مع عمال كفرقاسم واطفالها . بغرامة قرش واحد فقط يسدل الستار على ذبح ٤٩ مواطنا .

وحين كنا نحاول دخول كفرقاسم لمشاركتها في احياء ذكرى ضحاياها ، كان حرس الحدود اياهم ... القتلة اياهم يضربون حصارا حول القرية الثكلى ، ويمنعون الزوار من نقل التعازي . هؤلاء القتلة الابطال لماذا يخافون ذكرى ضحاياهم ؟ ليس تأنيب الضمير هو الذي يدفعهم الى قمع الذكرى،بل هي الكراهية والسادية،والشعور بالحاجة الى برهنة وجودهم ... موجودون دائما مع الجريمة ، وكأنهم يجددون عملية القتل كل سنة بمحاولة قتل الذكرى . ولكننا نعرف كيف نحيي ذكرى ضحايا المذبحة ... ولقد عرف الشعب العربي في فلسطين كيف ينتقم لابنائه : شد على تربة الوطن بأظافره وأسنانه ، وقال للغزاة : لن أوقع صك الغفران . ومضت السلطة في الانتقام من هذا الشعب ، وبلغ الانتقام اوجه حين دشنت مدينة السرقة « كرمئيل » على انقاض اراضي ثلاث قرى عربية في الجليل في يوم ذكرى مذبحة كفرقاسم بالذات ، لتظهر للعرب حقيقة نواياها تجاههم ، ولتدلهم على حدي السيف الذي تحاربهم به : القتل مرة ، ومصادرة الارض مرة اخرى .

لم تكن كفرقاسم قرية ذات شأن في تاريخ فلسطين . ولا تستطيع الرؤيا الشعرية ان تستخرج منها لوحة جميلة . ولكن ذلك الغروب الواقف على حافة الدم جعل كفرقاسم المجهولة ملحمة شعب صابر . وحين وقفنا على مدخلها ، ذات مساء ، أحسسنا بضراوة الفرح المكبوت فينا . وعرفنا الجريمة التي ننال عليها كل هذا العقاب . وأدركنا ان الحجارة هي الوقت ، فجلسنا عليها نغني للوطن .

الخطر الاسرائيلي على لبنان

خليل ابو رجيلي

« انتم في لبنان مخدوعون بأمر الصهيونية ،

لا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا ، ولكنه مال باق لليهود ، واذا استفاد منه بعض الملاكين القلائل عندنا ، فهذا لا يعني ان فلسطين العربية استفادت منه .

(...) هل تعتقدون (أنتم اللبنانيون) ان في فلسطين غير الشقاء والفاجعة اليوم ؟ ومع هـذا فأنتم في لبنـان ما تزالون تعتقدون ان وجود اليهـود عندنـا ثروة لنا . وبينكم من يتغنى بهم ، ومن احباركم الاجلاء من يأخذ جانبهم . ولكن جاؤوا يشلحوننا نحن النصارى القبر المقدس ، جاؤوا يجلوننا عن ارض مخلصنا الالهي باقامة مملكتهم (العنصرية) .

كل هذا لم يفتكر به احد منكم بلبنان ، لانكم لا تشعرون بالخطر الصهيوني ولا تقرونه قدره ، بل افتكرتم بتلك الجنيهات التي يصرفها بعض المصطافين اليهود ، ايام الصيف في بلادكم .

ولكن لو أتيح للصهاينة أن يأتوا اليكم وان يعيشوا عندكم احرارا فهل تعتقدون ان واحدا منهم حينذاك يتعامل معكم او يشتري منكم حاجة او يستأجر عندكم بيتا ؟

قد يؤلفون مستعمرات لوحدهم ـ كما في فلسطين ـ ويستغنون تماما عن اللبنانيين ويعيشون ضمن دويلات صغيرة مستقلة ولا يكون بينكم وبينهم اخذ وعطاء »(١).

بهذه الكلمات المفعمة بالمحبة والمرارة ، توجه عام ١٩٣٨ المطران غريغوريوس الحجار ، مطران حيفا وعكا وسائر الجليل ، الذي كان يناضل من أجل ابقاء فلسطين عربية ، الى اللبنانيين عبر جريدة الصحافي التائه اللبنانية ليحذرهم مـن الخطر الصهيوني المحدق ببلادهم بغية تأليف جبهة داخلية متماسكة تعمل مع الفلسطينيين للوقوف في وجه الغزوة الصهيونية الشرسة التي تريد الاستيلاء على فلسطين والاراضي العربية المحيطة بها ، لان ما أصاب ويصيب الشعب الفلسطيني من الغزوة الصهيونية ستنعكس نتائجه عاجلا ام آجلا على الشعب اللبناني .

مضى على هذا التحذير ٣٥ عاما وما زال العديد من اللبنانيين مخدوعين بأمر الصهيونية ونواياها المبيتة ضد لبنان وذلك لانه لم يتسن لهم بعد ان يدركوا مدى حقيقة الخطـر الصهيوني على لبنان فهم ما زالوا مأخوذين بالدعاية الصهيونية التي ما انفكت تردد بعد حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ « بأن اسرائيل لا تبيت نوايا عدوانية تجاه لبنان لولا وجود المخربين (وتعني بهم المقاومة الفلسطينية) على اراضيه »(٢) لذلك كان هدف الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاراضي اللبنانية « القضاء على المخربين والمتعاونين

---

* يعتبر هذا المقال تتمة للدراسة التي نشرتها « شؤون فلسطينية » للكاتب نفسه في العدد ١٤ الصادر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ .

معهم»(٣) فلو تولت السلطات اللبنانية هذه المهمة بنفسها لما كان جيش الدفاع الاسرائيلي يفكر بدخول الاراضي اللبنانية . وتدعم اسرائيل ادعاءاتها هذه بهدوء الجبهة اللبنانية طوال الفترة التي سبقت حرب الخامس من حزيران لان لبنان وقتها حافظ على علاقات حسن الجوار ولم يسمح بقيام اي تسلل عبر اراضيه لتهديد أمن اسرائيل ولم تتعكر العلاقات الا بعد دخول « المخربين » الى اراضيه . لن يعود الهدوء الى الجبهة اللبنانية الا بعد القضاء على المقاومة الفلسطينية(٤).

هذا الاسلوب المراوغ الذي تتبعه اسرائيل للعب بعواطف اللبنانيين ، عدا عن كونه يستعدي الشعب اللبناني على الفلسطينيين ويحثهم على التصادم والتقاتل الاخوي ، يخفي نوايا اسرائيل الحقيقية المبيتة تجاه لبنان ، تلك النوايا التي ما انفك قادة الحركة الصهيونية منذ تأسيسها عن اعلانها في مختلف المناسبات . لذلك سنحاول في هذا العرض تبيان حقيقة الخطر الاسرائيلي على لبنان من زواياه التوسعية والاقتصادية ، ذلك الخطر الذي يرمي في نهاية المطاف الى تدمير لبنان تدميرا كاملا .

أولا ــ الخطر التوسعي

نعرض لهذا الخطر حسب المراحل التاريخية التي مر بها ، فنبدأ أولا بسرد تطلعات بعض الكتاب اليهود خلال القرن التاسع عشر ، قبيل انشاء الحركة الصهيونية ، حول حدود الدولة اليهودية التاريخية والدينية ثم ننتقل الى مطالب الحركة الصهيونية لحدود الوطن القومي الذي يريدونه وتشمل هذه المرحلة الفترة التاريخية الممتدة من سنة ١٨٩٧ ، تاريخ انعقاد أول مؤتمر صهيوني عالمي في بال ، حتى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ وأخيرا نستعرض تصاريح ومشاريع المسؤولين الاسرائيليين منذ تأسيس الدولة الصهيونية حتى تاريخنا هذا .

لكن لا بد لنا ، قبل المباشرة بهذا العرض التاريخي للتوسع الاسرائيلي ، من تسجيل المنطلقات التي ارتكزت عليها هذه التطلعات التوسعية لتبرير استيلائها على الاراضي العربية(٥):

١ ــ ان دولة اسرائيل هي الحل المنشود « للمشكلة اليهودية » وهي تعبير عن التطلعات القومية اليهودية ، ويجب ان تضم شمل جميع اليهود المشتتين في أنحاء العالم .

٢ ــ ان فلسطين هي أرض دولة اسرائيل التاريخية والدينية وتشمل حدودها جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود والاماكن التي أقامت فيها القبائل العبرية في الماضي بالاضافة الى الاراضي الجديدة التي تعتبرها حيوية لاقتصادها وأمنها .

٣ ــ ان دولة اسرائيل في فلسطين يجب ان تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والمنعة العسكرية ، ويجب ان تمتد بحيث تشمل مصادر القوة والارض الواسعة والمياه الضرورية للزراعة والصناعة والمراكز الاستراتيجية التي تضمن لها السيطرة الدفاعية والهجومية على الاراضي المجاورة لها .

٤ ــ ان الاراضي المشمولة بدولة اسرائيل هي اراض « محتلة » من قبل الساكنين فيها ويجب بالتالي تحريرها واعادتها الى دولة اسرائيل .

استندت الصهيونية في مطالبها بتحديد حدود دولة اسرائيل الى الحجج الدينية والتاريخية وتأثرت بالنزعة القومية العنصرية التي سادت القرن التاسع عشر في اوروبا وتبنت الآراء الاستعمارية التي كانت في أوجها في أواخر القرن التاسع عشر بحيث تغدو في نهاية الامر أبشع مولود لحركة استعمار الشعوب التي قادتها أوروبا « المتمدنة » ضد شعوب العالم .

أ ــ تطلعات اليهود في القرن التاسع عشر حول حدود دولة اسرائيل :

قدمت خلال القرن التاسع عشر بعض الاقتراحات من قبل الباحثين اليهود لتحديد حدود الارض المقدسة كما وردت في كتاب التوراة وقد أوجز الاقتراحات هذه ، الحاخام اسحق في كتابه عن « حقيقة حدود الارض المقدسة » المنشور عام ١٩١٧ . ونذكر فيما يلي موجزا لبعض هذه الاقتراحات التي تبدو شديدة التعبير(٦):

١ ــ اقتراح ساد المجتمعات اليهودية خلال القرن التاسع عشر بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من جبل الاقرع شمالي اللاذقية حتى مدينة حمص السورية ، ومن حصن الاكراد حتى دير قانون شمالي دمشق حتى بحيرة طبرية فبحر الميت وعين قادس على المتوسط.

٢ ــ اقترح الحاخام شوارتز بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من جبل النورية عند رأس شكا في شمالي لبنان جنوبي مدينة طرابلس حتى مدينة الجديدة جنوبي مدينة الهرمل في البقاع ومن ثم تمتد عبر خط يصل الى دير قانون شمالي مدينة دمشق فجبل الشيخ فمدينة بانياس فبحيرتي الحولة وطبرية حتى بحر الميت .

٣ ــ اقترح الباحثان اليهوديان ، روبرتسن وبورتر ، بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من مصب نهر الكبير ، الحد الفاصل بين سوريا ولبنان، حتى مدينة حماه فالجديدة وقرياطين شمالي شرقي دمشق ، ومن الهرمل حتى جبل الشيخ فنهر الدان ومن هناك تتبع خطا موازيا لنهر الاردن حتى البحر الميت .

تشمل حدود دولة اسرائيل في الاقتراحات الثلاثة على جميع الاراضي اللبنانية وبعض الاراضي السورية والاردنية والمصرية . وقد كانت هذه الاقتراحات المرتكز الذي انطلق منه مفكرو الحركة الصهيونية لتحديد معالم الوطن القومي الذي يريدون انشاءه .

ب ــ مرحلة نشوء الحركة الصهيونية حتى قيام اسرائيل (١٨٩٧ ــ ١٩٤٨) :

من الملاحظ في هذه الفترة أن قادة الحركة الصهيونية يطلقون كلمة فلسطين على مساحة من الاراضي تفوق بكثير حدود فلسطين المعروفة جغرافيا ، فيقول ثيودور هرتزل « ان الشعار الذي يجب أن نرفعه هو فلسطين داود وسليمان »(٧) ويسجل في مذكراته ملاحظاته حول اول لقاء له مع السلطات العثمانية فيقول : « طلبت الحكومة العثمانية ٤٠ مليون فرنك وعرضت علينا بالمقابل امتياز خط حديدي يمتد من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي بالاضافة الى حق اقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها ٧٠ الف كيلومتر مربع »(٨).

وقد توخى هرتزل الغموض في ملاحظاته حول فلسطين لاسباب تكتيكية ، ويظهر هذا بجلاء عندما يتحدث عن مقابلته لمستشار الامبراطور الالماني الامير هوهنلوه فيقول :

« وسألني أيضا عن الارض التي نريد وما اذا كانت تمتد شمالا حتى بيروت أو أبعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه ، تزداد المساحة المطلوبة بزيادة عدد المهاجرين »(٩).

لكن هرتزل يعرف حين يشاء ان يخرج من الغموض ليصرح بوضوح عن رأيه،كتب بعد أيام منمقابلته هذه يحدد المطالبالتي سيتقدم بها الىالدول التي سيطلب مساعدتها،قال:

« المساحة (مساحة فلسطين التي يريدها) من النيل الى الفرات ، لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهوديا ... وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الادارة اليهودية نفسها »(١٠).

ان فلسطين التي يريدها هرتزل تشمل جميع الاراضي اللبنانية والسورية والاردنية وبعض الاراضي العراقية والمصرية والسعودية . ان عين مؤسس الحركة الصهيونية

متجهة الى لبنان وسوريا نظرا لاهميتهما الاقتصادية والعسكرية وقد تابع قادة الحركة الصهيونية ، بعد موت هرتزل ، تركيزهم على الاراضي اللبنانية والسورية فانشأوا المستعمرات في الجليل الاعلى قرب منابع الاردن وعلى مشارف حوض الليطاني(١١) كما أنشأوا المستعمرات في حوض بحيرة طبرية حول اليرموك وسهل حوران السوري(١٢) وقد ساعد انشاء هذه المستعمرات على رفض مقترحات سايكس التي قدمتها لهم الحكومة البريطانية بعد توقيع اتفاقية سايكس — بيكو عام ١٩١٥ ، لان القبول بهذه المقترحات يعني خسارة الجليل الاعلى ومنابع الاردن(١٣). ويوضح حاييم وايزمان المطامع الصهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية فيقول :

« حتى مطلع عام ١٩١٧ كانت القيادة الصهيونية واقعة تحت الوهم الساذج بأن فرنسا ليست مهتمة بالبلاد الواقعة جنوبي بيروت ودمشق وانه بامكان الصهيونية الحصول على هذه المنطقة برمتها ضمن الوطن القومي اليهودي »(١٤).

كان هذا الاكتشاف منطلقا لقادة الحركة الصهيونية حتى يشنوا حملة مركزة عبر وسائل الاعلام واتصالاتهم، تبين ضرورة شمول حدود الوطن القومي على الاراضي الواقعة جنوبي بيروت ودمشق .

ففي ١٥ شباط عام ١٩١٧ نشرت مجلة فلسطين مقالا طويلا عنوانه « حدود فلسطين » تتحدث فيه عن الاسس التي يجب اعتمادها لتعيين معالم حدود فلسطين المستقبل نثبت منها هنا ما يتعلق بلبنان فتقول :

« ان الحد الاستراتيجي الطبيعي الوحيد هو القطاع الضيق الذي يقع في الشمال ، من صيدا الى أقصى الحد الجنوبي للبنان ، والحد الطبيعي الآخر هو وادي البقاع في حال حيازة الاطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبي لهذا الوادي . »

وتعني هنا كلمة اقصى الحد الجنوبي للبنان حدود « لبنان المتصرفية » وقد كان جنوبي لبنان الحالي باستثناء منطقة جزين يدخل ضمن منطقة سنجق عكا .

وفي ٥ أيار ردت نشرة فلسطين على جريدة « كوريرا ديلاسيرا » الايطالية التي نشرت مقالا حول اتفاق بريطانيا وفرنسا (معاهدة سايكس بيكو) على الحدود الشمالية (يعني حدود لبنان الجنوبية) فقالت :

ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين القديمة يمكن ان يحوز على موافقة اليهود أو أن ينسجم مع أمانيهم القومية(١٥).

بعد حصول اليهود على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ بدأت اللجنة الاستشارية لفلسطين (لجنة بريطانية تضم معظم الشخصيات الصهيونية) عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، قدمت هذه اللجنة مقترحاتها بشأن الحدود استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية وأصرت على ان تشمل الحدود الشمالية على نهر الليطاني وجبل الشيخ(١٦).

في المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام عام ١٩١٩، أصرت على ان تشمل الحدود الشمالية على جنوبي لبنان وجبل الشيخ . تقول المذكرة :

« ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البيرة وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ »(١٧).

وفي ٦ كانون الاول من نفس السنة حددت الحركة الصهيونية رغبتها بالاستيلاء على جنوبي لبنان فقالت :

« ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الاردن وثلوج جبل الشيخ »(١٨).

تعقيبا على هذه الرغبة الملحة بالاستيلاء على مصادر المياه أرسل هيربرت صموئيل(١٩) رسالة الى أعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس يقول فيها بأن أهمية مستقبل فلسطين مرتبط بتوفر عوامل النجاح لها ، تقول الرسالة :

« ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة . ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة (مذكرة الحركة الصهيونية المقدمة لمؤتمر السلام) حيوية للغاية »(٢٠).

وتقرر ، في اجتماع صهيوني هام عقد عام ١٩١٩ على هامش مؤتمر السلام وضم القاضي برنديس واللورد بلفور واللورد برسي والقاضي فرانكفورتر — صديق الرئيس الامريكي ولسون — بأن تحقيق الوطن القومي لن يتم الا بتوفير مساحة كافية لاستيعاب المهاجرين الصهيونيين وتأمين مصادر المياه الواقعة شمالي البلاد (يعني نهر الليطاني ومنابع الاردن)(٢١).

وعلى هامش النشاط السياسي للحركة الصهيونية كانت مجلة فلسطين تتابع الكتابة عن حدود فلسطين ومساحتها كما تراها الحركة الصهيونية ، ففي مقال كتبه بن غوريون واسحق بن زفي بعنوان « حدود فلسطين ومساحتها » ورد ما نصه :

ان الحياة الاقتصادية في فلسطين (...) تعتمد على مصادر المياه الموجودة في شمالي البلاد . ومن الاهمية والحيوية بمكان أن تضمن فلسطين استمرار تدفق المياه التي تروي البلاد حاليا وان تتمكن ايضا من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعها . ان جبل الشيخ هو ابو مياه فلسطين الحقيقي ولا يمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر (...) يجب أن يخضع هذا الجبل خضوعا كليا لسيطرة الذين يستفيدون منه الى الحد الاقصى(٢٢).

وبذل زعماء الحركة الصهيونية جهودا جبارة اثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس لاقناع من يعنيهم الامر بالتخلي عن المنطقة الواقعة جنوبي دمشق وبيروت والتي تشكل الحدود الشمالية لدولة اسرائيل المقترحة . لذلك اتصل حاييم وايزمن ودافيد بن غوريون ، اللذان كانا في باريس لملاحقة مطالب الحركة الصهيونية ، بالبطريرك الماروني ، الذي كان في باريس أيضا للمطالبة بضم الجليل الاعلى ووادي النصارى الى دولة لبنان ، اتصل به الزعيمان الصهيونيان لاقناعه بالتخلي عن المطالبة بالجليل الاعلى وعن الاراضي الواقعة جنوبي بيروت لقاء وعود مغرية بمده بالمساعدات المالية والفنية والتقنية الكفيلة بتطوير لبنان الذي سيصبح هكذا دولة ذات أكثرية مسيحية . كان الطلب مغريا لكن البطريرك الماروني رفض طلبهم بشدة وأصر على موقفه لان كل محاولة جديدة لتجزئة لبنان ، على غرار ما حدث عام ١٨٦٠ ، ستؤدي الى تدميره(٢٣).

لم يبق اذن أمام الحركة الصهيونية سوى الاتصال المباشر بالدولة الفرنسية لاقناعها بالتخلي عن الاراضي الواقعة جنوبي بيروت وتولى هذه المهمة حاييم وايزمن يقول :

« ذهبت الى لندن عام ١٩٢١ لابحث حدود فلسطين قبل المصادقة على صك الانتداب المتوقعة في حزيران ١٩٢٢ ... وبعدها جئت الى باريس للاجتماع بمسؤولين فرنسيين

هما م. دي مونزي والجنرال غورو . وفي اجتماعي مع هذا الاخير ناقشت في حدود فلسطين الشمالية فلم أستطع ان اقنعه لان فرنسا كانت تعتبر حدود فلسطين الشمالية جزءا من سوريا وتطلق عليها اسم سوريا الجنوبية ، وبما ان سوريا هي منطقة نفوذ فرنسية فلا داع اذن لمراجعة تخطيط حدود فلسطين الشمالية » . ويتابع حاييم وايزمن الحديث عن مقابلته مع الجنرال غورو فيقول : « بعد رفضه حاولت أن أقنعه بضرورة مياه نهر الليطاني بالنسبة للاقتصاد الفلسطيني لكنه لم يصغ الي" لانه كان يعتقد بأن الصهيونية هي شكل آخر للامبريالية البريطانية »(٢٤).

باءت الجهود المستميتة التي بذلها قادة الحركة الصهيونية لضم الاراضي الواقعة جنوبي بيروت الى فلسطين، بالفشل لان فرنسا أصرت على أن تكون الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية الفاصلة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني خطا يمتد من رأس الناقورة على البحر الابيض المتوسط مرورا ببانياس فمدينة درعا السورية. وقد صادق الفرنسيون والانكليز على هذه الحدود . وهكذا قطع الاصرار الفرنسي الطريق أمام المطامع الصهيونية في لبنان وسوريا معا . وأعلن قادة الحركة الصهيونية سخطهم على هذا الاتفاق الذي رضخت فيه الحكومة البريطانية للمطالب الفرنسية ، وقد نددوا به تنديدا شديدا لانه أفقدهم فرصة الاستيلاء على الليطاني ومنابع الاردن العليا وجبل الشيخ وحوران . وحاول الصهيونيون التعويض عن هذا الغبن الذي لحق بهم عن طريق تغيير الحدود بطرق سلمية وذلك باقامة مستوطنات صهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية التي يطمعون بالاستيلاء عليها . لكن هذه المحاولات لاقت معارضة عنيفة من قبل السلطات الفرنسية . وقد صرح المسيو دي جوفينال فيما بعد « انه يوافق على اسكان المهاجرين اليهود بالقرب من الفرات أو أي مكان آخر في سوريا ، ما عدا الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية لانه يخشى من المطامع التوسعية الصهيونية »(٢٥).

رغم هذه النكسات المتتالية لم تتخل اسرائيل عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه فقد حاولت قبيل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، شراء الاراضي المحيطة بمنابع الاردن ونهر الليطاني وذلك عن طريق سماسرة ماهرين الا أن محاولتها هـذه باءت بالفشل لادراك بعض المواطنين الهدف من شراء هذه الاراضي(٢٦). لكن اسرائيل عوضت عن فشلها هذا باحتلال أجزاء من قضائي مرجعيون وبنت جبيل عام ١٩٤٨ وأصبحت بهذا على مشارف الليطاني ، وقد مكثت في هذه الاراضي نحو سبعة أشهر لكنها تراجعت عنها بعد الضغوط التي مارستها عليها الحكومة الفرنسية . وقد احتفظت بالمقابل بأجود الاراضي الزراعية التابعة للعديد من القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية منها اراضي يارون ، ورميش وعيترون وبليدا وميس الجبل ، وحولا والعديسة وكفركلا، ودير ميماس ...

ج ــ مرحلة ما بعد انشاء الدولة ، (١٩٤٨ حتى يومنا) :

لم تنته قضية المطامع الاسرائيلية بالاراضي اللبنانية مع قيام دولة اسرائيل لان المسؤولين الاسرائيليين ما انفكوا منذ ذلك التاريخ عن التصريح بنواياهم التوسعية . يقول ابا ايبان في ٢ أيار عام ١٩٥١ : « لسنا من المهتمين بالنيل أو بالفرات ولكننا نولي نهر الاردن ومنابعه كل اهتمـام » . فالاهتمـام بمنـابع الاردن يعني الاستيلاء علـى اقضيـة حاصبيا ومرجعيون وراشيا اللبنانية وعلى الجولان السوري وسهل حوران .

الا أن أبصار المسؤولين الاسرائيليين تركزت كلها على مياه نهر الليطاني ، وفيما يلي تسلسل للتصريحات الاسرائيلية بصدد الاستيلاء على مياه هذا النهر اللبناني الذي يعلق عليه لبنان آمالا كبيرة في سبيل تطوير زراعته في البقاع والجنوب والقسم الجنوبي من جبل لبنان . بدأ أول تلميح اسرائيلي بالاستيلاء على مياه هذا النهر في الرد الاسرائيلي

على مبعوث الرئيس الامريكي ، اريك جونستون الذي أوفد لاجراء محادثات مع العرب واسرائيل لاقناعهما بقبول مشروع ماين لاستغلال مياه نهر الاردن . كان يهدف المشروع الى تنظيم مصادر مياه نهر الحاصباني وبانياس والدان وينابيع الحولة لري حوض الاردن الاعلى واستعمال بحيرة طبرية لتخزين مياه فيضان نهر الاردن واليرموك واستعمالها لري جانبي وادي الاردن الواقعة جنوبي بحيرة طبرية . فرفضت اسرائيل المشروع لانه لا يأخذ بعين الاعتبار جر مياه الاردن الى صحراء النقب لريه وتشجيع الاستيطان فيه واقترحت مشروعا آخر دعي باسم مشروع « كوتن » يقضي بتحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني الى نهر الحاصباني لضخها الى سهل البطوف في اسرائيل ومن ثم جرها الى النقب(٢٨). وبررت اسرائيل اقتراحها هذا بأنه لا يوجد أي مجال في لبنان للاستفادة من مياه نهر الليطاني التي تذهب هدرا الى البحر . وأدى الاقتراح الاسرائيلي هذا الى ممارسة بعض الضغوط على البنك الدولي لحمله على رفض اعطاء قروض مالية للبنان بغية تنفيذ مشاريع الري من نهر الليطاني ، لان اسرائيل تخشى أن يستغل لبنان هذا النهر فيقطع عليها الطريق للاستيلاء عليه . ويقر الخبراء اللبنانيون الذين رافقوا قضية استثمار مياه الليطاني بأنهم لمسوا عن كثب الضغوط الاسرائيلية لعرقلة استثمار مياه نهر الليطاني في الري لانه من غير المعقول ان يمضي أكثر من ١٨ سنة على انشاء مصلحة الليطاني المكلفة باستثمار مياهه في الري وتوليد الكهرباء ، ويبقى مشروع الري من مياه النهر امنية لدى الشعب اللبناني لولا الضغوط الاسرائيلية الرامية الى عرقلة تنفيذه حتى تستولي عليه وتجر مياهه الى النقب لتوطين المهاجرين الصهيونيين .

وبعد هذا التاريخ بقليل أي في كانون الثاني عام ١٩٥٥ كتبت دانا آدمز شميدت في المجلة الامريكية الصهيونية « ميدل ايسترن افيرز » (Middle Eastern Affairs) ، تقول :

« كان من الواضح للاسرائيليين أن أحلام تطوير النقب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه الليطاني »(٢٩).

وفي أول آذار عام ١٩٦٤ ادلى دافيد بن غوريون بحديث الى المجلة الاسرائيلية «هابوكر» قال فيه : « لو كان موشي دايان قائدا أعلى للجيش الاسرائيلي عام ١٩٤٨ لكانت حدود اسرائيل الان أوسع بكثير » فرد عليه في اليوم التالي ييغال آلون ، الذي كان قائدا أعلى عام ١٩٤٨ : « لو لم تأمر يا بن غوريون بوقف اطلاق النار لكانت قواتنا قد احتلت الليطاني في الشمال وسيناء في الجنوب وهكذا نكون قد حررنا الجزء الاكبر من اراضينا». وعشية حرب الخامس من حزيران صرح ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق لمندوب جريدة لوموند (Le Monde) الفرنسية بما يلي : « هناك نصف مليار متر مكعب من مياه نهر الليطاني تضيع سنويا في البحر ويجب استعمالها لصالح شعوب المنطقة ولا يسع اسرائيل العطشانة ان تقف مكتوفة اليدين وهي ترى مياه الليطاني تذهب هدرا الى البحر ، ان القنوات باتت جاهزة في اسرائيل لاستقبال مياه نهر الليطاني المحولة »(٣٠). وبعد هذا التصريح يرد بن غوريون على رسالة الجنرال ديغول التي يسأله فيها أن يفصح له عن رأيه في حدود اسرائيل كما يراها ، يقول : « لو سألتني هذا السؤال منذ عشرين سنة لاجبت بأن الحدود الشمالية هي نهر الليطاني والجنوبية شرق الاردن »(٣١). ويكتب موشي دايان في مجلة الجيش الاسرائيلي في تشرين الاول عام ١٩٦٧ قائلا : « ان حدود اسرائيل الحالية ، باستثناء الحدود مع لبنان ، أصبحت مثالية رغم انها غير واقعية»(٣٢). ويضيف دايان في تصريح آخر أمام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان المحتلة فيقول : « ان الضفة الشرقية للاردن ولبنان وسوريا ستكون الفريسة التالية لاسرائيل » .

الا أن العامل الحاسم الذي سيحمل اسرائيل للاسراع بالاستيلاء على جنوبي لبنان هو

الحاجة الملحة الى المياه ، في جنوبي لبنان ما يقارب من ١٫٤٧٠٫١٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من المياه(٣٣) تحتاجها اسرائيل لتحلية مياه بحيرة طبرية التي تزداد فيها الملوحة سنة عن سنة نتيجة ازدياد الضخ من مياهها عبر قنـــاة بحيرة طبرية ــ النقب . يقدر خبراء اسرائيل في المياه بأن أزمة المياه في اسرائيل ستبدأ بعد سنة ١٩٧٥ ، فابتداء من ذلك التاريخ سيفوق الطلب على المياه الكميات المتوفرة في اسرائيل . يبين الجدول التـــالي كمية المياه المتوفرة في اسرائيل والطلب الاقصى والادنى على المياه بين عـــام ١٩٧٠ و ٢٠٠٠ وذلك بملايين الامتار المكعبة(٣٤):

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠
الكمية المتوفرة	١٦٢٠	١٦٥٠	١٦٦٥	١٧٥٠	١٨٠٠	١٨٥٠	١٨٥٠
الطلب الاقصى	١٤٥٠	١٥٨٧	١٨٢٥	٢١٠٠	٢٣٠٠	٢٥٠٠	٢٧٠٠
الطلب الادنى	١٤٥٠	١٥١٤	١٦٦٥	١٩٠٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٢٤٠٠
العجز الادنى	—	—	—	١٥٠	٣٠٠	٣٥٠	٥٥٠

قبل أن ننهي البحث عن خطر التوسع الاسرائيلي باتجاه الاراضي اللبنانية لا بد لنا من الاشارة الى أن دولة اسرائيل استطاعت خلال السنين الاستيلاء على بعض الاراضي اللبنانية نذكر منها ما يلي :

ــ اشترى السماسرة اليهود بين عام ١٩١٦ و ١٩٢١ القرى اللبنانية التالية : صلحا ، هونين ، طبريخا ، الصالحة ، واستطاعت الحركة الصهيونية بما لديها من دهاء ونفوذ أن تضم هذه القرى الى حدود فلسطين بعد تعديـــل الحدود الذي جرى بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٢٣ ، وشمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية وتم بموجبه سلخ بعض الاراضي الزراعية الخصبة التي كانت تابعة للبنان(٣٥) وجاء تعديل الحدود عام ١٩٤٩ بموجب اتفاقية الهدنة ليكمل سلخ الاراضي الزراعية الخصبة التابعـــة لقرى الحدود اللبنانية .

ــ نجح اليهود بين الحربين العالميتين في أن يبتاعوا قرية المنارة اللبنانية التي تقع على تل مرتفع يشرف على الجزء الجنوبي ــ الشرقي من جبل عامل ، كما ابتاعوا امتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها ، وكان الغرض من شراء هذه الاراضي السيطرة على حوض الاردن الاعلى وحوض نهر الليطاني .

ــ عام ١٩٦٧ احتل الاسرائيليون مزارع شبعا وعددها عشرة وشردوا ما يقارب من ٥٠٠٠ شخص كانوا يقطنون فيها ويعتاشون منها .

ــ وبعد حرب ١٩٦٧ شقت اسرائيل الطرقات في بعض الاراضي اللبنانية ، في مرتفعات شبعا وكفرشوبا ومارون الراس ، وأنشأت لها مراكز مراقبة في الاراضي اللبنانية ... ولا تزال حتى الان تحتل هذه المرتفعات والمراكز .

ثانيا ــ الخطر الاقتصادي :

تطور الاقتصاد اللبناني بعد الحرب العالمية الثانية نحو اقتصاد يسيطر عليه قطاع الخدمات سيطرة كبيرة ، ففي عام ١٩٧٠ كانت نسبة قطاع الخدمات من الناتج المحلي (البالغ ٤٫٨٦٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ل.ل.) ٦٨ ٪(٣٦). أما أهم الخدمات التي يتكون منهـــا الاقتصاد اللبناني فهي التجارة ، والسياحة والاصطياف ، النقل ، الخدمات الصحية والتربوية والمالية ، الخدمات العقارية ، الترانزيت واعادة التصدير . وكانت نسبة هذه الخدمات من الناتج المحلي عام ١٩٧٠ كما يلي(٣٧): التجارة ٣١٫٣ ٪ السياحة ١١٫٨ ٪ النقل ٨٫٤ ٪ السكن ٨٫٨ ٪ الخدمات المالية ٣٫٤ ٪ الخدمات الاخرى ٩٫٨ ٪ .

أما كمية الاطنان في حركة الترانزيت فقد بلغت عام ١٩٧١ /٦١٨ر٦٣٧ر٣٣/ طنا بلغت قيمتها نحو /٠٠٠ر٦٨٧ر٤٢٩ر٢/ ل.ل.(٣٨).

وقد انطلقت هذه الخدمات في لبنان بعد حرب فلسطين الاولى عام ١٩٤٨ على اثر اعلان المقاطعة الاقتصادية العربية للدولة الصهيونية لان العديد من هذه الخدمات انتقل من فلسطين الى لبنان خاصة الترانزيت واعادة التصدير والخدمات المالية والتجارية وخدمات النقل وقد ساهمت بعض الكوادر الفلسطينية التي نزحت الى لبنان (خاصة المالية والتجارية) في دفع تطور الخدمات في لبنان . لقد أفاد الاقتصاد اللبناني افادة كبيرة من مقاطعة اسرائيل بل هذا الحدث كان السبب الاساسي لازدهار قطاع الخدمات فيه ، الذي عرف نموا كبيرا في الخمسينات . يقول الاقتصادي الاسرائيلي ميشال شيفر « بأن المقاطعة العربية للاقتصاد الاسرائيلي كان لها نتائج حسنة جدا بالنسبة للاقتصاد اللبناني »(٣٩).

فاقتصاد الخدمات هذا يتطلب استقرارا سياسيا حتى ينمو ويزدهر ، ففترات الاضطراب بالنسبة له هي فترات انكماش وتراجع بينما تكون فترات الاستقرار فترات نمو كبير وازدهار . فاسرائيل تعرف هذا لذلك لا تنفك في السنوات الاخيرة من اطلاق التهديدات الى لبنان والاعتداء على أراضيه وذلك بغية تهديم اقتصاده حتى تركعه وتخضعه لشروطها الرامية الى تصفية حركة المقاومة على أراضيه ، حتى الان استطاع لبنان ان يجتاز هذه المحنة دون الرضوخ الى الشروط الاسرائيلية المهينة للكرامة الوطنية . عدا هذه التهديدات تروج الدعاية الصهيونية بواسطة وسائل اعلامها في الخارج دعايات كاذبة عن لبنان لمنع السواح من المجيء اليه . وقد أنشأت لهذا الغرض مكتبا خاصا في أوروبا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية يوميا وجمع المعلومات عن حوادث السير والسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة ومن ثم ترجمة هذه المعلومات الى عدة لغات أجنبية وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان « لبنان كما يراه أهله .. فتأملوه »(٤٠).

خطر اسرائيل على الاقتصاد اللبناني لا يكمن فقط في خلق اوضاع سياسية غير مستقرة تؤدي الى انكماش اقتصاد الخدمات ، ولا في ترويج الدعايات الكاذبة عن الاوضاع الاجتماعية فيه لمنع السياح والمصطافين من المجيء الى ربوعه ، بل يأتي أيضا من طبيعة النشاط الاسرائيلي المشابه للاقتصاد اللبناني . ويقسم هذا الخطر الى ثلاثة أقسام :

- الخطر الحاضر في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل
- الخطر المستقبلي في ظل المقاطعة العربية لاسرائيل
- الخطر المستقبلي في حال رفع المقاطعة العربية لاسرائيل

أ ـ الخطر الحاضر في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل :

ان نطاق الخطر الاسرائيلي الحاضر على الاقتصاد اللبناني في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل ينحصر في أوروبا الغربية وبعض أقطار أوروبا الشرقية وافريقيا السوداء وبعض البلدان الاسيوية ، وقد اتسع هذا النطاق بعد حرب الخامس من حزيران ليشمل بعض الدول العربية بسبب سياسة الجسور المفتوحة التي ينتهجها الاردن مع الاراضي « العربية المحتلة » التي تتسرب من خلالها المنتجات الاسرائيلية بشكل واسع الى الاسواق الاردنية ومنها الى الاسواق العربية الاخرى خاصة دول المشرق العربي ودول الخليج العربي .

يشعر لبنان بخطر اسرائيل في أسواق أوروبا الغربية في القيود التي تفرض على صادرات بعض منتجاته الرئيسية كالحمضيات والتفاح والخضار والبيض لان اسرائيل تسيطر ضمن هذه الدول على تجارة هذه المنتجات التي تعتبر حيوية بالنسبة للصادرات اللبنانية،

ان نحو ٨٥ ٪ من صادرات اسرائيل الزراعية خاصة الحمضيات والبيض تسوق في أسواق أوروبا الغربية(٤١).

أما المنافسة الاسرائيلية للمنتجات اللبنانية في أسواق أوروبا الشرقية فهي أخف منها في أوروبا الغربية بسبب سياسة هذه البلدان المؤيدة للدول العربية الا أن اسرائيل لا تزال تضايق صادرات الحمضيات اللبنانية الى كل من رومانيا وهنغاريا ويوغوسلافيا حيث تعرض اسرائيل طن الحمضيات واصل الى أسواق هذه الدول بسعر يقل نحو ٢٥ ٪ من سعر طن الحمضيات اللبناني في مرفأ بيروت(٤٢).

اما في افريقيا وآسيا فاسرائيل تضايق الصادرات الصناعية اللبنانية كصناعة الادوات المنزلية وصناعة النسيج والالبسة الجاهزة ، وتضايق اسرائيل خاصة صادرات الخدمات الى افريقيا خاصة الخدمات التجارية والعقارية ، فالشركات الاسرائيلية ــ الافريقية المشتركة القوية بسبب تأييد الحكومات الافريقية المعنية ، تشدد الخناق على المهاجرين اللبنانيين في هذه الاقطار وتعرقل اعمالهم وتحد من نشاطهم(٤٣).

أما في البلاد العربية فمناسبة اسرائيل تقتصر في الوقت الحاضر في نطاق المنتجات الزراعية خاصة الحمضيات . تتسرب الحمضيات الاسرائيلية الى الاردن عبر جسر اللنبي تحت ستار « منتجات الاراضي العربية المحتلة » وبحجة دعم صمود المناطق العربية المحتلة ، ومن الاردن تغزو أسواق دول المشرق العربي ودول الخليج . يباع صندوق الحمضيات الوارد من الاردن المحتلة بسعر اغراقي لا يتجاوز ٦٥٠ غرشا لبنانيا في اسواق عمان وسوريا والسعودية ودول الخليج العربي بينما يتراوح سعر صندوق الحمضيات اللبناني بين ١٢ و ١٤ ليرة لبنانية(٤٤). فكان من نتيجة هذا الوضع ان انخفضت صادرات الحمضيات اللبنانية الى كل من أسواق سوريا والاردن(٤٥) وتضرر منتجو الحمضيات اللبنانية وكانت خسارتهم كبيرة جدا نظرا لقوة المنافسة . فرغم الزيادة الكبيرة في كمية الانتاج لم يبلغ ثمن كامل الانتاج القيمة التي بلغها في الموسم السابق(٤٦). هذا ولا يزال وضع المنافسة الاسرائيلية للحمضيات اللبنانية قائم ، لقد أثيرت حوله ضجة كبيرة في موسمي ١٩٦٩/٧٠ و ١٩٧٠/٧١ ، الا ان هذه الضجة قد خفت فيما بعد وهذا لا يعني بأن المشكلة قد سويت بل يعني بأن منتجي الحمضيات اللبنانيين قد سئموا المراجعة لمعالجة المشكلة وقد تعودوا خلال السنين على العيش مع مشاكلهم المتراكمة لان المسؤولين لا يحركون ساكنا لمعالجة اوضاعهم . ولا يزال مصدرو المنتجات الزراعية اللبنانية يتكلمون بأسى ولوعة عن المنافسة الاسرائيلية لهم في الاسواق العربية ولكن لا أحد يصغي اليهم ، وهذا الوضع ان لم يعالج بأقرب وقت سيكون له نتائج خطيرة جدا على مجمل اقتصاد البلاد العربية ، لان بذلك تكون اسرائيل قد اخترقت جدار المقاطعة العربية لها التي دامت أكثر من ٢٠ سنة(٤٧).

لا يجب التقليل من أهمية خطر اسرائيل هذا على الاقتصاد اللبناني ، بل يجب اعطاؤه الاهمية التي يتطلبها ، لان اسرائيل تتمتع بمميزات قوية لا يتمتع بها لبنان ، وهذه المميزات كفيلة في المدى الطويل ان تهدم الاقتصاد اللبناني اذا لم يبادر اللبنانيون الى التنبه الى هذا الموضوع ومعالجته مع ما يتلاءم مع المصلحة اللبنانية العربية . ان اسرائيل واعية الى خطر المقاطعة العربية لها لذلك تنظم جهودها وتوحدها على مختلف مستويات الدولة بغية التغلغل الى الاسواق الخارجية لايجاد اسواق لسلعها وخدماتها، بينما الجهود في لبنان والدول العربية الاخرى لا تزال مبعثرة وبالتالي ضعيفة وغير فعالة.

ب ــ الخطر المستقبلي في ظل المقاطعة العربية لاسرائيل :

ان العجز المزمن في الميزان التجاري اللبناني والانفجار السكاني في أراضيه سيحمل لبنان في الوقت القريب الى اتخاذ اجراءات على مختلف المستويات الاقتصادية لمعالجة هذا الوضع بغية سد العجز في الميزان التجاري وايجاد عمل ملائم للسكان الذين يصلون الى

عمر العمل . وقد بدأ لبنان فعلا باتخاذ مثل هذه الاجراءات في الخطة السداسية لعام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٧ الذي أقرها منذ سنة . وهذه الاجراءات ستكون في انشاء زراعات جديدة قابلة للتصدير كزراعة الخضار المبكر في البيوت الزجاجية وزراعة الازهار والنباتات العطرية والطبية والفواكه ، او في انشاء صناعات جديدة قابلة للتصدير ايضا كالصناعات الكيمائية وصناعة الادوية والبلاستيك والصناعات المنزلية ، او في توسيع صادرات الخدمات كخدمات النقل والخدمات العقارية والصحية والتربوية . وسيفتش لبنان عن الاسواق الجديدة لصادرات السلع هذه والخدمات في أسواق افريقيا السوداء وآسيا لان اسواق أوروبا لا تتسع الا لبعض الصادرات الزراعية كالزهور والخضار . . . لكن سيصطدم لبنان عندئذ بمنافسة اسرائيلية قوية جدا في هذه الاسواق لان اسرائيل تبني اقتصادها منذ انشائها وتوجهه نحو هذه الاسواق ، وستكون السيطرة في هذه الاسواق من نصيب البلد الذي عرف ان ينظم جهوده في سبيل التغلغل الى هذه الاسواق ، فحظ اسرائيل بالسيطرة على هذه الاسواق اقوى من حظ لبنان لان جهودها موحدة في سبيل ذلك بعكس لبنان المبعثر الجهود . مما يفرض على لبنان على الصعيد الرسمي ان ينشىء منذ الان مكاتب متخصصة لمعالجة قضايا التجارة الخارجية مع الدول الافريقية والاسيوية ويجب ان تنظم هذه المكاتب جهودها مع مختلف الدول العربية حتى تكون المجابهة مع اسرائيل فعالة في هذه الاسواق .

ج ــ الخطر المستقبلي في حال رفع المقاطعة العربية لاسرائيل :

رأينا ان الاقتصاد اللبناني ، لا سيما اقتصاد الخدمات ، لم ينطلق الا بعد المقاطعة العربية لاسرائيل ، فالمقاطعة أفادت الاقتصاد اللبناني وكانت سبب ازدهاره ونموه(٤٨) فلو رفعت المقاطعة لاستطاعت اسرائيل ان تغزو الاسواق العربية خاصة في(٤٩):

ــ تصدير الرساميل الاسرائيلية الى البلاد العربية لان انتاجية الرساميل فيها اكبر مما في اسرائيل لانه يوجد امكانيات أفضل للتوظيف في الدول العربية من اسرائيل .

ــ تصدير المنتجات المصنعة الى الدول العربية (produits manufacturés) .

ــ تصدير الخدمات التقنية والعلمية والصحية والتربوية .

ــ تأمين الترانزيت وخدمات النقل بواسطة مرفأي حيفا واشدود .

وبالمقابل ستستورد اسرائيل من الدول العربية المواد الاولية بأسعار منخفضة (امثال البترول ، القطن ، الحبوب ، اللحوم ، السكر والمعادن . . .) كما ستستورد اليد العاملة الرخيصة لان كلفة اليد العاملة اليهودية (خاصة اليد الصناعية) مرتفعة .

أي بتعبير آخر ستكون علاقة اسرائيل مع الدول العربية كعلاقة الدول الصناعية الكبرى مع الدول المتخلفة مما يعني استغلال ونهب لثروات البلاد العربية .

في هذه الحالة ستكون جميع الدول العربية خاسرة في حال رفع المقاطعة ، وستكون الخسارة على لبنان كبيرة جدا لان قطاع الخدمات سيتأثر تأثيرا مباشرا حتى الانهيار كذلك القطاع الصناعي الآخذ بالنمو .

---

١ ــ ابو رجيلي (خليل) ، **غريغوريوس الحجار**، مطبعة الخليل، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٩ و٥٠ .

٢ ــ تصريح نقلته الاذاعة الاسرائيلية في ٢٧/٦/٧٢ .

٣ ــ تصريح ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل في ١٧/٩/٧٢ .

٤ ــ تصريح ليبغال آلون في ٢٤/٦/٧٢ .

٥ ــ عبد الوهاب الكيالي ، **المطامع الصهيونية التوسعية** ، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، تموز ١٩٦٦ ، ص ٥٧ و ٥٨ .

٦ ــ راجع عبد الوهاب الكيالي ، **نوايا اسرائيل تجاه لبنان** ، النشرة ، وزارة الاعلام اللبنانية ، عدد ٥٥ .

٧ ــ **مذكرات ثيودور هرتزل** ، الجزء الاول ، ص ٣٤٢ .

٨ ــ **المصدر السابق**، الجزء الثاني، ص ٦٠٢ .

٩ ــ **المصدر السابق** ، ص ٧٠١ ــ ٧٠٢ .

١٠ ــ **المصدر السابق** ، ص ٧١١ .

١١ ــ Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirtschafagebiet*, 1916, traduit en français par Georges Shaïb, Beyrouth, p. 108.

١٢ ــ راجع **المصدر السابق** .

١٣ ــ فريسكو سر رعنان ، **حدود وطن** ، لندن ، ذي باتشوورث برس ، ١٩٥٥ ، ص ٧٨ .

١٤ ــ **المصدر السابق** ، ص ٨٢ ــ ٨٣ .

١٥ ــ مجلة **فلسطين** ، الجزء الاول ، العدد ١٥ ، ٥ ايار ١٩١٧ .

١٦ ــ راجع فريسكو سر رعنان، **المصدر السابق**، ص ١٠١ .

١٧ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

١٨ ــ **فلسطين** ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .

١٩ ــ هيربرت صموئيل ، سياسي بريطاني ، يهودي الاصل ، صهيوني النزعة ، عين اول مندوب سام بريطاني على فلسطين .

٢٠ ــ **وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩** ، الجزء الرابع ، عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .

٢١ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٢٧٦ .

٢٢ ــ مجلة **فلسطين** ، الجزء الثالث ، عدد ١٧ .

٢٣ ــ ذكر هذه الحادثة النائب اللبناني ريمون اده ، في بيانه عام ١٩٦٨ عن اعداء لبنان ، وقال انه اطلع عليها في وثائق البطريركية المارونية في بكركي .

٢٤ ــ Trial end Error, *The Autobiography of Chaim Weizman*, Harpers and Brothers Publishers,, New-York, 1949, p. 289.

٢٥ ــ راجع فريسكو سر رعنان، **المصدر السابق**، ص ١٣٩ .

٢٦ ــ جريدة **النهار** اللبنانية ، ١٣ أيلول ١٩٤٥ .

٢٧ ــ **جيروزاليم بوست** ، ٢ ايار ١٩٥١ .

٢٨ ــ راجع **فلسطينيات** ، مجموعة من الباحثين باشراف انيس صايغ، م.ت.ف، تموز ١٩٦٨ ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ .

٢٩ ــ راجع « **ميدل ايسترن أفيرز** » ، المجلد السادس ، العدد الاول ، كانون الثاني ، ١٩٥٥ .

٣٠ ــ راجع جريدة **لوموند** ، عدد ٧ تموز ، عام ١٩٦٧ .

٣١ ــ **المصدر السابق** ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨.

٣٢ ــ **مجلة الجيش الاسرائيلي**، تشرين الاول ١٩٦٧.

٣٣ ــ République Libanaise, Ministère du Plan, *Dossier de base relutif à la planification général de l'équipement hydro-agricole* du Liban, Beyrouth, Juin, 1971.

٣٤ ــ Israel Dostrovsky, Water for Israel, new approches to old problems in *Science and Public Affairs, October 1972*, Vol. XXVIII, Number 8, p. 13.

٣٥ ــ عبدالله عاصي ، **صراعنا مع اسرائيل** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .

٣٦ ــ حسبت النسبة من الحسابات الوطنية لعام ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠ التي تصدر عن مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التصميم العام اللبنانية .

٣٧ ــ راجع **المصدر السابق** .

٣٨ ــ **المجموعة الاحصائية اللبنانية** ، عدد ٧ ، ١٩٧١ ، وزارة التصميم العام ، بيروت، لبنان، ص ٣٤١ .

٣٩ ــ Michel Shefer, Les conséquences du baycottage arabe sur les économies israéliennes et arabes, dans *les Temps Modernes*, No. 233 bis, p. 367.

٤٠ ــ جريدة **الجريدة** اللبنانية ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .

٤١ ــ خليل ابو رجيلي ، **الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة** ، م ت ف ، ايار ، ١٩٧٠ ، جدول رقم ١٦ .

٤٢ ــ من مذكرة مصدري الحمضيات التي رفعت الى وزارة التصميم العام اللبنانية عام ١٩٧١.

٤٣ ــ **النشرة**، وزارة الاعلام اللبنانية، عدد ٥٥.

٤٤ ــ *Commerce du Levant*, Numéro spécial No. 4238, 20 Mars 1971.

٤٥ ــ Amin Hijazi, *Market outlets for citrus fruit in Arab and other Countries*, plan Vert, Beirut, November, 1970, p. 10.

٤٦ ــ راجع جريدة **النهار** اللبنانية ، **الملحق الاقتصادي** ، الاحد في ٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٧١ ، ص ٣ . ثم راجع خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، مركز ابحاث م.ت.ف، بيروت، ايلول ١٩٧٢، الفصل السادس

٤٧ ــ Commerce du Levant ، **المصدر السابق** .

٤٨ ــ راجع **النشرة** ، وزارة الاعلام اللبنانية ، عدد ٥٥ .

٤٩ ــ Shaul Zarhi, *Les Temps Modernes*, No. 233 bis, p. 910-924.

فيتنام وفلسطين : ندوة

تحسين بشير داود تلحمي
محمود سويد د. حسن الشريف
منير شفيق محمد كشلي
ادار الندوة : المقدم الهيثم الايوبي

داود تلحمي : يوم الجمعة ١٥ حزيران ، الساعة الرابعة بتوقيت غرينتش ، اي قبل ايام قليلة ، اصبح الامر الصادر من قبل الطرفين في جنوب فيتنام «لكل القوات المسلحة، النظامية وغير النظامية ، والى الشرطة المسلحة تحت امرتهم ، باحترام تام لوقف اطلاق النار على امتداد فيتنام الجنوبية » ، كما جاء في نص الاتفاقية الموقعة يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٣ في باريس ، اصبح هذا القرار ساري المفعول .

وبهذا انتهت حرب فيتنام او بالاحرى احدى حروب فيتنام . لان شعب فيتنام لم يعرف السلم منذ ثلاثين عاما تقريبا ، منذ ان حمل السلاح ضد اليابانيين ، ثم ضد الفرنسيين بعد اعلان قيام « جمهورية فيتنام الديمقراطية » المستقلة في ٢ أيلول ١٩٤٥ ، واخيرا ضد الاميركيين وعملائهم في الخمسينات ، وبشكل مكثف منذ منتصف الستينات .

انتصر شعب فيتنام ضد الغزو الياباني ، كما انتصر على الاستعمار الفرنسي في معركة « ديان ــ بيان ــ فو » العظيمة عام ١٩٥٤ وها هو اليوم يسجل انتصاره ضد اقوى الامبرياليات التي عرفها التاريخ .

هذا الشعب ــ المعجزة ، هذه الارض ــ الاسطورة ، وهذه التجربة ــ المعين، تستحق منا كل احترام واهتمام . ففيتنام ــ التجربة ، هي أغنى ما يقدمه لنا التراث الثوري المعاصر في مواجهة مختلف اشكال القمع والتسخير . وبقدر ما نحتاج لاستطلاع ماضينا ولدراسة تاريخنا النضالي وتحليل الجذور البعيدة والقريبة لواقعنا ، وتحليل هذا الواقع بتناقضاته وبكل نقاط ضعفه وقوته ، بقدر ما نحتاج لاستخلاص الدروس من التجارب الزخمة التي تقدمها لنا شعوب العالم منذ مطلع هذا القرن بشكل خاص . وهنا لا بد من التأكيد على النقطة التالية :

ان مظاهر القوة في شعب فيتنام وتجربته ، ومظاهر الضعف التي نراها اليوم في الوضع العربي ازاء العدوانية الاميركية ــ الاسرائيلية ــ الرجعية ، ليست معطيات ثابتة ، فقد نمت مظاهر القوة الفيتنامية ــ سواء السياسية الاجتماعية منها او العسكرية ــ من خلال نضال طويل على كافة الاصعدة داخليا وخارجيا . وليس من قانون الا العنصرية ، يمنع من أن تنمو مظاهر كهذه ــ ربما في نمط تطوري متميز ــ بين شعوب العالم العربي في سياق مجابهتها العنيفة للتحدي الامبريالي . وحول هذا الموضوع يتركز نقاشنا اساسا اليوم .

* اعد لهذه الندوة قسم الدراسات العالمية في مركز الابحاث .

واذ أرحب بالاخوة الذين تفضلوا بحضور هذه الندوة والمشاركة في بلورة معالم هذه المقارنة أعطي الكلمة للاخ المقدم الهيثم الايوبي لادارة النقاش .

المقدم الهيثم الايوبي (رئيس قسم الدراسات العسكرية في مركز الابحاث) : قبل أن نبدأ ندوتنا أود أن تسمحوا لي أن أعرفكم على الاخوة المشتركين في الندوة :

ـــ الدكتور حسن الشريف : الاخصائي التقني .

ـــ تحسين بشير : مساعد الامين العام لجامعة الدول العربية .

ـــ داود تلحمي : رئيس قسم الدراسات العالمية في مركز الابحاث .

ـــ محمود سويد : من الصحفيين التقدميين اللبنانيين المعروفين .

ـــ منير شفيق : الكاتب السياسي العسكري .

ـــ محمد كشلي : مدير دار ابن خلدون ، والكاتب السياسي في مجلتي الحرية والبلاغ .

ولقد وزع على كافة الاخوة المشتركين منذ عدة أيام دراسات أعدت من قبل الاخوة الباحثين . وهذه الدراسات هي :

١ ـــ « تاريخ فيتنام : نضال متصل ضد الغزاة » اعدها الاخ داود تلحمي .

٢ ـــ « اتفاقية وقف النار في فيتنام » أعدها الاخ الدكتور صادق جلال العظم ونشرت من قبل صحيفة « النهار » البيروتية .

٣ ـــ « اثر حرب فيتنام على المجتمع الامريكي » أعدها الكاتب الامريكي كين ميركورد .

٤ ـــ « التجربة الفيتنامية ، دروسها السياسية والعسكرية » أعدها الاخ ناجي علوش.

وستكون هذه الدراسات الاربع أساس النقاش الذي سيدور هنا . بالاضافة الى كل ما يود الاخوة المشتركون اضافته . وسيدور النقاش أساسا حول نقاط هامة اربع :

١) هل كانت اتفاقية الهدنة الفيتنامية انتصارا لنضال الشعب الفيتنامي أم انتصارا للحرب المحدودة التي شنتها أمريكا والدول الدائرة في فلكها وجيش فيتنام الجنوبية ؟

٢) ما هي الدروس السياسية التي يمكن أن تستنبطها قوى الثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية خاصة من النصر الفيتنامي وكيفية الافادة منها في الصراع ضد الامبريالية والصهيونية ، ٣) ما هي الدروس العسكرية في هذا المجال على صعيد الاستراتيجية العليا ، والاستراتيجية ، والتكتيك ، والتقنية الحربية ؟ ٤) ما هي الدروس الدبلوماسية والاعلامية في هذا المجال ؟

وسيحدثنا الاخ محمود سويد بصورة مبدئية عن الدروس السياسية وعن الوضع بصورة عامة من الزاوية السياسية .

محمود سويد : سوف الخص بصورة سريعة سمات النصر الفيتنامي والدروس المستخلصة من التجربة الفيتنامية كمجموعة نقاط ، مدخلا للنقاش .

في تلخيصي لسمات النصر الفيتنامي اذكر النقاط التالية : اولا : حركة تحرير وطني تقوم على تحالف أوسع طبقات وفئات الشعب الفيتنامي ، الوطنية والثورية . وقد عبر « جياب » عن ذلك بقوله : « أكثر ما يمكن من الحلفاء ، أقل ما يمكن من الاعداء ، أجتذاب قوى ، تجنيد قوى ، شق قوى » . حركة تحرير وطني بقيادة حزب الطبقة العاملة الملتزم بالماركسية اللينينية والاممية البروليتارية الثورية . كذلك أكد « جياب » على قيادة الحزب في مختلف مجالات النضال العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي . قيادة المنظمات الجماهيرية في مختلف المجالات وقيادة الحزب للقوات الشعبية المسلحة .

ثانيا: التعبئة الثورية للجماهير : الحرب النظامية + حرب العصابات + حرب الشعب .

نضال سياسي : وسط الجماهير + نضال عسكري + تخريب معنويات العدو . حرب تشمل المدن والقرى والجبال . تثقيف ايديولوجي وسياسي . اعتبار العامل الداخلي أي الاعتماد على القوة الذاتية العامل الرئيسي لتحقيق النصر ، دون اهمال العوامل الخارجية المساعدة . يقول « جياب » : « الاعتماد اساسا على القوى الذاتية ، مع العمل الدائب لكسب العون الدولي » ... و« ان اسباب انتصار الحرب الثورية في بلدنا هي في الاساس داخلية . صحة خط الحزب ، تضحيات قواتنا المسلحة وشعبنا على أرض المعركة . الفعاليات السياسية والمعنوية والمادية لبلدنا » . ثالثا : الظرف الدولي . ويتكون من ثلاثة ابعاد ... البعد القومي ، فيتنام الشمالية ، نظام ثوري يبني الاشتراكية على قاعدة ثورة في علاقات الانتاج وثورة في العلم والتكنولوجيا وثورة ايديولوجية وثقافية . نظام لا يتراجع عن دعم الثورة في الجنوب ، رغم تعرضه — ابتداء من سنة ١٩٦٥ — الى تدمير كامل . دور تجربة الشمال في انجاح الثورة الاجتماعية ، في المناطق المحررة في الجنوب . هذا الدور اقترن بأدوار أخرى على الصعيد العسكري والسياسي والتعبوي . البعد الاقليمي الذي يتمثل في الامتداد اللاوسي والكمبودي . والبعد الاممي الذي يتمثل في المساعدات الصينية والسوفياتية . هذه في رأيي سمات النصر الفيتنامي بخطوط رئيسية ... وسريعة .

اما دروس التجربة الفيتنامية فتتلخص أيضا في رأيي ، بما يلي : أولا ، انتهاج خط مستقل وسيد نفسه في العلاقات مع بلدان المعسكر الاشتراكي ، يستلهم مصلحة الثورة الفيتنامية التي تصب في مصلحة الثورة العالمية . والصمود لضغوط الدول الكبرى سواء كانت دولا كبرى أو دولا امبريالية. ثانيا ، الاعتماد على القوة الذاتية أي العامل الداخلي الذي يحدد قيمة الدعم الخارجي ويحسن توظيفه . ثالثا ، التأثير من خلال ممارسة التجربة الثورية ، في تصويب بعض الممارسات في المعسكر الاشتراكي ، والنقد العملي ، وتقديم البديل الثوري لسياسة التعايش السلمي السوفييتية . رابعا ، استقطاب ودعم ومساندة الرأي العام العالمي عن طريق مئات هيئات المساندة والدعم في بلدان أوروبا الغربية . عزل النظام المعادي للولايات المتحدة دوليا . كسب القوى المناهضة للحرب في بلد العدو ، واحداث خلل داخلي يعيق مبادراته ويدمر معنوياته . هذه هي الخطوط العريضة لسمات ودروس التجربة الفيتنامية — تلخيصا .

تحسين بشير: ان فترة المعاناة التي تعانيها القوى التقدمية العربية والثورة الفلسطينية، تجعل محاولتنا لبحث التجارب الثورية الاخرى وبالتالي ، أنجح التجارب الحديثة تجربة فيتنام ، معينا طيبا لدراسة أنفسنا ، أكثر مما هو دراسة للقضية الفيتنامية . انما يجب أن نأخذ في الاعتبار ، خطورة استخدام القياس كوسيلة للفهم التاريخي وللتدليل المنطقي وحتى للنقد الثوري . لان استعمال القياس في الفكر العربي، وفي الفكر الثوري الحديث، كان من أكبر المزالق التي دفعت الفكر العربي من عالم الواقع . وأي تفكير ثوري حقيقي — أي التفكير الثوري الذي يريد أن يغير المجتمع — يجب ان يتم في أطار حقيقة جديدة ، فيجب ان نحذر أنفسنا أن لا نستخدم نجاح الاخرين كوسيلة لنوع من الحشيش الفكري الذي يمنعنا من النقد ، نقد أنفسنا أولا . في الكثير من الكتابات الفلسطينية نجد هذا القياس متكررا ، ونستخدم هذا القياس كوسيلة للاعذار التي لا نهاية لها . كما نستخدم القياس كوسيلة لعدم النجاح وتأجيل النجاح الى آفاق زمنية لا نهاية لها ، ومثل هذا التفكير استخدم في ديانات كثيرة وفي حركات كثيرة ولم يؤد الى النجاح . ولعلي وأنا أتطرق لخطورة القياس مع مزايا الدراسة المقارنة ، أن أنوه بأن الفيتناميين لم يطبقوا التجارب الثورية ، سواء كانت الصينية او السوفييتية ، أو التجارب القومية التي استفادوا منها ، تطبيقا أعمى ، بل راعوا باستمرار مقارنة الواقع الذي يواجهون بتجارب الاخرين وبقدرتهم على تغيير هذا الواقع . في نهاية هذه المقدمة ، أعتقد أن الشعب الفيتنامي والثورة الفيتنامية ، حققا اكبر نجاح ، وهذا النجاح لا يمكن قصره

على معنى فني محدد : هل اتفاقية وقف اطلاق النار بحد ذاتها نجاح او عدم نجاح ؟ لان الطرح الحقيقي للمشكلة يختلف عن هذا . نجاح التجربة الفيتنامية قائم على تأكيد نجاح الانسان على الآلة — في رأيي — . الولايات المتحدة في تدخلها العنيف ضد الثورة الفيتنامية وضد الشعب الفيتنامي ، حاولت أن تطرح ، وطرحت بالفعل ، قضية . وهذه القضية ، ان العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة اذا أحسن حسابها ، باستعمال (الكومبيوترز) الادمغة الالكترونية ، والمخططين ، فانها قادرة على هزيمة الانسان . وأذكر في هذا المجال انه من حوالي أربع سنوات ، كنت في الولايات المتحدة الاميركية وقابلت « هيرمان كان » وكنا في مناقشة عن الشرق الاوسط ، وكانوا قد انتهوا في مؤسسة هدسن ، من دراسة عن الخيارات أمام الشعب الفيتنامي ، وكانت العملية تبدو وكأنها لعبة اميركية ، ان يدرس المخططون في المجالس الابحاث ويخططوا ، وعلى العسكريين ورجال السياسة التطبيق وتنتهي اللعبة . الشعب الفيتنامي تمكن من ان يحقق نجاح الانسان الذي يملك معدات شبه بدائية او غير متقدمة ، على الانسان الذي يستخدم آخر وسائل الآلة وما اشتق عن الآلة من تكنولوجيا لهزيمة الانسان ، وطرح الشعب الفيتنامي وثورته قضيتين . القضية الاولى ان اي مجتمع انساني ، اذا كان واعيا لامكانياته ، أي واعيا لقدراته الايجابية ولقدراته السلبية ... فباستطاعته اذا حدد هدفا انسانيا معقولا ، أن ينتصر في هذا الهدف ، طال الزمن أو قصر . انه لا توجد هنالك قوة تكنولوجية تستطيع هدم الانسان ، الا اذا هدم الانسان من نفسه ، في معتقداته وفي تنظيمه وفي اصراره على الكفاح . من هذه الناحية يعتبر النجاح في وقف اطلاق النار ، نجاحا أشمل بكثير من المعنى الفني لوقف اطلاق النار ، والواقع ان الدكتور العظم قد تطرق لها ، لانه للنجاح الفيتنامي في رأيي معنى كبير جدا . ان الشعوب الصغرى والمتوسطة والنامية تستطيع باستخدام الميزات الايجابية لضعفها النسبي تحقيق أهدافها الاجتماعية والقومية . ثانيا : ان النجاح الفيتنامي قد أثبت فشل دولة كبرى كالولايات المتحدة استخدمت لمدة أربع سنوات أكثر ما عندها من أموال ومن علم ومن تصميم ، وتمكن الشعب الفيتنامي أن يهزم حسم القضية بالطريقة العسكرية الاميركية . وهذا نصر عظيم جدا وهو ليس نصرا فقط على الولايات المتحدة بل نصر على منطق استخدام القوة من جانب أية دولة عظمى لحسم اية قضية تقرير مصير او توحيد لشعب من الشعوب الصغيرة . أرى ان قدرة الفيتناميين على استخدام مواردهم المحدودة والموقف الدولي الضيق ، حتى بين دائرة الحلفاء والاصدقاء ، يضطرهم لاتخاذ موقف عدم انحياز دقيق جدا بين الاتحاد السوفياتي والصين ، يثبت ان التقدم ليس في مجرد استخدام الآلات الحديثة ، كما نحاول في كثير من اركان الوطن العربي ، بل التنمية الحقيقية هي قدرة الانسان على استخدام الممكن لتحقيق أهدافه ، مع تطوير هذه الاهداف وهذه الوسائل حتى يتقدم المجتمع باستمرار . من هذه الناحية، الناحية الايديولوجية أو التطبيقية في الثورة الفيتنامية غنية للغاية . طبعا هناك خلاف في نوع القضية وفي الهدف وفي نوع العدو ، وطبيعته ، التي تواجه الشعب الفلسطيني في ثورته والشعب العربي في الثورة الفلسطينية . لهذا الخلاف أركان كثيرة من الناحية التاريخية ومن الناحية الاجتماعية ، سأكتفي في هذه المرحلة بأن أنوه بناحية واحدة وهي أن الشعب الفيتنامي لم يكن يتعرض لتجربة استعمار استيطاني احلالي . الشعب الجزائري مثلا تعرض لاستعمار استيطاني ولكن الاستعمار الاستيطاني الفرنسي لم يكن احلالا ، أي لم تكن فرنسا تستهدف اجلاء الشعب الجزائري او ما كان يطلق عليه : الشعب المسلم ، من ارضهم واحلال فرنسيين في مكانهم . كان الاستعمار الاستيطاني الفرنسي يريد السيطرة على المقادير الطبيعية والمقادير البشرية للجزائر او ما يطلق عليه الجزء الجزائري من فرنسا .

ثورة الشعب الفيتنامي كانت تهدف الى سيادة نظام اجتماعي معين مع توحيد الارض

الفيتنامية والتأثير في المنطقة المجاورة يعني عمل ثورة قومية اجتماعية . في هذه المنطقة الشعب الفلسطيني يتعرض الى مشكلة قد تكـــون أصعب وهي التعـــرض لمشكلـــة استعمار استيطاني احلالي ، أي كان يهدف ويحقق في الخمسين سنة الاخيرة عملية احلال اليهود وتكوينهم في عملية « قومية في حالة التكوين » (Nation becoming)بطريقة عنيفة من الانصهار وبقوة مركزية مدعومة دوليا ، واجلاء الشعب الفلسطيني عن أرضه تماما . ومن هنا يجب ـــ مع استفادتنا من التجربة الفيتنامية ـــ ألا ننسى ان التجربة الفلسطينية ونوع الثورة الفلسطينية ، ونوع التحدي الذي تواجهه الثورة الفلسطينية ، تتطلب استفادة اخرى ووعيا آخر وواقعا مختلف .

محمد كشلي : أتصور أن النقاش يجب أن يدور في البداية حول المسألة التي طرحها الاستاذ تحسين ، والتي تتعلق بمفهوم استعمال التجارب التاريخية واستعمال المقياس بالنسبة اليها . لان هذا ـــ في رأيي ـــ يشكل المدخل الطبيعي لفهم كل ما يمكن أن يفرزه النقاش في هذه الندوة . المسألة الاساسية ليست في المقارنة ولا في استعمال المقياس ، الذي يدرس المسألة من مظاهرها السياسية والعسكرية يصبح المقياس مجردا وشكليا . أي عندما تدرس تجربة فيتنام من انتصاراتها العسكرية البحتة ، سننسى جوهر التجربة نفسها والمقياس التاريخي لها ، وعندما ندرس موقفها السياسي الخارجي ، أو موقفها التكتيكي في مجال معين ، سواء داخلي أو خارجي ، سنجد أيضا اننا نغيب المقياس التاريخي للمسألة . **والمقياس التاريخي ليس مجرد عبقرية خاصة بالشعب الفيتنامي ، انما هو الذي يحدد معنى الحروب الوطنية في الشعوب المتخلفة** . الشعوب المتخلفة تتميز ، بشكل أساسي ، بكون أكثرية السكان من الفلاحين، وهي تعاني الركود السياسي والتخلف الاجتماعي ، والعقلية التي يفرزها هذا التخلف السيـــاسي والاجتماعي هي العائق الاساسي أمام تحررها أو قدرتها على التحرر أي ان الاستعمار بحد ذاته يسيطر اقتصاديا من خلال البنية الاجتماعية والذهنيات القائمة ... والركود الذي تعانيـــه الشعوب المتخلفة عموما ، هذا الركود هو الاستسلام للاستعمار . التجربة الفيتنامية تدلك ، بشكل خاص ، الى أي مدى يمكن ان تحطم البنى التقليدية والعقليات السائدة عند أكثرية الشعب فتحدث عنده يقظة سياسية قادرة أن تجابه متطلبات حرب وطنية تجاه تفوق أمبريالي من النوع الاميركي . ان الذي يدرس التجربة الفيتنامية بمقياسها التاريخي هذا يلاحظ الى أي مدى هي يقظة الفلاحين في فيتنام ولاي مدى استيعابهم حتى للتكنولوجيا . اذ ليس صحيحا ان فيتنام لم تتحدّ التكنولوجيا الاميركية الا بالعامل السياسي ، تحدته أيضا بالتكنولوجيا التي استوعبها الفلاحـــون وهم أكثرية الشعب الفيتنامي من خلال القدرة على الاستيعاب والوعي السياسي ، ومن خلال دراسة العدو نفسه واستعمال الدفاع المناسب للتكنولوجيا المتقدمة . آخر سقوط للطائرات الاميركية كان من سلاح ، صحيح سلاح متطور تكنولوجيا من الاتحاد السوفياتي ، ولكن تطلبته حاجات التطور للحرب الفيتنامية نفسها ولقدرة المقاتلين والمليشيا على استيعاب السلاح المتطور ضد الطائرات النفاثة الحديثة ، أي قدرة الشعب نفسه على التعبئة على جميع الاصعدة . والذي يدرس التكنولوجيا بحد ذاتها عند فيتنام يلاحظ الى أي مدى ، في خلال عشر السنوات الماضية استطاع الشعب بأكثريته ان يستوعب ، على الصعيد العلمي وعلى الصعيد العسكري وعلى الصعيد الصحي ، على كل مجال من مجالات العلم ، وبالدراسات العلمية وبالجامعات نفسها ، كل مكتسبات الحضارة الصناعية الحديثة . الذي أريد أن أركز عليه في هذا المقياس التاريخي أن الحرب ، حرب شعب متخلف تجاه أمبريالية متقدمة ، تعني الى أي مدى ، استطاعت القيـــادات والشعب أن يستيقظ سياسيا ويستيقظ ايديولوجيا وفكريا وبالتالي يتخلص مـــن كل العوائق النفسيـــة والسياسية والعقلية التي تمكنه من لعب دوره بشكل جماعي . عندما استطاع الشعب الفيتنامي أن يقضي على الامية المتفشية في ٩٠ ٪ مـــن الشعب والفلاحين يعني انه

استطاع ان يحظى على الفلاحين في الريف ، كما فعلت الثورة الكوبية عندما استطاعت أن تعمم محو الامية لدرجة وصلت الى ٩٠٪ . عندما نطبق هذا المقياس ، وهذا المقياس الذي يمكن تطبيقه على أوضاعنا العربية ، نجد انه — مثلا — لم تزل نسبة الامية في البلاد العربية ، حتى المتقدمة منها ، ٧٠ — ٧٥ ٪ . محو الامية ليس شيئا عاديا وانما يتطلب قدرة الثورة على استقطاب العدد الاكبر من السكان . هذا هو التحدي التاريخي الذي تمثله ثورة فيتنام . اما الدروس الاخرى — عندما تجـزأ — فيمكن دراستها للاستفادة منها ضمن هذا المقياس التاريخي . وبتقديري ان الانتصار الفيتنامي ، هو انتصار لمعنى حرب التحرير الشعبية ، ليس بمفهومها كحرب عصابات ، كما تدرس أحيانا حرب العصابات ، حرية التنقل واضرب واهرب الخ... أي بمفهومها التكتيكي ، **انما بمفهوم التعبئة الشاملة بكل ما تحمله هذه التعبئة من تحرر سياسي وفكري وعقلي لجماهير الشعب** . وبرأيي ان الدرس الاساسي هو : الى أي مدى يمكن دراسة المراحل التاريخية لحركة التحرر الوطني العربية وفي صلبها القضية الفلسطينية نفسها ، الى أي مدى هذه المرحلة التاريخية مثلت بالضبط هذا المقياس التاريخي ؟ الى أي مدى كانت حركة التحرر الوطني العربية قد حملت ، فعلا ، المقياس التاريخي لحـرب التحرير الوطنية . هنا ممكن ان ندرس فعلا التجربة العربية على ضوء تجربة فيتنام . التاريخ لا يحمل مقارنات بالمعنى المجرد ، ولا يحمل مقارنات بالمعنى المقاييس العقلية ، انما يعني المقارنات بالمراحل التاريخية نفسها ، بمعنى الى أي مدى حروب التحرير الوطنية تنطبق علينا بالذات . وبرأيي هذا هو المدخل لمعنى استفادتنا من تجربة فيتنام .

منير شفيق : في دراسة تجربة فيتنام أو أية تجربة أخرى ، يمكـن أن نجد قضيتين أساسيتين يمكن التفريق بينهما . التجربة من حيث دلالتها التاريخية في عصر محدد وفي ظروف محددة ، بمعنى ان تجربة فيتنام ، مثلا ، استطاعت أن تعطي دليلا لكل الشعوب المتخلفة بصورة خاصة ، أن بمقدور شعب صغير أن ينتصر على أعتى قوة امبريالية مزودة بأقصى درجات التسليح والتقنية . دروس من هذا النوع هي ضرورية جدا من أجل اعطاء ثقة ملموسة وأكيدة بامكانية احداث مثل هذا الانتصار من قبل أي شعب صغير أو شعب متخلف ضد القوى الامبريالية . لكن الجانب الآخر الذي يجب تفريقه عن النقطة الاولى هو عندما تدرس تجربة فيتنام أو نأخذ اي جانب من جوانبها. نستطيع فعلا أن نجد أن هنالك قوانين عامة يمكن أن تنطبق على كل الحالات . مثلا وجود تنظيم طليعي يقود جبهة عريضة واسعة من الجماهير ، تكوين قوات مسلحة شعبية تابعة لقيادات سياسية مركزية ، المقدرة على تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ، وتفجير طاقاتها بما في ذلك بالمعنى الذي ورد في كلام الاخ محمد كشلي . كذلك ضرورة اتسام الثورة بطابع جماهيري حتى يكون بمقدورها تفسيخ القوى المضادة لها ، تفسيخ جيشها ، وعزلها عزلا داخليا ومحليا وعزلها أيضا على النطاق العالمي ، الا ان رؤية هذه الشروط وسواها لنجاح الثورة لا يمكن أخذها بصورة تجريدية عندما تطبق في أي بلد من البلدان ، لان تكوين هذه الشروط ايضا له شروط يجب توفيرها في كل بلد وفقـا لظروفه الخاصة والتطور التاريخي الذي مر به . النقطة الحاسمة التي يجب ان ندركها جيدا هي اننا عندما نتناول الجوانب المختلفة للدروس المستقاة من الثورة الفيتنامية يجب ان يكون دائما مرشدنا في ذلك هو أن نسأل كيف حدث ذلك في فيتنام ، مثلا كيف تحقق بنـاء الحزب ؟ كيف بنيت الجبهة ؟ ليس لنرى الصيغ التي تم بها وانما لكي نرى الجوهر ، الفلسفة التي جعلت تطبيق القوانين العامة تطبيقا خلاقا في ظروف محددة وفي ارض محدودة ، وبين جماهير معينة . ان القضية الحاسمة التي يجب أن نتنبه لها ، ان هنالك شرطا أساسيا يجب أن يتوفر في كل ثورة وهو اكتشاف نظرية الثورة في البلد المعني . بمعنى كيف يمكن أن تقوم الثورة في هذا البلد أو ذاك وهذه النظرية هي شيء خاص في كل بلد حيث تستقي من سماته الخاصة نظرية الثورة في البلد المعني الامر الذي يؤدي الى

استنتاج الاستراتيجية والتكتيك المناسبين . كل هذا يخرجنا ببرنامج الثورة في ذلك البلد . معرفة هذه الشروط الثلاثة الاساسية هي شروط حاسمة لتوفير الشروط الاخرى مثل : قضية بناء التنظيم الطليعي ، بناء الجبهة ، تكوين القوات المسلحة ، طريقة عزل العدو الخ ... ومن هنا نجد في دراسة الثورة الفيتنامية التطبيق الخلاق الذي قامت به قيادة الحزب الشيوعي في فيتنام في تطبيق القوانين العامة للثورة وعلى التحديد اكتشاف نظرية الثورة في فيتنام ، والاستراتيجية والتكتيك المناسبين ، والبرنامج وبعبارة أخرى تبني الخط الصحيح المناسب لقيادة الثورة . لاننا لو قلنا تعبئة الجماهير وتفجير طاقاتها شرط أساسي من شروط الثورة المسلحة يبقى السؤال : كيف يتحقق ذلك ؟ هنا دائما تكمن العقدة التي يجب أن تحل في كل بلد وبالنسبة لكل ثورة ، فالاساليب والصيغ التي استخدمت في فيتنام ، ليس بالضرورة يمكن ان تكون صالحة لثورتنا في فلسطين او لاية ثورة أخرى في العالم . لانه هنا تدخل قضايا متعددة بما في ذلك الظروف الخاصة للبلد المحدد ، لظروف العدو الذي تواجهه ، وايضا لها علاقة قوية بتاريخ الشعب وبتقاليده وأفكاره ووضعه العام . اذا القضية الاساسية التي أعتقد انه يجب ان تؤخذ دائما بالحسبان ، هي : عندما ندرس ثورة فيتنام لا نقوم بالمقارنات بين وضع فيتنام ووضعنا الا في نطاق الحدود العامة جدا لكي نخلص فورا الى التركيز على طرح الاسئلة التي ذكرتها وهي عندما نذكر الشروط التي توفرت لانتصار الثورة في فيتنام ، وهي بجملتها شروط عامة تنطبق على كل الحالات ، أن نسأل ما هي الشروط التي يجب ان تتوفر في بلادنا لكي نوفر هذه الشروط . نقطة أخرى أريد أن أتعرض لها ، حول هذه القضية ، وهي عبارة عامة مرت في كلام الاخ تحسين بشير وهي حول وجود « أمة » في طور التكوين في اسرائيل . طبعا مناقشة هذه القضية يمكن ان تنقل البحث بعيدا عن جوهره ولكن أود أن أبدي تحفظا حولها فقط في هذه الندوة .

د. حسن شريف : لا أريد أن أضيف كثيرا في هذه المرحلة ، على النقاش السياسي لان الاخوان أفاضوا فيه ، أريد أن أعلق على موضوع التكنولوجيا . طرحت نقطة على ان جزءا أساسيا من الانتصار في فيتنام هو مقدرة الفيتناميين على الانتصار مقابل الطاقات والامكانيات المادية والتقنية . هذه التجربة مهمة جدا لانها تطرح نوعا جديدا من التكنولوجيا . ان الفيتناميين استطاعوا فعلا أن يخلقوا تكنولوجيا من نوع جديد تعتمد أساسا على الانسان . التكنولوجيا الاميركية تعتمد أساسا على الآلة وحاولت تحويل كل الحرب الى حرب آلية مطلقة يغيب فيها الانسان . مقابل هذا الشيء الذي يتطلب طاقات مالية ومادية ضخمة ويتطلب طاقات دماغية هائلة كانت تشغل باستمرار على أوسع نطاق . الفيتناميون استطاعوا أن يطوروا ما يمكن أن نسميه « بتكنولوجيا الانسان» بمعنى الاستفادة القصوى من أبسط الامور المتوفرة للانسان العادي البسيط. واعطي مثلين فقط للتدليل : عندما علم الاميركيون ان الانهر في فيتنام تستعمل كطرق اساسية للنقل ، حاولوا لغمها بكل الوسائل الممكنة . فكانت الطائرات الاميركية تزرع الالغام في كل الانهر الفيتنامية . في مقابل ذلك استعمل الفيتناميون أبسط وسيلة بدائية من الناحية التقنية ولكن يمكن أكثرها فاعلية ، وهي المراقبة البشرية . زرعوا طول الانهر الفيتنامية بشرا من العجائز رجالا ونساء على مسافات بسيطة ، بحيث تتقاطع انظارهم لمراقبة الالغام التي ترميها الطائرات الاميركية . هذا مثل عن التقنية المتقدمة مقابل التقنية البسيطة ، وهو مثل على ما يستطيع ان يفعله الانسان . والمثل الآخر ، والذي كان مفاجأة للاميركيين ، زرعت كل ارض فيتنام في الجنوب خصوصا بحساسات التي تستطيع أن تلتقط كل التحركات البشرية او الآلية في مسافات هائلة من الارض . وكانوا مطمئنين ان هذه الطريقة تمكنهم من اكتشاف تحرك الآليات ، بفترة ساعات ، او تحرك الكتائب الفيتنامية ، واستعمل لذلك كل الوسائل الممكنة ، الآلات المغناطيسية، والآلات الملتقطة للصوت ، والآلات الملتقطة للحرارة الخ ... ومع ذلك فوجئوا عندما

انطلقت الاعداد الهائلة من الدبابات في هجوم الربيع ، في أمكنة لم يكن من الممكن وصولها دون التقاطها على الاجهزة الحساسة . طبعا ، كان الحل التقني الفيتنامي بسيطا جدا وهو فكفكة هذه الآليات في مراكزها ونقلها قطعة قطعة بشكل بسيط جدا بأبسط الوسائل الممكنة وهي وسيلة النقل البشري ، مقابل التقنية المتقدمة . أعتقد ان هذا الشيء يجب ان يعتبر درسا أساسيا ومهما جدا لانه ينطبق في كل مكان . كل ما نحتاجه هو أن نستوعب طاقاتنا الانسانية ونوظفها بالشكل المطلق مقابل اي تقنية اخرى متقدمة .

داود تلحمي : من ناحية تفصيل الدروس السياسية على المستوى الفيتنامي الداخلي والعسكرية على مستوى المواجهة مع اميركا ، فهو موجود في دراسة الاخ ناجي علوش. طبعا قد تكون الدراسة كلها موضع نقاش . الا اني احب ان اضيف بعض النقاط في مجال المقارنة . النقطة الاولى وردت في كلام الاستاذ تحسين وهي اجلاء الشعب الفلسطيني عن أرضه ووجوده بالتالي على اراض عربية أخرى ، غير أرضه الاساسية التي هي طبعا احدى الفوارق الرئيسية بين الوضع الفيتنامي والوضع الفلسطيني . وهذا ، باستنتاج مباشر ، يثير صعوبة او استحالة القيام بثورة فلسطينية محضة . يعني ان تكون هناك حركة تحرر فلسطينية ، كما كان هناك حركة تحرر فيتنامية بشكل مستقل في بداية الاربعينات أي عندما خلقت جبهة « الفيت ــ منه » لان جبهة « فيت منه » خلقت على أرض فيتنام ولو انها لم تكن محررة في ذلك الحين . وكان العمل السري بين الجماهير داخل الارض الفيتنامية ، والاستراتيجية كانت استراتيجية تحرير الارض الفيتنامية من الاستعمار الفرنسي الذي كان استعمارا مهزوما في تلك الاثناء من قبل الامبريالية الالمانية ومن قبل حلفائها في الشرق . ولا يجب ان ننسى انه في تلك المرحلة لم يكن لفيتنام ارض خلفية ، الصين لم تكن محررة وبالذات الصين الجنوبية في ذلك الحين لم تكن ارضا محررة ولم تصل قوات التحرير الصينية الى الحدود الفيتنامية الا في سنة ١٩٤٩ اي بعد اربع سنوات من اندلاع الثورة المسلحة الفيتنامية وبعد اربع سنوات من اعلان استقلال فيتنام وميلاد جمهورية فيتنام الديمقراطية . اذا لنعود للفرق الاساسي الذي هو التواجد الفلسطيني خارج الارض المحتلة . وهذا التواجد يقتضي ــ شئنا أم أبينا ــ تواصل الصراع الفلسطيني من اجل التحرير مع حركة التحرر العربية ضد الامبريالية وضد ركائزها . وتجارب المقاومة الفلسطينية الأخيرة خاصة في الاردن ومؤخرا في لبنان ، ومشاكله الاخيرة في سائر الدول العربية تثبت الان بما لا يدعو للشك هذا التداخل ، وضرورة توفر استراتيجية عربية تعمل لتحرير فلسطين . هذا لا يعني انه على جميع العرب التوجه في وقت واحد الى ساحة فلسطين ، ضمن جيوش مكثفة تحت قيادة واحدة ، والظروف الواقعية لا تسمح به طبعا ، نظرا لاختلاف الاوضاع العربية وترسخ الاقليمية العربية اي أننا نجد تميز بين دولة عربية واخرى . ومهما كان بغضنا لهذه الاقليمية ، فهي موجودة وهذا التميز موجود . وبالتالي لا يمكن ان نواجه عملية التحرير الفلسطينية الا اذا حللنا مدى تداخل الوضع الفلسطيني بالاوضاع العربية ، فلكل قطر عربي بالذات ميزاته وتناقضاته ووضعه الاقتصادي ومدى تطوره ومدى سيطرة الامبريالية عليه ، الخ ... واستخلصنا من كل ذلك رؤية متكاملة تسمح باتخاذ الخطوات المناسبة سواء خطوات ثورية متقدمة او خطوات تراجعية تكتيكية اذا اقتضى الامر ، من أجل ان تسمح باستمرار المقاومة الفلسطينية وتصعيدها . يرتبط بهذه النقطة ، نقطة اخرى مميزة في الوضع العربي ، ويشدد عليها في الصحافة الغربية وهي موضوع النفط . تواجد النفط بكميات هائلة جدا في المنطقة العربية بنسبة ٦٠ ٪ من احتياطي العالم المعروف يجعل الان ترابط عملية التحرير الفلسطينية بالاطماع الامبريالية والتسابق من أجل السيطرة على مناطق ومصادر النفط ، عملية محتم عليها ان تتطور اكثر فأكثر نحو الالتحام . نرى في التصريحات الاميركية بشكل

واضح مؤخرا وحتى في تصريحات بعض المسؤولين الاسرائيليين المطالبة بالتدخل لضرب المقاومة الفلسطينية ، ولضرب القوى التحررية العربية في الخليج العربي وفي سائر المناطق المتاخمة من أجل « ضمان حرية وصول النفط الى العالم الغربي » الذي يعتمد أكثر فأكثر الان على استيراده من المنطقة العربية . عنصر آخر من العناصر التي تميز الوضع العربي عن الوضع الفيتنامي ، ولم يتطرق له حتى الان هو العنصر الديني — الاجتماعي . وانا اعطي هذا العنصر شيئا من الاهمية ، عندما نقارن تجارب فيتنام او تطبيق الاشتراكية في فيتنام والصين مثلا ، وتطبيق الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية . الفوارق ليست فقط الفوارق المتعلقة بمدى التطور الاقتصادي في البلدان ، او بطبيعة القيادة او بطبيعة الظروف التي اوصلت الحزب الشيوعي في كل هذه البلدان الى السلطة ، لا بد ان يكون هناك تحليل واف لمدى تأثير الخلفية الاجتماعية ، وبالذات العنصر الديني في كل هذه الاحوال في نمط التطور نحو الاشتراكية في كل هذه البلدان وفي نمط بناء الحزب الثوري ونمط نمو الحركة الثورية ، في نمط تعبئة الجماهير الخ . هناك دراسات من قبل الرفاق الفيتناميين أنفسهم حول تأثير الدين بالذات في فيتنام . اعتقد أن الدين الكنفوشي وبساطته وقربه من الحياة اليومية للناس وطابعه الاجتماعي كل ذلك لعب دورا في التحول الذي تكلم عنه الاخ محمد كشلي ، تحول هؤلاء الناس الذين كانوا متخلفين فعلا ، الذين كانوا قبل ثلاثين سنة ، في مرحلة تخلف ربما تفوق التخلف الذي نعاني منه الان في المنطقة العربية ، التحول الذي سمح بتعبئة كل هؤلاء الفلاحين ، تحت قيادة قوى سياسية متطورة جدا ، ومتقدمة ومستوعبة للايديولوجيات العصرية وللتكنولوجيا المتطورة . كل هذا لا بد من أن يجعلنا ننظر الى تأثير التركيب الاجتماعي والعنصر الديني فيه . طبعا بالنسبة للعالم العربي الموضوع يقتضي دراسة الدين الاسلامي الذي هو الدين الغالب في المنطقة العربية والدين المؤثر والذي يعطي الجانب الاجتماعي أي التركيب الفوقي في العالم العربي سماته الرئيسية وبالتالي سينعكس — شئنا ام أبينا — حتى على الحركات المتقدمة سياسيا . سينعكس هذا التراث الاسلامي الذي له مئات السنين من العمر، سينعكس على تركيب هذه القوى وهذه الحركات الثورية ، سينعكس على مدى تعبئة الجماهير ومدى تقبلها لشعارات او لممارسات معينة . نقطة اخيرة جانبية ، هي قضية استعمال الاعلام من قبل (بكسر القاف) الرفاق الفيتناميين، الى جانب العمل العسكري والعمل السياسي . بلا شك ، داخل فيتنام كان العنصر الحاسم هو العنصر السياسي العسكري ، ولكن هناك العنصر الاعلامي ، الموجه الى الخارج ، الموجه الى الجاليات الفيتنامية في الخارج والموجه الى العالم بتركيباته المختلفة ، اي الى العالم الاشتراكي، الى العالم الثالث الى العالم الرأسمالي بتناقضاته . هذا الاعلام بتقديري ، يلعب دورا مهما ، والنصر الفيتنامي ، كما ذكر الاخ ناجي علوش في دراسته ، كان نصرا سياسيا أساسيا . لقد استطاعت فيتنام ان ترغم امريكا سياسيا على التوقيع على انسحابها وتخليها عن اهدافها العدوانية . وكان للاعلام دور في هذا النصر . استطاع الفيتناميون أن يعبئوا جالياتهم في الخارج . حضرت مثلا ، في باريس ، مهرجان اقامته وزيرة خارجية الجمهورية الثورية المؤقتة وحضر هذا المهرجان آلاف من الجالية الفيتنامية المقيمة في فرنسا ، وأغلبهم من البرجوازيين ، أي من التجار الخ... انما كان هناك جو من الحماس والتعبئة الذي كان فعلا يعطي شعورا بأن هذه الجماهير كانت فعلا معبأة ، ومستعدة للقيام بالاعمال التي تطلب منها على مستوى اعلامي ، على مستوى جمع اموال الخ...لان الشعارات التي كانت تطرح من قبل جبهة التحرير كانت شعارات تعبوية تستهدف كما أشار أحد الاخوان ، تعبئة معظم قطاعات الشعب علما بأن القيادة هي قيادة متقدمة ولها خط سياسي متقدم ، انما عملت على تعبئة معظم قطاعات الشعب بما في ذلك قطاعات من البرجوازية الوطنية تحت شعارات تحرر وطني معتدلة . اريد

أن اشير الى موضوع التوجه الى الشعب الاميركي نفسه ــ بشكل بسيط ــ لانه ورد في احدى الدراسات ــ لخلق تناقضات في المجتمع الاميركي وخلق تيار مسالم داخل الشعب الاميركي يطالب بانهاء الحرب . وطبعا لم يكن الموضوع اعلاميا ، هو اساسا موضوع عسكري ، اي ان توجيه الضربات للجيش الامريكي في فيتنام بالاضافة الى التأثير على ابناء الامريكيين الموجودين في فيتنام ، بتكليفهم خسائر كبيرة ، بالاضافة للخط الاعلامي الذي اتبعته الثورة الفيتنامية في الخارج ... وهو خط غير شوفيني تجـــاه الشعب الامريكي ، أثر في تطوير الحركة المعادية للحرب في أمريكا وفي التأثير على قرار الادارة الاميركية لايقاف الحرب . نقطة اخرى وسأشير اليها بسرعة ، هي الاستفادة مـــن التناقضات الامبريالية ، وهذا ليس بجديد على الثورة الفيتنامية . في الثورة الاولـــى استطاعوا ان يستفيدوا من التناقضات بين فرنسا واميركا ، وبين فرنسا واليابان خلال فترة قصيرة وبعد الستينات بين اميركا والامبرياليات الثانوية الاخرى . طبعا كل هذه الملاحظات ، لا يمكن ان يكون لها قيمة اذا لم يؤخذ بعـــين الاعتبار التركيب الاساسي لجبهة التحرير الفيتنامية ، وجود حزب قائد ، وجبهة عريضة الخ ... كافة النقـــاط التي أشار اليها الاخ ناجي علوش في دراسته حول التركيب السياسي والعسكري للثورة الفيتنامية التي كان لها الدور الحاسم للنصر .

المقدم الهيثم الايوبي : اريد ان اتحدث عن الدروس العسكرية التي يمكن استخلاصهـــا من النصر الفيتنامي . ولن يكون حديثي بالطبع عسكريا بحتا ، لان الحـــرب الثورية أساسا حرب سياسية ــ عسكرية يرتفع فيها دور السياسة الى درجة عالية لا تعرفها الحروب التقليدية . ولقد كان نضال الفيتناميين حربا ثورية بكل معاني الكلمة ، لانها كانت حربا سياسية ــ دبلوماسية ــ اعلامية ــ عسكرية . استخدمت السيـــاسة والدبلوماسية والاعلام لزعزعة ارادة القتال لدى العدو قبل القتال وخـــلال القتال وفي فترة المباحثات ، وطبقت المبدأ اللينيني القائل بضرورة تفتيت العدو ماديا ومعنويـــا ووضعه في أسوأ اوضاعه النفسية والاستراتيجية قبل تسديد الضربة الحاسمة لـــه .

ولكـــن قبل ان ابدأ حديثي عن الدروس كما أراها اود تقديم بعض الملاحظـــات التي تستهدف ازالة بعض المفاهيم الشائعة المغلوطة التي رافقت هذا الموضوع .

عندما حققت الثورة الفيتنامية انتصاراتها العظيمـــة ، وعجـــز التصعيد العسكـــري الامريكي عن اركاع الشعب الفيتنامي ، وأثبتت المعارك المتتالية عجز التقنية الامريكية عن مجابهة ثورة الانسان المسيس والمؤطر والعامل تحت قيادة ثورية واعية بدأ الحديث في الوطن العربي عن امكانية الافادة من دروس هذه الثورة ، وعن امكانات تطبيق هذه الدروس من قبل القوى الثورية العربية . هنا ظهر رأي يقول بأن الافادة مـــن هذه الدروس صعب بل ومتعذر ، وقدم أصحاب هذا الرأي حججا تستند الى وجود خصائص تتعلق بالارض العربية ، وعدم وجود الشعب الفلسطيني على ارضـــه ، وقدموا لنـــا مشكورين [!] معلومات وفيرة عن الغابات والمستنقعات والجبال في فيتنام ، وربطوا الحرب الثورية بهذه العوامل الجغرافية .

وأود أن اقول بهذا الصدد ، أن ما قيل عن العوامل الجغرافية يتعلق بحرب العصابات لا بالحرب الثورية . يتعلق بالتكتيك لا بالاستراتيجية والاستراتيجية العليا ، يتعلـــق باسلوب من اساليب الحرب الثورية لا بالحرب الثورية كنوع متميز من انواع الحروب. ان للارض (مستنقعات ، غابات ، جبال ... الخ) تأثيرا كبيرا على حرب العصابات ولكن حرب العصابات عبارة عن اسلوب ، انها وسيلة تستخدم داخل الحرب الثورية دون أن تكون هي الحرب الثورة . انها اسلوب قتالي لا نوع من أنواع المجابهات بين شعبين . وقد يكون لمسائل التضاريس والمناخ تأثير على الاستراتيجية ، ولكنه تأثير محدود ضمن اطار علاقتها بالحركات الاستراتيجية لا ضمن اطار النوع الاستراتيجي

المختار للمجابهة . وغايتي من هذا التوضيح هو كشف الخلط القائم بين حرب العصابات والحرب الثورية في كثير من الادبيات العربية ــ العسكرية والسياسية . وهو خلط ناجم في بعض الحالات عن خطأ في فهم حقيقة الاشياء . كما أنه ناجم في حالات كثيرة اخرى عن رغبة بعض القوى الاجتماعية المستغلة في تيئيس الجماهير العربية من امكانيات تطبيق الحرب الثورية كوسيلة مثلى لمجابهة الامبريالية ومرتكزاتها المحلية ، وكحل حاسم للتناقضات الناجمة عن مختلف اشكال الوجود الامبريالي في بلادنا وكافة صور القهر القومي والاجتماعي الذي تتعرض له جماهيرنا . وتنبع هذه الرغبة في التيئيس من خوف هذه القوى الاجتماعية المستغلة على مواقعها ومصالحها الطبقية المتميزة التي ستتعرض عند اندلاع الحرب الثورية العربية لخطر ماحق فوري او مؤجل نسبيا .

ولا يمكن اعتبار الحرب الثورية وسيلة قتالية ، ولكنها نوع من انواع المجابهة الشاملة، تستخدمه الشعوب الضعيفة [ماديا] ضد الغزوات الخارجية او ضد القهر الطبقي الداخلي او ضد هذين الخطرين معا . انها مجابهة شاملة تعبأ فيها كافة الامكانات المادية والفكرية والروحية والسياسية والدبلوماسية للشعب المقهور وتزج في صراع طويل الامد يستهدف قهر ارادة العدو والوصول به الى حالة الانهاك المادي والنفسي التي تجبره على التنازل عن أغراضه سواء أخذ هذا الصراع ــ من الناحية العسكرية ــ شكل حرب العصابات ، أم الحرب النظامية ، أم عمليات الارهاب المدينية ، أم حرب الالغام الخ ... أم أخذ شكلا تمتزج فيه هذه الاشكال كلها أو بعضها حسب طبيعة الموقف العام وموازين القوى . بالاضافة الى أشكال الصراع السياسية والنفسية والدبلوماسية المتعددة .

وعندما كانت القوى الثورية العربية تتحدث عن المجابهة الشاملة كسمة من سمات الحرب الثورية طلع علينا بعض المنظرين المعادين للحرب الثورية ببدعة تستهدف تشويه صورة هذه الحرب واحاطتها بشبكة من الظلال ، وقالوا : اذا كانت التعبئة الشاملة لكل قوى شعب من الشعوب وزجها في المعركة هما الدليل على ان الحرب التي يخوضها هذا الشعب حرب ثورية فان الحروب الاسرائيلية حروب ثورية ، والحروب التي شنتها المانيا النازية ثورية أيضا لانها حروب مارسها شعب متلاحم مع قيادته ، ومعبأ سياسيا واقتصاديا ، واستخدمت فيها كافة امكانات هذا الشعب الروحية والفكرية والمادية الخ ... والرد اللينيني على هذه البدعة هو البحث عن اهداف الحرب والقوى المستفيدة منها وطبيعة الفكرة السياسية الكامنة وراءها ، واكتشاف اتجاه مسارها بالنسبة لخط التطور التاريخي . وشتان ما بين حرب تقوم بها أمة لسحق أمة أخرى ونهب ثرواتها او تضخيم خزائن القلة القليلة على حساب الجماهير العريضة ، وحرب يشنها شعب مقهور لتحرير أرضه وتأمين رفاهيته وتقدمه أو تشنها جماهير عريضة للتخلص من بؤس تفرضه طبقة أو طبقات مستغلة جشعة . ان الحرب الثانية حرب ثورية تحمل فكرة سياسية عادلة مسايرة لخط تطور التاريخ (تحرر وطني ، تحرر اجتماعي ، تحرر وطني واجتماعي) أما الحرب الثانية فهي حرب مضادة للثورة [حتى لو استخدمت بعض الاساليب الثورية في القتال والدعاية والدبلوماسية الخ ...] لانها تحمل فكرة سياسية غير عادلة تعاكس خط تطور التاريخ ، وتخدع الجماهير وتعبئها وتجرها الى المجزرة عن طريق استخدام عقيدة ديناميكية على غرار النازية والصهيونية.

بعد هذا التوضيح أود التحدث عن دروس الثورة الفيتنامية .

الدرس الاول : والاهم على صعيد الاستراتيجية العليا هو تسييس كافة القوات المسلحة بمختلف فروعها (النظامية والعصابات والميليشيا المحلية) ، واستخدام الفكرة السياسية كسلاح لرفع مستوى الكفاءة القتالية لكل انسان مشترك في المجابهة الشاملة ، وخلق

الانسان الواعي لقضيته والمستعد للدفاع عنها والموت من أجلها . وتدل الدراسات الخاصة بالحرب الفيتنامية ان كل شيء في هذه الحـــرب كان مسيسا ، وان الحرب استخدمت السلاح الاساسي في الحرب الثورية المتمثل في السياسة . وكانت السياسة تستخدم لثلاثة اغراض هي : التدعيم الداخلي لقوى الثورة ، والتفتيت المعنوي للقوى المضادة للثورة ، وتحييد من يمكن تحييدهم داخل معسكر القوى المتذبذبة بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة .

ولقد نجم عن هذا التسييس نتائج متعددة على كافة الاصعدة :

فعلى صعيد التكتيك انعكس هذا التسييس على شكل تعديل لمبدأ ماوتسي تونغ الاساسي « واحد ضد عشرة في الاستراتيجية وعشرة ضد واحد في التكتيك » الذي يعني ان بوسع قوات الثورة أن تقاتل القوات المضادة لها حتى لو كان تفـــوق القوات المضادة على الصعيد الاستراتيجي بنسبة عشرة الى واحد شريطة ان تطبق قوات الثورة كل مبادىء الحركة والسرية والسرعة لتحقق تفوقا تكتيكيا يعادل عشرة الى واحد في زمـــان معين ومكان معين (زمان ومكان المعركة) . ولقد اصبح من الممكن بعد تسييس المقاتلـــين الاشتباك بالمعركة دون الحصول على التفوق المذكور [عدديا] ذلك لان تسييس المقاتلين وتعبئتهم النفسية لتقديم أكبر التضحيات عبارة عن عامل هام يقلب موازين القوى ، ويزيد الحجم العام لقوات الثورة ويرفع مستوى فاعليتها رغـــم عدم زيادة عددها . ومن المؤكد ان التسييس المكثف سمح للفيتناميين أن يشتبكوا بمعارك ناجحة ضد قوات العدو دون ان يحققوا التفوق [العددي] المعادل واحد الى عشرة في زمـــان ومكان المعركة ، ولكنهم وصلوا مع ذلك الى التفوق [العام] المعادل واحد الى عشرة نظرا لارتفاع مستوى الوعي والاندفاع لدى مقاتليهم .

ويمكن تفسير ذلك بالعودة الى قوانين حساب القوى في المعركة ، والتي تستند الى عدة عوامل : مادية وتدريبية وقيادية وسياسية ومعنوية ... الخ . وتملك القوات المضادة للثورة تفوقا ماديا فقط ، على حين تملك قوات الثـــورة المسيسة التفوق السياسي والمعنوي والقيادي الخ ... لذا فهي تستخدم هـــذه العوامل لقلب ميزان القـــوى [العام] لصالحها .

وانعكس التسييس على الشؤون الادارية ، بانقلاب كل مواطن الى ممون ومذخر لقوات الثورة . وأصبح الشعب الفيتنامي كله مجموعة واحدة تساعـــد في عمليات الامداد والتموين والاخلاء والاسعاف ، الامر الذي أمن استمرار سير الشؤون الادارية رغم جميع الصعوبات الهائلة الناجمة عن القصف الجوي الامريكي للطرق والجسور والموانىء والمستودعات ونقص المعدات والوسائل اللازمة لنقل آلاف الاطنان من الذخائر والمؤن والمواد الطبية وقطع الغيار الخ ... اللازمة للمعركة .

وظهر اثر التسييس واضحا في مجال الاستخبارات . اذ غدا كل مواطن مؤهلا لجمـــع المعلومات عن العدو ونقلها الى الثوار ، واخفاء المعلومات الخاصة بقوات الثورة مع تطبيق مبدأ « لم أسمع ، لم أشاهد ، لا أعرف » .

وانعكس تأثير التسييس أيضا على مسألة تدعيم الوعي ورفع مستوى الحماسة وربط النضال بقضايا الحياة اليومية ضمن اطار الوحدة الوطنية . صحيح ان جبهة التحرير الوطني الفيتنامي F.L.N.V. كانت تطرح مسألة حرب التحريـــر الوطنية ، وتربطها بشكل مباشر او غير مباشر بالتحرر الاجتماعي والمكاسب الاجتماعية المنتظرة . فلقد كانت تستفيد من المنجزات الاشتراكية المحققة في فيتنام الشمالية ، وتطرح صورة هذا البلد المكافح السائر على طريق التقدم والازدهار كصورة لدولة المستقبل في الجنوب . وكان هذا الربط يجعل المقاتلين أشد حماسة للثورة والتصاقا بها ، ويعطي حرب التحرير الوطنية سمة اجتماعية لا غنى عنها دون الخروج عن برامج الوحدة الوطنية .

الدرس الثاني : هو القيادة الطليعية والحزب القائد . فلقد أثبتت الحرب في فيتنام ان الحرب الثورية بحاجة الى طلائع مترابطة مع بعضها برباط عقائدي حزبي ، لا برباط عشائري او شخصي او طائفي الخ ... واذا كانت الاسرة ، والعشيرة ، والطائفة ، .. الخ تشكل في القرون الماضية شكلا من أشكال الترابط اللازم في الحروب الثورية الغابرة فان الحزب هو التنظيم العصري الوحيد القادر على ضم الصفوف وتلاحمها وقيادة الحرب الثورية في مجتمعاتنا المعاصرة .

بهذا المنظور كان للحزب الشيوعي الفيتنامي دور أساسي وطليعي داخل جبهة التحرير الوطني ، وبهذا المنظور فهم الفيتناميون فكرة الوحدة الوطنية ، المبنية على برنامج سياسي للحد الادنى يجمع كافة القوى الديموقراطية والوطنية تحت قيادة حزب الطبقة العاملة .

الدرس الثالث : هو اهمية وجود أرض محررة الى جانب المناطق غير المحررة. فلقد كان وجود فيتنام الشمالية أساسيا وهاما بالنسبة لقوات الثورة المقاتلة في فيتنام الجنوبية . وكانت فيتنام الشمالية قاعدة هامة للامداد بالمعدات والذخائر والكوادر والمقاتلين الخ... ولم يكن بوسع هذه القاعدة الاستمرار لو لم تكن دولة اشتراكية قوية تملك نظاما تلتف الجماهير حوله وشعبا مستعدا للدفاع عن هذا النظام تحت راية قيادة يثق بها الى أبعد مدى . ولم يكن بوسع فيتنام الشمالية أن تلعب الدور الذي لعبته لو لم تكن قلعة ترفض الخضوع لعملية الردع الجوي والبحري ، وتستطيع الصمود أمام عمليات الغزو البري. ان وجود قاعدة ثورية قوية قادرة على تحمل أشرس الغارات الجوية التي شنتها القلاع الطائرة الامريكية ب ــ ٥٢ خلال عدة سنوات ، والاستمرار مع ذلك في الحياة والانتاج والعطاء ، والبقاء في موقع الصمود ، والاستمرار في مساعدة قوات الثورة على أساس أن لا فرق بين الشمال والجنوب . والاستمرار في دعم قوات الثورة دون الانتقال تحت تأثير الردع وتحت تأثير الفكر الاقليمي الى اعتبار قوات الثورة خطرا على أمنها ، ولا بد من كبح جماحها أو ضربها من الخلف . ان هذا الوجود المتمثل في فيتنام الشمالية أمر يقدم لنا مجالا واسعا للتفكير في المستقبل . وهو يدفعنا الى رؤية حقيقة العلاقة المطلوبة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية .

ان من الخطأ التفكير بثورة فلسطينية دون رؤية العلاقة الجدلية بين هذه الثورة ووجود ثورة عربية ، وقاعدة عربية قادرة على أن تلعب دور هانوي عربية بشكل فعلي . وان تعتبر نفسها جزءا من المعركة مستعدا للصمود أمام الهجمات الواسعة والمحدودة ، والاستمرار في القتال رغم عنف الضربات الرادعة . وتظهر صحة هذا القول اذا ما درسنا واقع الثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة وخارجها ، ودرسنا ردود الفعل الاسرائيلية ، وما ينجم عنها من ردع بالنسبة لكل دولة عربية لا تحمل سمات القاعدة الآمنة الصامدة ، واحتمالات تحول مواقف هذه الدولة من دعم الثورة الفلسطينية بشكل فعال ، الى دعمها مع تحفظات وقيود ، الى تحديد حرياتها والصدام معها .

ان أي نظام عربي وطني أو شبه وطني معاد لاسرائيل ولكنه غير مستعد لتحمل عملية الردع لمدة طويلة ، سينقلب شاء أم أبى الى قوة تضرب الثورة الفلسطينية عند تحركها بشكل يستثير العمليات الاسرائيلية المضادة . ومن هنا يأتي سبب التركيز على عروبة الثورة وعروبة المعركة ، لان هذا الشرط هو الذي يمكن ان يجعل المنطقة العربية كلا متكاملا كالمنطقة الفيتنامية بشمالها وجنوبها . واذا ما تحقق هذا الشرط أمكن اعتبار الارض العربية بما فيها فلسطين مقسمة الى **منطقة محررة** تشمل بلدا عربيا او اكثر مستعدة للقيام بدور هانوي التي لا تتأثر بالردع . و**منطقة محتلة** تشمل الارض التي يسيطر عليها العدو سيطرة شبه كاملة . و**منطقة الاشتباكات** الدائمة التي تشمل أقساما واسعة من الارض المحتلة ومناطق الحدود بين المنطقة المحررة والمنطقة المحتلة ، وكافة

المناطق العربية التي يمكن للقوات المعادية التغلغل فيها خلال العدوان . وفي منطقة الاشتباكات يتم الصراع بين القوى الثورية العربية ــ بما فيها قوى الثورة الفلسطينية ــ وقوات العدو . مع استناد القوى الثورية العربية الى قاعدة آمنة حقيقية . واعتقد ان هذا هو التفسير الصحيح لمبدأ عروبة الثورة ، واهمية تثوير الاراضي العربية كجزء من الصراع مع العدو الاسرائيلي .

الدرس الرابع : هو العصيان المنسق .لقد أثبتت الثورة الفيتنامية خلال كل معاركها انها لا تعمل في منطقة وتترك منطقة أخرى . عندما تبدأ عمليات الانتفاضات المسلحة والاضرابات وعمليات التفجير داخل المدن ، يثور الريف ويحاول ان يقطع طرق المدن ويجتذب قوات العدو . وبالعكس ، عندما يثور الريف وتتحرك جيوش الأعداء لضرب الريف ، تخف القبضة عن المدن وتبدأ الانفجارات داخلها . نقول هذا لان تجربة الاردن وتجربة لبنان ، هي من الامثلة التي لم يتم فيها العصيان المنسق . فعندما تم الهجوم على عمان واربد لم تتحرك جميع قواعد الغور تحركا كثيفا بشكل تقطع معه طرق عمان واربد وتشتت القوات الاردنية . وعندما كانت السلطة تضرب القواعد في الغور لم تكن المدينة تتفجر تفجرا كاملا . وينطبق هذا القول على أحداث لبنان ، فعندما انفجرت المعركة في بيروت لم تنفجر في الريف ، او على الاقل لم تنفجر في طرابلس ، ولم يحصل عصيان منسق ، ولم يتم تشتيت القوات على اوسع مساحة ممكنة من الارض .

الدرس الخامس : هو التنسيق بين مختلف انواع القتال في الحرب الثورية . اذ أن الفيتناميين استخدموا حرب العصابات ، والحرب النظامية ، والارهاب الفردي ضد قادة العدو ، والقنص ، وحرب الالغام ، والحرب النفسية الاعلامية للتفتيت . وكانوا ينسقون بين هذه الانواع ، ويميزون نوعا على النوع الآخر حسب موازين القوى . فاذا سمح لهم ميزان القوى في زمان معين ومكان معين استخدموا الحرب النظامية ، فاذا انقلب ميزان القوى تحولوا الى حرب العصابات ، واذا ما وجدوا في مكان آخر انه لا يمكن العمل الا وفق أسلوب الحرب السرية طبقوا هذا الاسلوب حتى تخف قبضة العدو فتنقلب الحرب السرية الى حرب عصابات أو انتفاضة مسلحة حسب الظرف الملموس . مع الاستمرار الدائب بالعمل السياسي والاعلامي والنفسي .

ان التنسيق بين مختلف أساليب الصراع يعني الفهم الفيتنامي الصحيح لمبدأ موازين القوى ، ومبدأ استخدام الاداة المناسبة لتحقيق الغرض المناسب حسب ميزان القوى الفعلي .

الدرس السادس : تجميع القوى وتفتيت العدو . لقد نادى جيفارا ــ على صعيد استراتيجية الثورة العالمية ــ بضرورة فتح أكثر من فيتنام لمجابهة الامبريالية العالمية . ولقد طبق الفيتناميون المبدأ نفسه على صعيد الثورة الفيتنامية . اذ خلقوا أكثر من بؤرة صراع في أكثر من مكان فاضطر العدو للتوزع على طول فيتنام وعرضها ، ثم ركزوا قواتهم على نقطة واحدة بفضل الحركية والسرعة والسرية وضربوها بشدة ثم تبعثروا . هذه هي الدروس الاساسية التي قدمتها الثورة الفيتنامية للثورة العالمية على صعيد الاستراتيجية . أما بالنسبة للدروس في التكتيك والشؤون الادارية والاستخبارات والتكنولوجيا فانها مشروحة بما فيه الكفاية في الدراسة التي قدمها لكم الاخ ناجي علوش . وشكرا .

تحسين بشير : النقطة الاولى توضيح للتحفظ عند الاخ منير حول كون الاسرائيليين قومية في حالة التكوين . بغض النظر عن الصحة التحليلية لوجود هذه القومية بحالة التكوين أو عدم تكون او عدم وجود مقومات قومية ، فأخطر ما في الامر انها تخلق ديناميكية لتعطي الاسرائيليين نوعا من الدفع عن طريق اثبات نفسهم عن طريق العمل المستمر والانجازات المستمرة في حين ان المجتمع العربي لا يزال من الناحية النوعية ، في معظم

قطاعاته في حالة ركود سياسي . النقطة الثانية اننا نحن ــ وبالنسبة للتحفظ ــ توجد ناحية أهملناها في المقارنة بين فيتنام وبين الموقف في العالم العربي وهو نوع الاحتلال الاسرائيلي ، نوع ونموذج وطريقة تطبيق هذا النوع من الاحتلال واستحالة قيام الاسرائيليين بنوع من الثورة الاجتماعية المضادة ونوع الاحتلال الامريكي في حكومة سايغون والمحاولات المختلفة القديمة تحت الملكية وتحت الكاثوليك وبعد ذلك في الخليط بين الكاثوليك والبوذيين . الاسرائيليون حاليا يقومون بعمل عمليتين وفي منتهى الخطورة والشعب والقوى العربية لا تفعل ما يكفي للشعب تحت الاحتلال . فكثيرون منا منشغلون أساسا بعملية التحرير وموقف التحرير وعقبات التحرير ولكن ليس هناك اهتمام كاف لمساعدة هؤلاء الموجودين تحت الاحتلال . اسرائيل لجأت اخيرا عن طريق تشغيل العمال العرب من غير ملاك الاراضي او ملاك الارض الصغيرة الى محاولة ثورة مضادة من نوع جديد بأن تعطي للعامل خمسة اضعاف اجره فيما قبل الاحتلال ، فتخلق بذلك نوعا من العامل المعتمد في معيشته على الاستثمار والقرار الذي تسيطر عليه اسرائيل ، والتالي تعمل نوعا من التفسخ في المجتمع الفلسطيني بين الطبقة البورجوازية الموجودة في المدن الصغيرة الفلسطينية ، والقيادات التقليدية وبين هذا العامل الجديد الذي يعتمد على دخله وعلى ما يتأتى اليه من ميزات سواء في العلاج الصحي او التأمين الاجتماعي ، عن عضويته واشتراكه في الهستدروت ، هذا النوع من الثورة الاجتماعية المضادة ، ومضادة لانها غير حقيقية لان هذا العامل يعتمد حقيقة على رغبة الحكومة الاسرائيلية . في أي وقت تستطيع الحكومة الاسرائيلية ان تبطل استخدامه وبالتالي يصبح بلا أساس اقتصادي ، بل ان تستخدم اسرائيل ، مستقبلا بعد سنتين او ثلاث او اربع ، كوسيلة للضغط على الطبقة الجديدة من العمال التي تعودت على نموذج ونمط استهلاكي معين لطردهم من الاراضي طردا اقتصاديا ، بأن توقف تشغيلهم .ولم نتمكن الى الان من الرد ايجابيا على هذه المشكلة في حين ان اسرائيل قامت بهذا وتمكنت في السنة الاخيرة من ايقاف نوع المقاومة الفعالة في الضفة الغربية وغزة ، مع وجود قلة لا تزال تحاول ان تبحث عن طريق الى نوع المقاومة المناسبة لنوع الاستعمار الاسرائيلي . ان الموقف الفيتنامي من القضية كان مختلفا تماما . فلم تتمكن حكومة سايغون ولا الحكومة الاميركية من اكتساب بسنوات طويلة جدا حتى التشغيل ومن الصرف ومن نظريات اعادة تجميع القوى من كسب عنصر مؤيد فعال الى الحكم المؤيد للولايات المتحدة . ان من الواجب علينا ان نبحث عن الوسائل التي يستطيع بها الشعب تحت الاحتلال ان يقاوم ولو بدرجة محدودة . النقطة الثالثة التي أحب التكلم فيها هي القدرة السياسية الفيتنامية . القرار السياسي ــ العسكري ــ الاقتصادي ــ الاعلامي هو قرار سياسي . الحرب الفيتنامية والثورة الفيتنامية تتميز بقدرة اتخاذ القرار السياسي المناسب والذي يعتمد على النفس ، ويأخذ في الاعتبار قوى الصديق سواء كان الصين أو الاتحاد السوفياتي والقوى المحايدة والقوى المتذبذبة ، ولكنه في أساسه قرار سياسي . عندما نرى مثلا نمط ضرب الطائرات وعلاقتها في المفاوضات وطول المفاوضات ومتى تحسم المفاوضات ومتى تبطل المفاوضات ، كان قرارا سياسيا يدل على حنكة شديدة . في هذا القرار السياسي لم يلعب الاعلام دورا مهما للرد على الاخ داود بمعنى ان الاعلام نفسه كان منفردا عن القضية . الاعلام كان احد العناصر في اتخاذ القرار السياسي لان من وجهة نظر رد الفعل في الولايات المتحدة نجد القدرة السياسية لاتخاذ قرارات سياسية ــ عسكرية ، ذات التأثير الاعلامي على داخل المجتمع الاميركي دون وجود نشاط اعلامي فيتنامي في داخل الولايات المتحدة نفسها . ولكنهم استطاعوا ان يفجروا بين الشعب الامريكي ما يجعل القرار الامريكي ضد الفيتناميين قرارا مضادا للقوى المسالمة والقوى المستنيرة في الولايات المتحدة . هذه القدرة على الرؤية السياسية البعيدة الامد ، المقترنة بقدرة تكتيكية ورؤية للمشاكل

المتوسطة بين الامد البعيد والامد المتوسط ، ايضا ناقصة في حالة الرؤية العربية . اننا نرى مثلا الرؤية البعيدة في بناء مجتمع جديد ودولة ديمقراطية لتتعايش فيها جميع الاجناس ولكن ماذا يحدث في البعد الزمني بين الحاضر الحالي والفترة الزمنية غير المحددة التي تتم فيها هذه الرؤية . في الحالة الفيتنامية كانت باستمرار ، هناك قدرة تكتيكية ورؤية متوسطة للاستفادة من الخطوات المرحلية لتنفيذ الرؤية النهائية . في حالتنا هناك حاجة ماسة لخلق الرؤية المتوسطة الثورية التي تخدم الرؤية البعيدة ولا تبطلها . ولكن أعود وأركز على ان اهم ما ابقى الحركة الفيتنامية وصقلها واغناها هو الممارسة المستمرة . ان الحرب في فيتنام الجنوبية التي استمرت في فترات النجاح والفشل في فترات الركود والنشاط ، هي التي أكدت استمرارية هذه الثورة وصقلت وجذبت اليها واستقطبت جميع العناصر المحايدة والمتذبذبة الى الاستمرار في النضال والتي فرضت على الدول بما فيها الدول العدوة احترام الشعب الفيتنامي وقدرته وقدرة ثورته . وعلى هذا الاساس لعل أهم سؤال نواجهه في حالتنا هو : كيف نضمن ونصون للشعب تحت الاحتلال وللشعب الفلسطيني أن يستمر في حركة مقاومة فعالة تزيد وتقل ولكنها تستمر وتستمر بشكل يحس به العدو ويتأثر به ، لان المقاومة الحقيقية هي المقاومة التي تؤثر في العدو بصورة ايجابية لصالح اهداف الثورة .

محمد كشلي : طبعا تشكل الصهيونية واسرائيل نوعا من الاستعمار الاستيطاني المختلف عن ما يحدث في فيتنام او غيرها من البلدان المستعمرة . هذا صحيح ولكنه جزئي ، لان المسألة لا تعود الى هذا الاختلاف بالذات بقدر ما تعود الى نوع الحرب والرد الذي نجابه فيه استعمارا استيطانيا من هذا النوع . لنأخذ مثلا القضية التي طرحها الاخ تحسين : اسرائيل استعمار استيطاني مربوط عضويا بالامبريالية العالمية . وفي داخل هذا المجتمع الاستيطاني الذي تحركه فعلا ديناميكية صهيونية (هي نوع من التعبئة الشاملة للاسرائيليين) ومع ذلك فان هذا التطور ، أي تطور الاستعمار الاستيطاني ، بعلاقته العضوية ، بالامبريالية يعاني تناقضات حتى على صعيد ما اشير اليه الان من ما يسمى باستيعاب اقتصادي لفئات اجتماعية في الشعب الفلسطيني نفسه في الارض المحتلة . اولا : ان هذا الاستيعاب محدود بحدود الاستغلال داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه ، يعني ان هناك اضطهادا وحتى للمواطنين العرب في الارض المحتلة ، اضطهاد سياسي واجتماعي أي لا ينالون حتى الحقوق التي ينالها المواطن الاسرائيلي . يعتبرون أصلا مواطنين في الدرجة الثانية او الثالثة ، هناك حتى في التطور الاقتصادي داخل اسرائيل من الممكن القول ان الحدود التي وصلها الان المجتمع الاسرائيلي لن تظل على هذه الوتيرة من النمو فبعض التناقضات بدأت تظهر ، تناقضات مثل تناقضات اليهود الشرقيين والغربيين . هل ستظل اسرائيل قادرة على تمويل اقتصادها من الخارج بنفس الوتيرة السابقة ؟ كل هذه عوامل تؤثر على كل مستقبل العلاقة بين الشعب في الاراضي المحتلة وبين تكوين اسرائيل . الشيء الثاني : اذا كنا نريد فعلا ان ننظر للقضية الفلسطينية من منظار شعب فلسطيني واسرائيل ، سنرى انفسنا في نطاق اضيق من واقع اسرائيل كما تمثله هي فعلا ، يعني كما تمثله على صعيد كونها قاعدة امبريالية للمنطقة العربية كلها ، والتالي الى اي مدى تحدث المجابهة مع كل ما يحيط بالشعب الفلسطيني نفسه من علاقات عضوية بالجبهة العربية كلها . وهذا يظهر طبعا من خلال الاحتلالات الاخرى ، احتلال الجولان واحتلال سيناء . والتحدي الذي تمارسه القضية الفلسطينية بالمقياس العملي نفسه حتى بدون العودة الى النظريات هو كون الشعب الفلسطيني جزء من شعوب الوطن العربي ، وبالمقياس العملي نفسه فان اسرائيل الان واقع امبريالي يتحدى كل البلدان العربية على الاقل المجاورة له ، هذا التحدي هو الذي يمكن النظر اليه من المقياس التاريخي . صحيح ان الاستعمار الاستيطاني اقوى ، والاستعمار الاستيطاني يجهز اكثر ، ويحاول ان يكون قاعدة

امبريالية اقتصادية واجتماعية وعسكرية ، ولكن كل ذلك لا يعني طرح المسألة على صعيد العقبات انما طرح المسألة على صعيد معنى الحرب الشعبية تجاه اسرائيل او معنى الحرب تجاه اسرائيل . على هذا الصعيد نستطيع فعلا ان نقارن بين فيتنام والوضع الحالي العربي . ان عدم قدرته على تحدي اسرائيل ليس ناتجا عن عدم فعالية المقاومة في الاراضي المحتلة ونحن نرى الان ان العجز العربي الحالي ، يحاول ان يبرر عجزه بهذا الشعار : استحالة المقاومة في الارض المحتلة لاسباب كثيرة . يبرز عجزه عن تحدي اسرائيل وبالتالي يعمل غطاء سميكا عن حقيقة التكوينات الداخلية في كل بلد عربي يعجز فعليـــا عن مجابهة عدو مثل الذي تمثله اسرائيل والصهيونية . قلنـــا انه يمكن ان ندرس بالمقارنة معنى فراغ الجبهة الداخلية العربية في الوطن العربي خاصة في الدول المعنية ويمكن ان ندرس معنى هزيمة حزيران والتناقضات التي ولدتها السنوات الاخيرة ، ويمكن ان ندرس كذلك الى اي مدى مجابهة اسرائيل تتم في نفس الواقع الذي تعتمد عليه اسرائيل ، واقع التخلف وواقع البنى المتخلفة الموجودة في كل بلد عربي . اتصور ان الخلاصة التاريخية الاساسية التي يمكن ان تكون مقارنة بالتجربة الفيتنامية في الوضع العربي الحالي هي بالمقياس التاريخي في الحرب الوطنية والى أي مدى هذا المقياس موجود ؟ والى أي مدى التعبئة الجماهيرية موجودة ؟ والى أي مدى نستطيع القول اننا نجابه اسرائيل في حدود نوع الاستعمار الذي تمثله اسرائيل .

منير شفيق : في الواقع ، بتصوري ان المقارنة دائما تحمل فروقا عديدة كثيرة بين اي تجربتين وبين أي وضعين وشعبين . وهذه الفروق هي أيضا أساسا تاريخية وشعبية ، اقتصادية وثقافية بالمعنى الواسع للكلمة . وكذلك بالنسبة لوضع العدو ، وحتى ان مقارنة الحرب الاخيرة التي خاضها الشعب الفيتنامي مع الحـــرب التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي نجد فروقا عديدة . الفروق والمقارنات قد تكون في كثير من الاحيان مضللة في الوصول الى النتائج الصحيحة . لانه باعتقادي ، حتى نستطيع ان نحدد فروقا دقيقة وان نحدد نقاط الالتقاء الدقيق لا بد من ان يكون بين ايدينا تحليل دقيق للسمات الخاصة لوضع بلادنا وعلى هذا الاساس يمكن اجراء مثل هذه المقارنة . لان في اتخاذ الوضع الذي وصلته فيتنام في المرحلة الحالية ومقارنته بالوضع الحالي سواء بالنسبة للثورة الفلسطينية او بالنسبة لحركة التحرر العربي وللوضع العربي عموما لا يمكن ان يوصلنا الى استنتاجات دقيقة وصحيحة . فعلى سبيل المثال لو اخذنـــا المستوى القتالي الذي وصلته الثورة الفيتنامية ولاحظنا مستوى ديناميكيته ، كما وصفه الاخ الهيثم لان هذا الوضع بالذات لم يكن موجودا في فيتنام دائما . فهو يعبر عن مرحلة راقية في تطور الثورة لا يجوز مقارنتها بمرحلة ادنى . كذلك ان هذا المنطلق يمكن ايضا ان يسحب على كل المجالات الاخرى . فعلى سبيل المثال لو اخذنا مستوى الحزب في فيتنام ، فماذا سيحدث حين نقارنه بالمحاولات الموجودة في بلادنا التي ترشح نفسها لتلعب الدور الذي يلعبه الحزب هناك ؟ سنجد ايضا المقارنة مريعة ومخيفة بالنسبة لوضعنا . فمن هنا استطيع ان اقول ان الاستفادة من دروس فيتنام يجب ان تكون فقط دليلا عاما ، ولا تصبح القالب الذي يطبق على بلادنا . اي اننا يجب ان لا نجعل من الدروس العامة هي الجواب لما يجب ان نعمله هنا . يعني حتى عندما نقول ان ثورة فيتنام اثبتت ان بمقدور شعب صغير اذا خاض حربا طويلة الامد ان ينتصر على اعتى قوة امبريالية . فهذا لا يكفي ، انه صحيح عموما ولكن يجب ان نثبته ايضا في بلادنا حتى تستطيع الجماهير ان تقتنع بهذا الموضوع . ولا يكفي ان نقول لجماهيرنا لقد انتصر شعب فيتنام اذا بمقدوركم أن تنتصروا انتم . يجب ان نقول ذلك ولكن لا يجوز ان نكتفي به ونبني كل عملنا عليه . وانما يجب ان نحلل لجماهيرنا اوضاع بلادنا واوضاع العدو وأوضاع الظروف التي نواجهها ونثبت اننا بالفعل نستطيع ان ننتصر على العدو المتفوق والمدعوم من الامبريالية العالمية . هذه النقطة التي أردت مـــن الاساس ان احول

النقاش باتجاهها وهي ان لا نقوم بمقارنات الا بحدود معينة فقط ونأخذها كدليل عام ولكن يظل التركيز والاساس بالنسبة لما يجب ان نقدمه من تحليل للسمات الخاصة للوضع في بلادنا وبعد ذلك يمكن ان نستطيع الوصول الى مقارنة أدق بين التجربتين . النقطة الثانية وهي متعلقة بقضية الثورة الفلسطينية والوضع العربي . صحيح ان من الخطأ القول ان بالامكان لثورة فلسطينية محضة ان تنتصر على العدو الصهيوني . وصحيح ايضا ان نقول ان هنالك تداخلا بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، بل هنالك أكثر من تداخل ، ان هنالك وحدة عضوية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية فيما يتعلق بقضية تحرير فلسطين . ولكن الشيء الذي يجب ان نحدده هو ما هي هذه العلاقة بالضبط ؟ هنا يمكن ان أطرح ثلاث سمات أساسية: الاولى **ان الثورة الفلسطينية واعطاء الاولوية لقضية تحرير فلسطين يشكلان شرطا اساسيا لتفجير الثورة العربية وتكوين القاعدة المحررة والمشاركة العربية** . الثانية ان تحقيق اجزاء من اهداف الثورة العربية يتم من خلال وفي اثناء الشرط الاول **ويصبح هو بدوره شرطا أساسيا لاستمرار الثورة الفلسطينية ولانجاز عملية التحرير** . الثالثة : في اثناء هذه العلاقة الجدلية تتحقق الوحدة العضوية للثورة في بلادنا ليس بالنسبة لقضية تحرير فلسطين وانما بالنسبة لسائر اهداف الثورة العربية وقضاياها . يعني القضية ليست مجرد وصف بأنها متداخلة او ان هنالك علاقة عضوية بين الجانبين وانما المطلوب تحديد ما هي سمات هذه العلاقة الاولية ؟ من أين نبدأ ؟ وفي اثناء عملنا كيف يمكن ان نرى العلاقة والسمات في عملها في ميدان التطبيق العملي ؟ ان أهمية هذا التحديد ينبع من انه يصبح مرشدا نظريا واضحا للقوى الذاتية الطليعية لرسم سياساتها ولخوض نضالاتها .

محمود سويد : في تقديري اننا ونحن نحاول استلهام دروس التجربة الفيتنامية في الصراع العربي الاسرائيلي ، لا بد من القاء نظرة على الوضع العربي الراهن الذي تستلهم فيه مثل هذه الدروس . الظرف العربي الراهن يتصف — برأيي — بالسمات التالية : او الخريطة السياسية للوطن العربي حاليا هي على الشكل التالي : (أ) أنظمة رجعية تدور في فلك الامبريالية العالمية ومتواطئة معها ، استفادت من النصر الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ونتائجه باستعادة الكثير من مواقعها على حساب الانظمة التي كانت تسمى تقدمية ثم متقدمة ، وعلى حساب حركة التحرر العربي . (ب) أنظمة بورجوازية دولية فشلت في انجاز مهمات الثورة الديمقراطية ، بعضها قطع في تراجعه شوطا بعيدا في تجديد الانخراط بالعلاقات الامبريالية والتعايش مع الانظمة الرجعية في المنطقة ، وتصفية الصراع مع الطبقات القديمة في مجتمعاته، والاستسلام لشروط السلم الاميركي — الاسرائيلي. وبعضها الاخر يشكل حاجزا بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية في اقطاره ويتصرف على اساس انه البديل عن تفاعل وتضامن هذه الجماهير مع المقاومة . (ج) حركة تحرر عربية بعضها ينتمي الى الانظمة ويلتزم ببرامجها ، وبعضها الاخر لم يستطع ان يثبت قدرته على حمل مصالح الجماهير وادعاء تمثيلها ، وبعضها الثالث يحمل السلاح ويقاتل في أماكن مختلفة من الوطن العربي . وحركة التحرر العربية بمجملها ضعيفة ومفككة تعيش على صمود حركة المقاومة وانتصاراتها ولا يفيد في معالجة ازمتها تغير اسمها من مساندة الى مشاركة . (د) نهوض الشعب الفلسطيني بقيادة ثورته المسلحة كحلقة مركزية في نضال قوى التحرر العربي وصمودها في هذه المرحلة . هذا الظرف العربي يحيط به ظرف اقليمي ، محور يطوق حركة التحرر العربي ، يمتد من السعودية الى اسرائيل فالاردن فتركيا فايران في المشرق العربي فأثيوبيا في شرق افريقيا . تحتل اسرائيل مركز الثقل في هذا المحور في الشرق العربي وتحتل ايران مركز الثقل في الخليج . على الصعيد الدولي : الظرف الدولي : فشل الطريق اللارأسمالي الى الاشتراكية الذي شكل محور العلاقة بين انظمة عسكرية وطنية وبين الاتحاد السوفياتي في آسيا وافريقيا في المرحلة السابقة . واقترن ذلك في

السنوات الاخيرة بانتصارات حققها مبدأ « نيكسون » ضد قوى التحرر في آسيا وافريقيا بشكل خاص . وضع مريح للولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، على عكس فيتنام ، أي عدم حاجتها الى التدخل العسكري المباشر نتيجة كفاءة اسرائيل وقدرتها على استيعاب التقدم العسكري الاميركي . ونتيجة عجز الوضع العربي بالطبع . وتأكيدا لهذا الوضع يلاحظ في الاونة الاخيرة سعي الولايات المتحدة واجهزة الاعلام الصهيونية للافادة من ازمة الطاقة العالمية ومحاولة افتعال مسألة نقل الاهتمام العالمي من صراع عربي — اسرائيلي الى صراع في الخليج . يتسم الظرف الدولي الذي يدور فيه الصراع العربي — الاسرائيلي ايضا بنمو العلاقات التجارية والاقتصادية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وقطع خطوات وأشواط متقدمة على صعيد التعايش السلمي انطلاقا من علاقات من هذا النوع . ثم دخول الصين الشعبية الامم المتحدة والعلاقات مع الولايات المتحدة وتأثير كل ذلك على سياسة الصين الخارجية . في ظل هذه الظروف العربية والدولية يدور الصراع العربي — الاسرائيلي . ماذا تفيد حركة التحرر العربي والفلسطينية من التجربة الفيتنامية ؟ في اعتقادي ان المرحلة التي وصلت اليها حركة التحرر العربي تطرح قضايا الحزب والجبهة والتعبئة الجماهيرية الثورية بأفق حرب الشعب الطويلة المدى . وهي قضايا مطروحة على صعيد المقاومة الفلسطينية من جهة وعلى صعيد حركة التحرر العربي من جهة ثانية . كذلك هناك الخط المستقل والملتزم اساسا بالماركسية اللينينية ، والممثل لمصلحة الثورة العربية على اساس ان ما تنجزه هذه الثورة يشكل مساهمتها بالثورة العالمية . أي ان قيمة أي موقف من الخلافات النظرية والسياسية داخل المعسكر الاشتراكي تتحدد من موقع الثورة العربية في معسكر قوى التحرر العالمي ومن مساهمتها في هذا المعسكر، وانطلاقا من ان مصلحة الثورة العربية هي في الصراع ضد قوى امبريالية وعميلة من جهة وبين جماهير مقهورة ومستغلة واوطان محتلة من جهة اخرى . ثم هناك درس آخر هو الاعتماد على القوة الذاتية الذي يحدد قيمة المساعدات الخارجية ويحسن توظيفها وفي هذا الصدد يمكن الاشارة الى النموذج المصري، اي المعونات الخارجية السوفياتية، التي بغياب العامل الداخلي لم تستطع ان تحول فعلا المجتمع المصري الى الطريق الاشتراكي ولم تستطع ان تحقق التحرر الوطني . وينبغي بالتالي ، اعتبار العامل الذاتي هو العامل الاساسي في معركة التحرر الوطني وطريق التحول الى الاشتراكية . ولا بد هنا طبعا من الاشارة الى ما عناه النظام المصري في الحديث عن الاعتماد على العامل الذاتي وتعارض ذلك مع ما يعنيه الاعتماد على العامل الذاتي والقوى الداخلية في التجربة الفيتنامية . لذلك لا يمكن ان يكون معنى الاعتماد على القوى الذاتية طرد المساعدات السوفياتية وتصفية القوى الوطنية بدلا من تعبئة الجماهير لحرب شعبية طويلة المدى.ولا بد من أن نلاحظ في رؤيتنا للواقع العربي الراهن ازدياد وتصاعد موجة القمع للحركة الجماهيرية المترافق مع الخطوات الاستسلامية . هذا التصاعد يستدعي تمرس فصائل الحركة الجماهيرية العربية بأشكال نضال متقدمة على الاشكال التي تمارس من سياسية واعلامية وتظاهرات شعبية الى تنظيم عمل مسلح ومتسع على غرار الثورة الفلسطينية وثورة ظفار ، وهي النماذج القائمة في المنطقة العربية .

وأود ان اشير اخيرا الى انه في هذا الوضع لا بد من رؤية ما احدثه نهوض الشعب الفلسطيني المسلح والثورة الفلسطينية — بالرغم من كل عوامل الضعف التي تعاني منها — وعلى الرغم من كل عوامل القوة التي تتمتع بها اسرائيل . لا بد من ملاحظة ان اسرائيل تقع هي الاخرى في مأزق تاريخي ، وهذا المأزق التاريخي يتمثل بأنها تواجه مشكلة المسألة الوطنية للشعب الفلسطيني سواء في حالة الحرب او في حالة السلم . اذا انتهت المنطقة العربية مرحليا او حاليا الى نوع من الاستسلام المتمثل في التسويات السلمية المطروحة فان ذلك لا يؤدي الى انقاذ اسرائيل من مأزقها الفعلي بمواجهة

الشعب الفلسطيني المسلح وحركة التحرر العربي النامية . كذلك اذا استمر المأزق العربي الراهن ولم تتوصل الانظمة العربية الى الحل السلمي الذي تنشده فان اسرائيل تواجه ايضا مأزقها التاريخي هذا . وهي تواجه هذا المأزق سواء ضمت اليها المناطق المحتلة بالجماهير العربية الفلسطينية فيها او تخلت عن هذه المناطق لتنضم من جديد الى مملكة حسين او تشكل دولة فلسطينية . في كل هذه الحالات تواجه اسرائيل في الحقيقة مأزقها التاريخي بقيام ونهوض الشعب الفلسطيني المسلح وحتمية تفجر التناقضات التي ينطوي عليها الوضع العربي لمصلحة قوى التحرر العربي بالتحليل الاخير .

محمد كشلي : فيما يسمى بالشعار المقارن بـ « هانوي عربية » أي شروط انتصار المقاومة الفلسطينية بالمقارنة بالوضع الفيتنامي الجنوبي والشمالي من خلال الوضع العربي الراهن . بتقديري هذه المقارنة بحاجة الى دراسة المعنى التاريخي لشعار « هانوي عربية » او لعلاقة الثورة الفلسطينية بالوضع العربي . الملاحظة التاريخية الاساسية ان هزيمة حزيران لم تكن بالطبع ـ وهذا اعتراف معظم الافكار ـ لم تكن هزيمة عسكرية ، بل كانت هزيمة لكل الهياكل التي كانت تقف خلف الحرب وخلف الناحية العسكرية . اذا درسناها بعمق سنلاحظ ان المسألة الاساسية تتعلق بـان طريق البناء الرأسمالي الاقتصادي للوضع العربي فشلت في المرحلة التاريخية . المرحلة الاولى التي حاولت فيها البورجوازية التصنيع ورافق هذه المحاولة نوع من البرلمانية للاحزاب الحاكمة نفسها ، فشلت ، وحاولت اجهزة عسكرية وتكنوقراطية ، أي جهاز الدولة نفسه ان يقيم تنمية رأسمالية رافضا الطريق السياسي للبورجوازية ولكن بنفس الاهداف التي كانت تريدها البورجوازية وعجزت عن تحقيقها ... أي ان حتى ما يطلق عليه الان بالحريات الديمقراطية للجماهير ـ وهذا الشعار يتردد الان من المغرب حتى الخليج ـ الذي يرتبط بالمسألة الوطنية ... أي الانجاز الليبرالي للبورجوازية لم يتحقق للجماهير حتى الان ، لا على يد البورجوازية ما قبل الانقلابات العسكرية ولا على أيدي المحاولة الاجتماعية ـ الاقتصادية الاخيرة . فالمرحلة الحالية للقضية الفلسطينية التي ظهرت بعد هزيمة الخامس من حزيران يتضح أكثر فأكثر ان علاقتها بالصراع الداخلي العربي ، يعني الصراع الذي ينفجر والتناقضات التي تتفجر الان احيانا بعمق واحيانا مضمورة ... تتفجر بأثر الهزيمة نفسها في كل بلد عربي مربوطة بما عجزت البورجوازيات العربية عن تحقيقه وهي انجازاتها التاريخية : الديمقراطية السياسية للجماهير ، التصنيع الخ... كل الانجازات التي انجزتها البورجوازية الاوروبية على صعيد التحرر العقلي والتخلص من الذهنيات الاقطاعية الخ ... هذه المهمات التي تعتبر مهمات بعيدة نجد انفسنا في كل مرحلة نقترب من المأزق لمجابهة اسرائيل ان الثورة الفلسطينية والنهوض الوطني الفلسطيني المسلح مرتبط فعليا بها وبمدى يقظة الجماهير العربية السياسية اي قدرتها على التحرك السياسي والاجتماعي في داخل كل بلد عربي ، وهذا التحرر له اصعدة مختلفة تبرز في كل مرحلة حسب طبيعة النضال التي تخوضه الحركات الجماهيرية . لذلك مثلا نلاحظ الان ان الرد على المأزق بين التسوية السلمية وبين النهوض الفلسطيني المسلح هو شعار الحريات الديمقراطية للجماهير . هذا الشعار يمثل المأزق والهوة التي تقع في العلاقة بين الثورة الفلسطينية وبين التغيرات الداخلية التي تفجرها الطاقات الشعبية ما بعد الخامس من حزيران (يونيو) . أي ان التغير الداخلي والصراع الداخلي في كل بلد عربي مرهون بالنهوض الوطني الفلسطيني ، وبنفس الوقت فأن النهوض الوطني الفلسطيني ليس له افق الا بمقدار ما تفجره الصراعات الاجتماعية والجماهيرية في كل بلد عربي على صعيد تغيير وضعها وتغيير تكوينها وبروز حركات سياسية تعبر عنها . أتصور هذه المرحلة المعقدة في معناها التاريخي ، هي التي تشكل الان عقدة الموقف العربي تجاه ما يسمى بالعجز

العربي عن مجابهة اسرائيل وبالحل السلمي وبغير هذه المشاريع ، وحتى بمشاريع ترتبط بالشعب الفلسطيني نفسه كالدولة الفلسطينية . اي ان نهوض الشعب الفلسطيني الوطني في مقياسه التاريخي مرهون بمقدار علاقته العضوية بالتغييرات التي لا بد ان تحدث داخل كل بلد عربي سواء وقعت التسوية السلمية او لم تقع ! اذا وقعت التسوية السلمية ستصطدم الطبقات الحاكمة بازماتها الداخلية الاقتصادية والاجتماعية وتناقضاتها الطبقية الموجودة فيها ، واذا لم تقع التسوية ، سترى ان التناقضات الداخلية ستنفجر باستمرار على أرض المسألة الوطنية نفسها ، اي على العجز عن تحرير الارض المحتلة .

منير شفيق : لي ملاحظة على كلام الاخ محمد كشلي ، طبعا من طرحه للموضوع يبدو انه متفق مع الطرح الذي قلت به حول العلاقة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ولكن في الواقع هنالك نقطة خلاف . نقطة الخلاف هذه هي أن نهوض الشعب الفلسطيني او بقاء الثورة الفلسطينية واستمرارها وعملية الاستمرار في معركة التحرير ضد العدو الصهيوني اذا كانت تشكل الشرط لاحداث تغييرات ثورية في الوضع العربي، وهذه بدورها تشكل شرطا لبقاء واستمرار الثورة الفلسطينية وتشكل شرطا لتحويل المعركة من معركة بين الشعب الفلسطيني او الثورة الفلسطينية والعدو الصهيوني الى معركة على المستوى القومي بين الجماهير العربية والثورة العربية من جهة وبين العدو الصهيوني والامبريالية العالمية والقوى المضادة للثورة من جهة اخرى . الا ان التغيرات التي تحدث في الوطن العربي هي أيضا مشروطة ان تكون باتجاه استراتيجية المعركة ضد العدو القومي . يعني ان المسألة ليست مجرد تفجير الصراعات او تفجير الصراعات واسقاط طبقات مستغلة واعطاء ديمقراطية للجماهير يمكن أن يكون هو الشرط ان لم يكن مربوطا باستراتيجية وبرنامج استمرار المعركة ضد العدو القومي . اهمية هذه الملاحظة هي في التطبيق العملي وفي البناء النظري والتنظيمي وفي الاستراتيجية والتكتيك وقضايا البرنامج الخ ...

السؤال الاهم هو حين تستطيع الثورة العربية ان تنجز احدى مهامها في هذا القطر العربي او ذاك ، هل ستتحول الى محاولة بناء « ثورية » لهذا القطر بما في ذلك التنمية الاقتصادية على أشكال محددة. ام ستخضع كل اجراءاتها وترتيباتها وسياساتها من أجل الاستمرار في دخول المعركة ضد العدو القومي، يعني هل سيرتبط كل ما سيحدث في هذه الاوضاع العربية لخدمة الاستمرار في المعركة ام ستأخذ اتجاهات اخرى ؟ النقطة هنا تعني تماما ان الثورة العربية في هذه الحالة لن تواجه مسألة اقامة دويلات «اشتراكية» في هذا الاقليم او ذاك ، وانما تصبح المسألة مسألة بناء قاعدة محررة للثورة العربية ككل وتشارك في صدام مباشر وتضع كل امكانياتها وكل ترتيباتها من أجل الاستمرار في القتال ولخدمة هذه المعركة. هناك سؤال اريد ان أسأله للاخوان اذا ممكن حول قضية الدروس المستقاة من تجربة فيتنام : هل يمكن اعتبار تجربة فيتنام انها اضافت شيئا جديدا الى السمات العامة المستقاة من التجارب الثورية ، العالمية ؟ واذا كان ذلك قد حدث فما هي هذه السمات ؟

المقدم الهيثم الايوبي : بالنسبة لسؤال الاخ منير فهذا موجود في دراسة الاخ ناجي علوش ، لقد ضمن دراسته الدروس التي اضافتها الثورة الفيتنامية على الصعيد السياسي وعلى صعيد التكتيك والاستراتيجية وعلى صعيد الاستخبارات والشؤون الادارية وقضايا الامداد والتموين الخ .

منير شفيق : لتوضيح سؤالي : يلاحظ تماما عندما نتحدث عن الدروس انه باستطاعة شعب متخلف ان ينتصر على قوة امبريالية متفوقة ، مقدرة حرب الشعب بتعبئة وتفجير طاقات الشعب لكي تواجه اعلى اشكال التعبئة . كذلك مثلا اهمية الحزب ، الجبهة

العريضة ، قضية عزل العدو ، قضية العمل في المجال العالمي قضية السياسة الصحيحة ، الخ... كل هذه القضايا التي وضعت على انها سمات أساسية للثورة الفيتنامية هل تخرج عن السمات العامة للثورة المسلحة عموما وللسمات العامة للثورة المسلحة التي تأخذ صفة حرب الشعب طويلة الامد .

داود تلحمي : سأتكلم عن نقطة تعرض لها الاخ محمد كشلي بالنسبة للوضع العربي والوضع الفيتنامي بصدد كلامه عن عدم نجاح البورجوازية العربية في تحقيق وانجاز أي تقدم اقتصادي حقيقي او في تحقيق الديمقراطية اللبرالية على مستوى الحريات البرجوازية . اذا قارنا الوضع الفيتنامي وقارناه بالواقع الفلسطيني مثلا او الاوضاع العربية نرى ان الوضع الفيتنامي يتميز بأنه كان وضعا اقطاعيا استعماريا ، اقطاعيا واقعا تحت سيطرة استعمارية اعني أن فيتنام كانت تركيبتها الاجتماعية تركيبة اقطاعية لم يمسها بشكل جوهري دخول الاستعمار الفرنسي لتطويرها اقتصاديا لمستوى اعلى . طبعا الوضع الفلسطيني بحكم الاجلاء وبحكم توزيع الفلسطينيين على أكثر من بلد وضع معقد . أصبح الشعب الفلسطيني في المنطقة المحتلة في ظل وضع استعماري، رأسمالي بحكم طبيعة اسرائيل — رأسمالي مرتبط بالامبريالية مع كل تعقيدات وخصوصيات الرأسمالية الاسرائيلية اذا صح هذا التعبير — والجزء الاخر متوزع بين دول عربية تعاني وتعيش في اوضاع متراوحة ما بين الاقطاع وحتى البداوة المتخلفة ، كما هو الحال في الاردن وما بين برجوازية الدولة وبين التصنيفات التي ذكرها الاخ محمد سويد وبين تعايش الاقطاع الطائفي والاقطاع الاقتصادي والديمقراطية الشكلية ، كما يحدث في لبنان . هنا يطرح سؤال : هل بالفعل ، والتجربة الفيتنامية طبعا اجابت على هذا السؤال — هل بالفعل نحن بحاجة الى المرور بمرحلة البورجوازية الليبرالية ، او هل حتى نحن بالامكان ان نمر بهذه المرحلة حتى في ظروفنا الحالية ؟ التجربة الفيتنامية كانت تجربة انتقال من مرحلة ما قبل الراسمالية — مرحلة اقطاع ، الى مرحلة بناء الاشتراكية ، على الاقل في الجزء الشمالي لفيتنام . وكل الدراسات والمعلومات قد أثبتت انها نجاح كبير . الوضع العربي . معظم الدول العربية الان ممكن أن تقول أنها افسدت من قبل الاستعمار ، اي حاول الاستعمار ، في معظم الدول العربية ان يدخل عليها نوعا من التطور الشبه بورجوازي الذي هو في الواقع في ظل السيطرة الامبريالية على السوق العالمية لا يمكن ان يكون بورجوازيا وطنيا لا يمكن الا ان يكون مرتبطا بشكل من الاشكال بالاستعمار الجديد . بعد نمو الرأسمالية اليابانية لم تنم هناك ، خارج اوروبا واميركا الشمالية ، بورجوازية وطنية حقيقية ، لم تنم هناك ، رأسمالية حقيقية مستقلة في اي من دول العالم الثالث واي محاولة لتطور بورجوازي رأسمالي كلاسيكي، كما يحدث في البرازيل مثلا ، تنتهي في النهاية الى عودة في ركاب الاستعمار الجديد بحكم دخول رؤوس الاموال الاجنبية. هنا يطرح علينا، ليس في حالة فلسطين، لان الواقع كما ذكرت معقد ، لكن في حالة الدول الاكثر تخلفا في العالم العربي مثل الخليج وجنوب الجزيرة العربية ، امكانية الانتقال من مراحل ما قبل الاقطاع ، أي مراحل البداوة الى مرحلة البناء الاشتراكي . هنا تجربة كتجربة اليمن الجنوبية قد تكون معنية في هذه الناحية . نقطة اخرى احببت ان أتكلم عنها بصدد الكلام حول طابع الاستيطان الاسرائيلي وطابع الاسكان الاسرائيلي ، الذي بدأ بالتطرق اليه الاخ تحسين بشير . لقد رفضت المقاومة فكرة الامة الاسرائيلية التي لها في النهاية نتائج: وهي الاعتراف بحق تقرير المصير لهذه الامة على ارضية معينة . بالمقابل ، اليهود الاسرائيليين لا يمكن ان يشبهوا — بالمقارنة مع فيتنام — بجيش غزو ، كالجيش الاميركي . ولا يمكن ان يشبهوا حتى بالمستوطنين الفرنسيين في الجزائر ، الذين بلغوا المليون وبقوا مئة وخمسين عاما، لكنهم كانوا مرتبطين « بأرض أم » كانت في النهاية ملجأ لهم . يبقى وضع اليهود والاسرائيليين وضع مميز . هم مرتبطون « بوطن أم » (في نظرهم) دون حدود جغرافية

الذي هو المجموعة اليهودية العالمية التي يحاولون استقطابها لهذه الارض ، ولكن في النهاية لهم الان شعور ذاتي بانهم منغرسون في هذه الارض التي يقيمون عليها ، هذا بالنسبة لنا ، لا يعني بالطبع الاعتراف من طرفنا بالحق لهم بهذا الشعور ، انما من باب الواقعية الثورية في وضع خطة او استراتيجية تحرير ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار هذا الشعور الذاتي عند العدو وبالتالي استعداده الاقوى من استعداد الجنود الاميركيين في فيتنام للدفاع عن وجوده البشري في فلسطين وبالتالي ، الحاجة من قبلنا الى تحليل المجتمع الاسرائيلي كما هو للاخذ بعين الاعتبار التناقضات التي قد تنشأ ليس من تلقاء نفسها نظرا لارتباط اسرائيل اقتصاديا بعجلة الامبريالية العالمية انما بالضغط العسكري الفلسطيني والعربي . اعني انه لن تبرز التناقضات الاسرائيلية ، ولن تتطور ولن تشكل خطرا على الوجود وعلى الوحدة الاسرائيلية وعلى هيمنة الايديولوجية الصهيونية على اليهود الاسرائيليين الا بوجود ضغط عسكري فلسطيني وعربي يهدد الكيان الاسرائيلي يرافقه توجه سياسي ثوري للافراد . هذا طبعا لاستكمال هذه النقطة . نقطة اخيرة ، احب أن اشير لها في معرض الكلام عن التجربة الفيتنامية ولم يشر لها هي بتقديري : **اهمية القيادة** . طبعا تكلمنا عن دور الحزب والجبهة انما اقصد اكثر من ذلك اهمية القيادة كافراد ، عنصر الافراد القياديين . لقد توفرت في فيتنام قيادات من نوع تاريخي ، « هوشي منه » مثلا ليس قائدا عاديا ، هو قائد تاريخي . جياب ليس استراتيجيا عسكريا عاديا ، هو عسكري استراتيجي من كبار الاستراتيجيين الذين انجبهم علم الحرب خلال القرون الاخيرة هذا باعتراف اعداء الشعب الفيتنامي نفسه . فالعنصر الذاتي في التجربة الفيتنامية هو عنصر مهم ولا بد من توفره كذلك مع الشروط الاخرى التي هي طبعا حيوية جدا في المنطقة العربية ، الشروط التي تكلمنا عنها في كل كلامنا السابق .

تحسين بشير : اجد اننا نعيش الان في بحر من الاسئلة ، بعد هذه المناقشة ، لقد ابتدأ الاخ منير مجموعة من الاسئلة الجيدة . الاخ داود أكمل عليها . ولكن يتردد في رأسي : لماذا لم تتمكن البورجوازية العربية من أن تكون على درجة من الكفاءة الموازية للبورجوازية الصهيونية لتتمكن من الانتصار عليها او حتى ردعها او حتى الحد منها ؟ لماذا لم تتمكن الثورة الفلسطينية تخطي الكثير من العقبات ؟ لماذا لم نتعلم سياسيا واجتماعيا من هزيمة ١٩٦٧ ونكون جيشا تكوينه مختلف وتفكيره مختلف ؟ لماذا اذهب للجزائر مثلا ، فيقول لي احد المجاهدين القدماء ، احنا حاربنا وقهرنا فرنسا ، عملنا حرب شعبية وانتم في فلسطين او في المشرق لا تريدون ان تتعلموا . ومع ذلك اجد منطلقات تؤخذ بشكل اتوماتيكي . كان كل عربي يجد في التحرير قضيته الاولى ، في حين اجد اولويات مختلفة وتفكير مختلف . المجاهد الجزائري يعتقد انه قد مارس حرب شعبية ونجح فيها وانه الان يدخل مراحل البناء الاشتراكي كما يتصوره . بالنسبة له في الجزائر ، مشكلة فلسطين هذه هي مشكلة يتعاطف معها دينيا — وقوميا بحد اقل — ولكنها مشكلة هناك في فلسطين وعندكم في مصر وبعيدة . كثرت التساؤلات في رأسي ، والواقع نتيجة هذه التساؤلات كيف لم نتمكن سواء الاشتراكيون وسواء الاشتراكيون المنادون بالحرب الشعبية وسواء المثقفون الثوريون وسواء الثوريون غير المثقفين ، ان نحول هذه الاراء التي من ١٩٦٧ الى الان اصبحت كلاما يعاد يوميا في المقاهي ، الى قيم جديدة حية وتطبيق حي . هذه هي التساؤلات التي خرجت فيها . ولعل هذه التساؤلات بالممارسة الحقيقية سيجيب عليها الجيل الحالي او الجيل القادم بشكل اكثر ايجابية . ولكن ارجو ان اعلق تعليقا بسيطا على آراء الاخ الهيثم العسكرية ، وهذا يتعلق بمسألة ما هو النصر وما هي الهزيمة . الثورة الفيتنامية قدرة . كثيرون سيقولون ان اتفاقية وقف اطلاق النار هذه ليست نصرا . هي تغيير النزاع ، مرحلة النزاع اخذت شكلا اخر ، وهذه الولايات المتحدة على علاقات طيبة مع الاتحاد السوفياتي والصين . قد يكون

هذا صحيحا ولكن لا شك ان الموقف في الهند الصينية قد تغير كذلك ، وأساس هـذا التغيير هو تطبيق معنى النصر في فيتنام . ان الهزيمة والنصر لا يقاسان باحتلال القاهرة او بيروت او كل الارض الفلسطينية . انما النصر هو ان تصل بعدوك الى مرحلة يشعر فيها شعورا نفسيا بأن مواصلة النزاع عن طريق الكفاح المسلح لا فائدة منها . ومن هنا قدرة الفيتناميين على اشغال الاميركيين في السنتين الاخيرتين من النزاع المسلح ضدهم. مهما زادت عدد القنابل او الغارات الجوية او الالغام فلن تؤدي الى نصر اميركا . ولعل العرب او بعض الجيوش والشعوب يتعلمون من تحديد معنى النصر هذا ، على الاقل في معناه الادنى ، وهو الاستمرار في الكفاح على أن يكون هذا الكفاح ، واضح الهدف لنا وللعدو الذي نحن نكافح ضده . وهل هو قادر على استقطاب ليس فقط شعوبنـا بل قادر على استقطاب شعوب العالم وتفتيت وتجزئة القوى المعادية .

محمود سويد : تعليق فقط على افتراض الاخ منير قيام دويلات اشتراكية بصرف النظر عن المسألة القومية . في اعتقادي ان اسرائيل بعد ٦٧ اجابت عن هذا السؤال برفـع مستوى تدخلها في المنطقة العربية وتشكيل نوع من بوليس يلاحق التجارب العربيـة حيثما ينبغي ان يتدخل ، ونموذجا الاردن ولبنان يشيران على وجه التحديد الى مستوى التدخل الاسرائيلي في المنطقة . لو كان هناك أي أمل للمقاومة الفلسطينية في أن تنتصر في الاردن لتدخلت اسرائيل ولتدخلت الولايات المتحدة واحتلت الاردن وكذلك لـو كان هناك أي امكان لقيام حكم وطني ديمقراطي ملتحم مع المقاومة الفلسطينية في لبنان . تعتبر اسرائيل ، بعد ٦٧ ، ان المعنى الرئيسي لانتصارها ، وهذا هو معنى اصرارها على المفاوضات المباشرة وعلى السلم الكامل ، هو تقاسم الثروات في المنطقة العربية مـع الولايات المتحدة والامبريالية العالمية والانظمة الرجعية وهذا هو بالضبط مـا تعنيه اسرائيل عندما تعلن باستمرار انها هي التي تشكل العامل الرئيسي في مساعدة الولايات المتحدة على حماية الانظمة التابعة لها في المنطقة العربية . هذا من جهة ومن جهة ثانية لا بد من سؤال اخر هو أية أنظمة تبني الاشتراكية ؟ هل هناك فعلا امكان بنـاء الاشتراكية بصرف النظر عن مسألة التحرر القومي ؟ هل هناك مثلا امكان تجاهل تجارب المنطقة العربية نفسها في مسألة بناء الاشتراكية ؟ الم يكن فشل هذه الانظمة في حل المسألة القومية مساويا لفشلها في حل المسألة الاجتماعية اي بناء الاشتراكية . وبالتالي هذا يطرح مسألة من يقود معركة التحرير ؟ ومن يقود في الوقت نفسه معركة بنـاء الاشتراكية ؟ اكثرية فلاحية في المنطقة العربية على غرار الاكثرية الفلاحية في فيتنـام يقودها في فيتنام حزب الطبقة العاملة المسلح بالنظرية الماركسية ــ اللينينية . هل هذه هي فعلاً ــ المسألة الرئيسية في المنطقة العربية ــ بعد كل التجارب التي عرفتهـا هذه المنطقة ؟

منير شفيق : ملاحظة على ملاحظات ... الاخ محمود سويد : اولا صحيح ان مسألة التدخل الاسرائيلي مسألة واردة تماما لضرب أية حركة تهدف الى احداث تغيير داخل الارض العربية . هذا بالضبط ما قصدته من أن أي تغيير ثوري حقيقي سيتخذ له مكانا على الارض العربية لا بد من ان يتحول الى قاعدة محررة تواجه العدو الصهيوني في معركة دائمة ، تأخذ على عاتقها مهمة القتال ضد العدو ، ولكن رغم ذلك فان هذا لا يعني احتمالات الانحراف الاقليمي وخاصة من قبل قوى تتشكل الان في الارض العربية، يمكن أن تصل الى الحكم ثم تعقد معاهدات مع دول كبرى وتفرض نوعا من المساومة مع العدو الصهيوني والمهادنة في مقابل ان تلجأ الى محاولة بناء داخلي اقليمي . لذلك من الخطأ ان نترك المسألة فقط على أساس ان في التطور الواقعي للاحداث لا يمكن ان يحدث مثل هذا الارتداد الاقليمي ، خاصة وان الكثير من القوى والمنظمات المشكلة الان في البلاد العربية لا تضع قضية تحرير فلسطين وقضية القتال ضد العدو الصهيوني على رأس مهامها وانما تضع القضية على أساس دعم الثورة الفلسطينية ومساندة الثورة

الفلسطينية وهذا يعني ان كل تركيبها الداخلي وتعبئتها السياسية سواء للجماهير التي تعمل بينها او لتنظيمها هي ليست باتجاه القتال . هنا يصبح السؤال هل هذه الانظمة او هذه القوى عندما تصبح انظمة هل ستتحول الى مقاتلة أم أن قضية القتال ومسألة اعتبار قضية فلسطين على رأس مهماتها ليس فقط لاستراتيجية بعيدة المدى وانما أيضا على المستوى التكتيكي لنضالها اليومي . هل هذا هو ما سيحدث ام العكس ؟ من هذا المنطلق يمكن التحديد منذ البداية : كيف يمكن لحركة تقوم على أساس تقديم الوعود الطويلة العريضة لجماهيرها انها سوف تحل كل مشاكلها الاقتصادية وانها سوف ترفع مستواها المعيشي الى درجات أعلى فأعلى وتتعد بالتصنيع وتعد وتعد ... ثم تقول أنها ستدخل الحرب . اتصور ان مبدأ واساس التحريض السياسي والبنـــاء التعبوي للجماهير العربية وبخاصة للطلائع الثورية يجب ان يكون منذ البداية مكرسا باتجـاه أن امامنا عدو قومي يهدد امننا القومي ويهدد أمن الثورة العربية كلها ومستقبلهـا وبالتالي ومنذ البداية لا مناص من مواجهة الحرب معه والتهيئة لتعبئة كل القوى وترتيب كل الامور معنويا وتنظيميا وماديا لمواجهة هذه الحقيقة .

المقدم الهيثم الايوبي : كتلخيص للندوة ، وسيكون التلخيص ردا على سؤال الاخ منير شفيق السؤال هو هل أضافت الثورة الفيتنامية شيئا الى اسس الحرب الشعبية ؟ هل ابتدعتها ؟ هل هي سماتها ؟ ام ان هذه هي سمات الحرب الثورية بصورة عـامة ؟ الحقيقة ان الحرب الثورية طويلة الامد ضد الحرب المضادة طويلة الامد هي حرب ذات قوانين معروفة مبنية على التعبئة السياسية ، التعبئة الجماهيرية ، القيادة الواعية ، التلاحم مع الجماهير ، تشتيت العدو على الصعيد الاستراتيجي ، ثم التركيز في المجالات التكتيكية لضربه ثم التبعثر ثانية الخ ... ان قوانين الحرب الثورية في العالم واحدة . ومنذ ان اندلعت الحروب الثورية في العالم وهذه القوانين تطبق بشكل او بآخر . ولقد طبقت في الاتحاد السوفياتي خلال حرب التدخل ، وطبقت في الصين ، وطبقت في كوبا وطبقت في فيتنـــام الخ ... ولكن في كل بلد من هذه البلدان كانت تطبق مـــع أخذ الخصائص البشرية والجغرافية والايديولوجية بعين الاعتبار وادخال بعض التعديلات على القوانين الرئيسية التي تبقى هي قوانين الحرب الثورية الرئيسية . ما يمكن ان نقوله ردا على هذا السؤال وكتلخيص هو أن الثورة الفيتنامية التي انتصرت وقدمت مثالا ناجحا عن الحرب الثورية في عصرنا هذا قد طبقت قوانين الحرب الثورية بابداع مع اسهام خلاق في فهم هذه القوانين وتطبيقها على معطيات المعركة ، ســـواء المتعلقة بالصديق او المتعلقة بالعدو او المتعلقة بالارض او المتعلقة بطبيعة النزاع العالمي واكبر درس تقدمه لنا الثورة الفيتنامية هو ضرورة فهم قوانين الثورة ، ودراسة جميع معطيات صراعنا والعوامل المؤثرة فيه وتطبيق قوانين الثورة وقواعدها علـــى هذه المعطيات والعوامل مع كثير من الابداع والمرونة والروح الخلاقة .

نقد المقاومة الفلسطينية ...
وموضوعة الحزب والنظرية الثوريين

سعيد جواد

الحزب الثوري أم المقاومة المسلحة أولا ؟ هذا السؤال الكبير قفز الى المقدمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكانت الاجابة عليه من أبرز المعضلات التي واجهت حركة التحرر الوطني الفلسطينية . ولقد استأثرت هذه المعضلة بأوسع الحوارات وأكثرها أهمية حول طبيعة العلاقة بين المقاومة المسلحة والحزب ، وأي المهمتين تتقدم على الاخرى . وبتصاعد حركة المقاومة وتأكيد حضورها وفاعليتها العسكرية والسياسية كنتيجة حتمية للظروف التي خلقتها هزيمة حزيران وانهيار الانظمة والجيوش المهزومة **ارتدت الى الوراء موضوعة اسبقية الحزب الذي يقود المقاومة المسلحة** ، لتقدم الموجة الثورية الصاعدة جوابا للمناقشات النظرية حول هذه المسألة وتحسمها . عندها ، صعدت موضوعة **بناء الحزب الثوري من خلال تصعيد وتعميق حركة المقاومة المسلحة** واكتسابها مضامين طبقية وفكرية متقدمة .

الا أن نكسة معارك أيلول و**الردة الايديولوجية التي أعقبتها** ، ولا تزال ، وعلى امتداد فصول الانحسار المؤقت — **وهذا ليس جديدا في تاريخ الثورات** — جعلت أصوات عشرات المثقفين البرجوازيين **ومن مواقع مختلفة** ترتفع بدءا من « اطروحات » الياس مرقص حول فشل المقاومة وحرب الشعب واستبدالها بدور الجيوش العربية النظامية ، مرورا بكتابات العفيف الاخضر عن المجالس العمالية التي تقفز من فوق حاضر حركة المقاومة وواقعها وشروطها الشديدة الخصوصية ، وهي في الوقت نفسه تستنكف عن الخوض بالمعضلات الجدية الآنية التي تواجهها ومرورا كذلك بجميع العناصر التي « تدعي » الماركسية ، بعد ان وضعت نفسها خارج حركة المقاومة ، ونصبت من نفسها وصية عليها ، وأخيرا محاولة صادق العظم « النقدية » التي لن تكون الاخيرة . وهذه المحاولة رغم طابعها العام كمحاولة تقييم نقدية، **وانطلاقها من مواقع مختلفة عن الكثير مما سبقها** ، واتسامها بقدر من الموضوعية في نقد بعض الظواهر المرضية التي رافقت حركة المقاومة ، الا ان انتقائيتها الصارخة ، والنتائج العملية التي تترتب على استنتاجاتها النهائية (والعبرة بالنتائج) **يجعلها تلتقي مع جميع المحاولات التي سبقتها** ، وتحديدا هي تلتقي معها في **اعدام الفصول الحاضرة من هذه المرحلة التاريخية** . وهذه الفصول ستترك آثارها الواضحة والعميقة ، ليس على حركة التحرر الوطني الفلسطينية فحسب ، بل على مجمل حركة التحرر الوطني العربية بفصائلها الديمقراطية والثورية ومستقبلها .

ان ما يميز هذه المحاولة هو : (١) ربطها التعسفي بين **خسارة معركة ، ونهاية دور قيادة سياسية** وطنية ذات طبيعة ومهام طبقية وفكرية محددة **لا تزال في مواقع وأشكال نضالية ثورية** تجعلها تحتفظ بكامل شروط استمرارها ما دامت تقاتل وترفض التسويات

التي تقود الى تصفية الثورة عمليا ، رغم التردد وعدم الوضوح الذي يطبع سلوك بعض عناصرها ، والتي تكفلت طبيعة الصراع والاتجاهات الشوفينية في معسكر العدو بالغاء هامش التراجع أمامها ، لحد الآن . (٢) ربطها بين **خسارة معركة** من جهة ونهوض قوى طبقية صاعدة يشكل تكونها ونهوضها أساسا موضوعيا **لبناء الحزب الثوري** من جهة أخرى وهو الذي سيكون الضمانة الاكيدة والوحيدة لاستمرار الثورة وايصالها الى نهايتها المظفرة .

ان العلاقة بين وجود واستمرار حركة المقاومة ، ونهوض شروط الحزب الثوري ، هي علاقة جدلية متداخلة ، وليست علاقة استاتيكية جامدة تجعل من وجود الحزب شرطا لوجود المقاومة . فالمقاومة حالة موضوعية تعبر عن وصول التناقضات بين الاحتلال الاستيطاني ووجود شعب فلسطين الى حالة التفجر والثورة ، وهي ستبقى وتستمر ما دام هناك **عدو واحتلال واضطهاد** في مواجهة **شعب وتمرد وارادة** ، رغم تعرضها لانتكاسات وانحسارات مؤقتة . اما الحزب الثوري الذي يمتلك نظرية ثورية لقيادة حركة المقاومة ، فيعبر قيامه عن استجابة موضوعية تاريخية محددة . وان عناصر تكوينه **تنمو فكريا وطبقيا في احشاء المقاومة الثورية المسلحة** . وهذا يعني ان الحزب والنظرية لا تشكلان في **الفصول الحاضرة من هذه المرحلة** شرطا لاستمرارها الا في تكويناتها الجنينية فكريا وتنظيميا . **والحزب لا يمكن ان يكون شرطا لاستمرار المقاومة** الا باختتام الفصول النهائية للمرحلة الحاضرة **ونهوض الشروط الموضوعية لقيام الحزب** الثوري الذي يقود المقاومة المسلحة الى فصولها النهائية وتبلور النظرية الثورية وسيادتها . تلك الشروط هي : نمو وتبلور الطبقة العاملة في كل مواقع تواجدها ، **وازدياد حجمها ووزنها العسكري والسياسي** في قلب حركة المقاومة . ان الفصل بين مرحلتي الثورة الوطنية والطبقية في حركات التحرر العالمية سمة لا تشارك الثورة الفلسطينية فيها من حيث استمرارها كحركة مقاومة مسلحة مستمرة غير متوقفة، وذات طبيعة طبقية تنتقل أداتها من المرحلة الثانية الى (الطبقة العاملة ومعسكرها) عبر جبهة كفاحية موحدة ... فالطبقة العاملة وحلفاؤها في المرحلة الاولى تقاتل مع القيادة الوطنية ما دامت الاخيرة تقاتل وترفض المساومة والتراجع .

ان من السمات البارزة للثورة الفلسطينية علاقتها الجدلية بحركة التحرر العربية والتي عبرها فقط يمكن الغاء ميزة تفوق العدو الصهيوني والامبريالي . و**تاريخيا** وبسبب شروطها الخاصة وطبيعة أعدائها ، **تنتمي الثورة الفلسطينية الى حركة التحرر الوطني العربية الديمقراطية والثورية** ، والاخيرة تناضل نضالا مزدوجا ضد الطبقات البرجوازية المسيطرة وضد العدو القومي . والمقاومة الفلسطينية تقاتل ضد العدو القومي والوطني وضد الانظمة التي تحاول التصدي لها حينما يشكل تصاعدها الثوري نقيضا لآفاقها الطبقية . من هنا تتكون **الارضية المشتركة لمعسكري الثورة** حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وحركة المقاومة الثورية المسلحة في مواجهة **تضادها** . هذه الارضية هي أساس العلاقة العضوية بين حركة التحرر الديمقراطية الثورية العربية والفلسطينية **وعبر هذه العلاقة الجدلية تتحول الى حركة عربية ديمقراطية وثورية** .

من هنا ، وما دامت الطبقة العاملة ومعسكرها في احشاء الثورة الفلسطينية نامية متطورة ، فان **مهمة بناء الحزب الثوري** وتبلور النظرية الثورية **سيتمان من خلال استمرار المقاومة وتصاعدها** واكتسابها مضامين ثورية متقدمة .

من الواضح ان أية دراسة نقدية ، تتناول فكر حركة ثورية وممارستها في مرحلة او فصل من تاريخ مسيرتها الكفاحية ، لا بد أن تصب في أحد اتجاهين : الاول ، ان تستهدف تقييما وتسجيلا لمرحلة تاريخية كاملة ، تتميز نوعيا ، من حيث تركيب قواها الطبقية ، ومهامها النضالية ، وبرامجها السياسية عن المراحل التي سبقتها او التي تعقبها . وهذا

التقييم والتسجيل لا بد أن يقوم على رصد بنية وطبيعة القوى الفاعلة والمحركة فيها . ومن محاكمة فكرها وبرامجها وسياساتها يمكن تلخيص السمات والقوانين العامة التي طبعت مسيرتها . هذه الدراسة يمكن أن تكون سجلا تراثيا كفاحيا غنيا يضيء ويرسم طريق المعارك الوطنية والطبقية في المستقبل ويكون مثالا لتجارب الشعوب التي تشاركها طبيعتها وقوانينها الاساسية . والاتجاه الثاني : أن تكون محاولة تقييم نقدية للافكار والممارسات والسياسات التي انتهجتها تلك الحركة عبر فصل أو شوط او معركة في تاريخ مسيرتها ، لاستخلاص الدروس والحقائق التي تأكدت وتبلورت في ذلك الفصل أو المعركة ، بهدف صياغة منطلقاتها الفكرية وبرامجها السياسية **التي تعينها في تصحيح مسيرتها والتي تضعها على طريق النصر لاكمال مهماتها الكفاحية .**

واذا كانت الدراسة النقدية التي نشرها الدكتور صادق العظم تقييما وتسجيلا لمرحلة تاريخية كاملة قد « حسمت » في الماضي القريب ، ولاقت « حتفها تقريبا » كما يقول ، فقد كان عليه ان يتريث حتى تنتهي الفصول الختامية ليشهد وقائع فترة « التقريبا » أو هزيمتها النهائية بعد انقضاء « الفترة من الزمن » التي حددها بثقة عالية ، لكي يتمكن من تسجيل نهايتها الدرامية ، ويلتقط نصوصا أكثر اثارة في مفارقاتها من النصوص التي سجلها بعد خسارة معركة أيلول، لكي يستخدمها بكفاءة أكبر عند مناطحتها رأسا برأس. اما اذا كانت ، وكما يخبرنا في مقدمته ، « محاولة نقدية لفهم أسباب وعوامل الهزيمة التي مني بها الكفاح المسلح الفلسطيني على يد النظام الهاشمي » (رغم انه سرعان ما يقفز لمهمات أوسع واكبر حيث يتصدى لمهام حركة التحرر الوطني الفلسطينية ومعضلات حركة التحرر العربية) فانه في هذا التصدي لكل هذه المهام والمعضلات ، لا يجيبنا على أي منها ، ولا يستخلص لنا أي درس لمواجهة المهام الجدية والعاجلة التي تواجهها حركة التحرر الفلسطينية المسلحة ، وحركة التحرر العربية الا بصيغة استاذية تعليمية وكأنه يحاضر في طلبة احدى الجامعات ليطلب من طلابه كتابة بحوث مقارنة عن جغرافية عدد من البلدان او اقتصادياتها «او ثوراتها» فيقرر بحزم ودراية ان « المبادىء العامة لقيادة الثورة التحررية الناجحة **معروفة** [!] **ومدونة** [؟] وقد كتب حولها الكثير من الشروح والتلخيصات في منطقتنا ، كما ان المعالم العامة للطريق الثوريـــة التي تمكن المقاومة الفلسطينية من تخطي مأزقها الخانق في الوقت الحاضر **واضحة ايضا** » [؟!] (ص ٢٤١) . هكذا فما على الثورة الفلسطينية الا أن ترجع الى بضعة كتب او نصوص عن المبادىء العامة والمدونة للثورات الناجحة لتحل معضلاتها الكفاحية المعقدة مرة واحدة. ولا ندري لماذا ينصح بالرجوع الى الثورات الناجحة فقط . بينما جميع الثورات الناجحة الكبرى أحرزت نجاحاتها بدراسة شروط انتصار الثورات الناجحة وتفحص ومعرفة أسباب وعوامل واخفاق الثورات غير الناجحة أيضا .

تقوم الافكار الرئيسية لدراسة العظم النقدية على الفرضيات والاستنتاجات التالية :

١ ــ ان حركة المقاومة انهزمت في أيلول لانها امتداد لحركة التحرر العربية الام التي انهزمت في حزيران ١٩٦٧ . وبهزيمة أيلول فان حركة المقاومة قد لاقت « حتفها تقريبا ». وفي دراسته يحاول أن يطابق بين أوجه الشبه في الهزيمتين مـــن خلال مسيرة حركة التحرر الفلسطينية المسلحة وحركة التحرر العربية .

٢ ــ ان « هزيمة » أيلول تكمن في التحليل الاخير في العوامل الداخلية النابعة من تركيب حركة المقاومة ، وبالهزيمة « حسمت » مرحلة تاريخية من كفاح الشعب الفلسطيني بانتظار المرحلة **القادمة** .

٣ ــ المرحلة القادمة من الكفاح الفلسطيني والعربي التحرري لا يمكن أن تتحول الى ثورة حقيقية الا اذا اخذت بثلاث توصيات ينبه لها ، وهي من دروس الثورة الصينية : الحزب الثوري ، النظرية الثورية ، الانحياز الى الاشتراكية .

ولفحص هذه الفرضيات والاستنتاجات لا بد من التدقيق في الفرضية الاساسية التي يقوم عليها بناؤه التحليلي والنقدي ومتابعتها وملاحقة النتائج التي تترتب عليها .

١ ــ حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية والعلاقة بينهما :

يبدأ العظم بدراسة العلاقة بين حركة التحرر العربية والمقاومة الفلسطينية ، ولكي يبرهن على العلاقة بين الهزيمتين وحتمية هزيمة الحركة الثانية (الفلسطينية) يستشهد بنص مقتبس من حديث طويل لنايف حواتمة : « ان حركة المقاومة بكافة فصائلها مثلت امتدادا موضوعيا فكريا وسياسيا وطبقيا لمواقع حركة التحرر العربية وتناقضاتها وهذا ليس بجديد فقد مثلت حركة التحرر الفلسطينية والاردنية على امتداد التاريخ المعاصر امتدادا لواقع حركة التحرر الوطني بكل تناقضاتها السياسية والايديولوجية والطبقية » (ص ١٤) . ويتلقف العظم هذه الموضوعة وكأنه التقط المدخل والمخرج لتصوراته وأفكاره ، وليشيد عليها استنتاجاته بعد أن يعطيها تفسيرا مغايرا تماما لما ذهب اليه نايف حواتمة . واذا كانت هذه الموضوعة صحيحة في جوهرها لتحليل وتفسير العلاقة التاريخية بين المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ، وما تتركه الاخيرة على حركة المقاومة من آثار وأمراض وضوابط ، فان مواصلة قراءة النص تؤكد على الفور المعنى المعاكس الذي قصده حواتمة . فالتحليل بالاصل يدور حول علاقة حركة المقاومة مع الانظمة العربية (والانظمة العربية هي الفصائل الحاكمة من حركة التحرر العربية وليس مجموعها) وان ما يطرحه هو تعيين الآثار والامراض التي ورثتها حركة التحرر الفلسطينية من حركة التحرر العربية والتي واكبت وتواكب حركة المقاومة المسلحة ، وبالتالي البحث في سبل التعامل معها والتغلب عليها . وباكمال النص المقتبس نقرأ : « ان حركة المقاومة واجهت مسألة طرح برنامج مغاير ، ايديولوجيا وطبقيا وسياسيا ، لحركة التحرر الوطني العربية المهزومة . وهو ما لم تطرحه حتى الآن ... فان اليسار الفلسطيني قد طرح هذا البرنامج ، وحتى يصبح برنامج هؤلاء الرواد هو السائد فان ذلك يتطلب مرحلة طويلة من النضال الايديولوجي والسياسي والمسلح.وهذا لا يمكن أن يتم بمجرد طرح هذه القضايا نظريا بل يتطلب فترة طويلة من الزمن تكتشف فيها الجماهير من خلال تجربتها الخاصة وبأصابعها العشرة عبر مجموع المعارك والصراعات الجارية ، ان البرنامج الذي يطرحه اليسار هو البرنامج المنقذ والذي يحمل الخلاص الوطني والثوري لشعبنا ولشعوب المنطقة ، بينما يقود البرنامج الآخر ــ البرنامج البرجوازي الوطني اليميني ، الى كوارث متلاحقة ومتصلة »(١) [يلاحظ ان العظم يعمم دراسته على اليسار باعتباره جزءا من حركة التحرر الفلسطينية المسلحة « المهزومة » بعد أن أكد في المقدمة أن دراسته تخص منظمة فتح لانها هي الثورة الفلسطينية] . ومن اكمال النص الذي اعتمدته دراسة صادق العظم ومن نصوص أخرى من دراسات يسار حركة المقاومة ، [الامتداد الفلسطيني لحركة القوميين العرب التي هي جزء من حركة التحرر العربية] نجد امكانية ان يتطور هذا اليسار من خلال تصعيد الكفاحات الثورية لا كيسار لحركة التحرر الوطني الفلسطينية، بل أن يتحول الى «طليعة بروليتاريا الالتزام »(٢) بمعنى ان يتحول الى حزب عمالي ثوري يقود المقاومة المسلحة ، ومن خلال المعارك والنضال من أجل البرنامج والحزب الثوري تتحول حركة المقاومة الفلسطينية بمجموعها [الامتداد المهزوم للاصل العربي المهزوم ، كما يقول العظم] الى مقاومة ثورية مسلحة بعد أن تتمكن من بناء حزب يمتلك وعيا ايديولوجيا وسياسيا بروليتاريا. ويتأكد هذا التحليل بوضوح أكبر من دراسة للجبهة الديمقراطية « ان طريق الخلاص الوطني يتطلب ارادات ذاتية جبارة تنبثق من صفوف حركة المقاومة ترفض كل ما هو قائم وتدفع على الطريق الجديد، طريق تحويل حركة المقاومة الى حركة جماهيرية منظمة مسلحة بأسلحة ايديولوجية وسياسية ومادية وطنية جذرية ، في ظل قيادة طلائع القوى

المقاتلة تمتلك وعيا ايديولوجيا وسياسيا بروليتاريا معاديا لاسرائيل والاستعمار وحلفائه على امتداد الارض العربية »(٣).

ان ما يعنينا هنا من هذه الموضوعة التي اعتمدها العظم في دراسته عن الاصل والامتداد ولعزيمة الامتداد الحتمية « ولو بعد فترة » ان العظم وعلى امتداد ٢٥٥ صفحة يحاول تجميع « الادلة » لاثبات « حقيقته » عن العلاقة بين الاصل والامتداد وحتمية هزيمة الثورة الفلسطينية التي تمثل هذا « الامتداد » . بينما نجد نايف حواتمة واستنادا الى الموضوعة عينها يتوصل الى امكانية تطوير جناح من حركة المقاومة المسلحة اولا والمقاومة كلها ثانيا من خلال تصعيد وتجذير الكفاح المسلح وتمكين المقاومة من امتلاك برنامج ايديولوجي وسياسي واجتماعي معاكس لبرنامج الاصل الذي انهزم . وبينما يحدد حواتمة في هذه الموضوعة طبيعة حركة التحرر الوطني الفلسطينية والامراض التي ورثتها عن الحركة الام لتعيين المنطلقات النظرية والوسائل الكفاحية الكفيلة بتجاوز هذه الامراض وتحويلها الى حركة ثورية معاكسة ومناقضة لاصلها ولبرامجها المهزومة ، فان صادق العظم يبني فرضياته على تلك الامراض والآثار التي تتضاءل وتضمحل كلما تصاعد الكفاح الثوري المسلح ، ليصل في استنتاجاته الى هزيمة حتمية لحركة المقاومة نتيجة فهمه للعلاقة الميكانيكية بين الاصل والامتداد . واذا كان من حق صادق العظم ان يعتمد الموضوعة نفسها للوصول الى نتائج مغايرة للنتائج التي يبنيها عليها صاحبها ، فقد كان عليه أن يوضح منذ البداية اعتماده المعنى الخاص به والمغاير ، لا ان يلجأ الى صيغة استنتاجية توهم القارىء بأنها تلخيص لموضوعة « الاصل والامتداد » ولما تعنيه حين يؤكد بعد النص المقتبس مباشرة : « نجد في هـذه الصياغة العامة والمقتضبة بالضرورة جوابا يقول ان حركة المقاومة انهزمت لانها كانت امتدادا ، بكل معاني الكلمة، لحركة تحرر أعم وأشمل منها كانت قد انهزمت في حزيران ٦٧ » (ص ١٤) . ثم يستخدم هذه الخلاصة في مكان آخر لاعدام مرحلة تاريخية كاملة من تاريخ حركة التحرر الوطني الفلسطينية .

ولكن التدقيق في المقارنات التي اعتمدها العظم بين حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية تكشف الى أي مدى قد استخدم المنهج الماركسي ــ اللينيني الذي يدعيه في التحليل لكي يتوصل الى حقائقه « المدهشة » .

لا شك ان السيد العظم حينما يكشف في دراسته عن بعض من الامراض والمظاهر التي رافقت حركة المقاومة ، والتي تسببت ــ الى جانب عوامل اخرى لم يذكرها ــ فيما يعتبره اخفاقا في معارك ايلول، وما يمكن ان تسببه مستقبلا من عثرات اخرى، يمكن أن تساهم دراسته في استخلاص دروس ونتائج تخدم في تعديل وتصحيح مسيرة الثورة لو اعتمد منهجا نقديا ثوريا حقا(٤). لكن العظم باعتماده المنهج الانتقائي لدراسته ، واضطراره للبحث عن الادلة والاسانيد للفرضيات **والقوالب التي وضعها مسبقا** ، جعل حدود معالجاته تبقى ذات طبيعة تقريرية، وصفية، انتقائية لظواهر معزولة عن بعضها، لا ترقى الى أي منهج تحليلي للافكار والممارسات الاساسية وهو منهج يفتقد النظر في ترابط الافكار والممارسات مع بعضها بعضا والبحث عن محركاتها العميقة عبر منهج فكري منظم صارم في استعمال اداته وبنائه التحليلي .

يلخص صادق العظم التماثل بين حركة التحرر العربية وفرعها الفلسطيني بـ « التماثل القائم بين الطبيعة الطبقية لقيادة وكوادر وبرامج حركة المقاومة وتصوراتها الايديولوجية وبين الطبيعة الطبقية البرجوازية الصغيرة المنشأ لحركة التحرير العربية الام» (ص ١٥) وللتدقيق في هذا التطابق والنتائج العملية النضالية المترتبة عليه سوف نتفحص فيما يلي أربع موضوعات مقارنة بين حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية :

١ ــ **الهدف الاستراتيجي الكفاحي والموقف من العدو الاسرائيلي** : منذ هزيمة حزيران

١٩٦٧ بدأت حركة التحرر العربية بالتراجع سريعا الى الوراء ودون توقف بدءا من قبول قرار مجلس الامن ٢٤٢ حتى مشروع فتح القناة والتراجعات امام العدو من اجل التسوية ولا يزال هذا التراجع مستمرا . بينما تصاعدت حركة المقاومة الفلسطينية بدءا بأول عملية مسلحة بعد الهزيمة العربية في ١١ حزيران وهي مستمرة في رفض كل مشاريع التسوية والتراجع امام العدو . فالقرار ٢٤٢ يحقق هدف التسوية مع اسرائيل ويؤمن حلا لازمات الانظمة العربية الخانقة بانسحاب اسرائيل من جزء من الاراضي العربية (بالطبع في حالة تحقيق التسوية بشروط اسرائيل والامبريالية ، او الصيغة السوفييتية المصرية القديمة)(٥) بينما يضع شقيقتها الفلسطينية امام مواجهات وتحديات، امام الاعتراف للعدو بجزء من الوطن وبالتالي امام مواجهة مختلفة الاشكال مع الانظمة العربية (أي حركة التحرر الام) وهو ما يجعل هدفها الاستراتيجي في التحرير أكثر صعوبة وتعقيدا ، ولكنه بالمقابل يجعل حركة المقاومة أكثر قدرة على اكتشاف موقعها الطبيعي الامر الذي يكسبها مضامين ثورية تعمق وتجذر نضالها ، ويرفدها بحلفاء ثوريين ثابتين متمثلين بحركة التحرر العربية الثورية النامية التي يتزايد تناقضها مع الانظمة المساومة والمرشحة لمساومات التصفية من جهة ويضع فصائل من « حركة التحرر الام » في حالة التناقض والتضاد مع شعوبها وحركة المقاومة من جهة ثانية . ان الدعامة الثابتة في القرار ٢٤٢ وتفريعاته هي تصفية حركة المقاومة المسلحة على يد الانظمة العربية الاصل « المتماثلة مع حركة المقاومة » فمن ابرز بنود مشروع روجرز تعهد دول المواجهة « بتصفية الاعمال المسلحة التي تنطلق من أراضيها ضد اسرائيل » ومن هنا نجد احدى أهم فصائل حركة التحرر العربية يواجه رئيسها وفد المقاومة بعد قبول مشروع روجرز بقوله : « لقد وافقت على اعطاء ١٠ آلاف كلاشنكوف الى الملك حسين »(٦). بينما « امتدادها » الفلسطيني يواجه نظام الملك حسين في أشرس حرب ابادة كان حصيلتها ٢٠ ألف شهيد وجريح بسبب تمرد حركة المقاومة على سياسة الهزيمة التي انتهجتها حركة التحرر الام كاستراتيجية لها .

والعظم في محاولته اثبات التصاقية المقاومة بحركة التحرر العربية تجاه مشروع روجرز يجتزىء نصا لياسر عرفات يقول فيه « نحن غير معنيين بما حدث في حزيران وبازالة آثار حزيران » ، هذا الاجتزاء يصل به الى الخلط بين معضلتين منفصلتين تماما : الموقف من مشروع روجرز ، و« ترفع المقاومة عن الخوض بأسباب هزيمة حزيران » . لكن اهمية النص واجتزاءه بالنسبة للعظم تكمن في تسجيل معادلة جديدة عن التصاق حركة المقاومة بحركة التحرر العربية المهزومة — وعندما نكمل النص نجده لا يخدم الغرض الذي يريده صادق العظم بأي شكل من الاشكال : « نحن غير معنيين بما حدث في حزيران وبازالة آثار حزيران ، ولكن الثورة الفلسطينية معنية باجتثاث الكيان الصهيوني من أرضنا وأرض أجدادنا وتحريرها لتعود عربية كما كانت » (ص ٢٦) . هنا لا بد من مشاركة العظم كليا ان المقاومة ، خاصة اتجاهها السائد ، لم تقدم أية دراسة جدية لاسباب هزيمة حزيران لتستخلص منها الدروس التي تعينها على رسم البرنامج السياسي والعسكري الثوري البديل لبرامج أنظمة الهزيمة ، ومن هنا جاءت مواقفها العملية المرتبكة في مواجهة مشروع روجرز رغم صحة الموقف الثابت في رفضه ومعارضته . وما كانت تتطلبه المواجهة من ضرب للحلقة المركزية في سلسلة القوى المعادية للثورة واسقاط النظام الهاشمي بحسم ازدواج السلطة لصالح المقاومة والحركة الوطنية الاردنية . وهنا لا بد من التذكير والعظم يعرف جيدا أكثر من غيره ان يسار المقاومة قد قدم تحليلات دقيقة وصائبة عن هزيمة حزيران وكما يقول هو عنها « تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة حول طبيعة حركة التحرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها » (ص ٢٥١) .

تلك « التحليلات الصائبة لهزيمة حزيران ومعضلات الثورة » لم تضع اليسار في موقع التناقض مع الفصائل الاخرى [التي ترفعت عن الخوض بأسباب هزيمة حزيران] كما يقول حول الموقف من مشروع روجرز ورفضه ، ولا حول تصريح ياسر عرفات عن « اجتثاث الكيان الصهيوني » الا اذا افترضنا ان العظم قد « فهم » من القول « نحن غير معنيين بازالة آثار عدوان ٦٧ ، ولكن الثورة معنية باجتثاث الكيان الصهيوني » ان الثورة الفلسطينية المسلحة ستحرر فلسطين وتسقط حكومة تل ابيب ، دون تحرير سيناء والجولان !؟ وهذا ما يشكل امتدادا عكسيا لموقف حركة التحرر العربية الام التي تحولت استراتيجيتها على « تخليص » الاراضي المحتلة عام ٦٧ (أو أراضي احتلت حسب التفسير الاسرائيلي الامريكي) دون الاهتمام بتحرير فلسطين المحتلة عام ٤٨ وبعدها ؟! ان النتائج العملية لمشروع روجرز بالنسبة لحركتي التحرر العربية والفلسطينية المسلحة هي : **الابقاء على حياة حركة تحرر عربية (الانظمة) مساومة مهادنة .. مقابل رأس حركة المقاومة الفلسطينية** (الامتداد الطبقي والسياسي المهزوم) **الثائرة والمتمردة والرافضة** . أما مسألة ارتباك المقاومة في مواجهة مهمة كسر الحلقة المركزية في سلسلة الاعداء واسقاط النظام الهاشمي فهي مرتبطة باستراتيجية الدفاع الذاتي التي ميزت الاتجاه الاقوى والحاسم في حركة المقاومة وهو ما نتناوله في حينه . ان مظاهر الالتصاق كما فهمها السيد العظم وكما هي واضحة عنده لا تبدو لنا كذلك عند مقارنة المهمات والاهداف الكفاحية في مواجهة اسرائيل والامبريالية . والاختلاف يبدو واضحا بل متعاكسا منذ قبول مشروع روجرز ومعارك أيلول حتى الان والذي اتخذ شكل ، عشرة آلاف بندقية من حركة التحرر الام ، صمت كامل على المجزرة ، مكافأة النظام الاردني باتفاقية القاهرة على المجزرة ، ثم اللجنة العربية التي مرت من تحت مظلتها جميع المؤامرات الاردنية ضد حركة المقاومة وشعب فلسطين وبالتحديد التعارض والتضاد الفعلي والوحدة الشكلية .

ب ــ الاستراتيجية الكفاحية بين حركة التحرر العربية والمقاومة الفلسطينية : مع اطلاق أول رصاصة ضد العدو الاسرائيلي وبدخول اول وحدة مقاتلة الى الارض المحتلة في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ دشنت حركة التحرر الوطني الفلسطينية أسلوبا كفاحيا ثوريا جعلها تبدأ مرحلة الابتعاد عن نهج حركة التحرر العربية والتعارض معها وقد قادها هذا الى التصادم والتعارض وسوف يقودها الى التناقض التام في مراحل كفاحية متقدمة مع اكثر فصائل حركة التحرر الوطني العربية الرسمية ، وهذا لا يعني انها تخلصت كليا ، حتى الان ، من الامراض التي ورثتها والتي طبعت وستطبع بعضا من مظاهر مسيرتها الكفاحية ، الى جانب ما تفرضه طبيعة العلاقة مع الانظمة من فرملة وتراجع . ولقد كان تصاعد المقاومة الجماهيرية والثورية المسلحة في الضفة الغربية وقطاع غزة والارض المحتلة قبل حزيران أساسا موضوعيا جعلها تضرب في العمق وتتحول الى حركة جماهيرية ثورية تمد لها جسورا مع حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية من خلف أسوار واستحكامات بعض الانظمة البرجوازية (وان لم تنجح في حل هذه المعضلة التي هي من أعقد معضلاتها الاستراتيجية ، معضلة العلاقة مع حركة التحرر الديمقراطية والثورية ، الا بشكل محدود بسبب الارتداد التي خلقته ظروف ما بعد أيلول على كل من حركة المقاومة والحركة الثورية العربية) هذا الامتداد والتحول هو الذي جعلها على الفور في موقع التناقض مع الانظمة العربية والذي أخذ بالتصاعد كلما تقدمت وتعمقت العلاقة مع الحركة الديمقراطية من خلف وصاية الانظمة . اما العظم فيبدو انه غير معني بالحالة الثورية التي فجرها صعود حركة المقاومة على امتداد المنطقة العربية ، وما هي آفاقها ، وماذا يعني استمرار تصاعدها بالنسبة لانظمة حركة التحرر الام . ان ما يعنيه بالدرجة الاولى هو انتقاء الظواهر المرضية للوصول الى مطابقات شكلية بين استراتيجية المقاومة وحركة التحرر العربية الرسمية ، فهو سرعان

ما يلتقط مسألة خطف الطائرات ليجعل منها دليلا لذلك . لكن العظم لا يعالج هذه الظاهرة بحجمها الحقيقي ، بل يتوصل من خلال تأكيدها الى أن المقاومة الفلسطينية أعادت الاساليب الكفاحية لحركة التحرر الوطني العربية المهزومة « باختيارها هذا الطريق برهنت قيادة المقاومة انها امينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية ، لقد ثبتت بصورة منتظمة على الصعيد الفلسطيني ، ما كان قد مر على الصعيد البرجوازي الصغير سابقا واستعادته بكل أمانة وعاشته من جديد بكل اخلاص» (ص ٦٠) . كيف يجيز صادق العظم لنفسه ان يستخدم ظاهرة خطف الطائرات ، ليصل الى نتيجة : ان المقاومة امينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية [؟] ان المادية الديالكتيكية عند دراستها لظاهرة ما تبحث عن **العامل الحاسم والفاعل والمحرك** عند فحصها للجوانب الايجابية والسلبية لتلك الظاهرة . ومن الواضح لاي ماركسي حقيقي ان الشكل الكفاحي الحاسم والمحرك في نضال حركة التحرر الوطني الفلسطينية هو المقاومة الشعبية الثورية والمسلحة . لكن النظرة الاحادية الجانب ، والتي يشدد العظم على انتقادها في دراسته، قد رافقته في رحلته الطويلة ، والا **فهل كان خطف الطائرات استراتيجية كفاحية عامة لحركة المقاومة** ؟ يا صادق . وماذا عن الاشكال الكفاحية الثورية التي اندلعت بعد حزيران مباشرة في الضفة والقطاع والارض المحتلة عام ٤٨ والاردن ؟ واذا كانت تلك الاشكال الكفاحية المجيدة قد تراجعت مؤقتا بعد أيلول ، وبعد الاجراءات الاقتصادية الاسرائيلية وسياسة « البحبوحة الاقتصادية » فان بوادر صعودها وتجذرها واضحة تماما بعد فشل سياسة الدمج الاقتصادي والبحبوحة المزعومة كما يقر بذلك بعض الاقتصاديين الاسرائيليين في دراستهم لظاهرة تخريب الزراعة العربية بسبب سحب اليد العاملة الرخيصة ، مما أدى الى ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الذي يلغي ميزة الاجور المرتفعة للعمال العرب الذين يعملون داخل الارض المحتلة ، وبالتالي فشل تاك السياسة الاقتصادية التي اعتمدتها اسرائيل ، وظهور بوادر الصعود الثوري ثانية. وكما اثبتت ردود الفعل الثورية بعد مجزرة فردان وحوادث لبنان التي أذهلت الاسرائيليين وكشفت خطأ حساباتهم .

ان الاشكال الكفاحية المتقدمة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني هي التي أكسبتها محتوى طبقيا يتجاوز حدود الطبيعة الطبقية لها ، ويدفعها لاكتساب مضامين كفاحية وطبقية ثورية متقدمة . وبهذا المعنى شكلت حركة المقاومة الفلسطينية حالة جماهيرية ثوريةنقيضية تماما للحالة اللاجماهيرية والمعادية للديمقراطية ومشاركة الجماهير التي ميزت الاشكال الكفاحية لانظمة برجوازية الدولة قبل وبعد حزيران .

في تقريره عن ثورة ١٩٠٥ يتحدث لينين عن الاشكال الكفاحية للثورة الروسية وكيف أكتسبت محتوى كفاحيا متقدما يتجاوز طبيعتها الطبقية : فيقرر «ان الاضراب الجماهيري كان أهم وسيلة لهذا التحول ». ان الثورة الروسية تتسم بسمة أصيلة قوامها انها كانت ثورة **برجوازية ديمقراطية** من حيث مضمونها الاجتماعي ولكنها **بروليتارية** من حيث وسائلها الكفاحية المتقدمة التي تفرضها طبيعة وخصوصية الصراع الطويل الامد مع الاحتلال الاستيطاني ، وطبيعة معسكر اعداء الثورة الى جانب اسرائيل (الامبريالية الامريكية والرجعية العربية) ما تجعل مهماتها الكفاحية ذات **طبيعة تحررية وطنية وطبيعة ثورية مركبة** ، وهذا ما يجعل تحالفاتها التاريخية الاستراتيجية الثابتة مع حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية . وبهذا الانتماء ووحدة المعسكر الثوري تكون حركة المقاومة الفلسطينية نقيضا تاما لحركة التحرر العربية المهزومة ، كما هي الحركة الديمقراطية والثورية العربية نقيضا طبقيا ثوريا لانظمة البرجوازية المهزومة .

ج ــ التركيب الطبقي لحركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية الام وتطوراتها

القادمة : ان الشكل الكفاحي الارقى الذي فجرته حركة المقاومة قد اكسبها طابعا طبقيا ثوريا حاسما . فالذين يحملون السلاح بأغلبيتهم الساحقة هم جماهير الفلاحين والعمال واشباه البروليتارية (من سكان المخيمات) والبرجوازية الصغيرة .

اما بالنسبة لحركة التحرر العربية الرسمية فقد حافظت على تركيبتها البرجوازية الصغيرة ، وعند تكوين دولتها وأجهزتها القمعية والادارية وتركز مصالحها الطبقية وتميزها (برجوازية دولة متفاوتة التطور بالنسبة لكل نظام) بدأت تتناقض مع نمو حركة التحرر الديمقراطية والثورية (الطبقة العاملة وحلفائها) بل أصبحت معنية بلجم حركتها وشل نضالاتها التي تصل الى حد التصفية الجسدية لتعبيراتها السياسية التنظيمية الثورية .

ويخلص صادق العظم ، في محاولته رصد التطورات السياسية اليمينية التي اتسمت بها بعض فصائل حركة التحرر العربية بشكل خاص ، وتحليل الاساس الطبقي لتلك الردة، يخلص الى « توصية » المقاومة الفلسطينية بأن عليها أن تأخذ بعين الاعتبار تلك التطورات عند تعاملها مع الانظمة المعنية . أما كيف يفسر العلاقة بين تلك الانظمة وامتدادها الفلسطيني ، وكيف تنهار الثانية كما انهارت الاولى ، فيمكن متابعته على النحو التالي : بعد أن يتابع تطور العلاقة بين القطاع العام الذي أرست دعائمه الانظمة العسكرية للبرجوازية الصغيرة من جهة والقطاع الخاص القائم على الملكية الخاصة وقانون القيمة ، يخلص الى أنه « كان لا بد لهذا القطاع الديناميكي والنامي من أن يصل الى نقطة يدخل فيها في صراع قوي مع القطاع العام والمصالح التي يمثلها وأن يحسم الموقف تدريجيا لصالحه ، مما يعني على الصعيد السياسي (الذي يهمنا هنا أكثر من غيره) ردة يمينية رجعية واضحة » (ص ١٧٨) .

هذا التبسيط في تحليل التطورات الاقتصادية والردة اليمينية الرجعية في واحد من أهم انظمة برجوازية الدولة العربية ، لا يعني بدقة أهمية وآفاق تلك التطورات وانعكاساتها على المسألة الوطنية والقومية وبالتالي على علاقتها بالمسألة الفلسطينية وحركة المقاومة . فبرجوازية الدولة التي تقود القطاع العام بعد أن تكونت كطبقة متميزة لها مصالح اقتصادية محددة ، لم تصل الى درجة التناقض الحاد مع القطاع الخاص ، بل ان الدور الاقتصادي الهام الذي تضطلع به الدولة (القطاع العام) والمتمثل بنفقاتها الجارية العالية التي تشكل جزءاً كبيرا من القوة الشرائية عن طريق مؤسساتها والقوة الشرائية لمنتسبيها (المؤسسة العسكرية والادارية المتزايدة الاتساع) الى جانب مؤسساتها المالية والصيرفية التي تقدم الخدمات البرجوازية النامية ورأسمالية الريف ، **هذا الدور المزدوج يساهم في تدعيم القطاع الخاص وتنشيط الدورة الاقتصادية** مما يجعلها تحافظ على دورها السياسي الحاسم والاقتصادي الفعال مهما تصاعدت وتيرة نمو القطاع الخاص . أما برجوازية الريف (القاعدة الاجتماعية في الريف لنظام برجوازية الدولة) وازدياد دورها في الحياة الاقتصادية والسياسية فهي ايضا لا يمكنها التمرد على القطاع العام أو الاستغناء عن دوره الاقتصادي والسياسي **(السياسي خاصة في كبح جماح الحركة الجماهيرية الفلاحية النامية بتركز الاستغلال في الريف)** . واذا كانت البرجوازية الصناعية والعقارية النامية تشكل مزاحمة اقتصادية حادة للقطاع العام فهي لا تطمح الى الغائه ، بل تسعى الى افقاده **الدور الاقتصادي الكابح لنشاطها** . هذه التشكيلة من البرجوازية الصناعية النامية ورأسمالية الريف التي تشكل ركيزتي الردة الاقتصادية والسياسية اليمينية ، تكملها المواقع الجديدة التي تحتلها الرساميل الاجنبية الاستعمارية من الاستثمارات العامة والخاصة وتتفاعل معها بوتيرة اقتصادية واحدة . ولكن الدور الاساسي والفعال لبرجوازية الدولة هو المتمثل بسلطتها السياسية التي تستخدم السلطة التنفيذية **كأداة ضاربة في الردة اليمينية السياسية في مواجهة**

الحركة الجماهيرية الديمقراطية . ومع تفاقم المأزق الوطني والقومي الذي تواجهه هذه الانظمة واحتمالات نهوض الحركة الجماهيرية الثورية التي تشكل نقيضها الحاد تترشح هذه الانظمة لاتخاذ أشكال فاشية جديدة في مواجهة الحركة الديمقراطية الصاعدة . وهذا ما يجعل السلطة السياسية لبرجوازية الدولة وركيزتيها الطبقيتين (البرجوازية الصناعية النامية وبرجوازية الريف) أكثر شراسة وعداء للحركة الجماهيرية كلما تقدمت خطوة نحو التفريط بالمسألة الوطنية والقومية ومساومة العدو الامبريالي والصهيوني . وتنامي الحركة الجماهيرية يعكس حالة موضوعية بسبب تفاقم استغلالها واستلابها على يد برجوازية الدولة والريف والبرجوازية الصناعية الناشئة ، خاصة بعد أن سقطت جميع الشعارات التضليلية عن العدالة الاجتماعية (أو اشتراكية القطاع العام) هذا التحليل ، للتشكيلة الطبقية وتغيير ادوارها ومواقعها هو مـا يجعلها تفقد تماسكهـا القوي ، ويدفع بالحركة الديمقراطية الجديدة نحو التصاعد ، وبالتالي ما يرشح احتمال ظهور أشكال كفاحية متصاعدة ومتجددة . **وهذا بالضبط هو مـا يتعين على حركـة المقاومة الفلسطينية معرفته** ، لا من أجل التعامل مع الانظمة التي ستحدد هي وليس المقاومة العلاقة التي تفرضها طبيعتها وتراجعاتها وهي الوجه الثاني للعلاقة مع حركة شعوبها الثورية ، بل ما يجب على المقاومة ان تعرفه بالتأكيد **هو مستقبـل النهوض الديمقراطي** وعلاقة حركة المقاومة بهذا النهوض وايجاد أرضية للعلاقة العضوية الثورية بين الحركتين . هذه الوحدة العضوية تجد أساسها الموضوعي في العلاقة بين مواجهة الحركة الديمقراطية والثورية العربية لاعدائها الطبقيين ووقوفهم في نفس معسكر العدو الامبريالي والصهيوني من جهة ، وموقف هذه الطبقات من المسألة القومية وحق تقرير المصير لشعب فلسطين ، وبالتالي تناقضها وتضادها مع حركة المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى . هذه الارضية هي التي تجعل الحركة الديمقراطية الثورية العربية وحركة المقاومة الفلسطينية في معسكر واحد ، والطبقات المعادية لشعوبها وحركاتها الديمقراطية والعدو الامبريالي والصهيوني في المعسكر المضاد . هذا التحليل قد أكد لنا التعاكس والتناقض بين حركة التحرر العربية الام وحركة المقاومـة الامتداد الطبقي « المهزوم » . و« التوصية » التي تسجلها الدراسة النقدية لحركة المقاومة في تعاملها مع الانظمة تتخذ صيغة هروب غامضة غير محددة « أي تحـرك فلسطيني ثوري » لا تفسر شيئا على الاطلاق . واذا كـانت الصيغة لا تعين انتماء هذا التحرك الـى أي من المرحلتين « **المحسومة** » « المهزومة » ام **القادمة** المشروع ، فانها تشكل المخرج الوحيد الذي حشر السيد العظم نفسه فيه بعد أن الزم نفسه في بداية دراسته ، وقبل أن يتوصل الى نتائج تحليل التطورات اليمينية في الانظمة العربية ، ألزم نفسه بصيغة هزيمة الاصل والفرع **واعدام المرحلة الحاضرة** فما عليه الا ان يوجه نصيحته الى المقاومة « المجهولة » « أي تحرك ثوري » ؟! اما استنتاجاته الاساسية فان استحضارها يوضح تماما الوان اللوحة المتنافرة (في صفحة ٢٣) يقول لنا « والذي اريد قوله هو أن حركة المقاومة بسبب من نوعية قيادتها الطبقية قد استعادت على العموم وبصورة طبيعية جدا تاريخ مرحلة صعود البرجوازية الصغيرة وانهيارها في تاريخنا الحديث جدا ، ولكن على الصعيد الفلسطيني المستقل » .

وبكلمات محدودة نسجل توضيحنا لهذا التشخيص : البرجوازية الصغـيرة العربية واجهت في مرحلة صعودها مواقع الاستعمار القديم ومصالحه الكولونيالية . حركـة المقاومة تواجه الاستعمار الجديد والاستعمـار الاستيطاني . البرجوازية الصغيرة العربية واجهت مواقع الاستعمار القديم من خلال سلطة دولتها البرجوازية . حركة المقاومة تواجه الاستعمار الاستيطاني والامبريالي بنادق الشعب المقاتل . حركة التحرر العربية تساوقت مع بقايا الاقطاع والبرجوازية المتوسطة . حركة المقاومة تواجـه

عناصر الاقطاع والبرجوازية الفلسطينية المتساوقة مع العـــدو القومي والوطني (في الضفة الغربية والاردن) كما تواجه عدوها القومي لانها هي قد وضعت نفسها بالمعسكر المضاد. البرجوازية الصغيرة العربية واجهت نمو الحركة الديمقراطية والثورية بالتضاد والتصادم والحرب الاصيلية . حركة المقاومة تكتسب يوما بعد اخر مضامين طبقيـــة متقدمة وترفدها افواجا من العمال والفلاحين وأشباه البروليتارية .

هكذا يفهم العظم صراع الطبقات وهكذا يبني تحليله ونقده لفكر المقاومة : الخصائص المميزة للنضال القومي ضد العدو الاستيطاني والنضال ضد العدو الوطني والطبقي ، أشكال الردة الشوفينية للانظمة العربية وجيوشهـــا ، الردة الاقتصادية والسياسية للبرجوازيات العربية التي تجعلها معاكسة ومناقضة للحركة الديمقراطية الثورية العربية وحركة المقاومة الفلسطينية **في آن معا** وتبلور أسس القاعدة النضالية المشتركة لكل من الحركتين العربية الديمقراطية والفلسطينية . هذه الخصائص والحقائق لا تعني شيئا امام مهمة البحث عن قوالب (الاصل والامتداد) !

د ــ حركة التحرر العربية والفلسطينية ومهمات الثورة الديمقراطية وكيف تعبر العلاقة بين الاصل والامتداد عن نفسها : البرجوازية الصغيرة العربية أقامت أنظمة برجوازية الدولة ، وتصدت لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وجوفتها وأفرغتها من محتوياتها التقدمية . لقد خلقت هذه الانظمة لها ركائز اجتماعيـــة طبقية في الريف والمدينـــة وبيروقراطية عسكرية ومدنية . ركزت مصالح أغنياء الفلاحين في الريف مكونة رأسمالية ريفية تشكل جناح قاعدتها الاجتماعية في الريف ، وبلورت شرائح بيروقراطية عسكرية ومدنية ذات مصالح متميزة مشكلة جناح قاعدتها الاجتماعية في المدينة . كيف تدرس الدراسة النقدية هذه الطبقة وكيف تقارنها بالفرع الفلسطيني ؟ يقول صادق العظم : « جاءت هزيمة حزيران لتعزز هذا الاساس (الردة اليمينية العربية) وتسرع في وتيرة نموه وفي افساح المجال أمامه لكي يعبر عن نفسه في صراحة على صعيد البنى الاجتماعية الفوقية وخاصة السياسات التي أخذت تنتهجها الانظمة « التقدمية » على اثر هزيمتها والتي تبلورت فيما بعد بشكل الردة الرجعية اليمينية العاتية » (ص ١٧٨) . اننا نتفق مع هذا التشخيص بالنسبة للردة اليمينية العاتية ولكن هذه الردة الى أين ستقودها ، وكيف ستتعامل مع الحركة الديمقراطية التي تشكل نقيضهـــا : ان هذا هو مأزقها الحقيقي فكلما بدأ عجزها يتوضح عن انجاز مهام الثورة الوطنيـــة ازدادت مصالحها الاقتصادية والاجتماعية كطبقة ناشئة تستأثر بسلطة الدولة لضمان مصالحها . وهذا ما يجعلها تتشبث وتستأثر بالحكم ، وهو ما يقودها بالتالي الى التناقض الحاد مع الحركة الديمقراطية والثورية ويجعلها تفقد آخر سماتها « التقدمية » لتضع نفسها في صف القوى المعادية للتطور ، وتبدأ بالتفسخ كطبقة فقدت دورها التاريخي وأصبحت معاكسة للتقدم .

اما « الامتداد الفلسطيني » ، الذي خسر معركة من معاركه الطويلة في أيلول ، فرغم جميع الصفات التي تميزه عن حركة التحرر العربية التي بدأت مرحلة التفسخ وتناقضه معها ، فان صادق العظم يصر على موضوعية هزيمة هذا الفرع الفلسطيني فيقرر : « تمثل هزيمة ايلول اجتماعيا وطبقيا وسياسيا بالنسبة للكفـــاح الفلسطيني ما مثلته هزيمة حزيران بالنسبة لحركة التحرر العربية العرجاء » ويواصـــل : « بهذا المعنى شكلت المقاومة امتدادا موضوعيا لحركة التحرر العربي ذات الاصل البرجوازي الصغير وكانت الفصيل الفلسطيني من فصائلها » (ص ٢٣) . فلنفحص هذه المقولة ونطابقها مع واقع الفرع الفلسطيني وما مثله بالمقارنة مع حـــركة التحرر العربية . الفـــرع الفلسطيني لم يضطلع بالسلطة السياسية للدولة البرجوازية على تراب وطنه ، ولم تكن لحركة التحرر الفلسطينية مصالح اقتصادية متميزة كطبقة حاكمة ناشئة (برجوازية

دولة) . وبدلا من تناقضها ومعاكبيتها لنمو حركة الطبقة العاملة ومعسكرها (حلفائها) خلقت بالكفاح الثوري المسلح ارضية وامكانية ازدياد حجم ووزن الطبقة العاملة وسائر الكادحين وتصاعد دورهم الكفاحي والسياسي في مسيرة الثورة . اما من حيث مهامها التاريخية فهي تتصدى لمهمة تحرير الوطن وتقرير حق شعب فلسطين على أرضه وهو ما يستتبع انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وبسبب من خصوصية الصراع الطويل وتعيين معسكر الاعداء والحلفاء فان حركة التحرر الوطني الفلسطيني تنتمي الى حركة التحرر الديمقراطية والثورية العربية . وهذا ما يجعلها في المعسكر المضاد للانظمة المعادية لحركة شعوبها الديمقراطية وبالتالي نقيضا لحركة التحرر الام ، وبالتالي نكسة ايلول لا تمثل سوى نكسة مؤقتة لحركة تحرر ثورية وليس كهزيمة حزيران بالنسبة لحركة التحرر العربية ونتائجها . وبالرغم من عمر تجربتها القصير فقد استطاعت أن تخلق ظواهر وتقاليد كفاحية ذات محتوى ثوري في الكفاح والممارسة .

يقول جان جونيه في المقال الذي سجل فيه ما رآه وما استنتجه بعد اقامة دامت عدة أشهر بين الفدائيين والشعب بعد معارك أيلول ، (أي بعد هزيمة المقاومة والتحاقها بالهزيمة العربية حسب مفردات العظم) يقول جونيه : « فالارادة الثورية لا تقتصر على استعمال مرادفات مؤثرة ، ولا حتى على استعمال البندقية بل هي ايضا مرتبطة بالتحدي الرامي الى العيش حياة سعيدة . واذا وضعنا البرجوازية الفلسطينية جانبا وهي شبيهة بسواها من البرجوازيات فالمخيمات الفلسطينية تتسم بالارادة في مجابهة الحقائق وجها لوجه » . ويواصل أيضا « فالفدائيون المسؤولون الذين انخرطوا بارادتهم في صفوف فتح والشعبية والديمقراطية والصاعقة كانوا قد أنشأوا تحت ستار من اللامبالاة الظاهرة نوعا من الاشتراكية البدائية ، اشتراكية ما تحت الاشجار والمطر ، بداية اشتراكية بدوية وهزيلة بمثابة بشير التفاؤل بمجتمع أكثر تعقيدا قد يتكون حولها ... وقد اغتال حسين بداية عالم جديد كهذا بالاشتراك مع اسرائيل وبعض البلاد العربية وكل البلاد الغربية »(٨) ... وبعد أن أصبح **الامتداد نقيض الاصل** شاركت حركة التحرر الام في اغتيال الحياة الجديدة ، مهما كان نوع المشاركة سواء بتقديم الاسلحة لحسين ام بوضع قوات جيوش عربية تحت امرة الملك ام بالصمت .

ان حركة التحرر الوطني في عمان والخليج العربي [وهي الفرع العماني والخليجي من حركة التحرر العربية « المهزومة » حسب مصطلحات العظم] تتعمق ايديولوجيتها واستراتيجيتها الكفاحية وبرامجها السياسية والاجتماعية وقد غادرت كليا مواقع حركة التحرر الام في اغتيال الحياة الجديدة ، مهما كان نوع المشاركة سواء بتقديم الاسلحة والثورية العربية (الطبقة العاملة ومعسكرها) لكن صادق العظم لا يذكر شيئا عن هذا الاستثناء في قاعدته . هذه التجربة التي تحول عبرها جناح من حركة التحرر الوطني العربية (البرجوازية الصغيرة) نحو مواقع الحركة الثورية واجهت بالطبع وتواجه هزائم عسكرية مؤقتة متعددة . لكن هذا لا يجعلها **« تسقط »** بعد كل نكسة او هزيمة مؤقتة تمنى بها لتطوي مرحلة وتبدأ أخرى ، مرحلة الحزب والنظرية الثورية . ان الانتقال نحو المواقع الثورية تم ويتم عبر عمليات الكفاح الثوري المعقدة وتبلور التركيبة الطبقية لاجهزة الثورة وكتائبها المقاتلة . ولقد اكتسبت جبهة تحرير عمان والخليج العربي من خلال تصعيد المعارك الوطنية والطبقية ضد القوات البريطانية والنظام العماني تركيبا طبقيا ثوريا مما يدفعها بالتالي الى بناء نواة حزبها الثوري ، وتبني الايديولوجية العلمية كمرشد للكفاح ، وصياغة برنامجها واستراتيجيتها الثوريين .

معركة أيلول والمعضلات الاستراتيجية التي واجهت حركة المقاومة الفلسطينية

قبل تناول الدراسة النقدية « لهزيمة » أيلول يتعين تحديد بعض المنطلقات العامة لكي يمكن معرفة مواقع النقد الذي تتناوله الدراسة .

اولا : ان حركة المقاومة اندلعت وبدأت تتصاعد كظاهرة جماهيرية ثورية بعد حزيران ، اي بعد هزيمة الانظمة العربية وانهيار جيوشها وفقدان توازنها وبالتالي فقدان قدرتها على مواجهة تحرك الجماهير العربية عامة والفلسطينية خاصة في الجبهة الاردنية لمقاتلة العدو الصهيوني ، وهذا ما مكن حركة التحرر الوطني الفلسطينية من تصعيد أساليبها الكفاحية .

ثانيا : ان شعار وسياسة « عدم التدخل في الشؤون الداخليـــة للاردن » كان شعارا تكتيكيا صائبا رفعته حركة المقاومة بعد حزيران ٦٧ مباشرة ، لتوفر أجواء نموها وتدعم شرعية وجودها العسكري الذي اكتسبته بفضل بنادق مقاتليها في الوقت الذي تعاني فيه جيوش الانظمة والجيش الاردني بشكل خـــاص مرارة الهزيمة . تلك السياسة « عدم التدخل » التي لم يستطع النظام الاردني النفاذ من خلالها لمعارضة نمو المقاومة. وفي الوقت الذي كانت فيه الانظمة العربية تدعم المقاومة لتخفيف ضغط الجماهير عليها لاستغلالها كورقة تكتيكية ضاغطة تجاه اسرائيل ، كان الملك يعلن تأييده لها ، على أمل ضبطها في الحدود التي لا تخرج بها عن سيطرته وقيادة أركانه . لقد كان ذلك في وقت تبدو فيه التسوية مستحيلة رغم قبول قرار ٢٤٢ . الا ان الخطأ والخطر في « شعار عدم التدخل» كان يكمن في استمراره وجعله استراتيجية ثابتة وليس تكتيكا يضمن الاستعداد لمواجهة هجمات النظام المحتملة في أي وقت ، خاصة بعـــد أن تصاعد نفوذ المقاومة العسكري ونمت سلطتها السياسية .

ثالثا : بصعود حركة المقاومة وتحولها الى ظاهرة جماهيرية ثوريـــة ، ابتعدت حركة التحرر الوطني الفلسطينية عن حركة التحرر العربية الام . وبقـــدر تعمقها والتفاف الجماهير الفلسطينية والعربية حولها بدأت تحمل في أحشائها نواة النقيض الثوري لانظمة الهزيمة . وهذا ما كان يتطلب الاسراع بتأطيرها وتكبيلها عنـــد حدود سقف الانظمة قبل أن تتمكن من الالتحام بحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وتخلق تفجيرا ثوريا تعجز الانظمة امامه عن الصمود على امتداد المنطقة العربية .

من هنا واجهت الثورة الفلسطينية أول معضلة استراتيجية كان عليهـــا أن تحلها هي معضلة **العلاقة بينها وبين حركة التحرر العربية الرسمية (البرجوازيات الحاكمة) من جهة وبينها وبين حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية من جهة ثانية .**

رابعا : ان حركة المقاومة قد نمت نموا « شبه شرعي » بالتعايش مع النظام الاردني وتحت شعار وسياسة « عدم التدخل في شؤونه الداخلية » ووحدة البنادق ضد العدو الاسرائيلي ، وهذا النمو جعل تركيبها وبنيتها ووسائلها الكفاحية تترعرع وتتطـــور على اساس استراتيجية القتال ضـــد العدو الصهيوني وليس ضـــد جيش ودبابات « قومية » كما كانت تعتقد بعض قيادات حركة المقاومة وتعذر تحول مدافعها من مواجهة العدو الى اشعال حرب أهلية ضد حركة المقاومة . ان التطور والنمو في ظل العلاقة التعايشية الالية بين قيادة المقاومة وقيادة النظام الاردني هو ما جعل حركة المقاومة تختلف جذريا عن حركة تحرر وطني ثورية مسلحة تندلع من التحدي المسلح للنظام العدو وتنمو بالتضاد والتصادم وخوض المعارك الوطنية والطبقية ضد نظام تحالف القصر والاقطاع والملاك العقاريين . وهذا ما يجعلها تتصلب وتطور أساليبها الكفاحية من خلال سلسلة من المعارك التي تخوضها ضد أجهزته القمعية ومؤسساته السياسية . وهو بالنتيجة ما يضعف تماسك تلك الاجهزة ويرفع درجة تناقضاتها الداخلية ، وبالتالي ما يمكن الحركة الثورية المسلحة من معرفة جوانب الضعف والقوة في أجهزة القمع العدوة، وهو شرط يمكنها من بناء قواتها على اساس تلك المعرفة لضمان أحراز النصر في المعارك الحاسمة مع العدو . هذا الدور هو ما يمكن ان تلعبه الحركة الوطنيـــة الاردنية في نضالها ضد النظام الملكي قبل وبعد اندلاع حركة المقاومة او اثناء صعودها ولكن هذا

يتطلب بالضرورة ان تصل فيه الشروط الموضوعية والذاتية للحركة الوطنية والتقدمية في الاردن الى تبني استراتيجية كفاحية ثورية مسلحة لاسقاط النظام الملكي .

وفي الوقت الذي صعدت فيه حركة المقاومة بفعل الظروف الاستثنائية التي تضافرت لاندلاعها وتصاعدها ، كانت الحركة الوطنية الاردنية قبل حزيران وبعده تخوض نضالات ذات طبيعة ديمقراطية ضد النظام الملكي ، وقد أحرز النظام جولات عديدة في لجمها واضعافها . من هنا كان صعود حركة المقاومة المسلحة وخاصة بعد خلق ازدواج السلطة وبدء التحديات العسكرية للنظام ، قد خلق فجوة كبيرة في درجة التطور بين جناحي حركة التحرر الوطني الفلسطينية والاردنية . هذا التطور المتفاوت الذي عمقه وزاد هوته باستمرار الصعود المتزايد للمقاومة قد دفع بالمعضلة الاستراتيجية الثانية الى المقدمة. معضلة **العلاقة بين حركة التحرر الوطني الاردنية الديمقراطية والفلسطينية الثورية المسلحة** . وفي الوقت الذي كانت فيه الحركة الديمقراطية الاردنية لا تزال تطرح مهمات ديمقراطية وتخوض الكفاح بوسائل مختلفة ومتخلفة عن حركة المقاومة ، كانت المقاومة وبانعطافات مفاجئة يفرضها النظام عليها (أزمة شباط ، ازمة حزيران ، أزمة أيلول) تطرح مهمة اسقاط النظام الملكي بالقوة العسكرية كاحتمال قائم . وهذا ما يعني التناقض الحاد بين البرنامجين الديمقراطي والثوري (بمعنى التهديد باسقاط النظام والعمل على ردعه باستراتيجية الدفاع الذاتي) اما المقصود بالتعارض بين البرنامجين فهو ان الحركة الوطنية الاردنية وبرنامجها الديمقراطي الاصلاحي (اصلاح مؤسسات النظام وتحقيق مكاسب ديمقراطية ونقابية) وهذا لا يعني انها لا توافق على اسقاط النظام ثوريا بل وبالضبط كونها لا تملك اية استعدادات جدية عسكرية للمواجهة المسلحة ، وهذا ما ظهر جليا منذ الساعات الاولى لمعركة أيلول ان الحركة الوطنية الاردنية قد تقلصت الى عدد العناصر المسلحين الذين انخرطوا قبل الصدام في صفوف حركة المقاومة أو التحقوا بها أثناء المعركة . لقد جاء مشروع روجرز وأكمل النظام استعداداته الهجومية عسكريا وسياسيا وتجسدت واضحة معالم الازمة التي قادت الى معارك أيلول قبل ان تتمكن حركة المقاومة الفلسطينية من حل المعضلتين الاستراتيجيتين ثوريا العلاقة مع حركة التحرر العربية الثورية ، ومع الحركة الوطنية الاردنية . وهذا لا يعني بالطبع انها كانت هي وحدها المسؤولة عن هذا التخلف دون غيرها ، انما يعني أن هذا العجز هو نتاج الازمة العامة التي تمر بها حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية بمجموعها .

هذه المعضلات الاستراتيجية التي عانت منها حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية والاردنية الديمقراطية والثورية ولا زالت تعاني منها حتى الان ، كيف درسها صادق العظم وكيف نقد المقاومة من خلالها .

يكرس الكتاب ، الفصل الثاني لدراسة معركة أيلول وكما يقول في بداية الفصل « ان التقدم ولو بضع خطوات اولية على طريق تحقيق فهم أفضل لهزيمة أيلول وأسبابها وعواملها ، يتطلب تركيز التحليل في الاساس على حركة المقاومة نفسها وعلى محركاتها الاساسية » (ص ٧٨) . ويستشهد على الفور بتصريح لابي اياد الذي يمس فيه سمة جوهرية من سمات الطبيعة الخاصة التي انطلقت منها وتصاعدت في ظلها حركة المقاومة المسلحة في الاردن « كان عقلنا قبل ايلول ضد النظام ولكن تصلبت عواطفنا ضده بعد ايلول لاننا قبل ايلول اتينا للنظام «من فوق» ولم يكن يمارس ضدنا اي نوع من الاضطهاد ، بالعكس كان الملك ينتظر عشرين يوما لنسمح له بمقابلتنا وكنا نضرب أمامه الطاولة » (ص ٧٩) . وهذه السمة الجوهرية التي يمسها ابو اياد لا يبحث صادق ويدقق في حقيقتها والظروف التي أملتها والنتائج المترتبة عليها ، التعايش وليس التضاد مع نظام الملك وسقف الانظمة وحمايتها الذي سمح بل وفرض ميكانيكية العلاقة

بين نظام معاد لكل حركة جماهيرية وذي طبيعة رجعية استعمارية وبين المقاومة الفلسطينية المسلحة . هذه الخصوصية المتميزة في علاقة المقاومة بالنظام ، وطبيعة وتركيب ونشوء حركة المقاومة ، وعلاقتها بالانظمة العربية ودورها في رسم علاقة المقاومة بالنظام ، يواجهها صادق العظم وكما عودنا في سفره النقدي الطويل بوصفة جاهزة : « في مصطلحات العلم الثوري ان طبيعة النظام الملكي الرجعي معروفة جيدا والسؤال الذي يتجنبه حسام الخطيب هو « هل ان مثل هذا النظام قابل أصلا للتحييد والتجميد والتطويع » من قبل حركة تحرر وطني ثورية مسلحة تتناقض مصالحها وأهدافها بصورة جذرية مع مصالحه وأهدافه حتى في المدى القصير » (ص ٩٨) .

لا نريد هنا ان نناقش « حركة ثورية مسلحة تتناقض بصورة جذرية » بعد ان تحدث لنا العظم خلال مائة صفحة عن التصاقية المقاومة بأنظمة الهزيمة البرجوازية ، وكونها امتدادا مهزوما لها لا ندري كيف اصبحت تتناقض جذريا اذا كانت جزءا من الانظمة المهزومة .. بينما الانظمة المهزومة ليست في حالة تناقض مع النظام الاردني . ان ما يجب تأكيده هنا هو : ان حركة تطور الصراع وفصوله المتغيرة بتغير نسبة القوى ومواقعها وأهدافها ، حسب كل شوط وفصل في مسيرة الصراع ، وانهيار الانظمة وجيوشها وصعود المقاومة وعدم وجود تسوية في الافق هذه السمات طبعت الفصل الاول من الصراع ، وتكشفها كلمات ابو اياد : « اتينا النظام من فوق . ينتظر الملك عشرين يوما للمقابلة ، نضرب امامه الطاولة ، لم يمارس معنا أي اضطهاد ، » وفي الفصل الثاني بدأ التحول الذي طرأ على جميع عناصر اللوحة ، وعلى جميع مواقف القوى والفصائل : الموافقة على مشروع روجرز وصعود امكانات التسوية واعادة بناء الجيوش المهزومة وتماسكها وبالمقابل تركز ازدواج السلطة السياسية والعسكرية في الاردن ، وتحول حركة المقاومة الى حالة جماهيرية ثورية على امتداد المنطقة العربية ، هذه التغييرات هي التي حددت طبيعة واشكال المواجهة مع النظام الاردني والعدو الصهيوني وهي بالتالي قد أدت الى تغيير في الاهداف والاستراتيجيات الكفاحية بالنسبة لحركتي التحرر العربية والفلسطينية تجاه العدو الاسرائيلي وتجاه النظام الاردني . ان تلك التغييرات الجذرية التي حدثت بين هزيمة حزيران ومعركة أيلول ، وان كانت لا تلغي أهمية وجود استراتيجية ثابتة من النظام الملكي كعدو متحفز متراجع تراجعا مؤقتا ، ولا تغير من الطبيعة الرجعية للنظام الاردني كما تحدد ذلك « مصطلحات العلم الثوري » ولكن هذه الاستراتيجية الثابتة من النظام في الفترة بين حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ تفقد فاعليتها وديناميكيتها وصحتها اذا افتقدت الى الحلقات التكتيكية المرحلية الوسيطة والمتغيرة وحتى شعاراتها السريعة التغير حسب تغيير موازين القوى وتعيين الحلقات المركزية في معسكر الاعداء ، هذه الحلقات الوسيطة المتغيرة والشديدة الحساسية والاهمية لا تعني الدراسات النقدية التي تقدم مراحل وتصفي أخرى ، الا بصيغة سحرية عامة « عن مصطلحات العلم الثوري وطبيعة النظام المعروفة جيدا » !؟ لقد أصبح من الواضح الان ان تحليلات اليسار لعوامل هزيمة حزيران وطبيعة النظام الاردني ، ومسألة التناقضات الرئيسية والاساسية وتبدلاتها هي تحليلات صحيحة من حيث المبدأ كما أكد ذلك صادق العظم وهي حسب تعابيره « صائبة ومتقدمة وجذرية... وان اليسار قد بح صوته وهو يدعو لمواجهة الهجمة الرجعية » ولكنه لا يبحث لنا عن الاسباب العميقة التي جعلت برامج اليسار رغم صحتها النظرية عاجزة عن التحول الى ممارسة ثورية والى عدم تمكن اليسار من ان يصبح قوة ثورية فاعلة وحاسمة تتمكن من حسم الحلقة المركزية في الكفاح وتسقط النظام الملكي بمبادرة ومساهمة فعالتين ، هذه التساؤلات الجدية يختزلها العظم بأن اليسار « لم يحضر نفسه للمواجهة ، ولم ينصت للتحذيرات التي كان يطلقها هو نفسه » !؟

ان تنظيرات يسار المقاومة عن التناقض الرئيسي والاساسي والثانوي في تحديده لطبيعة الصراع بين النظام الاردني وحركة المقاومة الفلسطينية واعتبار التناقض ثانويا في الفصول الاولى لاندلاع حركة المقاومة بعد حزيران ، رغم محاولات النظام تغليب الثانوي على الرئيسي باستمرار ، ثم تحوله الى أساسي وحاسم بعد قبول القاهرة وعمان لمبادرة روجرز ، وتعيين الحلقة المركزية في سلسلة الاعداء : تصفية النظام الاردني ، هذه التحليلات صائبة وصحيحة نظريا ، اذا ما أغفلنا الشروط الشديدة الخصوصية التي رافقت تعايش حركة المقاومة مع النظام بعد ٦٧ . ان تلك التحليلات والتنظيرات تمكن من رسم استراتيجية وتكتيك ثوريين بالنسبة لحركة تحرر وطني مسلحة،أردنية ــ فلسطينية تقود حربا أهلية ثورية اندلعت نتيجة لوصول التناقضات الطبقية في المجتمع الاردني ــ الفلسطيني الى درجة التفجر والثورة ، **أي تتويجا للصراعات الطبقية الحادة التي أوصلت الكفاح الوطني الى مرحلة الحرب الثورية** ، قبل ان تواجه مهمة مقاومة الاحتلال أو **واجهتهما في آن معا** ، حينما يرفض النظام ومنذ بداية الاحتلال ايقاف الحرب الاهلية لمواجهة العدو . بمعنى آخر ان تكون تلك التحليلات والسياسات تنتمي لحركة ثورية ترعرعت وتصاعدت **عبر ديناميكية الصراع الوطني والطبقي** ، وليس ميكانيكية العلاقة بين قيادة المقاومة وقيادة النظام الملكي . تلك الديناميكية للصراعات تتجدد عبرها الاصطفافات الطبقية لمعسكري الثورة وتضادها نتيجة لهز وتدمير اسس **علاقات الانتاج المتخلفة التي يرتكز عليها النظام الاردني** ، وتحطيم اسس العلاقات الاجتماعية والانتاجية لتحالف القصر والاقطاع والملاكين العقاريين ، ودفع الصراع الى استقطاب وطني وطبقي حاد على امتداد فصول الحرب الثورية ، وشطر المجتمع الاردني الفلسطيني أفقيا (قبل أن يتمكن النظام من شطره عموديا وهو ما حصل) . المواجهة المسلحة مع مؤسسات النظام القمعية منذ اندلاع الحرب الثورية وانهاكها ومعرفة جوانب ضعفها وقوتها من المعارك الاولى وحتى المعارك الحاسمة الاخيرة للاجهاز على النظام وتصفية مؤسساته العسكرية والسياسية . هذه العلاقة من التصادم والتضاد والصراع هي ما تنتمي اليه تنظيرات يسار المقاومة . اما ظروف بناء المقاومة على اساس استراتيجية مقاومة جيش الاحتلال الاسرائيلي فقد جعل علاقتها مع النظام الاردني شكلا آخر تماما (التعايش ، دور النظام العربي وحدوده ، غياب الحركة الوطنية الاردنية المسلحة) . وفجأة بعد مشروع روجرز توضع حركة المقاومة أمام مهمات جيش شعبي ثوري يتصدى لمهمة ازدواج السلطة ، تفرض عليها طبيعة الصراع التحول من مقاومة العدو الصهيوني الى التصدي لجيش الملك .

حل ازدواج السلطة او تحرير الارض غير المحررة أي التي خارج سلطة المقاومة ؟

ماذا تعني هذه الاصطلاحات ؟ ان المقاومة لم تحرر شبرا واحدا من الارض التي تقف عليها بتحدي نظام الملك ، بل انها تقف على ارض الاردن بالتعايش معه هذا من حيث الشكل . أما حقيقة الموقف فهي ان المقاومة استطاعت ان تفرض وجودها بقوتها العسكرية التي تحمي التعايش من التجاوز والانفراط ، ما دامت موازين ونسبة القوى الداخلية منها والخارجية التي تتحكم بتلك العلاقة باقية لم تتغير . الا ان القوة العسكرية لحماية العلاقة التعايشية مع النظام شيء **وتحرير الارض وتدعيم سلطة المقاومة استعدادا لخوض حرب أهلية طويلة شيء آخر** . ان المقاومة بهذا المعنى لم تحرر شبرا واحدا من الارض التي تقف عليها خاصة من الريف الاردني حيث تواجدها العسكري الاساسي ، ما دامت لم تحرر الجماهير الفلاحية الاردنية وما دامت لم تحطم العلاقات الانتاجية في الريف . ان انصار الثورة الفلسطينية من الفلاحين والعمال الاردنيين والفلسطينيين يخضعون الى العلاقات الاجتماعية والانتاجية لنظام الملك وليس لعلاقات ثورية وقوانين شرعتها حركة المقاومة في الارض التي تقف عليها . ان جماهير الثورة التي تقاتل العدو الصهيوني والتي ترتبط بالعلاقات الانتاجية للطبقات التي تشكل

قاعدة النظام الاردني تخضع بالتالي لسلطة الاستغلال الطبقية الاردنية **التي تطولها من قلب الثورة ومن داخل حصونها** . هذا الواقع الموضوعي والموقف العربي الذي يشكل شرايين الدعم المالي والسياسي والعسكري للمقاومة هو الذي يشير لنا بدقة **استراتيجية الدفاع الذاتي** اولا وتراجع المقاومة ونكستها ثانيا .

كيف استطاعت تنظيرات اليسار تجاوز هذا التحليل بطبيعة حركة المقاومة وعلاقتها مع النظام الاردني ؟ لقد حاول اليسار ان يتصدى لهذه المعضلات وقد جاءت تنظيراته وشعاراته تؤكد حتمية التضاد والتصادم . ولكنها بقيت في حدود التحليلات النظرية التي لم تؤثر بشكل فعال في الاتجاه التعايشي العام . وحتى هذا « التصادم النظري » لم يكن من الممكن ان يستمر او يتقدم خطوة واحدة منذ ولادته دون ان يكون تحت حماية ومظلة الاتجاه العام لحركة المقاومة . هذا التحليل ، نؤكد مرة اخرى ، لا يعني للحظة واحدة ، ان الفشل كان حتميا ، والانتصار مستحيلا . . ان ما يعنيه فحسب هو البحث في الخلفية الفكرية والطبقية للصراع والتي تركت بصماتها على شكل وتطور المعارك باتجاه الدفاع الذاتي ، والتراجعات السياسية الخطيرة بعد أيلول من جهة والتي تفسر عدم قدرة يسار المقاومة من تحويل موضوعاته النظرية الصائبة الى واقع وممارسة ثورية فعالة حاسمة تمكنها من حسم الصراع لصالح حركة المقاومة من جهة أخرى .

ان العلاقة بين حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني الاردنية ، وطبيعة كل منهما قد شكلت معضلة جدية ذات اثر حاسم على تطور الصراع .

ان التخلف المروع لحركة التحرر الوطني الاردنية الديمقراطية قد أدت الى ارتباك وصدع جدي في علاقة المقاومة عموما واليسار خصوصا معها والذي عبر عن نفسه في « النيابة » عنها في التصدي لمهامها التاريخية **وامتصاص عناصرها وكتلها المتقدمة** ، بدلا من العمل على دعمها ومساعدتها لتمييز استقلالها كحركة وطنية اردنية وتثويرها لكي تستطيع ان تلحق بالاشكال النضالية المتقدمة للمقاومة وتواجه المهمات المشتركة التي تفرضها طبيعة الصراع بالاشكال الكفاحية المتقدمة التي تمكنت حركة المقاومة من استخدامها عند تعرضها لتحدي النظام . فصعود حركة التحرر الوطني الاردنية وامتلاكها أشكالا كفاحية متقدمة يجعلها قادرة على أن تتصدى للنظام **بهدف تغييره** واقامة حكم وطني ديمقراطي بدعم ومساعدة حركة المقاومة الحليفة ، **لا يهدف ردعه** كما فعلت حركة المقاومة بتركها لمهمتها الاساسية في **مواجهة العدو الاسرائيلي** . لقد كان التفاوت حادا بين اشكال النضال والفاعلية السياسية بين حركتي التحرر الاردنية والفلسطينية انعكس على طبيعة وأشكال مواجهة السلطة الاردنية . لقد تجسد التفاوت في اشكال النضال، والذي هو انعكاس لاختلاف طبيعة القوى ودرجة تطورها السياسي، في تعذر ايجاد استراتيجية كفاحية واحدة في مواجهة السلطة الاردنية . فبينما كانت حركة المقاومة تخوض كفاحا ثوريا مسلحا ضد العدو وتواجه هجمات النظام في الوقت نفسه بالردع المسلح مرة والتهديد باسقاط النظام بالعنف الثوري مرة أخرى ، كانت الحركة الوطنية الاردنية لا تزال تحبو في أساليبها النضالية التي ترتبط باستراتيجيتها الاصلاحية التي تهدف لانتزاع مكاسب ديمقراطية للجماهير . « فمن المعروف ان تجمعا وطنيا قد تكون برعاية الملك وعطفه يضم مختلف الفئات والاحزاب والشخصيات(٩) واشترك فيه بعض رجال الحاشية الملكية وقد بقي هذا التجمع — حتى ذلك الوقت — أي عشية أيلول مجرد تجمع سياسي بدون نشاط يذكر(١٠)، وفي عشية أيلول منعت السلطة الاردنية عقد مؤتمر للتجمع الوطني الاردني كان مقررا عقده في ١٣ أيلول .

هكذا « بأمر » حكومي واحد ألغت السلطة فاعلية الحركة الوطنية وشلت قدرتها في الدفاع عن حركة المقاومة وامكانية مشاركتها في مواجهة الهجمات العسكرية ذلك بسبب من استراتيجيتها النضالية وأساليبها الكفاحية المتخلفة عن حركة المقاومة عند

كل منعطف لاستقطاب الصراع وتحوله الـى مواجهة عسكرية حاسمة بين الجيش والمقاومة . اما بالنسبة للسلطة فقد كانت تضع في حساباتها ، وبدقة ، هذا التفاوت في أشكال النضال وكيفية مواجهة الحركة الوطنية والمقاومة كلا على انفراد . يبدو ذلك واضحا خلال الازمات الحادة ، أي خلال المعارك العسكرية ضد المقاومة . ففي أزمة ١٠ شباط ١٩٧٠ وجهت السلطة الاردنية بيانا من عشر نقاط لتقييد حركة المقاومة وشل فاعلية الحركة الوطنية . وبينما أصدرت في تسع منها تعليمات واجراءات عسكرية للحد من نشاط المقاومة المسلحة ، ذيلت البيان بفقرة واحدة تلغي عمليا امكانية أي تحرك جماهيري للحركة الوطنية « النشاطات الحزبية ممنوعة بموجب القانون وتمنع ممارستها بأي صورة من الصور ويحال المخالفون فيها على المحاكم حسب الانظمة المرعية . مادة ١١ »(١١).

وهذا ما تأكد بصورة رهيبة ومنذ الساعات الاولى لبدء المعركة المسلحة واستقطاب الصراع عسكريا اذ تقلص دور الحركة الوطنية الى عدد البنادق التي تملكها وتستعملها، وان وجدت فبشكل ردود فعل فردية ، وبحجم فاعلية العنـاصر التي التحقت بحركة المقاومة قبل المعارك .

هذه الطبيعة المعقدة للصراع وعمق التناقضات في المجتمع الاردني الفلسطيني التي تحكمت في مسيرة ونتائج معركة أيلول لا تحلها العبارات السحرية التي يستخدمها العظم في « علم المصطلحات الثوري » لكي يخلص بالنتيجة الى ان هزيمة أيلول هي امتداد لهزيمة حزيران ، وفي ايلول لاقت المقاومة حتفها .

لقد كانت المعضلة التي واجهت المقاومة عشية أيلول هي امكانية تحويل المقاومة المسلحة التي اندلعت وتصاعدت وترسخت عسكريا علـى أساس استراتيجية مقاتلة العدو الصهيوني من حركة مقاومة (فدائية) ضد العدو الصهيوني تتعايش مع النظام الاردني الى جيش ثوري يخوض حربا طبقية ثورية وبالتحالف مع الحركة الوطنية الاردنية ، ضد نظام تحالف الاقطاع والملاك العقاريين ، وحسم ازدواج السلطة لصالح الحركة الوطنية والديمقراطية الاردنية والمقاومة الفلسطينية ، بينما لم يكـن في حساباتها السياسية واستراتيجيتها انها ستخوض حربا أهلية ضد النظام الاردني ، وان الجيش الاردني سيواجهها بهذه القسوة والبربرية لتعد نفسها ولكي تتمكن من خوض الحرب بنجاح . ان المعضلة هنا تكمن في مدى امكانية تغيير استراتيجية الكفاح من حرب مقاومة ضد العدو الصهيوني الى حرب اهلية ضد جيش ونظام يرتكز الى قاعدة اجتماعية طبقية رجعية ومرتبطة بالاستعمار . هذا التغيير لا يمكـن ان يتم عشية الهجمة العسكرية الايلولية لانه مرتبط بجميع عناصر الخلفية التي تقدم تحليلها .

لكن للعظم تحليلا آخر للمعضلة ، وبرصانة لا ينقصها الحب يكتب مفتيا لحلها تدريبا لشن حرب العصابات ضد الجيـش وتدريبا لمواجهـة العـدو الصهيوني فيقـول « ان مواجهة الجيش الملكي في الواقع أصعب من شن حرب العصابات ضـد الجيش الاسرائيلي وتتطلب اعدادا من نوع آخر لقوات الثـورة يضاف الى اعدادها لمواجهة العدو الاسرائيلي والاحتلال الذي يفرضه » (ص ٢١٠) هكذا يقفـز في الهواء فوق ظروف نشوء المقاومة والعوامل التي تضبط ايقاع حركتها وتعيين اتجاهها . يفترض ان قوى الثورة المضادة ساكتة لا تتحرك وهي تنظر دون اكتراث الى « اعداد » المقاومـة ضد الجيش حتى تستكمل تدريباتها المزدوجة لتخوض المعركة المزدوجـة . هذا اذا افترضنا ان المعضلة هي معضلة اعداد وتدريبات وليست مسألة استراتيجية كفاحية هجومية تقوم على تأجيج حرب أهلية طويلة ، ضد النظام الاردني . وهي استراتيجية مغايرة تماما للبناء الفكري والعسكري والاجتماعي الذي قامت عليه حركة المقاومة .

وبعد هذه التوصيات ينتقل لدراسة العلاقة بين الانظمة العربية والمقاومة . وهنا يلجأ

الى صيغ فضفاضة انشائية غير علمية ، لا نجد فيها أي موقف فكـــري محدد يمكن محاكمته ما يضطرنا ان نستعير طريقة صادق في مثل هذه الحالات .. يقرر بأسلوب انشائي لا يحدد شيئا « لكن ليس هذا هو الالتحام المطلوب لان الالتحام المثمر ثوريا لا يمكن أن يكون مع حركة التحرر العربي الرسمية وعلى حالها الحاضرة [مع من اذن ؟ وكيف تتغير حالها الحاضرة] وعلى اساس الاتجاهات التي سارت عليها بعد الهزيمة الكبرى . الالتحام المطلوب لا يمكن ان يتم الا على مستوى ثوري أعلى [أي درجة من العلو] من كل ما هو قائم حاليا على الصعيدين العربي والفلسطيني . ويبدو واضحا لنا أن شق الطريق الى هذا المستوى [أي مستوى وضح لك] الارفع [؟] هو ما لم تتمكن حركة المقاومة من التوصل اليه وتحقيقه . ويواصل ... ليطرح لنا برنامجا غريبا في منطلقاته واستنتاجاته لتثوير المقاومة فيقول « ولا يمكن تثوير حركة المقاومة حقا بدون انفصال الدؤوب لايجاد السبل المناسبة والناجحة للتغلب على هذه الذيلية والقضاء على هيمنتهـــا وسيادتها نهائيا » (ص ٤٥) . لا يوضح لنـــا هذا الكلام أية مقاومـــة هي المقصـــودة . ثم مـــاذا تعني عبـــارات من نـــوع مناســـبة ؟ وناجحة ؟ وبصيغـــة غامضة افتراضية مرة أخرى تتحدث لنا الدراسة عن التخطي الثوري للواقع القائم والسيطرة عليه فتؤكد « ان القدرة المفترضة [ماذا تعني المفترضة في علم الاستراتيجية والتكتيك المبنية على التحليل الملموس للواقع الملموس] لحركة المقاومة على التخطي الثوري للواقع القائم والسيطرة عليه ينبغي ان تبـــرز في القدرة على الضغط الشعبي المستمر والمتصاعد عبر ذلك النوع من التنظيم الجماهيري ، وذلك النوع مـــن الكفاح المسلح [ذلك النوع وذلك النوع ، رائع] الذي يدفع بالوضع العربي باتجاه الاقتراب من مستوى المقاومة النضالي الارفع ويضطره الى تشكيل نفسه من جديد على صورتها [يلاحظ هذا الفيض من المجاهل والالغاز] واعادة ترتيب قواه الطبقية والاجتماعية بما يتناسب مع النموذج الثوري في الكفاح والتنظيم الذي تطرحه وتمارسه» (ص ٥٠). في هذا النص يصل العظم الى قمة ضياعه وضبابيته ـــ فكيف أجاز لنفسه الحديث عن قدرة مفترضة بعد أن كلّ الحديث عن هزيمـــة الفرع الفلسطيني كامتداد للهـــزيمة الحزيرانية . وكيف يبني دراسته على قدرة مفترضة للمقاومة بعد أن درس طبيعتها الملموسة كما يدعي . ثم كيف يتحدث عن ذلك النوع وذلك النوع بصيغة اسم الاشارة الى نوع غير محدد من التنظيم والكفاح ؟ اما كيف **يرتب الواقع العربي قواه ويعيد تشكيل نفسه على صورة المقاومة !!** فقد وصل العظم الى قمة طوباويته بعد ان صور الواقع العربي وكأنه مركبة فضاء اتوماتيكية تصحح مدارها وسرعتها ذاتيا !؟ لا ندري كيف سيضطر الواقع العربي الى اعادة تشكيل نفسه وترتيب قواه الطبقية ، بمعنى ان تصعد صيغ وتسقط أخرى وتتهدد مصالح وتترسخ أخرى وان تتميز حدود معسكري الثورة والثورة المضادة .. هذه الطبقات والمصالح التي تعيد تشكيل نفسها وترتيبها لا تفعل ذلك بارادتها (بالنسبة للطبقات السائدة) أي لا تتخلى عن مصالحها الطبقية ومواقعها لتأخذ صورة المقاومة بسبب صياغة ودعوة من نوع (ذلك النوع) وهي لا يمكنها ان تضطره لتشكيل نفسه بسبب القدرة المفترضة لها ؟! الا اذا لم تأخذ كلام العظم على اية درجة من الجدية والشعور بالمسؤولية .

امنية أخرى يوردها صادق العظم بعد أن يستشهد بنص لابي اياد يقول فيه « ان اعداء الثورة الفلسطينية يكونون سلسلة متماسكة من الحلقات تبدأ بالامبريالية الامريكيـــة والانظمة المرتبطة بها وتنتهي باسرائيل» ولكن ترتيبا على هذا التشخيص العام والصحيح « نظريا » . يتمنى العظم « لو ان فتحا (وحركة المقاومـــة) تصرفت فعلا ووضعت استراتيجيتها وخططها على أساس هذا التصـــور الواضح لطبيعة التناقض الرئيسي وحولته الى ممارسة سياسية كفاحية جدية لكانت نتائج اية معركة شبيهة بمعركة أيلول

مغايرة لما وقع فعلا » (ص ٢٠) . هكذا يتمنى بعد أن أرهقنا في الحديث عن قدر الامتداد وحتمية الهزيمة وتكرار قضية الاصل والفرع والعلاقة بين نتائج الهزيمة الحزيرانية والايلولية . اما عن الخلفية الفكرية والسياسية لاستراتيجية المقاومة السلبية والعوامل الموضوعية التي تحكمت فيها فقد اختزلها هنا ، بعد ان تحدث عن جزء منها في مكان آخر ، الى أمنية بنفسجية (حسب استعاراته) : الى « لو » الحائرة شقيقة « اللماذا » اللعينة التي حيرته وحيرت جميع المثقفين البرجوازيين غيره .. تلك « اللو » و « اللماذا » اللتان حاربتهما الماركسية بعد ان ارسلت دعائم العلم الثوري في الاستراتيجية والتكتيك وكشفت « الاسرار » التي تكمن خلف التناقض بين حركة الواقع وامكانية « اللو » وفسرت ما يحكم كل « لماذا » .

ان الاستراتيجية والتكتيك وجميع الممارسات السياسية التي تقوم عليها والتي تنهجها القوى الاجتماعية المختلفة ترتبط بجملة الظروف والشروط العينية المادية التي تحكم طبيعة واهداف وسلوك تلك القوى .. وهذا ما يعرفه العظم جيدا كما أعتقد .

ان النكسة « المؤقتة » التي منيت بها حركة المقاومة في احدى أهم معاركها لا تعني اطلاقا ان مرحلة من مراحل المقاومة المسلحة قد انتهت ، لتنهض مرحلة جديدة قادمة بقيادة حزب ثوري .. بل تعني وبالضبط ان **جملة معضلات ايديولوجية واستراتيجية لم تستطع ان تنجزها بنجاح حتى الان** . وكونها امتدادا لحركة تحرر عربية ام قد هزمت بجعلها تحمل أرثا من الامراض يكون بالتأكيد بين العوامل التي تجعل محاولتها لتجاوز أزمتها تتعثر .. الا أن ما هو أكيد وثابت أيضا أن أحزابا عمالية ثورية متمرسة في الكفاح والمقاومة المسلحة قد تعرضت لهزائم وانتكاسات متكررة في وقت لم تكن فيه امتدادا بل نقيضا جدليا لبرجوازياتها المهزومة والساقطة . ولكن تلك الهزائم لم تشكل بأي معنى حداً فاصلا بين مرحلة تستنفد وأخرى تنطلق ، بل عبر تلك النكسات والهزائم صححت المقاومة الثورية المسلحة لكثير من الشعوب سيرتها .

في الملايو : **قاد الحزب الشيوعي الملاوي** المقاومة المسلحة ضد الغزو الياباني منذ سنة ١٩٤٠ وتصاعدت المقاومة الثورية حتى عام ١٩٤٩ . ولكن عدم وضوح استراتيجية الحزب وسياسته تجاه بريطانيا وعودة الجيش البريطاني ، وبالتالي عدم قدرته على تحديد الحلقة المركزية في التناقضات ، والتبدل الذي طرأ على موازين القوى السياسية والعسكرية والذي استوجب استراتيجية كفاحية جديدة .. وتخلف الحزب عن تعيينها وصياغة تكتيكاتها ، أدى بالحزب الى المشاركة مع الجماهير في استقبال القوات البريطانية التي دخلت بعد استسلام اليابان . وعدم تهيئة اعداد ومقاتلي الحزب وكوادره لبدء النضال ضد القوات البريطانية جعل المقاومة المسلحة تواجه هزائم متتالية منذ عام ١٩٥٢ والى فترة غير قصيرة حتى تتمكن من التقاط المبادرة الثورية ثانية(١٢) .

في الفليبين : قاد الحزب الشيوعي الفليبيني المقاومة المسلحة في الجزر الفليبينية التي أندلعت عام ١٩٤٢ على اثر الغزو الياباني وتشكل جيش الشعب الثوري (الهوك)(١٣) في ٢٩ آذار ١٩٤٢ . وحينما أدركت القوات الامريكية ان استطالة عمر الاحتلال الياباني للفليبين سيعني اكتساح قوات « الهوك » والحزب الشيوعي الفليبيني أدركت المؤامرة على الفور وعملت على تحرير اكثر ما يمكن من المناطق وبأسرع وقت . اقامة حكومات محلية من لجان الدفاع المتحدة من اجل اجبار حكومة المنفى في الولايات المتحدة على اشراك « الهوك » في ادارة بعض المواقع في السلطة بعد التحرير . لكن الموقف من حكومة المنفى هو موقف تجاه الولايات المتحدة وسياستها وبالتالي فان عدم وضوح استراتيجية الحزب والثورة تجاه الولايات المتحدة وسياستها والتراجع أمام الضغط الامريكي ادى بقيادة الحزب و« الهوك » الى الاشتراك في استقبال القوات الامريكية . وهذا ما جعل الشعب يصاب بخيبة أمل كبرى بعد أن تقلصت توتراته الثورية ، في وقت

بدأت فيه المبادرة تنتقل الى القوات الامريكية **المحتفى بدخولها** والتي بدأت على الفور حملة **الارهاب والاضطهاد** .

ان **عدم تحديد** استراتيجية كفاحية تجاه الولايات المتحدة وعدم اعداد الشعب والمقاومة اعدادا تاما لمواجهة الموقف، أي عدم تحديد طبيعة التناقض الذي أصبح أساسيا والحلقة المركزية في الصراع ، جعل موقف «الهوك» والحزب لا يعكس قوته ولا يستخدم الطاقات الثورية التي يستطيع تفجيرها . وهذا الاضطراب جعل الحزب والمقاومة تتلقى الضربات والنكسات على يد القوات الامريكية أولا والعميلة ثانيا(١٤) .

ان المقاومة الثورية المسلحة استمرت وتصاعدت في كل مـــن الفليبين والملايو رغم الانتكاسات والانحسارات التي حلت بها وهي تقاتـــل وتتجذر وتتعلم من نكساتهـــا وانتصاراتها . وهذا ما يؤكد قطعيا ان الحزب الثوري الذي يمتلك نظرية ثورية ويقود مقاومة ثورية مسلحة يمكن ان يخسر معارك ومعارك لكن المقاومة المسلحة لن تتوقف ولن تكون المعارك غير الناجحة مؤشرات للمراحل التاريخية وسببا للانتقال من مرحلة لاخرى .

اما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية فان خصوصية حركة التحـــرر الوطني الفلسطيني وانتماءها التاريخي لحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية يجعل مهمة بناء الحزب الثوري وبلورة الأيديولوجية الثورية هي مهمات تواكب تصاعد النضال وتطوره ، عبر اكتساب الثورة مضامين طبقية وفكرية متقدمة من خلال ارتباطها العضوي بحركة التحرر العربية الثورية وجدلية تطور الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ـــ الامبريالي في عموم المنطقة .

٣ ـــ دروس النظرية الثورية ، والحزب الثوري ، والانحياز نحو الاشتراكية

يسجل العظم في توضيحه لهدف محاولته النقدية وفي الصفحات الاولى منها ، ملاحظتين يقول في الاولى « ان تقييمنا الاساسي يتنـــاول مرحلة معينة من عمـــر حركة التحرر الفلسطينية **مرحلة انقضت** واستنفدت نفسها ، ودخلت ميدان الاحداث التي تم حسمها في الماضي **القريب جدا** . وان مراجعة هذه المرحلة ودراستهـــا مسألة مهمة بالنسبة لمواجهة **المرحلة القادمة** من الكفاح الفلسطيني والعربي التحرري » (ص ١٢) . اذن مرحلة **انقضت** ومرحلة **قادمة** ، وليس هناك **حاضر** بين المرحلتين. هنا يستعير لنا العظم وبلهجة غاية في الجد ظاهرة من الظواهر التي يعنى بها علم الفضاء واصطلاحاته وهي ظاهرة « منطقة انعدام الوزن » وبالاستعارة **منطقة انعدام الثورة والمقاومة** . امـــا عملية الانتقال الجدلية المعقدة والتطور الديناميكي الحي الذي يحكم عملية الصراع والذي تتداخل فصوله النهائية للمرحلة **المحسومة** مع الفصول الاولى للمرحلة **القادمة** : مرحلة الحزب والنظرية ، فهي لا تعني شيئا بالنسبة للدراسة النقدية « الجادة » وهذا الفهم الاستاتيكي لطبيعة الصراع هو الذي يبين لنا بأي معنى تتناول الدراسة قضية الحزب والنظرية .

ان الحقيقة التي تكمن خلف الدراسة النقدية هي أن المثقفين الماركسيين الذين يرقبون تطور الثورة من الخارج ، ناقدين او مراقبين ، يجدون انفسهم غير معنيين بالمعضلات والمصاعب الجدية المباشرة التي تواجهها الثورات في كل طور من أطوارها ، وما تواجهه المقاومة الفلسطينية في **مرحلة الانتقال** نحو المقاومة الثورية القادمة من مهام نضالية مباشرة وتحديات شرسة ، تستهدف وجودها . ان هؤلاء المنظرين يعفون أنفسهم من تعيين مهام شروط تحولها الى مقاومة ثورية مسلحة ، ويضعون أنفسهم في مواقع لا يطالبون فيها بصنع قراراتها .

في مناقشة لموضوعات دوبريه حول البؤرة الثورية والحزب الثـــوري كتب المنـــاضل

والمثقف البرازيلي مارسيلو اندراي « ان دوبريه منظر مـــن نموذج خاص ، انه مثقف ماركسي ، وقد يكون المنظر الماركسي كادرا سياسيا ، أما دوبريه فليس كذلك ، وبالتالي، طالما بقي المثقف **مراقبا قارئا ودارسا** ، فان تقديره للمشاكل والمهام الثورية يبقى دائما **معمولا به من الخارج فهو لن يعيش ابدا هذه المشاكل على انها مشاكلـــه الخاصة المباشرة** ، التي يتوقف على حلها استمرار المنظمة التي يشكل جزءا منها » .

ان نظرية الثورة لا تتجلى في دماغ المثقف الا بخطوطها العريضة وملامحها الاساسية(١٥) ومن المعروف جيدا ان دوبريه قد واكب أكثر الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية ، وطرح موضوعات وتنظيرات للثورة اللاتينية المسلحة [ليس هنا مجال مناقشتها وتصويبها أو تخطيئها] الا ان موقف دوبريه ودراساته كما يقول اندراي يعين حدود دروسه « هذه المفاهيم التي يدعو لهـــا المثقف دوبريه لا شك من انه يحسن هذا الشغل جيدا باعطائه دروسا في الاستراتيجية لبيروقراطيي عشرات الاحزاب الذين قضوا عشرات السنوات في ماضي النضال (الشيوعي) لكن وضع المثقف يعين حدود الدروس التي يعطيها » وبالطبع فالمقصود هنا دروس **دوبريه وتنظيراته** ، التي شكلت في أغلبها سلاحا ماضيا فعالا بيد الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية ولحد الان ، وليس **نقـــد السيد العظـــم وارشاداته** .

ولكي نعين حدود دراسته بدقة والنتائج العملية التي تقود اليها استنتاجاته نطرح هذا السؤال الجاد : لو كان العظم مرتبطا مع تشكيلة ثورية مسلحة مقاتلة (بضع عشرات من المقاتلين) تشكل نواة المنظمة الحزبية الثورية التي تقوم على كامل مواصفاته وتشكل في تركيبها نواة طبقية عمالية ، وتمثل النظـــرية الثورية ، وتلتزم بالضرورة ببرنامج واستراتيجية ثوريين .. ماذا سيكون موقفه وقراره العملي في مؤتمر لتقرير **السياسة العملية** (للنواة الحزبية الثورية) في مواجهة **تحديات التصفية الامبريالية الاسرائيلية العربية** ؟ لا اعتقد اننا بحاجة الى جهد كبير لمعرفة ذلك الموقف ، فمن مراجعة الصفحات الاولى عن (منطقة فراغ الثورة) وعن (المرحلة التي **حسمت** والمرحلة **القادمة**) ومن التدقيق بتوصياته النهائية وتصوراته لبداية المرحلة الجديدة ، فان هذا الموقف سيكون **عمليا** تسليم البنادق الى أقرب مركز للبوليس او الجيش عربيا كان المركز ام اسرائيليا . أليست الشروط الموضوعية للمرحلة **القادمة** غير مكتملة (١٠٠ ألف بروليتاري ، اكمال بناء حزب ثوري ، تبلور النظرية الثورية ، انحياز نحو الاشتراكية .. الخ الخ) ؟ أين هي الجدية في مسؤولية المثقفين النقديين تجاه حقائق الصراع الطبقي والمنعطف الذي تجتازه حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية .

مواصفات الحزب والنظرية ويسار حركة المقاومة : واذا كان صادق العظم يعتقد ان المواصفات التي حددها حول الحزب والنظرية هي طريق نهوض مقاومة **ثورية جديدة** فان يسار المقاومة وتنظيراته وبالاخص الجبهة الديمقراطية كما يؤكد هو أيضا ، يمكن أن يحوز على كامل شروطه لموضوعة الحزب والنظرية . اما اذا كانت الاخطاء التي سجلتها الدراسة هي التي جعلته يقرر أن اليسار جزء من المقاومة المهزومة ايديولوجيا وسياسيا فان مثل هذه الاخطاء يمكن أن تقع فيها اية حركة ثورية مسلحة يقودها حزب ثوري ويتبنى نظرية ثورية كما تأكد في هذه الدراسة .

ولمعرفة الازمة الحقيقية ليســـار المقاومة ، من الضروري متابعة اعتراضات العظم وانتقاداته ومقارنتها مع الخلفية الحقيقية لازمة المقاومة عموما واليسار خصوصا . وحين يتأكد لنا عدم جدية اعتراضاته نخلص بالمقابل الى أنه لـــم يمس على الاطلاق الحقيقة التي تواجه حركـــة المقاومـــة في مناقشـــته لموضوعات اليســـار للتمييز بين التناقضات الرئيسية والاساسية والثانوية وكيف يدفع بالتناقض الرئيسي الى الوراء عند

تغليب تناقض ثانوي وتحويله الى أساسي (وهذا الجانب من التحليل هو الاكثر أهمية على الاطلاق في رسم اية استراتيجية وتكتيك ثوريين ، باعتباره يحدد المواقف المتغيرة بالنسبة للقوى الطبقية ــ الاعداء والاصدقاء ، والقوى المحايدة ــ) يخرج صادق العظم بتساؤل غريب « كيف يمكن أن يتحول التناقض الثانوي الى أساسي استنادا الى تعريف الجبهة لطبيعة التناقض الاساسي ... هذا اذا لم نذكر ارتداد نايف حواتمة هنا الى الموقف القديم الذي يعتبر التناقض مع السلطة الرجعية تناقضا ثانويا » (ص ٩٧) ، ويواصل أيضا رافضا الطريقة في التحليل ومعلنا جزعه : « في الواقع لقد باتت هذه الطريقة في التعبير نوعا من المتاهة حيث ضاعت المعالم بين الثانوي والرئيسي والاساسي ومواقع كل منهما وطبيعة عمليات التحول الجدلية التي تطرأ عليه » (ص ٩٧) . في مكان آخر يصوب تحليلات اليسار النظرية فيؤكد « ان استراتيجتها وتكتيكاتها لم تتناسب مع تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة » (ص ٢٥١) . اذن هنا يؤكد ان تحليلات اليسار النظرية صائبة ومتقدمة . هذه التحليلات النظرية الصائبة كما يقول لم يكن من الممكن التوصل اليها بدون تلك التمييزات الدقيقة والمملة بين التناقضات ورصد طبيعتها وتغيراتها . تلك التحليلات النظرية الصائبة هي نتاج « المتاهات » التي أعلن جزعه بها . ولكن الاستراتيجية والتكتيك بدون تلك التحليلات ستكون تجريبية ويائسة . اما تفسيره للمتاهة « حيث ضاعت المعالم بين الثانوي والرئيسي والاساسي ومواقع كل واحد منها وطبيعة عمليات التحول الجدلية التي تطرأ عليه » (ص ٩٧) فلكي يتأكد من عمليات التحول الجدلية التي تطرأ على التناقضات ، لا بد له ، لكي يتأكد منها ، من متابعة التطورات والتحولات الجدلية الحية بين اندلاع المقاومة وامكانية تعايشها مع النظام ، وتحول النظام الاردني الى الهجوم بعد مشروع روجرز والتدقيق في طبيعة القوى الفاعلة والمتحكمة في معسكري الثورة وقواها المضادة. اما القول بأن استراتيجيتها وتكتيكاتها لم تتناسب مع تحليلاتها النظرية الصائبة ، فينقض هذا التشخيص كليا في مكان آخر من الدراسة ، ويؤكد: « لقد حذر يسار المقاومة بدون كلل أو ملل من المخطط الذي كان يعده الملك حسين لتصفية حركة المقاومة في الاردن ، كما بح صوته وهو يدعو الى اتخاذ الاجراءات الفعالة ومواجهة خطر الهجمة الداخلية التي كانت قيد الاعداد » (ص ٢٥٢) اذ لم يكن هذا الموقف الصائب معبرا عن الاستراتيجية والتكتيك الصائبين فماذا يمكن أن يكون ؟ موقف العظم من يسار المقاومة كما ظهر هو : تصويب وتخطيء ، وتأكيد ونقض . في التحليل الاخير لا اعتراض بل تأكيد لصحة موضوعاته النظرية واستراتيجيته وتكتيكه ما عدا « لم يحضر نفسه ، ولم يتخذ الاجراءات الفعالة التي يدعو الى اعتمادها » وهذه الاعتراضات لا تمس البناء التنظري والاستراتيجي اذا كان صائبا . اما اعتراضه ونقده لبعض الممارسات والمظاهر ، والتي في جوهرها تتعلق بالمعضلة الاستراتيجية الاساسية معضلة علاقة حركة المقاومة بحركة التحرر العربي الرسمية من جهة والديمقراطية الثورية من جهة ثانية ، فانه يتناولها بتبسيط وخفة بالبنى . فيكتب في معالجة هذه المعضلة : « لقد استقر يسار المقاومة وكما هو واضح على دخول « لعبة الامم » على الصعيد العربي وهي اللعبة التي كان اليسار ينتقد فتحا ومنظمة التحرير بسبب تورطهما بها » (ص ٢٥٢) ثم يعدد المساوىء المترتبة على هذه اللعبة . [البيروقراطية ، التبعية ، التي تؤدي الى فقدان المبادرة].

كم يكون النقد مفيدا وثوريا لو تصدى صادق العظم لتحليل ومناقشة هذه الموضوعة التي يسميها « لعبة الامم » والتي تتعلق بأهم معضلات الثورة الفلسطينية اطلاقا . العلاقة مع الانظمة الرسمية والتي تنعكس سلبا او ايجابا على العلاقة مع حركة التحرر الديمقراطية الثورية . بعد معارك أيلول بدأت مرحلة جزر الثورة المؤقت . على صعيد المقاومة وعلى صعيد تراجعات الانظمة وردتها اليمينية كان منتظرا ان يحلل لنا سمات وطبيعة التحالفات **التكتيكية ، والمؤقتة والضرورية** في مرحلة الانحسار والتراجع.

والعلاقة بين تلك التحالفات **المؤقتة والتحالفات العضويـــة الاستراتيجية** مع حـــركة التحرر الديمقراطية والثورية . لكن تصديه لهذه المعضلة لم يتجاوز زهوه باكتشاف هذا الاصطلاح وتكراره دون ان يعطي اي تحليل جدي للتغيرات الخطيرة التي طرأت بعد أيلول على موازين القوى بين معسكري الثورة وتضادها . وعمليات التحول الجدلية التي طرأت على واقع حركة المقاومة خاصة وحركة التحرر العربية بشكل عام. وبالنتيجة حتما لا نجد فروقا جوهرية بين اقتراحاته للخروج من المأزق الذي تعاني منه حركة المقاومة وحركة التحرر العربية وبين تنظيرات وبرامج وسياسات اليسار ، نخلص الى انه لم يمس جوهر المعضلة التي طالما تساءل عنها وهي : لماذا لم تتحول تنظيرات اليسار الصائبة ... الى قوة مادية ثورية تمكن من تحويل حركة المقاومة الى مقاومة ثورية وتنجز معضلات الحزب والقطرية الثورية ، وبالتالي معضلات المقاومة الاستراتيجية .

ان أزمة اليسار ومنطلقاته النظرية وبرامجه السياسية أبعد وأعمق من ان تكون الاخطاء التي تحدث عنها العظم هي التي منعته من التحول الى قوة فعالة مؤثرة سائدة وحاسمة في تطور حركة المقاومة . ان الطبيعة الطبقية لتركيب حركة التحرر الوطني الفلسطينية والتي ترتبط بعدم وجود اقتصاد فلسطيني متشكل ومستقل ، والتي تنعكس بعدم وجود بروليتارية صناعية فلسطينية متميزة ونامية في تضاد مع برجوازيتها (عدا الضفة الغربية نسبيا ، وبعد سياسة الدمج بدأت فقد استقلالها النسبي) تتكـــون وتتصلب كطبقة اجتماعية صاعدة من خلال صراعاتها الثقافية والسياسية الثوريـــة داخل مجتمـــع فلسطيني متماسك اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا هذه الخصوصية تنعكس في ظـــل ظروف حركة التحرر الفلسطينية ومهماتها الكفاحية بظهور يسار مقاوم **يرتكز الى طبقة عمالية هلامية مشتتة وموزعة في علاقاتها مع برجوازيات مختلفة وعبر علاقات انتاجية واجتماعية** افقدتها ، لحد الان ، قدرتها على التماسك كطبقة متميزة صاعدة مستقلة عن الايديولوجيات البرجوازية الصغيرة . هذا الواقع لا يعكس نفسه على حركة المقاومة فحسب بل ينعكس بتغييرات مختلفة بالنسبة للحـــزب الشيوعي الاردني ، والحـــزب الشيوعي والمنظمات العمالية الماركسية داخل الارض المحتلة . [بالطبع بالنسبة للطبقة العاملة الفلسطينية داخل الارض المحتلة فان عوامل أخرى تحكم شروط حياتها غير غربتها الوطنية وعزلتها عن البروليتاريا في الضفة والاردن والبلاد العربية الاخرى] هذه العوامل مجتمعة قد منعت الطبقة العاملة الفلسطينية في جميع مواقعها ، لحد الان ، من التحول الى طبقة صاعدة تستطيع ان تقود حركة المقاومة الفلسطينية .

ان نظرة تحليلية سريعة يمكن أن تحدد لنا :

١ ــ ان حدة الصراع القومي مع العدو الاسرائيلي يجعـــل طبيعة « الجبهة المعادية لاسرائيل » واسعة وتضم قوى اجتماعية مختلفة ، الانظمة البرجوازيـــة العربية ، البرجوازية الفلسطينية المتوسطة بدرجات مختلفة من الاحتلال ، الى جانب القـــوى الديمقراطية والثورية الفلسطينية .

٢ــ التركيب الطبقي للمقاومة الفلسطينية، وازدياد حجم الفلاحين،وانصاف البروليتارية (من سكان المخيمات) وصغر حجم الطبقة العاملة (البروليتارية)(١٦) الصناعية، بسبب من سياسة الاحتلال ، والنظام الاردني اللذين حرصا على عدم تطوير الاقتصاد الفلسطيني بل وتخريبه [سياسة الجالية اليهودية ضد وعد بلفور ، في السيطرة على الصناعات وتطويرها برؤوس الاموال اليهودية واجبار الرساميل الفلسطينية على التوظيف في الزراعة] . وحينما يكون حجم الطبقة العاملة الفلسطينية صغيراً وموزعا ، فان دورها في المقاومة الفلسطينية سيكون ضعيفا وغير حاسم .

٣ ــ هيمنة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة على حركة التحرر الوطني العربية، وثانوية

الدور الذي تلعبه حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية [وانعدامه أحيانا في قيادة الثورة الديمقراطية] وعدم فاعليتها وقدرتها على التحالف الاستراتيجي الفعال مع حركة المقاومة الفلسطينية بسبب حاجز الانظمة البرجوازية وقمعها ، والذي تجعل من الحاجز والقمع عازلا بين حركة التحرر الوطني والديمقراطي والمقاومة لتحتفظ لنفسها بالعلاقة اللفظية والشكلية مع حركة المقاومة لمواجهة أزماتها الداخليـــة وامتصاص الضغط الجماهيري ، وتصريف انفجاراته باتجاه دعم حركة المقاومة ومد جسور ثورية معها ، وهذا بالطبع ما يشكل بالنتيجة خطرا جديا على الانظمة العربية .

هذه السمات التي رافقت حركة المقاومة هي التي شكلت الاساس الموضوعي لطبيعة وتكوين اليسار وجعلته غير قادر على تحويل برامجه السياسية والعسكرية الى قوة مادية فعالة وحاسمة . وهي عينها كانت خلف تراجعه المدوي بعد معارك أيلول وانحسار الحركة الديمقراطية وسيادة الاجنحة الاشد يمينية في تركيب الانظمـــة البرجوازية الوطنية . ذلك التراجع الذي لم تكن حـــدوده ونتائجه السياسيـــة في اطار التراجع التكتيكي الضروري والمؤقت في محاولة البحث عن تحالفات ضرورية مع الانظمة الوطنية المتقدمة . في مواجهة جزر الثورة . وهذه المعضلة يسميها صادق العظم، «لعبة الامم»، دون التدقيق والبحث في الاشكال والصيغ التحالفية المؤقتة الممكنة مع الانظمة العربية عبر اخضاعها للتوازن الدقيق بين علاقة المقاومة بالانظمة وعلاقتها بالحركة الديمقراطية والثورية النامية ، بالشكل والصيغ التي لا تشكل فيهـــا خطرا على نمو الحـــركة الديمقراطية والثورية في النظام الحليف . لقد أصبح من الواضح الان ان تراجع يسار المقاومة في تحالفاته مع الانظمة العربية قد ساهم في اضعاف بعض فصائل الحـــركة الديمقراطية والثورية ، وذلك بفعل السمة التضليلية التي يمنحها هذا النوع من التحالف والتي استخدمتها الانظمة لتزكية مواقفها أمام الجماهـــير . ولقد كانت انعكاساتها في اطلاق يد تلك الانظمة في معاركها الصامتة والحادة ضد الحركة الديمقراطية والثورية او في محاولات ترويض واستيعاب بعض من اجنحتها . وبالطبع ان عوامل تراجع يسار المقاومة التي فرضتها حدة الهجمة الامبريالية لم يكن فقط بسبب الصفات التي ميزت طبيعة تكوينه والتي جعلته بالاصل يحمل بذور التراجع في تكوينه ، بل وأيضا بسبب من عدم قدرة الحركة الديمقراطية والثورية العربية النامية على أن تلعب دورا فعالا ، من مواقعها النضالية ومن خلف أسوار وقمع انظمتها ، في دعم حركة المقاومة ، ومن جسور التحالف مع يسار المقاومة خصوصا والمقاومة عموما للمساهمة في صد هجمة أيلول والتقليل من آثارها واعانة حركة المقاومة على تجاوز أزمتها المؤقتة الحاضرة . وهذا يجب ألا يقود الى اعتبار ذلك الموقف نابعا من قصور وتخلف برامج وسياسات الاحزاب التقدمية والديمقراطية فحسب بل وبسبب من طبيعة الظروف التي تمر بها حركة الطبقة العاملة وحلفاؤها ، وطبيعة الصراع الذي يتخذ اشكالا معقدة مع انظمة برجوازية الدولة ، وتأثير عامل استراتيجية الحركة التقدمية العالمية على الصراع ، والذي يتمثل في الدعم غير المحدود لهذه الانظمة للمراهنة على تطورها (اللارأسمالي) . ان تصدي برجوازية الدولة الصغيرة لمعضلات ومهام الثورة الديمقراطية وتصديها لمواقع الاستعمار الجديد قد انعكس في سيطرتها على أجهزة الدولة واعادة ترتيب قاعدتها الاجتماعية التي ترتكز عليها أنظمتها فلقد استطاعت أن تخلق قطاعا عاما مسيطرا وتخلق لها الى جانب البيروقراطية شبه البرجوازية التي تسيطر على نمو الاقتصاد ركائز طبقية في المدينة والريف ، عسكرية ومدنية واذا كان هذا الوجه الاول لنظامها الاقتصادي والسياسي فان الوجه الثاني تمثل في تصديها لاية حركة ديمقراطية مستقلة عن قيادتها وتعارض برامجها وسياستها معارضة جدية ، بأقصى درجات العنف الرجعي والفاشي .

تلك هي الشروط المادية العينية لتخلف حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وهي

عينها التي كبلتها وجعلتها عاجزة عن تحقيق التحالف الاستراتيجي مع حركة المقاومة والمساهمة في تصعيد الكفاح الثوري ضد الامبريالية الامريكية واسرائيل في اكثر من بؤرة كفاحية .

اما عن ملامح المرحلة القادمة لحركة المقاومة فان صادق العظم يعينها لنا على الوجه التالي : « هناك طبقة عمالية فلسطينية تتكون حاليا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة سيكون قوامها في المستقبل حوالي ١٠٠ الف بروليتاري وفي الضفة الشرقية لا بد لحالة القمع الشديد السائدة ان تولد نقيضها ، اي حركة وطنية شعبية أكثر جذرية مما عرفته الاردن في السنوات الاخيرة » (ص ٢٥١). هذا الواقع الموضوعي الذي تحدده الدراسة النقدية سوف يتكون خارج المقاومة لانه قد اكد لنا انها قد « انتهت تقريبا » ومرحلتها « حسمت » في الماضي القريب وانها «غائبة عن الواقع الجديد» وبالضبط كما في صياغته « ان حركة المقاومة اصبحت غائبة عن الواقع الجديد الذي يتكون ، وغير قادرة على التأثير فيه » ويواصل متنبئا : «ان الاندفاعات التحررية المعادية للامبريالية الضاربة بجذورها بعمق في حياة الجماهير العربية ستعود لتؤكد نفسها من جديد بأشكال كفاحية أرقى وعلى أسس تنظيمية وطبقية اكثر جذرية مما عرفناه حتى الان ... ولكي تتحول الى ثورة حقيقية لا بد من التنبه الى ثلاث دروس استخلصها ماوتسي تونغ من قيادته للثورة الصينية » (ص ٢٥٣) .

ولنتفحص اولا بأول تصوره لتوفير هذه الشروط وتقريبها : اولا : بالنسبة لحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية ، استشهد بالتحركات العمالية والطلابية التي حصلت في المنطقة العربية ضد الانظمة البرجوازية المستسلمة بقوله « كما عبرت عن نفسها بوضوح في التحركات العمالية والطلابية الاخيرة » (ص ٢٥٣) هذه التحركات الثورية التي تمثل جزءا من الاندفاعة التحررية القادمة لم يقل لنا هل هي حائزة على شروطه ومواصفاته الثلاث ؟ حسب ما أعتقد ... لا ، وانما تكتسب متانتها الكفاحية الطبقية والنظرية من خلال تصعيد الحركة الديمقراطية الجديدة واستحداث اشكال نضالية متعددة ومن خلال عملية الصراع يبدأ الاستقطاب الطبقي . واذا كانت حسب رأيه لم تستكمل الشروط فماذا عليها أن تفعل لكي تنتقل الى المرحلة الجديدة.

ثانيا : المقاومة الفلسطينية حدد مستقبلها بـ « التفاعلات التحتية التي تجري داخل صفوف حركة المقاومة في الوقت الحاضر » (ص ٢٥٣) ماذا عليها ان تفعل امام هذه التفاعلات ؟ ما هو مصيرها عندما تتعرض حركة المقاومة للتصفية ، كما تحاول عبثا القوى المضادة للثورة ؟ وما هو موقفها تجاه الهجمة الامبريالية الاسرائيلية الرهيبة الشرسة في اخطر مراحلها اطلاقا ؟ وما هو دورها والقيادة البرجوازية ما زالت تقاتل ؟ هل يتعين لها **دور كفاحي كضمان «لفرملة» تراجع بعض عناصر القيادة ودفعها في الاتجاه الثوري** ... أم لا فائدة ترجى من الفرع الفلسطيني المهزوم وليس هناك شفاء غير ان يبدأ الحزب من الصفر . واذا كان عليها ان تبقى حاملة السلاح مدافعة عن ثورتها وحقها في القتال ، وهذا هو ما ستفعله بالضبط، في هذا الشوط من المرحلة «المحسومة» فما هي شروط الانتقال نحو المرحلة الجديدة ؟

ان صادق ، كما تؤكد دراسته ، لا يرى هناك واقعا وحاضرا للمقاومة ... انه يرى فحسب مرحلة انتهت ومرحلة قادمة يبشر بها ...

وبسبب من استشهاداته بالثورة الصينية واعلان موقفه اللينيني نتابع معه رحلة مقارنة قصيرة نستعين بها فحسب، بقدر السمات والمبادىء العامة والمشتركة في التجربتين... في نقده للبرنامج الزراعي والاقتصادي وتصوره لطبيعة مرحلة الانتقال للثورة الديمقراطية من القيادة البرجوازية الصينية الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الصيني، بعد ان تتكون البروليتاريا يحدد لينين :

« ان الديمقراطية البرجوازية الثورية التي يمثلها صن يات صن تفتش بصورة صحيحة عن سبل « تجديد » الصين في تنمية مبادرة جماهير الفلاحين وحزمها وجرأتها لاقصى حد فيما يتعلق بالاصلاحات السياسية الزراعية ... وفي النهاية ستنمو البروليتاريا الصينية بمقدار ما تزداد « الشنغهايات » في الصين وستشكل في أكبر الظن لونا من حزب عمالي اشتراكي ديمقراطي صيني يستنفد طوباويات صن يات صن البرجوازية الصغيرة ونظراته الرجعية ، ويبرز على ما نعتقد ، ويصوت ويطور النواة الديمقراطية الثورية في برنامجه الزراعي والسياسي »(١٧).

وفي ظروف الثورة الفلسطينية وقيادتها الوطنية المقاتلة تتكون المراكز الصناعية وتنمو البروليتاريا الصناعية الفلسطينية ، ولكن ليس في ارض ومصانع تحكمها الثورة الفلسطينية حتى تتكون لقيادة المقاومة مصالح اقتصادية واجتماعية من خلال سيطرتها على الاقتصاد وتوجيهه عبر دولتها واجهزتها البيروقراطية على حساب مصالح الشغيلة الاقتصادية ، حتى تبتدىء مصالحها (أي البروليتاريا) بالتناقض الحاد ، الطبقي ، قيادتها الوطنية الحاكمة . ان البروليتاريا الفلسطينية تنمو وتتطور في مصانع العدو الاسرائيلي والانظمة الرجعية والمساومة (الاردن بشكل خاص) بمعنى ، ان البروليتاريا الفلسطينية تصعد كفاحها ضد العدو القومي والطبقي في آن معا بالنضال الوطني ، وهو نضال ما دامت القيادة الوطنية تقاتل فهي جزء من استراتيجيته الكفاحية الطويلة الامد . القيادة الوطنية جزء منه عندما يكون (جنينيا) في المرحلة الحاضرة . وتتحالف معه عندما يصبح هو التيار الغالب والحاسم في حركة المقاومة وبازدياد حجمها ووزنها السياسي والعسكري تتعمق الستراتيجية العضوية لحركة المقاومة وتتوضح وتتجذر برامجها ... وتتقدم الى مرحلة حرب الشعب الثورية بقيادة عمالية تصونها من الانعطاف والتردد .

ولكن احتمال تراجع فصائل وعناصر من القيادة الوطنية يظل قائما ما دامت الطبقة العاملة جنينا واتجاهها داخل حركة المقاومة ليس فعالا وحاسما . ولكن طبيعة الصراع واستراتيجية العدو الصهيوني والامبريالي قد قلصت حدود التراجع وحشرتها في حدود الخيانة الوطنية والقومية . ان الهامش الوحيد المتروك امام تراجع العناصر الوطنية ومساومتها في صفوف حركة المقاومة يبدأ من مواقع التفريط بتراب الوطن وخيانة الثورة مهما كانت التبريرات النظرية « تاريخية وموضوعية »... وعندما لا تغادر تلك العناصر والفصائل صفوف حركة المقاومة فحسب ، بل تضع نفسها خارج حركة التحرر الوطني الفلسطيني .

والى جانب سياسة العدو ، فان المؤشرات والخصائص التي تميز حركة المقاومة هي :

١ ــ ان المقاومة المسلحة التي بدأتها القيادة الوطنية في بداية عام ١٩٦٥ ، لا تستطيع أن تتحكم بمسارها وبالتالي انهاءها ان ارادت لانها اصبحت ملك الجماهير الفلسطينية المسلحة خصوصا والشعب الفلسطيني عموما .

٢ ــ ان العمليات العسكرية التي يعترف بها العدو ولا تعلن عنها قيادة المقاومة قد بدأت تتصاعد في الفترة الاخيرة ، وهذه الظاهرة تشير الى ان الظروف التي يعيش تحت ظلها الشعب الفلسطيني تحت ضغط الاحتلال تولد مقاومة متجددة كل يوم ضد العدو . وبالاخص تلك العمليات التي تعكس المبادرات الذاتية الثورية ، بسبب من ظروف الارهاب وتعذر اجراء الاتصالات الدائمة بقيادة المقاومة . وهذه الظاهرة التي تنبثق دون قيادة لا يمكن التحكم في تطورها في المستقبل كضمانة ضد أي تراجع قيادي لعناصر وطنية .

٣ ــ التصميم الثوري للمقاتلين وجماهير المخيمات ، واستعدادهم لمواجهة حملات الابادة المنظمة التي تستهدف نزع سلاح الشعب الفلسطيني ... فالتصريحات التي ادلى بها قادة المقاومة (من جميع الاتجاهات والمنظمات) بصيغة ثورية محددة « أن القائد الذي يطالبكم بنزع سلاحكم صوبوه الى صدره » ، هذه الحقيقة لا تحمل الهزل ولا تعبر عن كلام حماسي يقال في المناسبات ، بل تعبر عن الحالة الموضوعية التي تعيشها الجماهير الفلسطينية وتصميمها على حماية ثورتها والدفاع عنها امام كل الاحتمالات .

لقد أظهرت معارك التصدي الاخيرة للمقاومة ، لتخويف وتطويع الشعب الفلسطيني عن الفشل التام امام ارادة الشعب الذي تصلبت ارادته وتعمق وعيه الثوري لمواجهة المؤامرات التي تستهدف تصفية قضيته ... ربما تخسر المقاومة معركة هنا وموقعا هناك الا ان صفة استمرارها ووجودها صفة ملازمة لوجود الشعب ورفضه ، والعدو واستيطانه .

اما اذا تعرضت المقاومة في احد مواقعها الى عملية ابادة اسرائيلية امبريالية عربية فقد ثبت بالملموس والوقائع ان البنادق التي ستسقط منها **لن يزيد عددها واحدة أكثر من عدد الشهداء** ... وهذا كفيل بان يزلزل الارض تحت اقدام اعداء الثورة ويخلق شروط صمودها واعادة المبادرة اليها وتصعيدها ، واذا كانت الحلقة المركزية والمعضلة الرئيسية التي تواجه حركة المقاومة تتلخص بصمودها ورفض كل الضغوطات عليها لاجبارها على التراجع والمساومة فان الشعار الثوري « من يطالبكم بالسلاح صوبوه الى صدره » يبقى هو الشعار الثوري لحركة المقاومة وحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية النامية . اما صادق العظم فان دراسته تعين له موقعا بعيدا عن موقع كل الثوريين العرب في المساعدة ودعم صمود حركة المقاومة في هذه الفصول الخطيرة من مرحلة انحسارها وحركة التحرر العربية عموما، وتصاعد الهجمة الامبريالية الاسرائيلية الرجعية واستمرارها .

وحتى تجتاز حركة المقاومة مرحلة الانحسار بنجاح تكون الشروط الموضوعية للاندفاعات التحررية والديمقراطية قد دفعت المنطقة العربية الى موجة صمود ثورية جديدة ، تكون المبادرة فيها للحركة الديمقراطية والثورية ومن خلالها تكتسب حركة المقاومة دفعا ثوريا في العمق وتجذيرا في تركيبها الطبقي وبنائها الفكري .

بقيت كلمة اخيرة لا بد ان نذكر فيها صادق العظم ، باعتباره قد الح على انه ينطلق من موقع مغاير لموقع الياس مرقص وان موقفه هو موقف لينيني « وانه مستوحى من الموقف اللينيني القائل بأنه كان ينبغي حمل السلاح بعزم أشد وباقدام أكبر وتنظيم أفضل ... » (ص ٨) : هل نجد هنا حاجة لتذكيره بأن صيغة **كان ينبغي** تعني الماضي (أي الموقف عشية وخلال ايلول) لا تصلح للمقاومة **في حاضرها** . وهو الحاضر الذي كان على صادق العظم ان يكون هدف دراسته ليحدد موقفه منه ومن سلاح الجماهير . فالمقاومة في حاضرها ما زالت تقاتل وتقاتل وتشد على السلاح ... ان الصيغة اللينينية الحقة لا تعدم مرحلة الانتقال بين مرحلة **حسمت** ومرحلة **قادمة** ، بل تترجم صيغة لينينية محددة على ضوء صيغة **كان ينبغي** بالنسبة لايلول . تخص حاضر المقاومة ومستقبلها. على المقاومة ان تشد على السلاح ، ان تشدد قبضتها عليه ، بعزم أقوى وبتصميم لا يتزعزع ، وتنظيم أفضل ، وبوعي ارقى لطبيعة الاعداء الذين يواجهون الحركة الثورية الفلسطينية والعربية .

الحواشي :

١ ــ **شؤون فلسطينية** ، العدد الخامس، ص ٥٠.

٢ ــ **حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية** (الجبهة الشعبية الديمقراطية) دار الطليعة ، بيروت ، ص ١٠١ .

٣ ــ **المصدر نفسه** .

٤ ــ **شؤون فلسطينية**، العدد الخامس، ص ٥٤.

٥ ــ من الواضح ان الصيغة السوفييتية المصرية المتقدمة لتفسير قرار ٢٤٢ ، كانت ترتد الى الوراء كلما تقدمت الصيغة الامريكية الاسرائيلية. الانهيارات الداخليـــة في الانظمة العربية هـــي الارضية الطبيعية التي رسمت عليهـــا حدود التراجع نحو الصيغة الامريكية الاسرائيلية ، بتحويل الهزيمة امام اسرائيل الى هزيمة امام الامبريالية الاسرائيلية .

٦ ــ **دراسات عربية** ، العـــدد الرابع ، سنة ١٩٧١ .

٧ ــ **المؤلفات المختارة ، لينين** ، المجلد الاول ، الجزء الثاني ، دار النشر للغات الاجنبيـــة ، موسكو ، ص ٤٥٦ .

٨ ــ **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٦ ، صفحة ١٧ .

٩ ــ الاحزاب المشتركة هي : البعث ، الاخوان المسلمون ، الحزب الشيوعي الاردني ، الحزب الوطني الاشتراكي (سليمان النابلسي) ، حركة القوميين العرب اشتركت في البداية ثم انسحبت بعد ذلك .

١٠ ــ **المقاومة الفلسطينية والنظـــام الاردني ، دراسة تحليلية لهجمة ايلول** ، منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٩ .

١١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٦ .

١٢ ــ **دراسات عربية** ، عدد ٢ ، سنة ١٩٧١ ، الصفحات ٨٩ وما بعدها .

١٣ ــ الهوك : (جيش التحـــرير الوطني) او الذراع المسلح للحزب الشيوعي الفلبيني .

١٤ ــ **دراسات عربية** ، عدد ١٢ ، سنة ١٩٧١ ، صفحات ٦٥ وما بعدها .

١٥ ــ **البؤرة الثورية والحزب الثوري** . مناقشات لموضوعات دوبريه ، ص ١٢ وما بعدها .

١٦ ــ ظروف العمل الخاصة التي يعيش في ظلها العمال الفلسطينيون في الارض المحتلة والاردن ولبنان وسوريا ، الذين تحرمهم الانظمة من كل حقوق نقابية للعمال مما يشجع الميول الانتهازية لدي شرائح وعناصر من الطبقة العاملة للاحتفاظ بعملها واستمرارها فيه .

١٧ ــ الشنغهايات: وكما يقصد بها لينين « المراكز الصناعية التي تخطط القيادة الصينيةالبرجوازية لبنائها » والتي يقول عنها صن يات صن « مراكز يتكدس فيها ملايين الناس ويتركز فيها الثراء الرأسمالي والعوز والبؤس البروليتاريان » .

النفط العربي كمحرك سياسي في ازمة الطاقة

عودة ابو ردينة

قال بيتر بيترسون ، وزير التجارة الاميركي السابق في اجتماع عقدته جمعية الفحم الوطني الاميركية في صيف ١٩٧٢ موجها كلامه الى الجمعية : « لقرنين من الزمن ، كنا نحرق شمعتنا من طرفيها . » ثم تلا بعض الابيات من شعر ادنا فنسنت فيلاي ، فكان كأنه يتلو مرثية ربما رددها احدهم يوما ما لرثاء جميع الصناعات الاستخراجية . تقول الابيات :

« شمعتي تحترق من طرفيها
وستنتهي قبل انقضاء الليل
لكنها أيها الخصوم ، لكنها أيها الاصدقاء
تعطي نورا بديعا »(١).

لقد قال رئيس الولايات المتحدة بأن هناك مشكلة في تأمين الطاقة . وفي الدورة الثانية والتسعين لانعقاد الكونجرس (١٩٧٢) وخلال الفترة الاولى وحدها من هذه الدورة أمضت ١٨ لجنة ولجنة فرعية ١٣٠ يوما وهي ترد على أسئلة تتعلق بنقص الطاقة . وحول ذلك علق احد المحامين الذي يعمل مع عدد من شركات النفط بقوله : « انهم يشبعون المسألة درسا . والمشكلة التي تواجهها الحكومة الان هي أن هناك ٤٣ وكالة معنية بالطاقة »(٢). ويقول وزير الداخلية ، روجرز مورتون ان عدد هذه الوكالات هو ٦١ وكالة(٣).

لكي نلم « بازمة الطاقة » سنركز في هذه الدراسة على النقاط التالية في محاولة لتحليلها وتقييمها : ١) دور النفط العربي في أزمة الطاقة : ٢) امتحان امكانية استخدام النفط والقوة المالية العربية كسلاح لدعم الوضع العربي في مواجهة اسرائيل والدول التي تدعمها وخصوصا الولايات المتحدة ، ٣) مدى رغبة الدول العربية الرئيسية المنتجة للنفط في استخدام النفط كسلاح ، ٤) السياسة الخارجية الاميركية والنفط العربي .

ابعاد ازمة الطاقة في الولايات المتحدة

تمتلك الولايات المتحدة ٥ بالمئة فقط من الثروات الطبيعية في العالم ، ولكنها تحتل المرتبة الاولى في معدل الطلب الفردي على الطاقة . وارتفاع معدل الاستهلاك الفردي هذا ناجم عما تملكه الولايات المتحدة من وسائل تعتمد على الطاقة . ففي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون سيارة وشاحنة ، و ٢٣٠٠ طائرة ، واكثر من ١٢ مليون مصنع ومركز عمل ، و ٧٠ مليون بيتا ، جميعها تحرق الطاقة وتستهلك ٥،٥ بليون برميل من النفط ، و ٥١١ مليون طن من الفحم ، و ٢٢ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي ، و ١٦٠٠ طن من اليورانيوم القابل للانشطار(٤). ان الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بكميات ضخمة من الاحتياطي في بعض المحروقات . غير ان هذه الكميات محدودة وهناك ضغط لاقامة نوع من الاولويات في استخدامها . وفي هذا المجال يعلق الدكتور جيمس شلسنجر ، رئيس

لجنة الطاقة الذرية ، بقوله « ان الحرية التقليدية التي كانت تتمتع بها الولايات المتحدة في اختيار ما تشاء من المحروقات العديدة ، قد انتهت »(٥).

ان نقصان الطاقة وارتفاع تكاليف القوى المحركة في بعض مناطق الولايات المتحدة قد يؤدي ، وفي غضون عشر سنوات ، الى عمليات نزوح ضخمة في السكان والمصانع من تلك المناطق الى مناطق أخرى يكون الوقود فيها أكثر وفرة . ويعتقد جيمس كيف ، مدير دائرة التجارة والصناعة في ولاية مين ، انه في الاثنتي عشرة سنة القادمة «سوف يؤدي النقص في الطاقة الى خنق النمو الاقتصادي ، والنمو الصناعي والتجاري ، ويقضي على الحاجات الضرورية »(٦).

يشير السيد كيف الى أن ولايات الساحل الشرقي ، والولايات الوسطى ، والوسطى الشمالية تضم ٧٢ بالمئة من مجموع السكان وتستهلك ٦٥ بالمئة من المجموع العام لاستهلاك الطاقة . وهذه الولايات اذن ، تعتبر « في حالة عجز بالنسبة للطاقة الاولية»، لانها تستهلك من الوقود أكثر بكثير مما تنتجه في أراضيها الذاتية ، او ضمن حدودها المحلية .

تقول احدى وثائق وزارة الخارجية ، ان الولايات المتحدة قد تصبح في عام ١٩٨٠ معتمدة على النفط العربي ، ما لم تتمكن سريعا من ايجاد مصادر طاقة جديدة او بديلة للنفط العربي . وتقول الوثيقة ، أنه في حال استمرار الاتجاهات الحالية ، فان الولايات المتحدة ستصبح في عام ١٩٨٠ معتمدة على الشرق الاوسط في ٦٥ بالمئة مما تستهلكه من بترول .

تتنبأ دراسة « صناعة النفط الدولية خلال ١٩٨٠ »(٧)، ان استهلاك النفط في ١٩٨٠ سوف يزيد على الضعف في المناطق الصناعية الرئيسية الثلاث خارج العالم الاشتراكي، وهي : الولايات المتحدة ، وأوروبا الغربية واليابان . اذ من المتوقع ان يرتفع ما تستهلكه هذه المناطق مجتمعة والذي يبلغ الآن ٣٠،٥ مليون برميل في اليوم ، الى ٦٢ مليون برميل . وسوف يرتفع استهلاك الولايات المتحدة من ١٥،٥ مليون برميل ، وهو ما تستهلكه حاليا في اليوم الواحد ، الى ٢٤ مليون برميل . كذلك سوف يرتفع استهلاك أوروبا الغربية من ١٢ مليون برميل الى ٢٦ مليون برميل في اليوم . اما استهلاك اليابان والذي يبلغ حاليا ثلاثة ملايين برميل في اليوم ، فسوف يقفز الى ١٢ مليون برميل(٨).

يتساءل السناتور توماس ماك انتاير بقوله « الى متى يمكن للحكومة أن تستمر بالسياسة الخاصة باستيراد النفط ، والقائمة على صد النفط الاجنبي في حين أصبح واضحا لدينا أن استيرادنا من هذا النفط سوف يزداد في السنوات العشر القادمة بما لا يقل عن مليون برميل في اليوم الواحد سنويا ؟ »(٩) .

كان هذا السؤال موجها الى جورج لينكولن ، المدير السابق لمكتب تجهيز الطاقة . وقد رد لينكولن على السؤال الا أن رده كان خياليا وكأنه يتكلم في جزيرة روبنسون كروزو . قال لينكولن :

« ان البرنامج الذي أشرف على ادارته يقوم عمليا باستحضار النفط الاجنبي ، وهو من ثم ، ليس برنامجا لاستبعاد هذا النفط . ولكن المشكلة التي أواجهها هي الى أي مدى وبأية طريقة نفعل ذلك »(١٠). ثم مضى لينكولن بعد ذلك يقلل من أهمية « الخطر على امننا »(١١)، والحاجة لتشجيع التطوير الوطني للنفط ومصادر الطاقة الاخرى. وقد بدأ حديث لينكولن للبعض ، وكأنه نوع من الوقائية المقنعة . في خطاب له أمام اللجنة التشريعية الخاصة بحدود وثروات البحار ، قال السناتور ماكفرن ان نظام استيراد

النفط يكلف المستهلكين الاميركيين حوالي خمسة بلايين دولار في العام ، ويأخذ حوالي ٢٠٠ دولار في العام من جيب كل عائلة في ماساشوستس(١٢).

ان أحد الاسباب الكامنة وراء نظام استيراد النفط ، وان لم يطرح ذلك علانية ، هو حماية منتجي النفط المحليين . فالنفط العربي يباع في مناطق الساحل الشرقي في الولايات المتحدة بسعر يقل حوالي ١،٢٥ دولار عن سعر النفط الاميركي للبرميل الواحد .

اما السبب الثاني فقد جاء على لسان هوليس دول ، المساعد السابق لوزير الداخلية لشؤون الثروات المعدنية . قال دول : « على الرغم من أنه لم يعد لدينا فائض في انتاج المنطقة الشرقية ، فان سياستنا لا زالت تقوم على الحد من الاستيراد ، ولا بد أن نستمر في هذه السياسة اذا أردنا أن ننجح حقيقة في التطوير التجاري للوقود الصناعي المستخرج من نفطنا وفحمنا »(١٣).

أما السبب الثالث فيتلخص في حجة الامن . كان الرئيس ايزنهاور قد فرض كوتا تحدد الاستيراد بـ ٧٣٨،٥٧٠ برميلا يوميا باسم الامن ـ تشجيعا للتصدير الوطني ولتقليل الاعتماد على التموين الخارجي ، والذي يكون عرضة للانقطاع بسبب الحرب او المناورات التجارية والسياسية . قام عدد من المنتقدين لنظام الكوتا باعداد اتهام قانوني يقول بأنه لم يجر استعراض حالة الامن في يوم من الايام على الاطلاق . وعلق جون ليتشبلو ، المدير التنفيذي لمؤسسة دراسة الصناعة النفطية ، بقوله ان نظام الكوتا لم يعد مفيدا « ان هذا النظام قد صمم لبلد يكون لديه فائض من الطاقة ، والولايات المتحدة لم تعد ذلك البلد »(١٤).

ان مخططي سياسة الطاقة الاميركية وبعض الاقتصاديين العاملين في شؤون النفط ، يولون عناية فائقة لازدياد اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربي . يقول جيمس اكنز « نحن في الولايات المتحدة ، لا نعير الاهتمام الكافي لما يعانيه العرب »(١٥) في مشكلتهم مع اسرائيل . ويعتقد توماس ستوفر ، من جامعة هارفرد ، بأن قيام الولايات المتحدة بازالة جميع القيود على استيراد النفط سيكون «اما عملا ساذجا او لا مسؤولا». ويشعر ستوفر بأن فرض القيود على استيراد الطاقة يمكن تبريره أمنيا واقتصاديا . « تشكل الاستيرادات الخارجية الى منطقة الشاطىء الشرقي حوالي ٥٠ بالمئة من استهلاك النفط ، في الوقت الذي نفدت فيه طاقة الاحتياط المحلي . وهكذا أصبحت التدفئة المنزلية وتوليد الطاقة الكهربائية، على امتداد ساحل الاطلنطي عرضة لانفجارات معادية للاميركيين في فنزويلا ، أو نتيجة لانجازات اسرائيل الجديدة في الشرق الاوسط . ونحن لا يمكن ان نقبل بوضع نكون فيه معرضين للأذى . ان منطق الامن يجد تدعيما له في كون النظام الحالي لتقييد استيراد النفط ، بالرغم من عدم ملاءمته ، لا يشكل عبئا اقتصاديا يذكر ، على الولايات المتحدة . اذ على الرغم من أن سعر النفط الاجنبي ادنى من سعر النفط الاميركي ، فان كلفته الاقتصادية أعلى في الواقع من كلفة النفط الاميركي »(١٦).

دور النفط العربي في أزمة الطاقة

ان الذي يعطي أهمية خاصة للنفط العربي ضمن الصورة الدولية للنفط هو أن ثلثي احتياط النفط الثابت والقابل للاستخراج ، خارج البلدان الاشتراكية ، موجود في باطن الارض العربية . ينقسم احتياطي النفط في العالم ، وفق تقديرات عدة مراجع صناعية ، على النحو التالي :

العالم العربي ٣٥٠ بليون برميل ، ايران ٦٠ بليون برميل ، الولايات المتحدة ٤٠ بليون برميل ، فنزويلا ١٥ بليون برميل ، اندونيسيا ١٥ بليون برميل ، كندا ١٠ بلايين برميل ،

بلدان غربية اخرى ١٠ بلايين برميل ، بلدان افريقية اخرى ٥ بلايين برميل ، بلدان أخرى(١٧) ٥٥ بليون برميل .

غير ان « هذه الصورة هي دون الواقع بكثير » ، على حد تعبير جيمس اكنز ، مدير مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية . فهذه التقديرات تعطي لاحتياطي السعودية ١٥٠ بليون برميل ، الا أن معظم الجهات مقتنعة بأن ما يوجد في السعودية يزيد على ضعف هذه الكمية على الاقل ، وبحسب هذه التقديرات ذاتها يوجد في العراق ٣٠ بليون برميل بينما الرقم الحقيقي يمكن أن يصل الى حوالي ٧٥ بليون برميل(١٨) .

لكي نفهم طبيعة السيطرة البترولية العربية يجب أن ننظر الى نسبة الاحتياطي الى الانتاج . ان ما يملكه العالم العربي من احتياطي يزيد كثيرا عما انتجه حتى الان ، اما في فنزويلا والولايات المتحدة فالامر على عكس ذلك . يقول والتر ليفي، أحد الاقتصاديين العاملين في حقل النفط : « استنادا الى المعلومات الحالية سوف ينتهي احتياطي الولايات المتحدة في غضون ١٢ عاما اما احتياطي الشرق الاوسط وشمال افريقيا معا فلن ينتهي قبل ٦٠ — ٧٠ سنة على الاقل »(١٩) .

من الواضح ان الولايات المتحدة تستنفد احتياطيها من النفط بسرعة تزيد على خمسة أضعاف السرعة التي يجري بها استنفاد الاحتياطي في العالم العربي ، كذلك فان ما يملكه العالم العربي من طاقة احتياطية تمكنه من احداث زيادة ضخمة في معدل الانتاج خلال العقد القادم . وهنا يكمن الدور الاساسي للنفط العربي . يقول كريستوفر توجندات ، عضو البرلمان البريطاني والخبير في النفط ، بأنه « ليس هناك بديل لنفط الشرق الاوسط »(٢٠) .

ويملك الاتحاد السوفييتي بدوره احتياطيا يزيد على ما أنتجه حتى الان كما ان هذا الاحتياطي يقدر بكميات هائلة . « ولكن ، حتى بدون الاعتبارات السياسية ، لا تستطيع اوروبا الغربية وأميركا الشمالية واليابان أن تنظر الى روسيا كمصدر رئيسي بديل لمصدر نفطها الحالي . ففي الاتحاد السوفييتي والبلدان الشيوعية يزداد الطلب على النفط بشكل سريع . وعلى ذلك ، فان دول أوروبا الشرقية تخطط بالفعل لكي يصبح الشرق الاوسط مصدر قسم كبير من مستورداتها النفطية ، اما الصادرات السوفييتية للبلدان غير الشيوعية فلن تكون أكثر من نقطة في بحر . وبحسب التقديرات الحالية سوف تصل الصادرات السوفييتية خلال السبعينات الى حوالي ٥ بالمئة مما تحتاجه أوروبا الغربية في الفترة ذاتها وان تلك الصادرات ستستخدم اجمالا لمواجهة الضغوطات المالية والالتزامات السياسية »(٢١) .

لا تتوقف أهمية النفط العربي على احتياطيه الضخم وانما تعود أيضا الى تكاليفه الرخيصة . تتراوح كلفة انتاج البرميل الواحد في العالم العربي بين ٤ الى ١٠ سنتات أميركية . وفي ليبيا ، حيث البترول هو الثاني في الرخص ، يكلف البرميل الخام ١٥ سنتا ، اما في فنزويلا فتصل كلفة البرميل من النفط الخام الى ٦٠ سنتا وفي تكساس تصل الى رقم خيالي اذ تبلغ ١٦٠ سنتا(٢٢) .

يرجع رخص النفط العربي في جزء منه الى معدل انتاجه العالي . ان معدل انتاج البئر الواحدة في الخليج العربي يزيد على خمسة آلاف برميل في اليوم ، وفي بعض الحقول يصل ذلك الى ١٥ الف برميل في اليوم . وبالمقابل لا يزيد معدل انتاج البئر في الولايات المتحدة على ١٤ برميلا في اليوم(٢٣) .

وتقل تكاليف البحث عن النفط في العالم العربي عنه في أي مكان آخر . ففي أوائل الستينات قدرت تكاليف اكتشاف الطن الواحد من البترول بـ ١٠٥ سنت في حين بلغت تلك

التكاليف ٣ دولارات في أوروبا الغربية ، و١،٤٠ دولار في الولايات المتحدة ، ودولار واحد في كندا و١٥ سنتا في فنزويلا و١٣ سنتا في افريقيا(٢٤).

تقدر القيمة الدفترية المستهلكة للاستثمارات النفطية الاميركية في العالم العربي بـ ٢،٢ بليون دولار ، وذلك وفقا لتقديرات وزارة التجارة الاميركية(٢٥). اما القيمة الاستبدالية أو التعويضية فتقدرها وزارة الخارجية بـ ٥٠ بليون دولار أو أكثر(٢٦). وتحول صناعة النفط الاميركية الى الولايات المتحدة ١،٦ بليون دولار في العام(٢٧). لكن ايرادات الدول العربية المنتجة للنفط تزيد بصورة مستمرة عن ايرادات الدول المستهلكة . ويعود ذلك جزئيا الى الاتفاقية الخاصة بالاسعار التي عقدت بين شركات النفط وحكومات البلاد المنتجة للنفط ، والتي كان من نتيجتها أن أصبحت ايرادات البترول لعام ١٩٧٠ على النحو التالي : ١٥،٦ ٪ بالنسبة لجميع البلدان ، ٣٣،١ ٪ في العالم العربي ، و٤٠،٨ ٪ في البلدان المستهلكة(٢٨).

يعتقد الكثيرون ان على الولايات المتحدة ان تقلل من اعتمادها على مستوردات النفط الاجنبي وخاصة النفط العربي ، وان تعوض عجزها في الطاقة بزيادة استغلالها للفحم. ولكن على الرغم من أن الولايات المتحدة تمتلك احتياطيا ضخما من الفحم يبلغ ٧٥٠ بليون طن ، الا أنها « لا تستطيع مثلا أن تقوم باحراق الفحم بصورة مباشرة في قطاع المواصلات ، كما ان الفحم ليس هو الوقود المفضل لعدد من مجالات الاستخدام » . ويضيف هربرت هانسن ، نائب رئيس شركة نفط الخليج الى ذلك قوله « ان التدفئة العامة التي كانت تعتمد على الفحم أصبحت تقوم الان على الغاز والنفط . يضاف الى ذلك ان اعتبارات البيئة تحد في الوقت الحاضر من استخدام احتياطينا من الفحم بكثرة في الصناعة وتوليد الطاقة وذلك لاحتواء الفحم على كميات كبيرة من الكبريت »(٢٩). وينبغي ان نشير اخيرا الى أن صناعة الفحم لا زالت تعاني من مشكلة كبرى هي سلامة العاملين بها . ففي الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٧٢ وقعت ١١٨ حادثة وفاة في المناجم ، وهذا العدد ليس مرتفعا الى درجة كبيرة بحيث يمكن أن يعتبر مشكلة كبيرة(٣٠).

وهناك بديل آخر للنفط يحظى الان باهتمام كبير ، وهو الوقود الصناعي من الشيل (Shale) والفحم . لكن السيد هانسن يعتقد بأن توقع حدوث زيادة ملحوظة في الوقود الصناعي خلال العشر او الخمس عشرة سنة القادمة ، هو توقع غير واقعي . « ومرة اخرى ، فان المهلة اللازمة التي يحتاجها التطوير التكنولوجي ، وتصميم المنشآت التي تتطلبها سلامة البيئة يجعل من المتعذر على الوقود الصناعي أن يصبح ذا اهمية قبل عام ١٩٨٥ . يقدر مجلس البترول الوطني أن انتاج النفط من الشيل سيكون في حدود ٤٠٠ الف برميل في اليوم ، ومن الفحم حوالي ٢٠٠ الف برميل فقط في اليوم الواحد عام ١٩٨٥ . ومن الممكن على أي حال مضاعفة هذه الارقام اذا توفرت برامج مكثفة . لكنها مع ذلك تبقى كميات ضئيلة نسبيا »(٣١).

يوضح هوليس دول ، أحد الاسباب التي تجعل من الاعتماد على النفط العربي قليل التكاليف على النحو التالي : ان ما تكلفه عمليات التنقيب عن برميل واحد من النفط الخام واستخراجه في العالم العربي ، يبلغ حوالي ٢٧٥ دولارا ، أي ١/٢٠ مما تكلفه عمليات استخراج كمية مماثلة من الطاقة في الولايات المتحدة « في المصانع الكيميائية التي تستخدم ثروات محلية » مثل الفحم والشيل(٣٢).

اما البديل الثالث للبترول فهو استخدام الطاقة النووية . ولكن أحد الخبراء الاميركيين الكبار في الطاقة النووية قد بدد الوهم القائل بأن الجواب يكمن في ايجاد مصانع تعمل بالطاقة النووية. يقول ريكوفر : « ان القوة النووية بدورها ذات طاقة محدودة ، تعتمد، كما هو معروف ، على اليورانيوم ، أي على ثروة محدودة . ولكن اذا استطعنا ان

نضمن امكان تمييع الهيدروجين قبل أن تتلاشى بقايا المحروقات ، فان مشكلة الطاقة تصبح أقل خطورة بكثير . لكننا لا نعرف سوى القليل عن هذا المصدر المحتمل للطاقة ، وتطويره سيكون أصعب عملية تكنولوجية عرفها الانسان . وفوق ذلك نحن لا نعرف حتى ما هي الاخطار المحتملة التي يمكن ان يتعرض لها الانسان من جراء استخدام هذا المصدر » .

لكن ماذا عن تطوير مصادر الطاقة الاخرى مثل الطاقة الشمسية ، وطاقة الارض الحرارية ، وطاقة المد والجزر ، وطاقة الكهرباء الستاتيكية ، وطاقة الجاذبية ؟

طريقنا الى المستقبل لا زال في بدايته ، وبعض هذه المصادر ذات قدرة محدودة على انتاج القوة . يقول ريكوفر « لو استطعنا السيطرة على كل الحرارة البركانية في الارض ، فاننا لن نؤمن سوى عشر ما يحتاجه العالم من الطاقة . والشيء نفسه ينطبق على طاقة المد والجزر . اما بالنسبة للطاقة الشمسية والتي تتعلق عليها آمال الكثيرين، فالمشكلة هي في تكاليفها الهائلة . فلو استطعنا مثلا ان نجمع ضوء الشمس الذي يسقط على ١٤ بالمئة من الصحراء الغربية في الولايات المتحدة ، فان ذلك يؤمن ما نحتاجه من قوة منذ الان وحتى عام ١٩٩٠ . لكن تكاليف هذه العملية ، على فرض نجاحها ، سيكون خياليا اذ يبلغ أربعة اضعاف تكاليف القوة النووية »(٣٣).

ان الولايات المتحدة ، ستكون مرغمة في السنوات العشر أو الخمس عشرة القادمة على الاعتماد على النفط كمصدر رئيسي لما تحتاجه من الطاقة .

وبما ان الاعتماد على النفط العربي سيزداد لمواجهة ازدياد الطلب على البترول ، فسوف تزداد اهمية العالم العربي بالنسبة للسياسة القومية الاميركية .

في عام ١٩٧٠ بلغ انتاج البلدان العربية ١٥ مليون برميل من النفط في اليوم أي ٦٠ ٪ من كمية النفط المتداولة في اسواق العالم والتي بلغت ٢٧ مليون برميل يوميا في ذلك العام . وستصل شحنات البترول في عام ١٩٨٠ الى حوالي ٧٠ مليون برميل اي ٧٠ ٪ . يقول جيمس اكنز ، انه في عام ١٩٨٠ ستزيد كميات النفط التي تنتجها أي من ليبيا او السعودية او الكويت او العراق وربما ابو ظبي عن مجموع الاحتياطي الفائض للبلدان الاخرى المنتجة للنفط مجتمعة . أي ان دولة واحدة من هذه الدول تستطيع في ذلك الوقت ، اذا أوقفت انتاجها ، أن تسبب أزمة نفطية ، ويمكن لدولتين معا أن تسببا أزمة خطيرة للغاية(٣٤).

وبسبب هذه المعادلة الجديدة في العرض والطلب ، يقول رئيس شركة كونتيننتال للنفط ، « سوف تشهد بلدان العالم الحر بين الوقت الحاضر (١٩٧٢) وعام ١٩٨٥ قيام تكتلات جديدة ومهمة للمصالح الاقتصادية والسياسية فيما بينها »(٣٥). ويوضح ماكلين كلامه هذا بقوله : « في الجهة الاولى سوف تقف دول الاوبك (المصدرة) ، وربما بعض الدول الاخرى المهتمة في تأمين أكبر فائدة يمكن استخلاصها من ثرواتها الطبيعية ، والتي تدرك في الوقت ذاته مقدار القوة التي تتمتع بها بفضل موقعها الاحتكاري . اما في الجانب المقابل فسوف تقف دول الاستهلاك الرئيسية ، التي ستكون مضطرة ان تشتري كميات متزايدة من النفط لخمس عشرة سنة على الاقل ، اذ لن يكون بامكاننا قبل ذلك الوقت ايجاد بدائل ذات اثر . وعلى هامش هاتين الكتلتين سوف تقف روسيا ، كمراقب مهتم وربما محرض ، وهي تشعر بالراحة لكونها الدولة الكبرى الوحيدة آنذاك التي تتمتع باكتفاء ذاتي في مصادر الطاقة »(٣٦).

ان زيادة مستوردات البترول تشكل هما آخر لمخططي الحكومة الاميركية ، ذلك هو زيادة العجز في ميزان المدفوعات . يقدر بيترسون ، وزير التجارة الاميركي ، انه اذا وصل استيراد الولايات المتحدة من النفط الى ١٢ مليون برميل يوميا في عام ١٩٨٠ ،

وكما هو متوقع ، فان ميزان المدفوعات الاميركي سيقع تحت وطـأة ٢٠ بليون دولار سنويا مما سيولد حالة « عسر هضم » اقتصادية وسياسية(٣٧).

كذلك فان زيادة اعتماد الولايات المتحدة على استيراد النفط والغاز ستترك ذيولا على الاسعار لها آثار مذهلة . وتقـدر وزارة الداخلية الاميركية ، اذا ما صحت التنبؤات حول المستقبل ، انه بمجيء عام ١٩٨٥ سيترتب على الولايات المتحدة ان تدفع الى الخارج ما يزيد على ٢٧،٥ بليون دولار في العام الواحد(٣٨). فالولايات المتحدة تستورد في الوقت الحاضر بما قيمته ٤ بلايين دولار من النفط سنويا . لكن هذه المبالغ تعوض من عائدات الارباح التي تحققها شركات النفط الاميركية العاملة في الخارج ، ومن صادرات المعدات التكنولوجية اللازمة لها . بل ان هذه الارباح تزيد كثيرا علـى المدفوعات المذكورة . اما عندما تصل المدفوعات الى ٢٧،٥ بليون دولار ثمنا للنفط المستورد ، فسوف تضيف عبئا ضخما الى الصعوبات الحالية التي يعاني منها ميزان المدفوعات ، وسيؤدي ذلك « الى عجز يفوق طاقة الامة »(٣٩).

ربما كان من المناسب أن نتذكر ان الولايات المتحدة قامت في كانون الاول ١٩٧١ بتخفيض قيمة الدولار بحوالي ٨،٦ ٪ . وكان ذلك لسببين : عجز في ميزان المدفوعات بمقدار ٢،٥ بليون دولار ، وفائض من الدولارات الجاهزة لدى اليابان بلغ ١٦ بليون دولار . اذن ماذا يمكن أن يحدث لو اضطرت الولايات المتحدة لاجراء تخفيض مشابه في المستقبل لكي تعوض عن العجز الذي سيبلغ ٢٧،٥ بليون دولار . يقول المر بنيت ، مساعد جورج لينكولن في مكتب التجهيز الاقتصادي ، « ان الذي سيحدث على سبيل المثال هو أن يصبح سعر سيارة الفولكسفاكن سبعة آلاف دولار في الولايات المتحدة » .

اما البلدان العربية المنتجة للنفط فستشهد ارتفاعا هائلا في دخلها من النفط في السنوات الخمس التالية وذلك بسبب زيادة الانتاج وارتفاع العائدات من البرميل الواحد . ويبين الجدول التالي (١) الارقام الخاصة بالانتاج والدخل لعامي ١٩٦٥ و١٩٧٠ والارقام المتوقعة لعام ١٩٧٥ .

جدول رقم ١

انتاج النفط (بآلاف البراميل في اليوم)، وعائدات الحكومات (بملايين الدولارات في السنة)

	١٩٦٥		١٩٧٠		١٩٧٥	
	الانتاج	العائدات	الانتاج	العائدات	الانتاج	العائدات
السعودية	٢،٢٠٥	٢٥٥	٣،٧٩٨	١،٢٢٨	٦،٥٠٠	**٣،٤٨٧**
الكويت	٢،٣٥١	٦٧١	٢،٩٨٩	٨٩١	٤،٠٠٠	٢،٠٥٩
العـراق	١،٣٢٠	٣٧٥	١،٥٥٨	٥١١	٢،٦٠٠	١،٤٣٣
ابوظبي	٢٨٢	٧٧	٦٩١	٢٢٢	١،٠٠٠	٥٣٦
قطـر	٢٣٠	٦٣	٣٦١	١١٦	٣٦١	١٩٤
عمـان			٣٣٣	١٠٧	٤٠٠	٢١٥
دبي			٨٦	٢٨	١٥٠	٨٠
البحرين	٥٧	١٦	٧٧	٢٥	٧٧	٤١
ليبيـا	١،٢١٣	٣٧١	٣،٣٢١	١،٣٠٠	٣،١٧٠	٢،٤٧٦
الجزائر	٥٦٥	١٤٤	٩٩٠	٣٦١	١،٤٣٠	١،٠٦٥
المجموع	٩،٢٢٣	٢،٣٧٢	١٤،٢٠٤	٤،٧٨٩	١٩،٦٨٨	١١،٥٨٦

ملاحظة : ان التقديرات الخاصة بانتاج النفط لعام ٧٥ هي تقديرات مضغوطة بالفعل ، اذ انها حسبت على أساس معدل اجمالي للزيادة السنوية هو دون ١٠ بالمئة بعد العام ٧١ . مع العلم أن الزيادة في الانتاج كانت ١٢ بالمئة عام ٧٠ و ١٨ بالمئة عام ٧١(٤٠).

ان ما يدخل للبلدان المنتجة للنفط من عائدات ضخمة سيعطي لقوة المال العربية مركزا جديدا مهما في أسواق العالم المالية . فيقدر جون ماكلين ، رئيس شركة كونتنتال ، مثلا ان عائدات دول منظمة الاوبك من النفط ستبلغ من عام ١٩٧٢ وحتى عام ١٩٨٥ حوالي نصف تريليون (٥٠٠ ألف مليار) من الدولارات . فالنفط يصدر من عدد محدود من الدول هي في الغالب دول صغيرة . ومعظم هذه الدول، خاصة تلك التي يتضاءل فيها عدد السكان وتتدنى كثافتهم لانتشارهم على مساحات شاسعة مثل دول الخليج وليبيا، لا يمكن أن تستثمر كل تلك الاموال في بلدانها . لذلك من المحتمل، على حد تعبير ماكلين، ان تتحول دول منظمة الاوبك الى مساهم كبير في المؤسسات المالية والشركات الصناعية في كل من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان(٤١). ويشير والتر ليفي ، احد الاقتصاديين المستقلين العاملين في حقل النفط ، انه نتيجة لذلك ستشهد خزائن بعض حكومات الشرق الاوسط وبعض الافراد المرموقين فيها ، سيلا متزايدا من الاموال الاجنبية بحيث تتكدس في هذه الخزائن كميات لم يسبق لها مثيل في تاريخ تجمع الاموال في العالم(٤٢). ويضيف ليفي ان تجارة النفط في المستقبل يمكن ان تؤدي الى اختلال في بنية العالم الاقتصادية والمالية . فهو يقدر انه بمجيء عام ١٩٨٠ سيصبح بين أيدي دول الشرق الاوسط المنتجة للنفط بين ٣٠ الى ٤٠ بليون دولار من النقد السائل سنويا ، يذهب نصفها الى السعودية . « فمثل هذه الاموال لا يمكن أن يجري توظيفها في استثمارات طويلة المدى او قصيرة المدى ، كأن توظف هذه السنة وتسحب في السنة القادمة ، دون أن يؤدي ذلك الى انعكاسات دولية خطيرة قد تؤدي الى فرض قيود شديدة على حرية حركة رأس المال . ان أية قيود دولية على رأس المال ، او حتى الحد من انتقال الاموال لفترات طويلة ، سيلحق أكبر الاضرار في نظامنا المالي »(٤٣).

يعتقد بيترسون ، وزير التجارة السابق ، ان العجز في ميزان تجارة الطاقة سيبلغ في عام ١٩٨٠ حوالي ١٥ — ٢١ بليون دولار في الولايات المتحدة ، و ٢٠ — ٢٦ بليون دولار في أوروبا الغربية و ٩ — ١٥ بليون دولار في اليابان . ويحذر بيترسون من ان هذا العجز المتوقع بمقدار ٤٤ — ٦٢ بليون دولار ، قد تكون له « آثار دراماتيكية مهمة على العلاقات السياسية والاقتصادية في العالم »(٤٤).

« وستصبح الدول العربية المنتجة للنفط ، كقوى مالية ، منافسة للشركات العالمية الضخمة . وتستطيع هذه الدول ، بتحريك أموالها من بلد لآخر ، أن تلحق الدمار بنظام النقد الدولي . فاذا وظفت هذه الدول أموالها في الولايات المتحدة مثلا ، فان الزيادة السنوية في ممتلكاتها ستصل تقريبا الى مقدار ما تدخره جميع الشركات الاميركية . ومثل هذه الزيادة في الاستثمار يمكن أن ترفع من معدل نمونا الاقتصادي بمقدار كبير — تماما كما يمكن لهذه الاموال اذا لم تجد مجالات للاستثمار أن تسبب ركودا اقتصاديا »(٤٥).

ان عائدات الدول العربية المنتجة للنفط تتراكم بشكل سريع بحيث سيصبح ما تملكه من احتياطي اجنبي حوالي ٩ بلايين دولار عام ١٩٧٥ . وبحسب تقديرات وزارة الخارجية، سيصبح ذلك الاحتياطي الاجنبي من ذهب ودولارات وغيرها حوالي ٣٠ بليون دولار او اكثر في عام ١٩٨٠(٤٦). ومعنى ذلك ، يقول بروجهام ، الرئيس السابق لشركة ارامكو ، انه سيكون بمقدور الدول العربية ان تفرض اي حظر تشاءه على تصدير النفط الى بلد معين او مجموعة من البلدان . ومما لا شك فيه أن حظرا طويلا على التصدير تمارسه بلدان منظمة الاوبك او الكتلة العربية في المنظمة سوف يعجل بوجود أزمة في الطاقة لم يسبق لها مثيل في البلدان المستهلكة للنفط أو تلك التي اوقف عنها البترول . ومثل هذا

الوضع يمكن أن يشل اقتصاديات أوروبا الغربية واليابان ويسبب اضطرابات خطيرة ، وتقنين ، وغير ذلك من الآثار السلبية في هذا البلد (اميركا) »(٤٧). ان تسيطر الدول العربية على كميات كبيرة من احتياطي النقد ، يقول بروجهام ، « لن يكون مجرد عامل يسمح لها باستخدام النفط كسلاح ، فهذا الاحتياطي هو سلاح بحد ذاته . ولكن هل ستلجأ دول الشرق الاوسط او بعضها لاستخدام نفطها او احتياطيها النقدي كسلاح سياسي ، ولأية أغراض ؟ ذلك ما لا أستطيع التنبؤ به . الا أن الحقيقة التي يجب ان ندركها هي ان تلك الدول تستطيع ذلك ، وتلك حقيقة لا نستطيع تجاهلها ونحن نرسم سياستنا الخاصة بالطاقة او سياستنا الخارجية »(٤٨).

اتفاقية المشاركة والنفط العربي

كان تشكيل منظمة الدول المصدرة للنفط عام ١٩٦٠ ، هو الخطـــوة الاولى في طريق السيطرة المالية . ففي ذلك العام تشكلت المنظمة بهدف مواجهة التدهور الذي طرأ على اسعار النفط الخام في أواخر الخمسينات . وقد نجحت الاوبك في الستينات بوضع حد لتدهور الاسعار ، لكنها لم تستطع حمل شركات النفط علـــى زيادة مدفوعاتها الـــى الحكومات الا بمقدار ضئيل للغاية .

أدت حرب ١٩٦٧ الى انطلاق القوى التي أحدثت تغييرا جذريا في صناعة النفط الدولية. فقد أدت تلك الحرب الى زيادة العداء العربي للمصالح الغربية بسبب الدعم الاميركي لاسرائيل . كما أدت الحرب ايضا الى اغلاق قناة السويس مما جعل أوروبا الغربية تصبح أكثر اعتمادا على النفط الليبي . ثم جاءت الثورة الليبية وتلا ذلك مباشرة قيام مجابهة بين ليبيا وشركات النفط . عرضت الشركات يومها زيادة زهيدة في المدفوعات مما أغضب النظام الثوري في ليبيا . وفي المجابهة الثانية بين الطرفين رمت ليبيا بكل أوراقها التي أذهلت القائمين على صناعة النفط . قالت ليبيا « ان حاجة الشركات الى النفط اكبر من حاجة الدول المنتجة الى العائدات »(٤٩)*.

وحذت باقي الدول المنتجة للنفط حذو ليبيـــا . وحصلت الحكومات بموجب اتفـــاقيتي طهران وطرابلس على زيادة كبيرة في نسبة ما تدفعه لها الشركات ، اذ كانت الاموال تقسم مناصفة بين الشركات والحكومات قبل عام ٦٧ ، اما الان فأصبح نصيب الحكومات ٧٩ بالمئة مقابل ٢١ بالمئة للشركات . ثم كانت الضربة القاضية في شهر تشرين الاول ١٩٧٢ ، حيث تم التوصل الى اتفاق بين الشركات وخمس دول عربية منتجة للنفط . ويدعو الاتفاق الى مشاركة الدول العربية المنتجة للنفط ، في الانتاج مع احتفاظها بمـــا تحصل عليه من فوائد ضخمة .

وصاحب فكرة المشاركة هذه هو الشيخ احمد زكي اليماني وزير النفط في السعودية ، الذي يصف المشاركة بقوله انها « زواج كاثوليكي لا ينفصم بين مصالح البلدان المنتجة للنفط والبلدان المستهلكة وشركات النفط »(٥٠). علق محلل صناعي على ذلك قائلا : « حقا انه زواج على الاصول ــ عرس بارود »(٥١). واستعمل ناطق باسم احـــدى الشركات تعبيرا اخر لوصف العملية فقال « انها اغتصاب بالرضى »(٥٢).

وبموجب الاتفاقية الجديدة سيصبح للحكومات العربية نسبة ٢٥ ٪ من أسهم الشركات عام ٧٣ على أن ترتفع هذه النسبة تدريجيا لتصل الى ٥١ ٪ في عام ١٩٧٣ ، وذلك على الشكل التالي : تبقى نسبة الـــ ٢٥ ٪ ثابتة حتى عام ١٩٧٨ ، وترتفع الى ٣٠ ٪ عام ١٩٧٩ ثم تزداد بنسبة ٥ ٪ سنويا حتى عام ١٩٨٢ ، ثم تزيد اخيرا ٦ ٪ في عام ١٩٨٣ فتصل بذلك الى ٥١ ٪ (٥٣).

* أعدت هذه الدراسة في مطلع العام ١٩٧٣ وقبل اجراءات التأميم الليبية الاخيرة .

ما هو تأثير اتفاقية المشاركة على كبرى شركات النفط وهي شركة ستاندرد اويل (نيوجيرسي) ؟ ان ٤٠ ٪ من جملة انتاج هذه الشركة و ٦٩ ٪ من احتياطيها المعروف موجود في الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وتشمل مصالح الشركة في العالم العربي على ملكيتها الكاملة لشركة اسو ستاندرد الفرعية العاملة في ليبيا ، و٣٠ ٪ من شركة ارامكو و١٢ ٪ من شركة بترول العراق المحدودة ، وهي شريك ايضا في عدد من الشركات العاملة في العراق وقطر وابو ظبي وسوريا ولبنان .

وبحسب الاتفاقية الجديدة التي تعطي السعودية ٢٥ ٪ ستكون حصة الشركة ٢٢،٥ ٪ من الـ ٧٥ ٪ الباقية (اي ٣٠ ٪ من ٧٥ ٪) ، مما يعني ان حصتها من الانتاج اليومي ستنخفض بحوالي ٣٦٤ الف برميل ، وتنخفض حصتها من الاحتياطي المعروف بحوالي ٦،٥ بليون برميل(٥٤) . وعندما تصل حصة السعودية الى ٥١ ٪ سينخفض ما تملكه شركة جيرسي من احتياطي في مختلف انحاء العالم بحوالي ٢٧ ٪ اذ سينخفض من ٥٠ بليون برميل الى ٣٦،٢ بليون برميل . اما معدل انتاجها اليومي فسيهبط بحوالي ١٤،٥ ٪ اذ سينخفض من ٤٦،٨ مليون برميل الى ٤٠١ مليون برميل يوميا وذلك استنادا الى حصتها في ارامكو وهي ١٤،٧ ٪ (اي ٣٠ ٪ من ٤٩ ٪)(٥٥) .

أما بالنسبة للتعويضات التي ستحصل عليها الشركات من الحكومات لقاء امتلاك الاخيرة للاسهم فسيتم حسابها على أساس « صافي القيمة الدفترية الحالية » ، والتي تعني أساسا قيمة دفترية معدلة لتساير نسبة التضخم . ولن يتم دفع تعويضات عن كميات النفط الاحتياطية في باطن الارض او عن الخسائر المستقبلية ، وهو ما كانت الشركات تطالب به(٥٦) .

يقول فؤاد اتيّم محرر مجلة « ميدل ايست ايكونوميك سيرفي » ان المشاركة سوف تضمن تأمين استمرار تدفق النفط ، كما تضمن ثبات الاسعار . « ... ان البلدان المستهلكة هي التي ستجني اعظم الارباح من هذه العملية . ذلك ان استمرار شركة النفط يلعب دور الوسيط بين البلدان المستهلكة والبلدان المنتجة ، ودخول شركات النفط الوطنية في البلدان المنتجة الى ميدان العمليات باستثمارات كبيرة ، سيجعل كلا من المستهلك والمنتج معتمدين تماما على بعضهما . هذا الاعتماد المتبادل هو الذي سيضمن تأمين تدفق النفط وكذلك ثبات الاسعار »(٥٧) .

أما بالنسبة لتأثير المشاركة على البلدان المنتجة للنفط، فيقول السيد اليماني«ان ذلك لن ينحصر في زيادة العائدات عن كل برميل . ولكنها ستعطي الدول المشاركة قوة سياسية تؤخذ في الحسبان على صعيد توازن القوى الدولي »(٥٨) .

استخدام النفط والمال كسلاح سياسي

لقد دأبت الدول العربية ، خصوصا التي في موقع الصدام المباشر مع اسرائيل ، على الدعوة لاستخدام النفط كسلاح سياسي ضد الولايات المتحدة . واصبحت هذه الفكرة قوية الان . كان الرئيس السادات قد قال في عام ٧٢ بأن المصالح الاميركية في العالم العربي مقبلة على « خريف حار طويل » . ولا يمر اسبوع الا ونسمع هذه الدعوة تعلن في لقاء رسمي او في صحيفة او من قبل اتحاد نقابي ، لكن شيئا لم يحدث حتى الان .

يدعو الاقتراح السعودي الى عقد اتفاقية بين الولايات المتحدة والسعودية تكون غايتها ضمان تأمين حاجات الولايات المتحدة من النفط في المستقبل ، على أن تعطي الولايات المتحدة معاملة الافضلية للنفط السعودي ، وان تسمح للاموال السعودية بالعمل في « مصب النهر » — أي في اعمال التكرير والتسويق — داخل الولايات المتحدة . يقول اليماني « اننا في المملكة العربية السعودية نمد يدنا لحكومة الولايات المتحدة وندعو الى اتفاقية تجارية بين البلدين ، يكون للنفط السعودي بموجبها مكانة خاصة في ذلك

البلد . وهذه الاتفاقية يجب ان تعفي النفط السعودي من القيود والرسوم ، وان تشجع زيادة استثمار رأس المال السعودي في تسويق النفط . ان هـذا يعني عمليـا ضمان استمرار تدفق النفط الى تلك الاسواق »(٥٩). ان اعطاء الولايات المتحدة الافضلية في الحصول على النفط السعودي سيؤثر على اوروبا الغربية واليابان .

ويقول اليماني بهذا الخصوص : « اذا اقامت الولايات المتحدة هذا النوع من العلاقات مع العربية السعودية ، فذلك يعني ان الاميركيين سيأخذون قسما من نفطنا الخام المتجه الى اوروبا ، وسيكون ذلك أمرا صعبا بالنسبة لاوروبا »(٦٠).

ان « تدفقا مستمرا ومضمونا » سيلاقي استحسان مخططي الطـاقة في واشنطـن واستحسان صناعة تكرير النفط على السواء ، وذلك بسبب الفجـوة المتزايدة بـين الانتاج والطلب في اميركا . ولقد عمل الممثلون الدبلوماسيون الاميركيون علـى حث السعودية لكي تستثمر اموالها في العمليات التي تجري في الطرف الاخـر ــ اي في التكرير والنقل والتسويق داخل الولايات المتحدة . والاميركيون يفعلون ذلك بدافعـين رئيسيين : تعويض الدولارات الاميركية التي تتسرب للخارج بسبب ارتفاع مستوردات النفط ، والتوصل الى علاقة يكون اعتماد طرفيها على بعضهما متساويا ، ويكون مـن شأنها ان تقضي على أي احتمال بامكان عرقلة تدفق النفط الى الولايات المتحدة . وقد عبر عن ذلك احد المسؤولين الاميركيين بقوله : « نحن نعطيهم مكانة خاصة . وهـم يستثمرون بلايين الدولارات في السوق الاميركية ، ومن ثم فهم يضعون بين أيدينا رهينة اذا ما قاموا بايقاف النفط »(٦١). وقال محلل آخر في تعليقه على الموضوع بأنه « اذا كان لحكومة اجنبية مصنع تكرير عندنا وقد كلفها عدة مئات من ملايين الدولارات ، فلا يعقل ان تقوم باقفال حنفية النفط الخام في بلدها وتخاطر بتعطيـل استثمارها »(٦٢). واخيرا فان اعطاء القوة المالية العربية مجالا للاستثمار في الولايات المتحدة يخفف مـن وطأة هذه القوة وطاقتها المخيفة . ذلك ان الولايات المتحدة بهذه العملية تغمر منتجي النفط العرب باموال لا يعرفون ماذا يفعلون بها(٦٣).

*

والسؤال الان هو كيف يمكن استخدام النفط العربي للضغط على الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة لكي تتخلى عن دعمها لاسرائيل ؟

يعالج الدكتور يوسف صايغ ، استاذ الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت ، فـي دراسة مقدمة الى جامعة الدول العربية ، هذا السؤال (سبق ونشرت في العـدد السادس عشر من مجلة « شؤون فلسطينية » تحت عنـوان « النفـط العربي فـي استراتيجية المجابهة العربية ــ الاسرائيلية » لذا نقترح الرجوع اليها مؤثرين عـدم تلخيصها هنا ــ التحرير) .

يقول الدكتور روبرت بويي ، مدير مركز الشؤون الدولية في هارفرد، «ان النفط العربي يعتمد بالطبع على الاسواق الغربية ولكن ما يملكه العرب من احتياطي نقدي متزايـد يجعلهم اقدر على الحركة من اولئك الذين يستخدمون النفط »(٦٤). ويعتقد الكاتب ، ان المحرك السياسي والاقتصادي الاسلم والاكثر فعالية لحمـل واشنطن علـى تغيـير سياستها تجاه اسرائيل والمسألة الفلسطينية ، هو تحديد انتاج النفط . فمـا دامت الدول العربية المنتجة للنفط لا تستطيع ذاتيا استيعاب الزيادة المتوقعة في عائداتها من النفط ، فينبغي عليها ان لا تزيد الانتاج وذلك للاسباب التالية : (١) ان ذلك لا يعطي للولايات المتحدة او لعميلتيها ، ايران واسرائيل ، ذريعة للتدخل العسكري كما يمكن ان يحدث في حالة التأميم او ايقاف النفط . (٢) ان تحديد انتاج النفط يمكن ان يؤدي الى رفع أسعاره في ضوء الارتفاع المتوقع في الاستهلاك . (٣) ان ذلك سوف يزيد مـن عدم استقرار الاقتصاد العـالمي ، وللمرء الحق في أن يتساءل ، مـا دام الدولار واقع

تحت ضغط الين ، والين معتمد كليا على صناعة مدعومة بالنفط العربي ، فلماذا لا تقوم الدول العربية المنتجة للنفط بتأزيم حالة عدم الاستقرار ؟ واخيرا ، فان ذلك سيسبب نقصا في النفط في كل من اوروبا واليابان والولايات المتحدة . وكما قال جريج روتفين ، نائب رئيس مجلس جوبرز للنفط الوطني في الولايات المتحدة : « اذا ما بدا على أصحاب النفط فتور هذا الشتاء ولو لعشر دقائق ، فبامكانك ان تراهن من أنهم سوف يغضبون وبأن احد الرؤوس ستتدحرج »(٦٥).

الرغبة في استخدام النفط كسلاح سياسي

لا تعتقد ادارة نيكسون بأن العرب يريدون الحاق الضرر بمصالح الولايات المتحدة النفطية في منطقة الخليج العربي . والولايات المتحدة واثقة من أن النفط لن يستخدم كسلاح للتأثير على سياستها في المنطقة . والدليل على ذلك نجده في حديث السيد سيسكو الى لجنة الشؤون الخارجية حيث قال : « ... ان العربية السعودية ، كغيرها ... مهتمة تماما بايجاد حل لهذه المسألة [النزاع العربي — الاسرائيلي] . ومع ذلك فقد خرجت بالانطباع التالي : انهم جميعا ، كل على طريقته ، يدركون اهمية هذه المشكلة واهمية ايجاد حل لها ، **ولكن هذه الزعامات ، في الوقت نفسه ، منهمكة تماما بمشاكلها الداخلية المباشرة ، بتطوير بلدانها ، بثرواتها ومصالحها الوطنية الخاصة .** ان العنصر المشترك بين معظم هذه الدول هو الرغبة في أن يروا المشكلة وقد حلت ، **ولكن السؤال الذي يشغلهم جميعا ، كل على طريقته ، هو كيف يمكن ان أجعل حياة شعبي افضل حالا** »(٦٦).

ويقول السيد هانسن ، رئيس شركة نفط الخليج ، « ... اعتقد أن هناك تيارا قويا مؤيدا لاميركا والغرب ينمو حاليا في بلدان مثل السعودية والكويت ... وهم بالتأكيد لا يريدون استخدام النفط كسلاح سياسي . وسيظل تدفق النفط مؤمنا طالما لم نقم باعمال تضع هذه الدول في موقع سياسي حرج لا يمكن تبريره »(٦٧).

والسؤال الان هو هل يمكن لخطة السعودية في توظيف اموالها في الولايات المتحدة ان تستخدم كعامل اخر للتأثير على السياسة الاميركية تجاه النزاع العربي — الاسرائيلي ؟ يجيب الشيخ اليماني على ذلك حين يؤكد « انني في الحقيقة لا اريد استعمال التأثير السياسي بشكل مجرد ، فالذي يحدث دائما بين الدول هو انك عندما تقيم علاقة متبادلة في الميدان الاقتصادي تكون قد اقمت مباشرة علاقة سياسية صلبة »(٦٨). اما الامير سعود الفيصل ، نائب وزير النفط وابن الملك فيصل فقد صرح بما يلي : « ان اعتمادنا على النفط لا يقل عن اعتماد المستهلكين عليه ، ان لم يكن اكثر . ان ايقاف تدفق النفط سيكون بالنسبة لنا انتحارا اقتصاديا . والنفط لن يستخدم كسلاح سياسي ما دام للعربية السعودية دخل في الامر »(٦٩).

سياسة اميركا الخارجية والنفط العربي

ان مبدأ كيسنجر الخاص بالمفاوضات والتحالفات والقوة ، ينطبق على الشرق الاوسط كما ينطبق على جنوب شرق اسيا . حين وصل نيكسون الى السلطة في عام ١٩٦٩ حاول ان يتجنب الالتزامات الزائدة عن حدها والخطرة التي تميزت بها ادارة سلفة جونسون . وتحاول ادارة نيكسون المحافظة على الوضع الراهن في الشرق الاوسط بالعمل على مستويين : اولا بمحاولة اقناع الاتحاد السوفياتي والصين ، من خلال المفاوضات ، بعدم دعم الانظمة والقوى التي تحاول تغيير الوضع الراهن ، وثانيا باستخدام الدول العميلة لواشنطن كقوة بوليسية ضاربة، وتمثل اسرائيل وايران حجري الزاوية في هذه السياسات الخاصة بالشرق الاوسط .

ويبدو ان نيكسون وكيسنجر غير قادرين على فهم النزاع العربي — الاسرائيلي الا من

خلال ما يسمى بالعلاقات بين « القوى » ، وهما غير مبالين اطلاقا بالحقوق القومية العربية والفلسطينية . ففي التقرير الطويل الذي تلاه في شباط ١٩٧٠ حول السياسة الخارجية الاميركية في السبعينات ، قال الرئيس نيكسون : « ان هدفنا الاولي هو تدعيم مصالحنا على المدى الطويل بسياسة خارجية معقولة . وبقدر ما ترتكز هذه السياسة على تقييم واقعي لمصالحنا ومصالح الاخرين ، بقدر ما يكون دورنا اكثر فعالية على الصعيد العالمي . ان ما نقوم به ليس ناجما عن التزاماتنا ، بل أن كوننا متورطين اصلا هو الذي يرتب علينا الالتزامات . ان مصالحنا هي التي تحدد شكل التزاماتنا وليس العكس »(٧٠). ومضى الرئيس نيكسون يقول ان نجاح الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط سيعني السيطرة السوفياتية الكاملة على امدادات النفط . ووصف الشرق الاوسط بأنه المنطقة « التي تتحكم الى حد كبير ... بثروات العالم »(٧١).

في مقالة للاستاذ برنارد لويس حول اميركا والشرق الاوسط كتب يقول : « لفترة من الزمن ، كانت هناك وجهتا نظر حول اهمية اسرائيل للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط . تقول احداهما أن اسرائيل تشكل العقبة الكبرى لاميركا — فهي حمل ثقيل ينبغي على اميركا لاسباب سياسية داخلية ، ان تحمله ، يشدها الى الوراء فيما يتعلق بتعاملها مع العرب فيباعد بين الطرفين ويطيل من امد خصومات هي في الواقع ثانوية وحلها ليس عسيرا . اما وجهة النظر الاخرى فترى في اسرائيل ثروة وليس عقبة — انها حليف يعتمد عليه في منطقة يبتعد فيها الاخرون « عنا » ولا نضمن منهم احدا . وصداقة الدول العربية ، حسب وجهة النظر هذه ، هي نوع من السراب الذي يصعب الحصول عليه ويستحيل الاحتفاظ به ، وقيمتها امر مشكوك فيه ، بينما هو في اسرائيل امر يقين . وحليف كهذا يعتمد على نفسه في الشرق الاوسط هو مصدر مفيد للقوة ، وليس للضعف . لقد استمع الكثيرون الى مؤيدي وجهة النظر هذه وهم يتمنون لو كان لاميركا اكثر من اسرائيل في مناطق اخرى من العالم مثل اوروبا الغربية وجنوب شرق اسيا . ويبدو ان هذه النظرة قد سادت اخيرا في اوساط البيت الابيض . فلقد قدمت اميركا لاسرائيل دعما قويا في مختلف النواحي الهامة ، بل واظهرت استعدادها لتحدي كل من العرب والروس في هذا المجال »(٧٢).

ان عزم الولايات المتحدة على مد اسرائيل بكل ما تطلبه من أسلحة حديثة وعلى تأييد مطالبها السياسية قد عزز وجهة النظر التي تقول « ان سياسة تسليح سخية نحو اسرائيل مع تقديم الدعم الدبلوماسي الكامل لها ، من شأنها ان تؤمن قدرة اسرائيل للدفاع عن نفسها دونما حاجة لتدخل الولايات المتحدة ، وبدون اللجوء الى الاسلحة النووية » . وتأمل وجهة النظر هذه ان يؤدي ذلك الى اقناع الزعماء العرب ونصرائهم السوفيات بأن الحل العسكري باهظ الثمن ، ومن ثم ، فهي تتوقع ان يخلص بعض العرب الى استنتاج مؤداه ان الاعتماد على الاتحاد السوفياتي لا يعول عليه في المدى البعيد ، مما سيحدث تغيرا في موقف العرب تجاه اسرائيل يقوم على التخلي عن فكرة محاربتها . ان الذي يمكن ان يحدث في اسوأ الحالات هو ان يظل الوضع الناجم عن حرب ١٩٦٧ قائما — ولكن مع تأكيد امن اسرائيل هذه المرة . أما اذا استمر الوضع الراهن فيمكن ان تظل الولايات المتحدة ، مع ذلك، مقتنعة بالرأي القائل بأن اقوى دولة في الشرق الاوسط ، اي اسرائيل ، هي صديق مخلص ، لديه امكانات مهمة في السيطرة على مناطق حساسة مثل قناة السويس والبحر الاحمر . اما بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الاخرى في العالم العربي ، مثل النفط ، فالرأي المرجح هو أن الدول العربية لن تعرض مصدر عائداتها للخطر فتوقف ضخ النفط الى الغرب . بل ان بعض اصحاب هذا الاتجاه سيقولون في الواقع ان سيطرة اسرائيل على الخليج المصري تخدم مصالح الدول العربية المحافظة الغنية بالنفط ، على اكمل وجه ، وحجتهم في ذلك ان التسوية السلمية ستعيد من جديد الضغط المصري على السعودية والخليج العربي »(٧٣).

وكما قال دانيال السبرج ، الذي كشف اوراق البنتاجون ، « ان ادارة نيكسون لا تؤيد اسرائيل حبا فيها بل لانها تخدم مصالحها »(٧٤).

ان شركات النفط الاميركية العاملة في العالم العربي تلعب دورا ذكيا في التأثير على السياسة الخارجية الاميركية ، ويمكن ان يتضح هذا الدور من تعليق لاحد المسؤولين الاميركيين قال فيه « ان الضالعين بالامور السياسية في الشرق الاوسط يعرفون مدى اهمية المصالح النفطية . والقائمون على الشركات العالمية هم جماعة لها شأنها ، على صلة بالعناصر ذات الشأن في الحكومة . ان مصالح شركات النفط تتطابق مع المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة سواء في الحؤول دون السيطرة السوفياتية على الشرق الاوسط او في ضمان استمرار تدفق النفط . اما الاعتقاد بأنهم يسعون الى اتجاه سياسي جديد فهو اعتقاد خاطىء »(٧٥).

وللحفاظ على استمرار الوضع الراهن ترى الولايات المتحدة في ايران ، القوة الفعالة المضادة للحركات الثورية . وفي هذا الموضوع يلاحظ لي دينسمور ، القنصل الاميركي السابق في الظهران ، « ان لدى شاه ايران قوة عسكرية متنوعة تمكنه من أن يكون ركيزة الاستقرار في الخليج الفارسي ... والقوة الجوية الايرانية في الخليج قوة ضخمة لا يمكن التصدي لها . لذلك اعتقد بأن العناصر العسكرية المحلية اللازمة للمحافظة على الامن في الخليج ، قائمة فعلا »(٧٦).

« وتسيطر ايران كذلك على المواقع الرئيسية على امتداد الطرق الحيوية للنفط ، كما تقوم باقامة دفاعاتها على مداخل الخليج . يتألف الاسطول الايراني من اربع بوارج ، ومدمرة مزودة بصواريخ ارض — جو ، وفرقة من كاسحات الالغام ، ومجموعة من زوارق الحراسة وقوة بحرية — جوية لديها طائرات هليكوبتر ضخمة وسريعة واكبر فرقة « هوفر كرافت » (هوائية) في العالم»(٧٧).

ان احد الادوار المنوطة بايران اذن ، هو منع القوى التقدمية من الوصول الى السلطة على الجانب العربي من الخليج . وفي هذا الموضوع يقول الدكتور الفين كوترل ، مدير مركز الابحاث للدراسات الستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون ، « لقد أشار الشاه انه مهتم بما يجري على الجانب العربي من الخليج وبتلك الحركات . والمح لي ... الى اننا (اي الاميركيين) والانجليز قد فوجئنا بالتطورات التي حدثت في ليبيا ، وان اضطرابات على غرار الانقلاب الليبي كانت دوما امرا ممكن الحدوث على الجانب العربي من الخليج »(٧٨).

لقد عبر شاه ايران مرارا عن رغبته في أن يكون قوة واشنطن البوليسية القمعية في الخليج . ففي مقابلة له مع النيويورك تايمز في كانون الثاني ١٩٧٢ ، تظاهر الشاه بأنه يدين اقامة قاعدة بحرية اميركية في الخليج . وهو يعتقد ان ايران اقدر على القيام بالمهمة : « اعتقد بأن الولايات المتحدة تدرك انه ليس بامكانها ان تكون دركي العالم ، وان مسألة الاستقرار في العالم تتطلب اناطة هذه المسؤولية بانظمة مختلفة . فكم مرة بامكانكم ان تعيدوا تجربة فيتنام ؟ أما بالنسبة لنا فالسيطرة على الخليج ليست مشكلة، فحدودنا الساحلية الممتدة لمسافة الف كيلو متر على الخليج وقواعدنا البحرية والجوية العشر تجعلنا قادرين في أية لحظة على اقفال مضيق هرمز . والمشكلة هي انه لو وقعت بعض هذه الجزر الصغيرة بايد غير مسؤولة لكان بامكان زورق صغير مزود بالبازوكا ان يغرق ناقلة نفط » . وتحدث عن قدرته الحربية فقال « على الرغم من ان ايران لم تصبح بعد قوة حربية هائلة ، الا انني لا انصح احدا بأن يحاول التحرش بنا الان ، وخاصة بعد خمس سنوات »(٧٩).

خلاصة : من الضروري ان نتذكر درس قناة السويس في عام ١٩٥٦ . فلقد ادى اغلاق القناة انذاك الى شح النفط المرسل الى اوروبا.وتوقف تدفق النفط حتى في ايران حيث النفوذ الغربي قويا ، ذلك انه كان يتعين على النفط الايراني المرور بقنـــاة السويس . ودفع توقف النفط ، الولايات المتحدة لكي تضغط على اسرائيل وترغمها على الانسحاب من الاراضي المصرية لكي يعاد فتح القناة ويستأنف تدفق النفط . لقد تلقت اوروبا ضربة قاسية بتوقف النفط واضطرت الى تقنينه في بلدانها .

ومنذ ذلك الوقت بدأت شركات النفط تخطط للاحتمالات الطارئة في المستقبل وقامت ببناء ناقلات ضخمة لكي تتجنب الاعتماد على القناة في حال وقوع حرب اخـــرى . ولذلك استطاع الغرب أن يستغني عن القناة عندما أقفلت مرة أخرى عام ١٩٦٧ . في السنوات العشر القادمة ستكون الولايات المتحدة وأوروبا واليابان معتمدة على النفط العربي . اذ يبدو ان مخططي الطاقة الاميركيين واثقون من قدرتهم على ايجاد بديل للنفط قبل عام ١٩٨٥ . وتقوم افتراضاتهم في الوقت ذاته على ان تدفق النفط من العالم العربي سيظل مؤمنا طيلة هذه الفترة . لذلك فاذا لم يجر استخدام النفط كأداة سياسية ومحـــرك اقتصادي خلال هذه الفترة — اي فترة الاعتماد على النفط العربي — فسيفقد والى الابد ، كل فعالية له .

---

١ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥ ، ص ١١ F .

٢ — **الواشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ، ص ٥ B .

٣ — **المصدر السابق .**

٤ — **نيوزويك** ، ١٩٧٢/٦/١٢ ، ص ٤٤ .

٥ — **المصدر السابق .**

٦ — **جورنال اوف كومرس** ، ١٩٧٢/١٠/٢ ، ص ٢ .

٧ — **واشنطن ديلي نيـــوز** ، ١٩٧٢/٢/٢ ، ص ٢ .

٨ — **المصدر نفسه .**

٩ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٩/٢٤، ص ٢ F.

١٠ — **المصدر نفسه .**

١١ — **المصدر نفسه .**

١٢ — **الواشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٩ ، ص ٨ A .

١٣ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٥/٢٢ ، ص ٥٦ .

١٤ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٤/١٢ ، ص ٦٨ .

١٥ — **مانشستر جارديان الاسبوعية** ، ١٩٧٢/١٠/٢١ ، ص ٧ .

١٦ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٢٤ ، ص ٤٠.

١٧ — الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ، لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية، **الشرق الاوسط عام ١٩٧١ : الحاجة لتقوية السلام** ، (واشنطن ، ١٩٧١) ، ص ١٢١ . سيشار بعد الان الى المصدر باســـم **الشرق الاوسط ، ١٩٧١** .

١٨ — **المصدر نفسه .**

١٩ — والتر ليفي ، « قوة النفط » ، مجلـــة **الشؤون الخارجية** ، المجلد ٤٩، عدد ٤ (تموز، ١٩٧١) ص ٦٥٣ .

٢٠ — **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧١/٦/٦ ، ص ٢٦ .

٢١ — كريستوفر توجندات ، « تمويل مستقبـــل النفط » ، **البانكر** ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ٤٦٦ — ٤٦٧ .

٢٢ — **الايكونوميست** ، ١٩٧٢/٤/١٤ ، ص ٧٩.

٢٣ — **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٢ . ص ١٢٢ .

٢٤ — توجندات ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧٩ ،

٢٥ — الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ، لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية ، **النـــزاع في الشرق الادنـــى** ، الكونجرس الـــ ٩١ ، الدورة الثانية (١٩٧٠) واشنطن ، ص ٢٧٣ .

٢٦ — **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٣ . ص ١٢٣ .

٢٧ — **المصدر نفسه .**

٢٨ — وزارة التجارة ، مكتب التجارة الدولية ، **الشركات الدولية** ، الفصل الثالث ، ص ١١ .

٢٩ — الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ،

لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية ، **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، الكونجرس الـ ٩٢ ، الدورة الثانية (واشنطن ، وثائق الكونجرس) ص ٣٥ . سيشار بعد الان الى المصدر بمصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه .

٣٠ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥ ص F ١١.
٣١ — **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦ .
٣٢ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٦/٢٠ ، ص ٥١.
٣٣ — **شيكاجو تريبيون** ، ١٩٧٢/٥/٢٥ ، ص I — ١٢ .
٣٤ — **بيزنس ويك** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٩ .
٣٥ — **المصدر نفسه** .
٣٦ — **المصدر نفسه** .
٣٧ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٦/٢٠ ، ص ٥١ .
٣٨ — **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧٢/٨/٢٢ ، ص ٢٧ .
٣٩ — **بتروليوم انتلجنس ويكلي** ، ١٩٧٢/٧/٣ ، ص ٥ .
٤٠ — **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٣ . ص ١٢٣ .
٤١ — **بيزنس ويكلي** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٩ .
٤٢ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١١/١٥ ، ص ٦٥.
٤٣ — **ذي اويل اند غاز جورنال**، ١٩٧٢/١١/٢٠، ص ٢٢ .
٤٤ — **المصدر السابق** ، ص ٢٨ .
٤٥ — **نيوزويك** ، ١٩٧٢/١٢/١١ ، ص ٩٥ .
٤٦ — **جورنال اوف كوميرس** ، ١٩٧٢/٩/٢٨ ، ص ٣ .
٤٧ — **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي، المصدر السابق** ، ص ٥١ .
٤٨ — **المصدر نفسه** .
٤٩ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٨ ، ص E ٣.
٥٠ — **المصدر نفسه** .
٥١ — **المصدر نفسه** .
٥٢ — **نيويورك تايمز** ، ١٠/٩ ، ص ٣٠ .
٥٣ — **الايكونوميست** ، ١٩٧٢/١٠/١٤، ص ٩٢.
٥٤ — مستخرجة من قبل الكاتب .
٥٥ — **بيزنس ويك** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٧ .
٥٦ — **ميدل ايست ايكونوميك سيرفي** ، ١٠/١٣/ ١٩٧٢ ، ص ٢ .
٥٧ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥، ص F ٣.
٥٨ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٢٨ ، ص ٣٩.
٥٩ — **ناشنال اوبزرفر** ، ١٩٧٢/١٠/١٤، ص ٤.
٦٠ — **ميدل ايست ايكونوميك سيرفي** ، ١٠/٦/ ١٩٧٢ ، ص ٢ .
٦١ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٣ ، ص ٦٦.
٦٢ — **المصدر نفسه** .
٦٣ — **مانشستر جارديان ويكلي**، ١٩٧٢/١٠/٢١، ص ٧ .
٦٤ — **كريستشن ساينس مونيتور** ، ١٢/١٣/ ١٩٧٢ ، ص ٢٠
٦٥ — **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧٢/٨/٢٢ ، ص ٢٧ .
٦٦ — **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، ص ٩٠ — ٩١ (التأكيد من الكاتب) .
٦٧ — **المصدر السابق** ، ص ٦٢ ، ٦٣ .
٦٨ — **نيوزويك** ، ١٩٧٢/١١/٢٧ ، ص ٨٣ .
٦٩ — **بتروليوم انتلجنس ويكلي**، ١٩٧٢/١١/٢٠، ص ٨ .
٧٠ — **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٧٧ .
٧١ — **اخبار اميركا والعالم** ، ١٩٧٠/٧/١٣ ، ص ٢٢ .
٧٢ — برنارد لويس ، « مراجعة للتطورات في اتجاهات دولتين عظميين نحو اسرائيل والعرب — المحمية الكبرى لاميركا في الشرق الاوسط » **النايمز** اللندنية ، ١٩٧٢/٩/٢٠، نقلها السناتور جاكسون ، **سجل الكونجرس** ، ١٩٧٢/١٠/١٢، ص S ١٧٦١٤ .
٧٣ — ويليام ب كوندت ، صراع الشرق الاوسط في استراتيجية الولايات المتحدة ، ١٩٧٠ — ٧١ ، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (انجليزي) المجلد الاول عدد ١ ، الخريف ١٩٧١ ، ص ٤١.
٧٤ — **جويش بوست اند اوبينيون** ، ١١/٢٦/ ١٩٧١ ، ص ٣ .
٧٥ — **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ، ص B ٥ .
٧٦ — **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، ص ١١٠ .
٧٧ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١/٢٥ .
٧٨ — **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ٥ . ص ٥ .
٧٩ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١/١٧ .

جيش الانقاذ
(١٩٤٧ — ١٩٤٩)

هاني الهندي

هذا هو الجزء الثاني والاخير من دراسة الاستاذ هاني الهندي عن جيش الانقاذ ، وكنا نشرنا الجزء الاول منها في العدد السابق .

(٦)
علاقات الانقاذ

ان تكوين الجيش ونوعية قياداته وأساليب تدريب مقاتليه وانعدام التوجيه السياسي ، كل ذلك كان يفترض ان تكون العلاقات داخل الجيش ذات طابع عسكري تقليدي ، أي أن يكون الانضباط دقيقا وصارما ويعتمد على المظاهر والشكليات دون الاهتمام بعامل التوعية السياسية تماما كما هو الامر في الجيوش النظامية العربية . ولكن الواقع لم يكن كذلك . فلقد كانت العلاقات ضمن الجيش من النوع الذي يصعب تصنيفه ووضعه ضمن مقاييس معينة محددة .

لقد كانت العلاقات بين القيادة العامة — دمشق — وبين قيادة الميدان — القاوقجي — أبعد عن ان تكون طبيعية ومماثلة لما هو قائم في أي جيش نظامي تقليدي ، وهي علاقات لم تكن تخضع للمقاييس التقليدية المعمول بها . وليس أكثر من الحوادث الصغيرة والكبيرة التي تظهر وكأن هناك جهتين متقابلتين أو مجموعتين لا ترتاحان لبعضهما وتعاملهما المتبادل غير سليم وغير طبيعي أبدا .

في تقديري ان وراء تلك الخلافات أسبابا عديدة ، منها تأثيرات الخلافات السياسية الموروثة والصراعات بين القوى والتيارات السياسية القائمة يومذاك ، وفيها الكثير من الخلافات والطموحات الشخصية غير الموضوعية بين هذه المجموعة من القياديين في الجهاز العسكري للانقاذ ... ولكن ، الى جانب هذا ، كانت هناك مسألة هامة لعبت دورا في تعقيد العلاقات وتأزيمها هي عدم وضوح الصلاحيات وحدود سلطات كل جهة من الجهتين المتعارضتين ، خاصة وان تكوين الجيش وأساليب عمله وطريقة تشكيله وتنظيمه وغير ذلك من أمور أساسية تمت كلها على عجل وفي ظروف ضاغطة ومعقدة ، ولهذا كانت المسائل المالية والادارية تسبب متاعب واشكالات بين اللجنة العسكرية والقاوقجي أكثر بكثير من المسائل العسكرية المتعلقة بتقديرات الموقف وخطط القتال وكيفية مواجهة تفوق الخصم عسكريا وغير ذلك من أمثال هذه المسائل الهامة . كانت مشاكل ترفيع الضباط والرتباء والتطويع والتسريح وحرية الانفاق والصرف والمحاسبة المالية والتدقيق هي الامور التي كثيرا ما تسببت في التوتر والانفعال . وهناك ناحية ثالثة ملخصها ان الخلافات وهي ظاهرة من ظواهر الكفاح ، خاصة حين يكون مسلحا ، تنشأ عادة بين ما يسمى بقيادات الداخل (الميدان) وقيادات الخارج (المؤخرات ، وهي سياسية ومسؤولة عن التمويل والتسليح والاتصالات .. الخ) ، ويرجع تفسيرها

لاختلاف ظروف كل طرف من الطرفين ... الا أن هذه الخلافات تميزت ، مع ذلك ، في حالة الانقاذ بالحدة والانفعال والبعد عن الموضوعيـــة . فالقاوقجي المعروف بهدوئه وببرود أعصابه لا يرى أسبابا للفشل والنكبة ، حين يتحدث عن سقوط يافا مثلا ، الا « الاهمال والطموح وقصر النظر والتدريب السيىء للموظفين الكبار الذين كانوا يعالجون قضية فلسطين »(٩٣)، وهو هنا يقصد بالطبع اللجنة العسكرية وليس غلوب وكلايتون وأعوان الانكليز ولم يخطر في باله ان يكون ضعف الحركة الوطنيـــة وطبيعة الانظمة العربية ونفوذ الانكليز وغير ذلك من أسباب جذرية يمكن أن تفسر تلك الظواهر التي كان يشكو منها ، والتي هي ، بنظر الطرف الآخر ، أقل ما كانوا يرددونه ويقولونه عنـــه شخصيا .

هذا عن العلاقات الداخلية على المستوى الرفيع ، بين القيادة العامة وقيادة الميدان . ولكن ماذا عن العلاقات ضمن الجيش ذاته، بين قيادة الميدان ووحدات الجيش وافرادها؟ ان أول ما يلفت النظر في نوعية هذه العلاقة هو غياب هيئة أركان عامة في قيادة الميدان لتتعامل مع قادة الافواج العاملين في مختلف المناطق التي تواجدوا فيها . كان التعامل يتم بالاتصال المباشر بين قائد الجيش وقائد الفوج رأسا . فالقاوقجي يخاطب من قبل قادة الوحدات لحل المشاكل الادارية والمالية والتسليحية والامنية والتعبوية ، وليس كما هو المتبع في الجيوش النظامية حيث يتم الاتصال بالجهة المختصة في هيئة الاركان ، بل كثيرا ما كان يحدث ما هو أكثر من هذا بأن يلجأ بعض قادة الافواج الى تجاوز القاوقجي للاتصال بالقيادة العامة مباشرة ، كما ان الهاشمي كثيرا ما كان يتجاوز قائد الانقـــاذ ليخاطب قادة الافواج مباشرة ، وهذا ما يخالف بالطبع أبسط أصول الضبط والتسلسل المعمول بها عادة في الجيوش النظامية ... هذا ولقد حدث ان اصدر الهاشمي أوامر حركة لبعض الوحدات العاملة في المنطقة الوسطى دون استشـــارة القاوقجي (أبرق للرائد عبد الحميد الراوي ، قائد فوج اليرموك الثالث ، لينجد القدس ، فيما كان مشتبكا بمعركة باب الواد على سبيل المثال) ... وليس هذا فحسب بل ان « أحد الضباط الاكفاء ، وهو معروف بشدة انضباطه ودقته وتنظيمه وبسالته ، بلغ التجاوز عنده ، بعد خدمة ثمانية أشهر في قوات الانقاذ ، انه لجأ الى تعميم كتاب استقالته من الانقاذ على جهات سياسية وعسكرية عديدة » ، وهذا ما يجسد أبسط ظواهر التناقض مع العادات العسكرية التقليدية المعروفة .

وهناك ظواهر أخرى عديدة أبرزت مدى الابتعاد حتى عن تجسيد الاساليب العسكرية التقليدية ومنها بل في مقدمتها الالتزام الصارم بتنفيذ الاوامر . ان الرائد الركن عامر حسك يعدد في كتابه حوادث عدة لرفض بعض الضباط تنفيذ أوامر حركة وقتال . من ذلك رفض الملازم حاجو ان ينجد حامية صفد رغم صدور الاوامر اليه(٩٤)... ومـــن « بوادر انحلال الضبط » التي يشير اليها حسك رفض الملازمين سعدون وعلوش تحريك السريتين اللتين يقودانهما ، لانجاد صفورية والناصرة بحجة انهما أرسلا الى الشجرة لا الى الناصرة ... ثم لانهما يتلقيان أوامرهما من القاوقجي بالذات(٩٥)... أي ان ولاء الضابطين ـــ عدا رفض تنفيذ الاوامر ـــ هو لشخص قائد الجيش وليس للقيادة ، لشيخ القبيلة ، باعتبار ان الضابطين بدويان ... ولم يعاقب الضابطـــان بل ان احدهمـــا ـــ علوش ـــ رفع بعد هذه الحادثة بأسابيع قليلة وسلم قيادة فوج .

كذلك شهدت تجربة الانقاذ خلافات وصراعات علنية مكشوفة بل وحتى التحريض من قبل ضابط ضد آخر . ما جرى في يافا بين عادل نجم الدين ـــ قائد الحاميـــة ـــ وميشال العيسى ، الذي عين بدلا عنه ، لا يمكن ان يحصل في اي جيش نظامي ، وكذلك حدث ما هو أسوأ بين الملازم الاول عبد الجبار القيسي والملازم حمود الخطيب في يافا اذ حرض الاول جنود الثاني على قائدهم ودعاهم للعصيان ومغادرة مواقعهم في يافا(٩٦) .

هذا وقد كانت العلاقة بين قائد الجيش والضباط ليست في المستوى المطلوب. كان بعض قادة الافواج يشكو من القاوقجي لتصرفه باحدى طريقتين : فاما انه كان يترك الامور لهم بشكل شبه كلي فيتصرفون كما يريدون خاصة وان غيابه عن المقر العام — حين كان في الشمال — كان مصدر شكواهم وتذمر اللجنة العسكرية(٩٧)، أو أنه يتدخل بأدق التفاصيل في اعمالهم مما كان يولد عندهم شعورا بالضيق ، ومثل على ذلك بعض اوامره التي كان يتدخل فيها « بتعيين مراصد المدفعية ... وتعيين نوع العتاد للاطلاق ... وكيفية استخدام المدرعة ذات المدفع ... »(٩٨) هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فان حسك ، وهو ضابط ركن الانقاذ ، وضع تقديره العام للموقف بعد قيام الهدنة الاولى بتسعة أيام وطرح الاحتمالات التي يمكن ان يواجهها الانقاذ بعد انقضاء امد الهدنة ، وقدمه للقاوقجي راجيا « مطالعته في ساعات فراغه »(٩٩)، وفي قوله هذا ما هو اكثر من الغمز الظاهر اذ كان فيه نقدا لقائد الجيش نفسه .

اما القصري فهو يعتقد ان « قيادة الانقاذ كانت ضعيفة جدا وقد بدأ هذا الضعف (اذا اردنا ان نتجرد) من القائد نفسه » ... ويتابع نقده مستندا الى مطالعة معلق اجنبي ليقول : « كان القاوقجي .. كبقية المجاهدين العرب غير النظاميين يميل الى العمليات القصيرة ولا يعتمد على الاغارات العنيفة التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية . وكان يحمل عقلية المحارب القديم المتخرج من الكلية العسكرية قبل الحرب العالمية الاولى . وكانت خططه بطيئة وغير مستمرة وبمعدات ضعيفة ، ولهذا لم يستطع ان يستثمر أية معركة بدأها ولم يصل الى قرار حاسم فيها في الوقت المناسب . ولم يتعود هذا الرجل قيادة وحدات كبيرة (ألوية وحتى أفواج) لان رتبته في الجيش لم تتجاوز رتبة النقيب ، لهذا كان يقاتل باعداد صغيرة ولمدة قصيرة واذا لاقى مقاومة يتراجع ... »(١٠٠) أما عن علاقة الضباط بالمتطوعين فكانت بشكل عام لا تختلف عن العلاقة القائمة في صفوف القوات النظامية ، اي تلك العلاقة التي يمكن ان تعكس تباينا اجتماعيا يقارب ما كان متبعا في الجيوش العربية التي كانت أساليبها مقتبسة من مفاهيم المدارس العسكرية البريطانية والفرنسية المعمول بها في المستعمرات بشكل خاص ... بكلمة اخرى فان العلاقة بين الضباط والمتطوعين كانت علاقة تمايز وفوارق كبيرة بين هاتين الفئتين في الجيش وسلطة متحكمة بيد الاولى على الثانية ، مع ملاحظة عدم وجود عقوبات جسدية في الانقاذ ، كما كان عليه الحال في بعض الجيوش العربية يومذاك .

هذا عن العلاقة ضمن الجيش وهيئاته . أما عن علاقة الجيش مع السكان المحليين في المناطق التي تواجدت فيها قطعاته ، في فلسطين وفي جنوب لبنان خاصة فقد كانت هي الاخرى أميل الى السلبية منها الى الايجابية . لم تكن الصورة مشرقة بشكل عام ، وكثيرا ما كانت العلاقة تتوقف على شخصية الضابط المسؤول وثقافته ونظرته فاذا كان الضابط واعيا سياسيا وذا ثقافة وادراك فانه كان عادة يقيم علاقات ايجابية وحسنة مع السكان فكان يتحول التعامل — من تقديم الخدمات للمتطوعين — الى تعاون وعلاقة ودية يترك اثارا طيبة في نفوس السكان وفي نفوس المتطوعين ، ولكن الطابع الغالب هو أن الضباط كانوا في علاقتهم مع السكان يمثلون جانب التحفظ والحذر الشديدين ، ولم يكونوا يلجأون الى التعامل والتخاطب مع المواطنين الا حين حاجتهم ووحداتهم الى معونة ما من السكان ويتم ذلك عن طريق المختار او الوجيه البارز في القرية . وكان هناك تجنب وتحاش للتعامل مع اللجان القومية نظرا لان غالبيتها العظمى كانت مرتبطة بالمفتي .

أما عن علاقة الجيش بالسكان المسلحين في مناطق عمله . فقد اتسمت بغياب التعاون الجدي وافتقد القتال مع العدو ، في معظم الاحيان ، الحد الادنى من التنسيق المطلوب بين الانقاذ والجهاد المقدس ضد الصهاينة . ويؤكد القصري انه « لم يحدث أي تعاون

بين الانقاذ والجهاد المقدس لان القيادتين متنافرتان ومتزاحمتان »(١٠١). ويضيف قائلا انه « كثيرا ما كان يعمل ضمن المنطقة الواحدة ضابطان مع قواتهما احدهما يتبع جيش الانقـــاذ والاخر يتبع قوة الجهاد المقدس ، الامر الذي كان له أســـوأ الوقع وأوخم العواقب »(١٠٢).

وكانت العلاقات بين الانقاذ والجيوش النظامية مشابهة ومماثلة ـــ اي عدم التعاون ـــ. فالمعروف انه لم يقم تعاون رسمي ابدا في القتال بين الانقاذ والجيش الاردني طيلة فترة تواجد الاول في المنطقة الوسطى ، بل كانت هناك هواجس وشكوك تساور معظـــم ضباط الانقاذ من القيادة العسكرية الاردنية وخاصة الضباط الانكليز العاملين فيها . ولكن كان هناك نوع من التعامل والتعاون غير الرسمي ما بين وحدات الانقاذ والضباط العرب في الجيش الاردني في كثير من المناطق التي تتواجد فيها فصائل من الجيشين. هذا « وكانت اللجنة العسكرية قلقة جدا على مصير الانقاذ بعد ١٥ ايار خاصة حين كانت وحدات الجيش الاردني تتباطأ في نجدة القدس وفي تسلم مواقع معينة مـــن قطعاته . وكانت اللجنة حريصة على سحب الانقاذ من المنطقة الوسطى بأقصى سرعة خشيـــة اقدام الملك عبدالله على حل هذه القوات ومصادرة اسلحتها ، من ناحية ، ولاعـــادة تنظيمها وضبطها وتدريبها من ناحية ثانية »(١٠٣).

أما عن التعاون في القتال فيمكن القول انه حدث جديا في معركة المالكية الثانية بتاريخ ٤٨/٦/٦ حين اجتمعت قوات نظامية سورية (فوج البادية وبطارية مدفعية وطائرات) وقوات نظامية لبنانية (فوج مشاة بقيادة المقدم جميل الحسامي وسرية دبابات وبطارية مدفعية) مع قوات الانقاذ (ثلاثة افواج مشاة واربع سرايا مستقلة وفصيل يوغوسلافي) واستطاعت هذه القوات المشتركة ومجموعها (يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل »(١٠٤) أن تنفذ المهمة التي اوكلت اليها وهي « استرداد المراكز العسكرية التي فقدتها قوات المنطقة الشمالية » في شمال فلسطين وبعض قرى جنوب لبنان بتاريخ ٤٨/٥/٢٩ . وقد قاد هذه العملية قائد فوج البادية السوري المقدم طالب الداغستاني وكان الرائد عامر حسك ضابط ركن هذه القوات ... هذا كما ارسل الجيش السوري فوج مشاة بقيادة المقدم علم الدين قواص لنجدة الانقاذ في ١٩٤٨/١٠/٢٩ حين بدأ الهجوم الصهيوني الذي استهدف احتلال الجليل ، ووصلت بعض فصائل الفوج متأخرة الى الجش والصفصاف فتعرضت لخسائر في الارواح والسلاح .

(٧)

معارك الانقـــاذ

من الامور الملفتة التي تستحق التسجيل عند دراسة معارك الانقاذ اننا لا نزال نفتقـــد الابحاث العسكرية الجادة لتلك الفترة رغم مرور مدة (٢٥) سنة عليها ، ولا تزال المكتبة العسكرية العربية خالية من تلك الدراسات التي تتناول كل معركة من معـــارك الانقاذ ـــ ناهيك عن بقية الجيوش العربية التي قاتلت الصهاينة ـــ من ناحية المهمـــة والخطة والقيادة والاتصال في كل معركة ، ومن ناحية ميزان القوى وطبيعـــة التسليح وكيف كان سير المعركة والمناورات ، ومن ناحية الادارة في المعركة ، ودور الاسلحـــة والخسائر في المعركة (من الطرفين) ، والاخطاء في المعركة ، والدروس المستفادة من كل معركة ، والبطولات الفردية والجماعية ... والمفروض في أن تغطي مثـــل هـــذه الدراسات نظرة استراتيجية عامة ...

لقد انفجر القتال في كل انحاء المناطق الوسطى والشمالية من فلسطين بعد صدور قرار التقسيم مباشرة ، وقد اتسم هذا القتال في الاسابيع الاولى بمحاولات كل طرف مـــن الطرفين المتحاربين في تحصين مناطقه واحيائه داخل كل مدينة وخاصة المدن المشتركة،

وكانت تتم عمليات تسلل متبادلة نحو مناطق الطرف الاخر حيث تفجر العبوات الناسفة في الابنية وبين السكان هذا في داخل المدن ، اما خارجها فقد دارت معركة مواصلات عنيفة كان للعرب في شهورها الثلاثة الاولى دور المبادأة والتعرض اذ نظموا هجمات مسلحة على وسائط النقل وخطوط المواصلات التي تربط المدن والمستعمرات اليهودية المنتشرة في انحاء فلسطين . « ولقد عمدت قيادة الهاغانا بعد الهجمات الاولى على السيارات اليهودية الى تقييد تحرك السيارات منفردة على الطرق الخطرة ... ثم نظمت قوافل للسيارات كان ترفقها بمجموعات صغيرة من الفتيات والشباب المسلحين للحماية ... وفي اوائل ١٩٤٨ ظهرت مع القوافل السيارات المصفحة محليا التي كانت ترافق القوافل لحمايتها ... »(١٠٥).

وبعد اسابيع قليلة من نشوب معارك المدن والمواصلات حيث كانت « القوافل اليهودية تقع في الكمائن العربية طيلة أشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط. وكانت قصتها، من الناحية اليهودية ، تعيسة وسيئة »(١٠٦)، في تلك الفترة بدأ الانقاذ عملياته العسكرية حين تسللت اولى مجموعاته في فجر ٤٨/١/٩ الى فلسطين عبر لبنان الجنوبي في محاولة للاستيلاء على مستعمرتي دان والمطلة في أقصى الشمال ولكن المحاولة فشلت وكان تدخل الانكليز احد أسباب هذا الفشل وكانت هذه هي اولى معارك جيش الانقاذ .

ان الملاحظ في تجربة الانقاذ ان قواته بقيت ممسكة بزمام المبادرة والتعرض حتى معركة مشمار هاعيميك في ٤٨/٤/٤ ومع ان الانقاذ قام بمحاولات تعرضية بعد هذه المعركة وكان بعضها ناجحا (نيفي يعقوب في ١٠ ايار ومعركة المالكية الاولى في ١٣ ايار ومعركة المالكية الثانية في ٦ حزيران) ، الا انه يمكن القول ، بوجه عام ، انه بقي محافظا على قدراته التعرضية رغم انحدارها بعد معركة مشمار هاعيميك حتى بداية الهدنة الاولى ، ولكنه بعد هذه الهدنة خسر المبادأة والقدرة على التعرض تماما كالجيوش العربية ، اذ التزمت القوات النظامية العربية كلها منذ ذلك الوقت موقفا دفاعيا جامدا ويكاد يكون ساكنا تماما ، ولم تتغير هذه الاستراتيجية الدفاعية ابدا منذ تلك الفترة وحتى يومنا هذا .

ان معارك الانقاذ يمكن تصنيفها الى انواع ثلاثة هي : تعرضية ذات طابع اقتحامي ، دفاعية ، تقطيع مواصلات ، مع الملاحظة ان هذا التصنيف قد يفتقد بعض الدقة ذلك ان معارك باب الواد كانت دفاعية ومواصلات في ذات الوقت ، كما يمكن اعتبار معركتي الزراعة ومشمار هاعيميك التعرضيتين متداخلتين مع محاولة القاوقجي تقطيع شبكة مواصلات العدو وعزل حامياته ... ومع ذلك فانه من الممكن ان تصنف معارك الزراعة ومشمار والمالكية الاولى ونيفي يعقوب والمالكية الثانية كأبرز معارك التعرض مع ان الانقاذ نجح في تحقيق مهماته في احتلال نيفي يعقوب واسترداد المالكية وما حولها ولكنه فشل في احتلال الزراعة ومشمار هاعيميك .

هذا ويمكن تقسيم معارك الانقاذ الى مجموعتين اساسيتين من حيث مكان وقوعها وليس لاعتبار اخر كتسلسلها الزمني او اهميتها او حجم القوات التي اشتركت فيها ، بالرغم من الاهمية السياسية والعسكرية الكبيرة ليوم ١٥ ايار ، وعليه فسوف تضم المجموعة الاولى معارك الانقاذ في المنطقة الوسطى وكان القاوقجي هو المسؤول عن القوات التي اشتركت فيها ، وتضم المجموعة الثانية معارك الانقاذ في المنطقة الشمالية وكان المقدم اديب الشيشكلي مسؤولا عنها حتى اوائل حزيران حين انتقلت كل قوات الانقاذ الى الشمال وتجمعت في منطقة الجليل فتولى قيادتها جميعا القاوقجي . وقد يكون من المفيد ان اشير هنا الى أن طابع طرح المعارك في هذه الدراسة يعتمد على السرد والتسجيل اكثر من التحليل لاسباب أهمها ان مثل هذا التحليل للمعارك يحتاج لتخصص في هذه الشؤون العسكرية وكذلك فان هذه الدراسة لن تطرح كل المعارك التي خاضتها

قوات الانقاذ في المنطقتين الوسطى والشمالية بل ستعتمد على انتقاء معركتين فقط من المنطقة الوسطى ومعركتين من معارك المنطقة الشمالية .

معارك المنطقة الوسطى : أهم المعارك التي دارت في هذه المنطقة هي الزراعة ومشمار هاعيميك ونيفي يعقوب وباب الواد والقسطل والقدس وحيفا ويافا . وفي معظم هذه المعارك اشتركت قوات الانقاذ مع الجهاد المقدس والحاميات المحلية جنبا الى جنب في مقاتلة الصهاينة ولكن دون تخطيط وتعاون جدي وذلك لان «التخطيط العربي ، حتى على الصعيد المحلي ، كان يشكو من الغياب الكلي للتعاون بين القادة العرب ... ففي يافا جرت تسمية قائدين مستقلين كان كل منهما يعطي اوامر منفصلة وغالبا مناقضة لأوامر الثاني . وفي اللد حصلت اشتباكات مكشوفة بين المجموعات العربية المتعارضة ... »(١٠٧).

معركة الزراعة : يقول القاوقجي في مقتطفات من مذكراته المنشورة اخيرا انه « بعد وصول فوج اليرموك الاول بقيادة المقدم محمد صفا الى منطقة عمله كان الوضع العام في فلسطين دقيقا للغاية ، فقد كانت كل التشكيلات المقاتلة الفلسطينية تقريبا مشتبكة مع الصهاينة ، وكانت تشكو بشكل خاص من نقص في ذخائرها . ولهذا شعرت بأن الوضع يتطلب بأن يباشر فوج اليرموك عمليات قوية ، على الفور ، بقصد رفع معنويات العرب وهز معنويات العدو . لهذا أمرت صفا بأن يقوم بالاستطلاع اللازم ليجد مستعمرة نهاجمها بقصد انزال اكبر ضرر ممكن بها »(١٠٨). وقد اختار المقدم صفا مستعمرة الزراعة — يسميها الصهاينة Tirat Zvi — تيرات زفي) جنوب بيسان بتسع كيلومترات وعلى بعد كيلو مترين من غرب نهر الاردن . ولهذه المستعمرة اهمية خاصة باعتبارها حلقة هامة في شبكة مواصلات العدو التي تربط مستعمراته في شرق فلسطين بالمناطق الاخرى ... الا ان معلقا عسكريا انكليزيا يعتقد ان « نية القاوقجي كانت ان يبدأ بالزراعة ويتقدم نحو الشمال ليطوي خط المستعمرات اليهودية ... تمهيدا لحركة اوسع نطاقا غايتها الانتشار في مرج ابن عامر ومستهدفة حيفا »(١٠٩).

وعلى أي حال فان القوة التي قادها المقدم صفا كانت تتشكل « من ثلاث سرايا قادها الملازمون الاولون غسان جديد وحسن مهنا (سوريا) وسعدون عبدالله (العراق) . وكان الفوج مسلحا بـ (٦١٤) بندقية و(١٨) رشاشا خفيفا واربعة مدافع هاون صغيرة (٦٠ مم) وكانت مع الفوج مفرزة الغام ... اما المستعمرة فكانت محصنة تحصينا متينا ومحاطة بالخنادق والاسلاك الشائكة وفيها (٢٠٠) مسلح مدرب من الهاغاناه » (١١٠)... وقبيل منتصف ليلة ١٦ — ١٧ شباط ٤٨ تقدمت السرايا وسط العواصف والامطار والوحول واستغرقها السير حتى وصلت ثلاث ساعات ويبدو ان عامل المفاجأة لم يتوفر نظرا للمسيرة الطويلة وما رافقها « من ضجة نبهت المستعمرة التي أطفأت الانوار ووصلت القوى واحاطت بالمستعمرة من ثلاث جهات . واشتد الاعياء بالجميع ، واصبحت الحركة متعذرة ، ومع ذلك استطاع البعض اختراق الاسلاك الشائكة ، وفتح اليهود النار عليهم وسقط البعض أمامها وانكشف المهاجمون وتقهقرت القوات ، واقترح بعض الضباط الانسحاب ولكن اعيد الامر بالهجوم ، وفتح المجاهدون ثغرة جديدة في الخنادق والاسلاك الشائكة ودخلوا أطراف المستعمرة ونسفوا برج مراقبة العدو ، ولكن التقدم ما زال ضعيفا بسبب المطر والطين وتدفق المياه من اليرموك ... واصبح الانسحاب اصعب من التقدم وقنابل الهاون لا تؤثر ولا تنفجر في الطين ... »(١١١). وبقي القتال مستمرا حتى الثامنة والنصف صباحا حين انسحب المهاجمون بسبب تدفق النجدات من ناحية وبسبب قدوم القوات البريطانية التي طلبت انسحاب فوج صفا . وكانت الخسائر العربية (٣٨) شهيدا وعددا أكبر من الجرحى(١١٢).

هذا ويقول احد الكتاب الصهاينة « ان العرب وصلوا الى مسافة مائتي ياردة من مركز المستعمرة وسط الوحول والامطار ... وتراجعوا »(١١٣).

ويقول (او بالانس) ان هجوم الانقاذ « كان جبهويا وفي طقس ممطر ... ورغم الهجمات التي شنها العرب مرتين او ثلاث لكنها لم تنجح ... كان لهم تفوق في الرجال والسلاح ، ولو استمر الهجوم أو حاول الانقاذ القيام بحركة على الاطراف لكان احتمال سقوط المستعمرة كبيرا ... ولكن ولسبب مجهول ، وكأنه كان هناك اتفاق عام ، اوقف العرب جميعهم الهجوم ثم انسحبوا ... هذا وقد أظهر العرب شجاعة فردية كبيرة ولكن رافقها القليل من المهارة التكتيكية ... والظاهر كأن العرب فوجئوا بصمود اليهود ودفاعهم ... »(١١٤).

ما هي نتيجة المعركة ؟ القاوقجي يعتبرها « انتصارا ونجاحا في قطع المواصلات بين المستعمرات اليهودية في المنطقة ، في حين حاول الانكليز انقاذ اليهود من موتنا دون ان يوفقوا ، واصبح اليهود ، خاصة الشرقيون ، قانعين بأن جيش الانقاذ كان قويا ولديه موارد عسكرية كافية لتدمير مستعمراتهم وتصفية سكانها »(١١٥). اما القصري فيرى انها « انتهت بالفشل ، واثبتت المعركة انعدام التدريب بين المتطوعين وعدم فائدة القتال بقوات غير مدربة ومدنية في عمليات منظمة تعبوية ، وهم يجهلون أصولها . وان أسلحة المشاة لا تكفي لاختراق المواقع المحصنة ... وان مصير جيش الانقاذ وخيبة أمله قد ارتسم من هذه المعركة ... »(١١٦).

معركة مشمار هاعيميك : تقع هذه المستعمرة الهامة قرب الطريق العام الذي يصل جنين بحيفا ، وتبعد مشمار هاعيميك مسافة ثلاثين كيلومترا الى الجنوب الشرقي من حيفا . وقد استهدف القاوقجي من محاولة الاستيلاء عليها السيطرة على مرج بن عامر (اسمها يعني حارسة الوادي) وما ينتج عن ذلك من تأثير على مصير حيفا ، ميناء فلسطين الاول . وقد يكون غرضه من تلك العملية ان يخفف من شدة الضغط الصهيوني لفتح طريق القدس ــ تل أبيب حيث بدأ الصهاينة هجومهم على القسطل كجزء من « عملية نخشون في ٣١ آذار بقصد انقاذ القدس »(١١٧) التي كانت حاميتها وسكانها البالغ عددهم مائة الف يهودي تحت وطأة حصار عربي شديد . هذا ويرى احد المعلقين العسكريين البريطانيين ان « المستعمرة كانت تشكل نقطة أساسية ضد الهجمات القادمة من الشرق وعلى طول مرج بن عامر ... وان هدف القاوقجي الاخير بعد احتلالها هو قطع طريق حيفا ــ تل أبيب »(١١٨).

يقول القاوقجي في مذكراته « ان القوة التي أعدها كانت تتألف من فوج واحد وسريتين احتياطيتين تساندها بطارية مدفعية تتكون من اربعة مدافع عيار (٧٥ مم) ومدفعين اميركيين قديمين عيار (١٠٥ مم) بقيادة الملازم الاول عفيف البزري ... »(١١٩) وبالاضافة كانت هناك ثلاث مصفحات كان يقودها الملازم فائز حذيفة .

عمد القاوقجي الى تضليل العدو عن هدفه فكلف المقدم صفا ــ قائد فوج اليرموك الاول ــ بمهاجمة مستعمرة زراعيم ــ قرب قرية زرعين العربية ــ الى الشمال الشرقي من جنين ليلة ٣ ــ ٤ نيسان ليحول انظار الصهاينة عن مشمار هاعيميك . وانتشرت في نهار ٤ نيسان قوات الانقاذ (فوج القادسية بقيادة المقدم مهدي صالح العاني وسرية من فوج حطين واخرى أردنية) وكان عددها الف مقاتل حول المستعمرة وعلى المرتفعات المحيطة بها دون أن يشعر العدو بوجودها . وفي تمام الخامسة من مساء ذلك اليوم بدأت المدفعية قصفها بدقة واحكام . وكان كل شيء في المستعمرة يؤكد ان « المباغتة كانت كاملة » ــ على حد تعبير القاوقجي ــ . « وكانت المقاومة في البداية ضعيفة ومرتبكة ، وحين وصل المشاة الى الاسلاك الشائكة توقفت المدفعية عن الرماية فيما تقدمت المصفحات الثلاث حتى الابراج في مدخل المستعمرة ، وكانت صامتة . وهذا فاجأني

وزادني حذرا اذ خشيت ان يكون في ذلك فخ او خديعة ... وهبط الظلام وتحول الرذاذ الى مطر غزير جعل الرؤية صعبة . وخشيت ان تلحق بوحداتنا خسائر كبيرة في الليل نظرا لقلة تدريب افرادها على القتال الليلي وسط الامطار والوحول وخشيت من انتشار الفوضى بين افراد السرية ، لذلك وبسبب قلة العدد امام القوة اليهودية في المستعمرة فقد قررت ان الافضل ان تتجمع السرية على المرتفعات المطلة على المستعمرة مباشرة حتى يطلع الصباح وارى ردود فعل قيادة الهاغانا . وكانت خسائرنا في ذلك الوقت جريحا واحدا فقط »(١٢٠).

هذا ما يقوله القاوقجي . أما الدكتور امين رويحة وكان يومها مع وحدات الانقاذ في مشمار فيقول « ان المقاتلين بعد أن وصلوا الى الاسلاك الشائكة عجزوا عن اقتحامها لعدم وجود الادوات القاطعة اللازمة او المواد الناسفة ، وحصل شيء من الفوضى والارتباك بين المقاتلين مما دفع فوزي الى سحب القوة من جوار الاسلاك وارجاعها الى الخلف لان جنودنا لا يحسنون القتال الليلي ... »(١٢١).

هذا ويقول كورزمان الصهيوني «ان القاوقجي كان يخطط لهذه العملية منذ اسبوعين... حشد ألف مقاتل و (١٢) مدفع هاون عيار ثلاث بوصات ، وبضع سيارات مصفحة ، وأهم الكل بطارية مدفعية تتكون من سبعة مدافع عيار (٧٥) مم و(١٠٥) مم . وكان اول من استخدم المدفعية في هذه الحرب ... أما اليهود فكان عدد سكان المستعمرة (٣٠٠) من الرجال والنساء والاطفال وكانوا يعدون دفاعاتها خلال شهرين ... حفروا خنادق متصلة وسرقوا أسلاكا شائكة من البريطانيين وخزنوا أغذية لمدة شهر ورتبوا مع وحدات الهاغانا المحلية أمر مدفع رشاش ثقيل وهاون عيار (٣) بوصات ، بالاضافة لما كان عندهم : مدفعا هاون عيار بوصتين ورشاشان خفيفان و (٥٠) بندقية »(١٢٢). ويضيف هذا الكاتب ان المستعمرة تلقت خلال ساعتين ألف قنبلة ثم توقف القصف . وبدأ السكان ينتظرون هجوم المشاة(١٢٣).

ويقول المعلق البريطاني (أو بالانس) انه « بعد الاحاطة بمشمار هاعيميك ... وبعد استمرار القصف المدفعي طيلة الليل ... ولسبب او آخر فان هجوم الفجر المتوقع لم يحصل . ولو تم لكانت هناك كل الامكانيات لينتهي بالنجاح باعتبار ان الحامية كانت مؤلفة من السكان فقط مع مجموعة صغيرة من الهاغانا تملك رشاش براوننغ وهاونات صغيرة وعددا محدودا من الاسلحة الصغيرة »(١٢٤). وفي صباح اليوم التالي ، ٥ نيسان، وصل ضابط بريطاني كبير الى مقر قائد الفوج ، المقدم مهدي العاني ، وطلب منه باسم القيادة البريطانية السماح بنقل القتلى والجرحى من المستعمرة ، ويضيف القاوقجي الى هذا ان سيارات الاسعاف والشاحنات البريطانية التي كانت تدخل الى المستعمرة وتخرج منها بحراسة المدرعات والدبابات البريطانية هي التي تولت نقل النجدات والامدادات والجنود الى العدو المحاصر . (مذكرات القاوقجي ص ٣٩ ــ ٤٠) .

والظاهر ان الانكليز لعبوا دورهم المعتاد اذ نجحوا في اقناع القاوقجي بأن يمنح العدو هدنة (٢٤) ساعة صباح ٥ نيسان ثم مددت الهدنة يوما آخر كانت النجدات تتدفق على المستعمرة والمناطق المحيطة بها بقصد تطويق قوات الانقاذ وابادتها . وفيما يقول كورزمان الصهيوني ان « اول مجموعة نجدة وصلت للمستعمرة في الساعة الثالثة من صباح يوم ٥ نيسان » ــ ص ١٢٦ ــ نجد ان او بالانس البريطاني يشير الى « ان النجدات بدأت تصل المستعمرة يوم ٦ نيسان ولمدة يومين ، فصار في المستعمرة فوجان من الهاغانا ... وكانت هذه هي المرة الاولى التي تقاتل فيها الهاغانا على مستوى الفوج » ــ ص ٤٣ ــ . ويضيف هذا الكاتب البريطاني قائلا : « ان العرب قاموا بمحاولة او اثنتين دون ان يكون الهجوم جديا ... » واستمرت المعركة تسعة ايام اشتبكت فيها قوات البالماخ مع الانقاذ في قتال سجال اذ بدأ العدو بشن هجماته المعاكسة

بعد أن استكمل تحشداته واكمل استعداداته وكان هدفه تطويق قوات الانقاذ وابادتها. ويقول المقدم لورتش في كتابه « حرب الاستقلال الاسرائيلية » ان « منطقة القتال كانت مألوفة جدا لقوات الهاغانا ذلك انها كانت لسنوات عديدة قاعدة للتدريب المتقدم لكل قادة الهاغانا من مرتبة آمر فصيل فأعلى ... وكانت القرى العربية المحيطة بمشمار هي هدف الهجمات المضادة التي بدأت تشنها الهاغانا ... وشهدت القرى والمعاقل الجبلية قتالا مريرا. فقد تعرض أحد تلك المعاقل الى (١١) هجوما عربيا متتابعا، وفي مواقع اخرى جرى تبادلها بشكل مستمر . ففي الليل كانت الهاغانا تستولي على هذه المواقع وفي النهار كانت قوات الانقاذ تعود للاستيلاء عليها مستفيدة من تفوقها بالمدفعية »(١٢٥).

متى بدأ الهجوم الصهيوني المضاد ؟ يقول القاوقجي انه بدأ في صباح ٩ نيسان وبقوة تزيد على ستة آلاف جندي مجهزين بعدد كبير من الهاونات والرشاشات الثقيلة ... وقد فشل الهجوم واستطاع الانقاذ استعادة مواقعه ... وبدأ الهجوم المضاد الثاني في صباح ١٢ وتطور القتال الى مجزرة ... وبدأ الهجوم المضاد الثالث في الساعة الخامسة من صباح ١٣ بقوة ست كتائب مع مدرعات وقصف بالهاونات الثقيلة ... وشاهد فوزي في ذلك اليوم أول طائرة استطلاع ... وكان هدف هذه الهجمات تثبيت الانقاذ امام مشمار وتطويقه ... (مذكرات القاوقجي ٤٣ — ٤٤) .

وفيما يقول أو بالانس « ان القتال استغرق كله مدة ستة أيام وانتهى في ١٠ نيسان حين قرر القاوقجي فجأة الانسحاب ... »(١٢٦) نجد ان لورتش يقول « ان القاوقجي حاول ان يرغم قوات الهاغانا على التزام موقف دفاعي لحماية المستعمرة حين جرب في ١٢ نيسان ان يعود لمهاجمة مشمار هاعيميك من جديد ولكن جنوده تعرضوا لكمائن اليهود في الادغال المحيطة ... وعلى هذا فقد وجد القاوقجي نفسه مرغما ، بعد سقوط عدد من القرى العربية ، على التراجع خشية عزله عن قواعده ... وبدأت قوات الهاغانا تلاحقه ... واستخدم اليهود في هذه المعركة الطائرات لاول مرة حين اشتركت طائرتا بابير كاب من « سرب الجليل » في عمليات استطلاع واسقاط ذخيرة وقصف مواقع المدفعية ... »(١٢٧). ولكن ما هي نتيجة المعركة ؟ القاوقجي يقول ان « خسائرنا في كل مراحل المعركة كانت (٢٤) جريحا وستة قتلى بما فيهم النقيب مأمون البيطار وان العدو ترك (٤٥) قتيلا ... في حين ان لدى القاوقجي تقارير من مصادر انكليزية تشير الى ان اليهود فقدوا (٢٣٠) قتيلا بما فيهم قائد الهاغانا و(٢١٠) من الجرحى ... (مذكرات القاوقجي : ص ٤٥) .

اما طه الهاشمي فقد طلب من القاوقجي انهاءها — كما يقول الاخير في مذكراته ص٤٧ — لانه رأى فيها معركة استنزافية خاصة وان ما لدى الانقاذ من ذخائر قليل جدا بينما لدى اليهود كميات كبيرة .

هذا ويرى القصري « ان القاوقجي خسر هذه المعركة لانه تأخر في شن الهجوم بالرجال بعد ان مهد لهم بقصف المدفعية ولانه قبل تجديد الهدنة واضاع ستة ايام في معركة لا تحتاج اكثر من ثلاث ساعات . وربما كان لا يعتمد على رجاله ويظن ان قنابل المدافع تكفي لوحدها لسقوط المستعمرة . وبهذه الخسارة سيطر اليهود على مرج بن عامر وشددوا الحصار على حيفا واكتشفوا ان المجاهدين لا يتحملون المعارك الطويلة ولا يستمرون امام المواقع التي تثبت امامهم »(١٢٨).

هذا ويستغرب او بالانس لماذا لم يشدد القاوقجي هجومه على المستعمرة ، اذ يرى ان القائد قد يكون واجه صعوبات في فرض التنسيق والانضباط على المجموعات المختلفة من قواته في هذه المرحلة الاولية وان يفرض عليهم العمل المشترك، وقد يكون وراء ذلك عدم تعوده وقواته على العمليات الواسعة والطويلة المدى التي تتطلب التخطيط والدقة والصبر ، وقد يكون وراء ذلك توقعهم الحصول على نصر سهل رخيص ، ظانين ببساطة

ان مجرد امتلاكهم للمدفعية يمكن ان يوقع الذعر في صفوف اليهود فيدفعهم ذلك الى الجلاء السريع عن مواقعهم . ان نقص الشجاعة عند العرب ليس واردا نظرا لكثرة الوقائع على الشجاعة العربية ... ولو ان القاوقجي قام بهجومه فجر الخامس من نيسان ، اي قبل انجاد مشمار ، فربما كان حظه كبيرا في اجتياحها . ولكنه اضاع الفرصة ودفع الثمن مضاعفا اذ ان الهاغانا راحت تطارده وتتوغل في المناطق التي كان العرب يتخلون عنها ... »(١٢٩).

هذا ويلاحظ كامل الشريف « ان القاوقجي قد استدرجه اليهود الى ان ظفروا بقوته وانزلوا به الضربة القاصمة عند مشمار هاعيميك وبذلك انتهى امره وتبعثرت قواته ... »(١٣٠). الا ان ملاحظة الشريف الاكثر اهمية هي تلك التي يقارن بها قوات الانقاذ والجهاد المقدس والقوة الخفيفة التي قادها احمد عبد العزيز من زاوية اساسية ومشتركة وهي « ان هذه القوات كلها خلطت بين عملها الاساسي الذي كان يمكن ان تنجح فيه . ومضت تدافع عن القرى العربية وتشغل نفسها بالهجوم على المستعمرات المحصنة دون جدوى ... »(١٣١). وكانت المهمة الاساسية ، برأي الشريف « ان تقوم هذه القوات بتعقب العصابات الصهيونية والاغارة على مراكز الجيش الاسرائيلي»(١٣٢)، اي ان يكون عملها الاساسي هو قوة اغارة وتعرض لا قوة نظامية تأخذ على عاتقها مهمات دفاعية او مهاجمة المستعمرات المحصنة ... هذا ويسجل الشريف انتقادا لاحمد عبدالعزيز « لظنه انه بالمدفعية يستطيع التغلب على المستعمرات اليهودية وتحصيناتها ... وان مدافعه الضخمة ستدك الابراج والحصون ، ولن يجد مشاته احدا في قلب المستعمرة لان حماتها سيكونون جميعا تحت الانقاض ... ولم يلتفت لنصائح الاخوان المسلمين والافادة من تجربتهم وكارثتهم امام مستعمرة كفار ديروم ... »(١٣٣) والظاهر ان القاوقجي قد أعطى للمدفعية وزنا أكبر من حقيقتها وطاقتها فكان ان صمدت تحصينات الزراعة امام مدافع الهاون التي ساندت هجوم المقدم محمد صفا وصمدت تحصينات مشمار هاعيميك امام مدافع الميدان التي رافقت فوج القادسية . وأخيرا .. هل كانت معركة مشمار هاعيميك انتصارا كبيرا كما حاولت أجهزة الاعلام العربية ان تصورها في ذلك الوقت ؟

في رأي المقدم الركن شوكت شقير ان « معركة مشمار هاعيميك كانت عملية فاشلة تماما ونتيجتها كانت هزيمة شنعاء لنا » ، ولدى شقير ملاحظة خاصة تتعلق بادارة المعركة وهي ان القيادة اعتمدت المدفعية سلاحها الاساسي ، وهي نقطة تفوق هامة بجانبنا على العدو ، ولكن القيادة لم تلحظ مع الاسف قلة ما لدينا من ذخيرة لهذا السلاح وهي بالتالي لم تحسن استخدام هذا الجانب الذي نتفوق فيه ، وكانت المعركة اجمالا نقطة تحول كبيرة في قتالنا ضد العدو الصهيوني » ... وفي الواقع فان المرء يميل كثيرا الى اعتبار هذه المعركة نقطة تحول اذ فقد الانقاذ قدراته على التعرض والهجوم ويشارك رأي الدكتور امين رويحة الذي رافق المعركة في معظم مراحلها باعتباره المسؤول عن معالجة جرحى الانقاذ يومذاك ... في رأيه « ان هذه المعركة كشفت عورتنا واظهرت نقاط ضعفنا وكانت نتائجها بعيدة الأثر على سير معاركنا القادمة »(١٣٤).

معارك المنطقة الشمالية : شهدت هذه المنطقة معارك عديدة خاضها الانقاذ من اقصى شمال فلسطين في المطلة وحتى الناصرة في جنوب الجليل . ودارت أهم هذه المعارك حول مستعمرات المنارة والمطلة وجدين والهرأوي والنبي يوشع والشجرة ورامات يوحانان ، وشارك الانقاذ في معظم معارك المدن في حيفا وطبريا وصفد وعكا ، وشهدت الناصرة والمالكية وترشيحا والجش والصفصاف اشتباكات دامية خاصة حين انتزع العدو المبادأة من العرب ، بعد نهاية الهدنة الاولى ، واستطاع على مراحل اخراج جيش الانقاذ من الجليل في أواخر تشرين الاول ١٩٤٨ . وفي هذه المنطقة كانت علاقات الانقاذ مع الجيشين

السوري واللبناني ومع المسلحين المحليين أفضل نسبيا مما كانت عليه في المنطقة الوسطى .

معركة المالكية الثانية : تقع قرية المالكية ، وهي صغيرة جدا ، في شمال فلسطين وقرب الحدود اللبنانية وفيها معسكر للجيش البريطاني وقد جلا عنه في أواخر نيسان . وقد تعرضت المالكية لمعارك عديدة وتبادلتها الايدي مرات عديدة خلال ستة أشهر بدأت في أواخر نيسان وانتهت في اواخر تشرين الاول . فبعد جلاء الانكليز عنها سيطرت على القرية والمعسكر مفرزة صغيرة من فوج اليرموك الثاني الذي كان يقوده المقدم اديب الشيشكلي . ولكن الصهاينة قاموا بهجوم مفاجيء في ١٢ ايار واحتلوها اذ كانوا على علم بالخطة العسكرية العامة وعلى معرفة بأن القوات السورية ستنطلق من المالكية . ويقول لورتش « ان هناك ثلاث طرق للتقدم من لبنان الى فلسطين . ولقد اختار اللبنانيون الطريق المركزي — اي المالكية — ليس لانه يمكنهم من الوصول الى الجليل الشرقي دون مواجهة المستعمرات اليهودية فحسب بل ويمكنهم فيما بعد من الاتصال بالسوريين والعراقيين ودعمهم في هجومهم على حيفا . ولهذا وضع فوجان من المشاة وسرية مصفحات لتصد التقدم اللبناني من خلال « بوابة المالكية »(١٣٥). ويقول القصري ان الصهاينة « أرسلوا سرية مغاوير من البالماخ من مستعمرة الهراوي وتسللوا الى المعسكر في منتصف ليلة ١٢ — ١٣ أيار واستولوا عليه ... وفي الصباح استعادت قوات الانقاذ بقيادة الشيشكلي المالكية ومعسكرها ... وعند الظهر كان اليهود يلجأون الى المرتفعات المجاورة »(١٣٦). وفي ٢٩ ايار عاد اليهود لطرد قوات الانقاذ من المالكية وقدس وبليدة وعيترون ... ونظرا لاهمية هذه المنطقة فقد قررت قيادة الانقاذ وقيادتا الجيشين السوري واللبناني ضرورة استعادتها ولذلك فقد حشدت في اوائل حزيران قوات مشتركة زادت على ثلاثة آلاف مقاتل وطردت اليهود من المنطقة كلها .

كانت القوات المشتركة في هذه المعركة تتكون من : فوج جبل العرب وكان يقوده الرائد شكيب وهاب ، وفوج حطين بقيادة النقيب مدلول عباس وألحقت به سرية عراقية بقيادة الملازم الاول شناوة عرد ، وسرية من فوج اليرموك الاول ، وسرية يمانية وسرية مجدل شمس ، وفوج من المتطوعين اللبنانيين بقيادة النقيب حكمت علي ، بالاضافة الى فصيل من المتطوعين اليوغوسلافيين . هذا من جانب الانقاذ . وكان هناك فوج نظامي لبناني بقيادة المقدم جميل الحسامي وسرية دبابات خفيفة لبنانية . واشترك في القتال ايضا فوج البادية السوري وبطاريتا مدفعية (١٢ مدفعا) بقيادة الملازم الاول عفيف البزري وطائرات سورية . وكانت قيادة هذه القوة المشتركة للمقدم طالب داغستاني والرائد الركن عامر حسك هو ضابط ركن القوة .

وفي الواحدة بعد ظهر يوم ٦ حزيران فتحت المدفعية نيرانها ثم تقدم المشاة على مواقع الصهيونيين في المالكية برتلين ... وبعد قتال دام استمر خمس ساعات انسحب اليهود ودخلت قواتنا منتصرة ... وكانت خسائر اليهود كبيرة ... وكان الضباط والجنود العرب على جانب عظيم من الضبط والسيطرة وشجاعة ممتازة وتشوق لقتال اليهود ... »(١٣٧).

اما الصهاينة فيقولون « ان القوة التي كانت في المالكية — من لواء عوديد المؤلف بشكل أساسي من رجال الحرس المحلي ومجموعات هامشية غير مدربة . وقد استطاعت ثلاثة افواج عربية (لبنان ، سورية ، انقاذ) من شن هجوم مركز صباح ٦ حزيران . ومع ان الاسرائيليين تلقوا تقارير وشائعات عن تحركات عسكرية على جانبي « اصبع الجليل الشرقي » ، الا ان جنود عوديد غير المدربين اخذوا بمفاجأة كاملة . ولقد حاولوا في البداية التصدي لفوج القاوقجي وتعرض السوريون لخسائر كبيرة لوقوعهم في حقل ألغام ولكن القوة اللبنانية نجحت في طرد الاسرائيليين من المالكية ... »(١٣٨). ويتابع

كورزمان ليصف القاوقجي راكبا سيارة الجيب ومرافقا قوات الانقـاذ في تقدمها نحو الجليل حيث يرد التحية للجماهير التي خرجت لاستقباله .

اما المقدم لورتش فانه بعد اشارته الى تحقق المفاجأة بالنسبة لقوات عوديد يذكر ان القوات العربية كانت في حجمها تتشكل من لواءين تقريبا، وقد تابعت تقدمها بعد انسحاب الصهاينة ، الى قدس وتوغلت داخل الجليل ثانية بثلاثـة ارتال : نحو قرية لوبيـا والشجرة ، والثاني نحو الناصرة ، والثالث نحو الجليل الغربي(١٣٩) .

هذه المعركة الناجحة لم تستثمرها قيادة الانقاذ كما يجب ، ففي رأي حسك « ان هذه القوة الكبيرة قلما تجتمع في مكان واحد وبقيادة واحدة فاغتنمت هذه الفرصة وعرضت على القاوقجي فكـرة اسـتغلال هـذا الظرف والاسـتفادة من هـذه القوات القوية بمعنويـاتها والكثيرة بعـددها واسـلحتها وطلبت ان يسـتأنف الهجـوم عـلى مـواقع اليهـود في الهـراوي والنبي يوشـع ومـن ثم يطهـر الجيـب في منطقة الحـولة حتى المطـلة في شـمالها والاتصـال بالقـوات السـورية في منطقـة بانياس وجنوبها مؤكدا له ان هذه العملية لا ريب في نجاحها نظرا لوضع اليهود المرتبك في جميع اجزاء فلسطين باعتبار ان سيطرة الموقف كانت بيد القوات العربية في كل جزء حينذاك ... »(١٤٠) ولم يكن هذا الرأي قاصرا على الرائد عامر حسك ، بل ان هناك عسكريين عرب آخرين تضايقوا جدا يومها من توغل الانقاذ في الجليل وتركه مجموعة المستعمرات الى يسار قواته فيما كانت القوات السورية تقاتل يومها على مقربة منه اذ كانت تهاجم مشمار هايردن . ولو تقدم الانقاذ نحو الشرق بدل التوجه نحـو الجنوب لاستطاع تأمين الاتصال بالجيش السوري وعزل ما يسمى « باصبع الجليل الشرقي » ومجموعة المستعمرات القائمة فيه لتشكل حاجزا بين سورية ولبنان . هذا ويقول المقدم الركن شقير ان المؤسف ان الصحافة العربية شاركت في التضليـل اذ كتبت العناوين الكبيرة في تضخيم عودة قوات الانقاذ الى الجليل وكأن فيه قوات معادية وقد تم طردها منه ، وجعلت من ذلك وكأنه هجوم صاعق على نحو مـا كانت تعرف بـه الهجمات العسكرية الالمانية الصاعقة (بليتز كريغ) في اوربا خلال الحرب العالمية الثانية ، في حين ان الانقاذ لو توجه بقواته نحو الشرق لسحق القوات الصهيونية في الهراوي والنبي يوشع لكان حقق فوائد عسكرية هامة ومفيدة جدا للوضع العسكري العربي العـام (سورية ولبنان خاصة) ولجيش الانقاذ نفسه(١٤١) .

معركة الجليل في تشرين الاول : في ٢٢ تشرين الاول ٤٨ انهى الصهاينة احدى أهم مراحل قتالهم ضد القوات المصرية في النقب ، وفي ذلك اليوم بالذات بدأوا يتحرشون بقوات الانقاذ اذ « حاولوا احتلال ميس الجبل والحولة اللبنانية بعد قصفها من الجو ، فصد الهجوم وطاردتهم قوات الانقاذ وقطعت عليهم طريق المنارة »(١٤٢) . ولم تتحرك القوات السورية واللبنانية لنجدة الانقاذ في هذه المعركة تماما كما وقفت كل الجيوش العربية جامدة حين كان الصهاينة يستفردونها واحدا بعد الاخر وعلى مراحل .

كانت قوات الانقاذ تتحمل مسؤوليات دفاعية اضخم من طاقاتها بكثير . ففي يوم ٢٧ تشرين الاول ، أي قبل ساعات من الهجوم الصهيوني كانت قوات الانقاذ تتكون من : لواء اليرموك الاول بقيادة عامر حسك وكانت افواجه الثلاثة تشغل مناطق الجنوب : مجد الكروم وشعب وسخنين وكوكب وكفرمندا والمغار وعيلبون والفرادة والسموعي ، وكان الفوج العلوي بقيادة غسان جديد يشغل القاطع الشرقي : ميرون والصفصاف والجش والراس الاحمر ، وكان لواء اليرموك الثالث (وفي الواقع كان عبارة عن فوج اجنادين وسرية عقربا والسرية اليمانية ومتطوعون محليون) بقيادة المقدم مهدي العاني ويشغل منطقة ترشيحا ومعليا ، اي يواجه الغرب ، وكان لواء اليرموك الثاني (في الواقع عبارة عن الفوج البدوي الاول وبعض السرايا المستقلة) بقيادة علوش داغش ويشغل بليدا

وميس الجبل داخل اراضي لبنان، وكانت المفرزة اليوغوسلافية تشغل المالكية وقدس... ومع هذه القوات كانت بطارية مدفعية وبضع مصفحات . (حسك : ص ٨٠ ــ ٨١) .

ويقول حسك : « كانت قواتنا ضعيفة في كل نقطة بسبب انتشارها على جبهات واسعة بالاضافة الى عدم وجود احتياط عام او احتياطات محلية لمعالجة المواقف الطارئة هذا مع حرمانها من الاليات التي يمكن الاستفادة منها في التنقلات السريعة حين تدعو الحاجة . وهذا حرمها أيضا من الحركة وجعلها جامدة تتلقى كل منطقة ضربة منفردة دون أن تمد اليها يد المساعدة ... » (ص ٤٤ ــ ٤٥) . هذا ولقد كان هذا التوزيع للقوات قد اتخذ « شكل قوس دائرة أملته سعة المنطقة وخطورة الطرق الآتية من مناطق عسكرية مهمة ولذا يعتبر التوزيع اطارا خفيفا لا يستطيع الصمود تجاه اي هجوم مهما كان نوعه ... » هذا ولقد كان فوج حطين ــ مثلا ــ مكلفا بمهمة حماية قاطع بلغ طوله (٦٠) كيلومترا تمتد من شفاعمرو في الغرب الى قرية حطين في الشرق . وان هذه الجبهة لو اعطيت الى فرقة مشاة نظامية كاملة العدة والعدد لتعذر عليها قبول مسؤولية الدفاع عنها بالاضافة الى انها تواجه مراكز عسكرية يهودية مهمة مثل عكا وحيفا في الغرب والعفولة في الجنوب وطبريا في الشرق ، مع وجود مستعمرة كفارة خوريش ضمن حدود مدينة الناصرة ... (ص ٤٠ ــ ٤١) . وكان موقف الاسلحة ولا سيما العتاد منها محزنا جدا ومرعبا فانه لا يكفي لمعركة يوم واحد حتى ولا لبضع ساعات. (ص ٧٢). وفي الواحدة من بعد ظهر ٢٧ تشرين الاول بدأ الصهاينة قصفا عنيفا بالمدفعية والطائرات على كافة مواقع الانقاذ في الجليل وقاموا بهجمات تضليلية في الجنوب والشمال ولكن هجومهم المركز الاساسي جاء من الشرق (صفد) ومن الغرب (مستعمرة نهاريا في شمال عكا) بقصد التقاء الرتلين في سعسع ، عقدة مواصلات هامة ، وبذلك يتم تطويق معظم قوات الانقاذ وابادتها .

وبعد قتال عنيف في مختلف المناطق ، وفيما كانت قوة نظامية سورية تحاول التصدي للقوة الصهيونية القادمة من صفد فوجئت بوجودها ضمن وحدات معادية وصلت الى الجش ، شرق سعسع . في هذه الفترة ، اي بعد قتال (١٢) ساعة صدرت اوامر الانسحاب للواء اليرموك الاول في صباح ٢٨ تشرين الاول لينجو من خطر أطباق فكي الكماشة .

وبالرغم من اعتراض قائد اللواء وقادة افواجه على أوامر الانسحاب الا ان القاوقجي أصر على ذلك . وقد تم الانسحاب من كل انحاء الجليل بعد أن اضطر الانقاذ للتخلي عن معظم تجهيزاته .

هذا ويقول الصهاينة « انه كان للانقاذ (٣١٠٠) مقاتل في ثلاثة الوية ومعهم مقاتلون محليون ... وكانت هناك ٦ ــ ١٠ مدافع موزعة على هذه الالوية ... وان القائد المباشر للانقاذ لم يكن القاوقجي بل كان شوكت شقير ، المفروز من الجيش اللبناني ... هذا وكان لليهود أربعة الوية هي : كارميلي وغولاني وعوديد واللواء السابع وكان يقودها موشي كارميل ... وكان هدف العملية التي سموها ــ حيرام ــ تدمير جيش الانقاذ والسيطرة على الجليل الاعلى لبناء خط دفاعي على طول الحدود الشمالية لفلسطين كما كانت ايام الانتداب ... هذا وقد بدأت عملية حيرام في ليلة ٢٨ ــ ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨ وانتهت في ستين ساعة ... »(١٤٣).

وقد استطاع الصهاينة بهذه العملية أن يخرجوا قوات الانقاذ من الجليل وأن يحتلوا هذه المنطقة العربية كما احتلوا عشرين قرية في جنوب لبنان .

(٨)

نهاية الانقاذ

بعد سقوط الجليل كانت حالة الانقاذ سيئة جدا وبحاجة ماسة الى اعادة تنظيم من جديد على ضوء الاحداث والتطورات الكبيرة التي شهدتها المنطقة وعلى ضوء النتائج التي وصلت اليها معركة العرب في فلسطين . وبدلا من اعادة تنظيم أوضاع الانقاذ وكافة القوى الشعبية الفلسطينية وكذلك الجيوش النظامية وذلك ادراكا للاخطار المتزايدة التي يحتلها نجاح الحركة الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل ، فان الامور لم تسر كما يجب أن تسير . وعلى أي حال فقد استدعى الامين العام للجامعة العربية القاوقجي الى القاهرة في ٢٢ — ١١ — ٤٨ بحجة البحث معه في اعادة ترتيب الانقاذ وبنائه من جديد . وهناك أبلغه بعد أن شكره على جهوده ، ان مهمة جيش الانقاذ قد انتهت .

والواقع لم يكن اعفـــاء القاوقجي الا الخطوة الاولى الهادفة للتخلص من الانقاذ وكافة مظاهر المرحلة السياسية التي تشير الى نهاية سياســـة الرفض المبدئي لوجود دولة « اسرائيل المزعومة » لتبدأ مرحلة جديدة تقول ضمنا او علنا بوجوب القبول بالامـــر الواقع ، اي الاعتراف الواقعي بوجود دولة اسرائيل ، من خلال عقد الهدنة وتشكيل لجان الهدنة المشتركة والتعايش معها في الامم المتحدة ولجانها ثم ببدء العرب لتنظيم المقاطعة الاقتصادية وذلك كجزء من تطوير نوعية مقاتلة هذه الدولة المعادية ... الخ . وكلف العقيد أنور بنود — من الجيش السوري — بقيادة وحدات الانقاذ فأعاد تشكيل بقاياه بثلاثة أفواج حملت اسم لواء اليرموك وبقيت هذه القوة في جنوب لبنان متخذة مواقعها في بنت جبيل وعين ابل وتبنين ، ثم انتقلت في أواخر آذار ١٩٤٩ الى سورية . « وفي أوائل ايار ١٩٤٩ ، وبعد ان بدأت الدول العربية توقع اتفاقات الهدنة الدائمة في رودس ، صدرت الاوامر من المفتشية العامة لقوات الانقاذ ، بتوجيه من الامانة العامة للجامعة العربية ، بتسريح هذه القوة وانهاء مهمتها وجرى بالفعل حلها رسميا » .

هناك آراء واجتهادات عديدة في تفسير سبب حل جيش الانقاذ . هناك من يقول انه حل لتوقف تمويل الجامعة العربية له — من هؤلاء المقدم شقير — ويرجع سبب توقف الجامعة عن تمويله الى ان مصر — وهي أكبر الدول العربية والمساهمة الاولى — بدأت تقبض يدها عن تسديد التزاماتها المالية للانقاذ خاصة بعد أن رأت أن حالته متدهورة ودوره في المعارك دون المتوقع . وأهم الاسباب — برأيي — هي ردود الفعل السلبية التي كانت تعيشها القيادة السياسية والعسكرية المصرية يومذاك بعد خوضها منفردة جولتين من معارك النقب في تشرين الاول وفي كانون الاول في حين وقفت الانظمة العربية كلها وقفة المساندة الاعلامية الساخنة واتخذت موقف الجمود وعدم المساندة العسكرية . فكان أن قويت اصوات العزلة في مصر ، وبدأت سياسة التراجع والانطواء في الساحة العربية ، وطبيعي ان يكون من نتائج ذلك تقليل مشاركتها في أية نشاطات عربية ، وكان الانفاق على جيش الانقاذ أبرز تلك المساهمات والنشاطات المصرية .

وهناك من يقول ان وراء حل الانقاذ ان القيادة السياسية والعسكرية في سورية كانت متخوفة يومذاك من نشاطات بعض ضباطه الكبار ، وخشيت ان يعمد بعضهم للقيام بحركة عسكرية ضد حكام دمشق ، بايحاء من الملك عبدالله والحكم في الاردن ، ولقد جرى اعتقال بعض الضباط — أحدهم النقيب وصفي التل — في اوائل عام ١٩٤٩ ، ولهذا رحبت دمشق باجراء التعديلات الاساسية في قيادته عنـــد اعادة تنظيم وحداته بعـــد الانسحاب من الجليل .

أما عن تقييم الانقاذ ففي الحقيقة هناك موقفان ورأيان متعارضان .

الاول ينظر الى هذا الجيش من زاوية الحماسة لوجوب « تسجيل حوادث وأمجاد تلك

الصفحة التاريخية التي عمل فيها جيش الانقاذ ما لم تعمله بقية الجيوش واضاع اكثر من نصف موجوده من شهيد وجريح وأتى بتلك البطولات التاريخية ... ان قيمة كفاح هذا الجيش وتأثيره لا يمكن تقديره الا عندما يدون تاريخ الكفاح العربي بقلم وضمير منصف فعندها فقط تظهر حقيقة البطولات والتضحيات المتفجرة عن عقيدة عربية وايمان خالص بقدسية الاوطان العربية والتي كان يحملها كل فرد من أفراد هذا الجيش »(١٤٤).

والثاني ينظر الى الجيش نظرة سلبية الى أقصى الحدود واذا كانت هذه الدراسة قد نقلت آراء السباعي والشريف ، وفيها الكثير من التحامل وافتقاد الروح الموضوعية فان هناك آخرين تجنوا على الانقاذ وظلموه . فالعارف يرى ان الانقاذ « خيب آمال الامة العربية فيه . فلم يأت بأي عمل يذكر . لا بل انه فشل في مهمته فشلا ذريعا ... وكيف يرجى الخير من جيش كهذا ، قوامه خليط من الناس ، لا يجمعهم جامع ، ولا يردعهم رادع . وليس لهم مثل أعلى يجاهدون في سبيله صفا واحدا ويدا واحدة ... ان رجال جيش الانقاذ اساءوا للناس اكثر من احسانهم اليهم ... »(١٤٥). كذلك تتحامل «جمعية انقاذ فلسطين » في بغداد على هذا الجيش اذ تراه « نجح في ايجاد دعاية واسعة له كما نجح في الحصول على أكثر مساعدات اللجنة العسكرية والذي كان بالامكان ان يقوم بأعمال جليلة الشأن ، بعيدة الاثر ، وان يحول دون سقوط كثير من المواقع في أيدي اليهود ، ان هذا الجيش كان في كثير من مواقفه وتصرفاته مجانبا للمصلحة الوطنية ... مما نعتبر ان قيادته مسؤولة عن ذلك ... »(١٤٦). ولكن في هذه الاقوال الكثير من الظلم والتجني ، فالانقاذ قاتل كما قاتلت الجيوش العربية ، بل انه قاتل احسن وأفضل من قتال بعضها في تلك الفترة ، لهذا لا يمكن ان توجه مثل هذه الاتهامات لمثل هذه الوحدات التي شكلت الانقاذ ، ولعل بعضها أدى واجبه بشكل مثالي وانموذجي ، وما كان بوسعها ولا بوسع غيرها ان يقوم بأفضل مما قامت به بعض وحدات الانقاذ في تلك الظروف .

وبعد .. هل كان الانقاذ جيشا نظاميا ؟ أم كان مجموعات من المقاتلين غير النظاميين ؟ أم كان عصابات تحرير وطني ؟

يرى القصري ان الجامعة العربية « جمعت بعض المتطوعين وباشرت بتدريبهم وتسليحهم على عجل وشكلت منهم وحدات عسكرية شبه نظامية . وبمدة شهر أرسلت قسما منهم الى ميادين القتال . والحقيقة لم يكن لدى هؤلاء المتطوعين الاستعداد الكافي ليقاتلوا كوحدات نظامية او كوحدات غير نظامية لان العدو كان مدربا ومسلحا يجب ان يقابل بقوة أشد منه »(١٤٧).

والواقع فان قوات الانقاذ بحكم تكوينها ونوعية تدريبها وتسليحها كانت في الحقيقة تفتقد الكثير من متطلبات الجيش النظامي . فهي عمليا كانت من حيث المقاتلين والبناء والتدريب والتسليح والكوادر دون الجيوش النظامية التقليدية بكثير . ولكنها في الوقت نفسه رغم كونها ليست عصابات تحرير وطني الا أنها أخذت من عصابات التحرير الوطني (وهي عادة نواة جيوش التحرير أو الجيوش الشعبية الثورية) مبرر وجودها ، اي الهدف السياسي الذي جمع افرادها لحمل السلاح ، أي ان الانقاذ تشكل بقصد تحرير ارض الوطن وانقاذ شعبه من الاستعمار والصهيونية . وعلى هذا فان قوات الانقاذ كانت قوات شبه نظامية وكان من الممكن ان تتحول بارتفاع مستوى تدريبها وضبطها وتسليحها لتكون كالقوات النظامية ، وكان من الممكن أيضا ، لو استمر القتال ضد الصهاينة وتوفرت قيادة سياسية عسكرية اكثر تقدما وتفتحا ، ان تتحول ، خاصة لو التقت كوادرها مع كوادر الجهاد المقدس ، لتتحول الى جيش شعبي ثوري .

ولكن السؤال الاهم هو هل فشل الانقاذ ولماذا ؟ وقد يكون في الجواب على هذا التساؤل بعض الجواب على سبب الفشل في مواجهة الصهيونية في معاركنا العديدة السابقة .

ما من شك في أن الانقاذ ، كجزء من المواجهة العربية في عام ١٩٤٨ ، قد فشل في تحقيق الهدف الذي تشكل من أجله ، وهو الحيلولة دون قيام اسرائيل . اما اسباب هذا الفشل فيرى المقدم شقير ان « أهمها (١) عدد المقاتلين اليهود كان اكبر دائما من العرب ، اذ كانوا يجمعون دائما على كل جبهة يهاجمونها قوات اكبر من القوات العربية (٢) لديهم قيادة واحدة مقابل قيادات عربية لا تنسيق بينها ... وفي حالة الانقاذ لم يقم تنسيق مع الجيش السوري (٣) تسليح اليهود بعد الهدنة الثانية كان متفوقا على التسليح العربي (٤) لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم ... »(١٤٨).

أما عن رأي العدو في أسباب هزائمنا فان ايغال الون يعتقد « ان الطاقة العسكرية تعتمد على خمسة عوامل رئيسية هي: ١ ــ قوتها البشرية ٢ ــ موقعها الجغرافي الاستراتيجي ٣ ــ مواردها الاقتصادية ٤ ــ وضعها السياسي ومكانتها في المسرح الدولي ٥ ــ نظامها الاجتماعي والسياسي . وعند مراجعة حقائق وأرقام الوضع القائم في الوقت الحاضر فانها تؤكد بوضوح بأن الاقطار العربية تتفوق بشكل قاطع في العوامل الاربعة الاولى ، في حين ان باستطاعة اسرائيل أن تزعم التفوق في عامل واحد فقط هو : نوع وطبيعة تكوينها الاجتماعي ونظام الحكم والقيم فيها ... »(١٤٩). ويعيد آلون تأكيد هذه النقطة حيث يضيف : « لقد كان العامل الوحيد للطاقة العسكرية الذي تفوقت فيه اسرائيل على أعدائها ، من دون شك ، هو نظامها الاجتماعي . فحقيقة كونها ديمقراطية سياسية واجتماعية وسط انظمة قبلية متخلفة اوتوقراطية او دكتاتورية كانت في حد ذاتها ميزة لصالحها ، وبتأثيراتها توازنت ، بل وفي بعض الاحيان رجحت على جميع العوامل الاخرى مجتمعة »(١٥٠). ويعيد آلون هذا التأكيد في مكان آخر ليشير ان الحرب مع العرب « ليست بين جيشين وأمتين بل كانت صداما بين نظامين اجتماعيين وسياسيين متصارعين ... وبالاضافة ليست هناك حتى الان وحدة عربية ، فالدول العربية لم تستطيع حتى الان ان تعمل مجتمعة وموحدة الصف ... »(١٥١).

●

في تقديري ان الانقاذ رغم الدور الهام الذي لعبه ما كان ليستطيع أن يحصل على نتائج أفضل في نوعيتها في ظل تلك الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة يومذاك . كيف كان الانقاذ يستطيع ان يقاتل وينتصر والانظمة القائمة كانت بطبيعة تكوينها تخشى القتال الجاد لانه ينشط حركة التقدم الاجتماعي ويحرك الجماهير وكانت على تلك العلاقة العضوية بالاستعمار ؟ كيف كان الانقاذ يستطيع أن يقاتل وليس في فلسطين وحدة وطنية بل هناك صراعات وتناقضات عميقة محلية وعربية ؟ وهل كان القاوقجي يستطيع انيحقق شيئا جديا والوضع في الاردن على ما كان عليه رغم ايمان قائد الانقاذ العميق « بوجوب الاستفادة من شرق الاردن كقاعدة للحركات في فلسطين اذ كانت هذه هي فكرته القديمة التي أبداها في عام ١٩٢٩ ؟ »(١٥٢).

ان الامر الاساسي هو ما ذهب اليه شوكت شقير ولمسه لمسا خفيفا حين قال في تفسير اسباب هزيمتنا : « لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم » ، وهذا الرأي يلتقي في جوهره مع تشخيص ايغال آلون حين أكد على الاهمية الحاسمة لطبيعة النظام الاجتماعي والسياسي . ذلك ان ما يفتقده الانقاذ في الماضي وما يحتاجه كفاحنا الراهن هو توفر تلك القيادة القادرة على رسم البرنامج السياسي لثورتنا المعادية للامبريالية والصهيونية مع الوسائل القادرة على بناء جبهة وطنية تجند كافة القوى والطبقات الشعبية العازمة على الكفاح المسلح ناظرة اليه من زاوية تاريخية تقوم على اساس ان الشعوب التي تقاتل من أجل مصيرها وأوطانها لا تضع في الميزان مسألة الربح والخسارة ، اذ ان مثل هذه الحسابات هي سياسة الغزاة ومواقف المعتدين وحساباتهم ، انما تنظر الى الكفاح المسلح والنضال الدامي من الزاوية التي وقف عندها قادة فيتنام السياسيون

والعسكريون برئاسة هوشي منه قبيل اعلان حربهم التحررية الوطنيـــة حين استكثر بعضهم ضخامة الثمن الذي سيدفعه شعبهم ووطنهم فكان السؤال : هل ان وحدة فيتنام وحريتها أهم وأغلى أم الثمن الكبير المطلوب منا دفعه لمقاتلة الاستعمار وتحرير بلادنا ؟ وكان جواب الفييت مينه على لسان هوشي منه لجماهير فيتنام تاريخيا حاسما وقاطعا كحد السيف : « أن وحدة فيتنام وحريتها أغلى وأهم بكثير من اي شيء آخر . أعز من أية تضحية وخسارة . أمامنا طريق واحد : ان نقاتل ولو كلفنا ذلك أن لا يبقى على وجه وطننا جسر أو معمل او بيت ... نقاتل ولو مسح العمران من على وجه وطننا ... ولو أعادنا المستعمرون الى العصر الحجري ... حريتنا ووحدتنا أهم من أي شيء آخـــر وليس هناك ما يوازيها » . ويوم اتخذوا ذلك القرار التاريخي بدأت اسطورة فيتنام . ويوم تبرز تلك القيادة السياسية العربية القادرة على رســـم ذلك البرنامج السياسي النضالي وتتخذ مثل ذلك القرار ... يومها تبدأ اسطورتنا الثورية وتطوى الى الابد قضية الوجود الصهيوني العدواني فوق أرضنا ... وعندها فقط نكون قد استفدنا حقا من تجربة الانقاذ وتعلمنا الدروس والعظات جيدا ، وعندهـــا لا تكون أرواح شهدائنا وضحايانا وخسائرنا في الانقاذ ، وما قبله وبعده ، قد ذهبت وضاعت سدى ، ذلك انها كانت الضريبة المحتومة لهزيمة اعداء أمتنا وعودة شعبنا وتحقيق وحدة دولته الاشتراكية على امتداد الوطن كله ...

---

٩٣ — Al-Qawuqji, Memoirs 1948, *Journal of Palestine Studies*, Vol. I, No. 4, p. 58.

٩٤ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (١٨) .

٩٥ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (٥٨) .

٩٦ — القصري : الجزء الثاني — ص (١٥٣).

٩٧ — من «ملاحظات العميد الركن طه الهاشمي» على مشروع عامر حسك ، وهي منشورة في اول الكتاب ، وفيها يعلق الهاشمي كما يلي : «ثانيا: ذكرتم في الصفحة (٢٣) ان القاوقجي استدعي الى بيروت والذي اعلمه انه لم يستدع الـــى بيروت وكان من عادته ان يترك الجبهة ويقضي وقته مع مقره بين عاليه وصوفر بعيدا عـــن المنطقة التي كان ينبغي ان يظل فيها يراقـــب العدو ويعد العدة لمقابلته ... » — ص (٨) .

٩٨ — حسك : **المصدر ذاته** — اشارة الى الامر رقم (١١٥) تاريخ ٤٨/٧/١٨ الموجـــه الـــى المقدم الشيشكلي والامر رقم (١١٤) تـــاريخ ٤٨/٧/١٨ الموجه الى عامر حسك ... ص (٦٣) .

٩٩ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (٤٣ — ٤٤).

١٠٠ — القصري : الجزء الثاني — ص (٢٥٢).

١٠١ — القصري : الجزء الثاني — ص (٢٥٣).

١٠٢ — **المصدر ذاته** — ص (٢٥٨) .

١٠٣ — مقابلة مع شوكت شقير في بيروت فـــي ٧٣/٣/٢٠ .

١٠٤ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (٣٥) ... راجع أمر مفتشية المتطوعين رقم (٣٩١٠) تاريخ ٤٨/٦/٣ مع وصف المعركة علـــى ص (٢٩ — ٣٦) .

١٠٥ — Netanel Lorch: *Israel's War of Independence*, 1947-49, p. 57; Hartmore House Inc. Hartford, Connecticut, 1961-1968.

١٠٦ — E. O'Ballance: *The Arab-Israeli War 1948*, p. 36; Faber and Faber Ltd., London.

١٠٧ — Jon and David Kimche : *Both Sides of the Hill*, p. 82, London, Secker and Warburg 1960.

١٠٨ — Al-Qawuqji: Memoirs 1948, *Journal of Palestine Studies*, p. 35-36. Vol. 1, No 4, Summer 1972.

١٠٩ — E. O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 39.

١١٠ — القصري : الجزء الثاني — ص (٢٦٤) .

١١١ — القصري : **المصدر ذاته** — ص (٢٦٤ — ٢٦٥) .

١١٢ — القصري : **المصدر ذاته** — ص (٢٦٥).

١١٣ — D. Kurzman : *Genesis 1948*, p. 64

١١٤ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 40.

١١٥ — Al-Qawuqji: Memoirs 1948, *J.P.S.* Vol. 1, No. 4, p. 35.

١١٦ — القصري : **المصدر ذاته** — ص (٢٦٥ — ٢٦٧) .

١١٧ — Jon and David Kimche : *Both Sides of the Hill*, p. 97.

١١٨ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War 1948*, p. 42.

١١٩ — مذكرات القاوقجي .

١٢٠ — القاوقجي
Al-Qawuqji : Memoirs 1948, *J.P.S.*, Vol. 1, No 4, p. 38.

١٢١ — مقابلة مع الدكتور امين رويحة في حمانا بلبنان ٧٣/٢/٢ .

١٢٢ — Kurzman : *Genesis 1948*, p. 123 124.

١٢٣ — Kurzman : *Genesis 1948*, p. 125

١٢٤ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 42.

١٢٥ — N. Lorch: *Israel's War of Independence* 1947-1949, p. 97..

١٢٦ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 43.

١٢٧ — Lorch : *War of Independence*, p. 97-98.

١٢٨ — القصري : الجزء الثاني — ص (٢٧١ — ٢٧٢) .

١٢٩ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 43-44.

١٣٠ — كامل الشريف : **الاخوان المسلمون في حرب فلسطين** — ص (٩٠) .

١٣١ — كامل الشريف : **المصدر ذاته** — ص (٩٠).

١٣٢ — كامل الشريف : **المصدر ذاتـه** — ص (٨٨ — ٨٩) .

١٣٣ — كامل الشريف : **المصدر ذاتـه** — ص (١١٠ — ١١٣)

١٣٤ — مقابلة مع الدكتور امين رويحة في حمانا في٧٣/٢/٢ .

١٣٥ — N. Lorch : *Israel's War of Independence*, p. 177.

١٣٦ — القصري : **حرب فلسطين** — الجزء الثاني — ص (٢٩٥ — ٢٩٦) .

١٣٧ — عامر حسك : **من مأساة فلسطين** — ص (٢٩ — ٣٣) .

١٣٨ — D Kurzman : *Genesis 1948* p. 331-332.

١٣٩ — Lorch: *Israel's War of Independence*, p. 185.

١٤٠ — عامر حسك : **من مأساة فلسطين** — ص (٣٥) .

١٤١ — مقابلة مع شوكت شقير في ٧٣/٣/٢٠ .

١٤٢ — حسك : **المصدر ذاته** ، ص (٧٨) .

١٤٣ — Lorch : *Israel's War of Independence*, p. 433-455.

١٤٤ — القاوقجي : مقاطع من رسالة الى عامر حسك — منشورة في مقدمة كتاب حسك : **من مأساة فلسطين** — ص (١٢) .

١٤٥ — العارف : **النكبة** — الجزء الثاني — ص (٤٥٩) .

١٤٦ — جمعية انقاذ فلسطين — بغداد — **« ١٥ ايار — كارثة فلسطـين »** — محمود فهمـي درويش — السكرتير العام — ص (٥٨) — مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٤٩ .

١٤٧ — القصري : **حرب فلسطين ١٩٤٨** — الجزء الثاني — ص (٢٤٤) .

١٤٨ — مقابلة مع شوكت شقير في بيروت في ٧٣/٣/٢٠ .

١٤٩ — ايغال آلون
Y. Allon : *The Making of Israel's Army*, p. 62.

١٥٠ — آلون : **المصدر ذاته**
Y. Allon : *The Making...* p. 63.

١٥١ — آلون : **المصدر ذاته**
Y. Allon : *The Making...* p. 90-91.

١٥٢ — **«مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ — ١٩٤٣»** — ص (٢٢٩) — دار الطليعة — بيروت .

سياسة العمل العبري بين الامس واليوم

عبد الحفيظ محارب

« ينبغي ان تقال الحقيقة كاملة ، بالرغم من انها تحمل بين ثناياها الالم والحزن . لقد درجنا على التباهي وقرع جميع الاجراس : « اننا » حولنا الصحراء القاحلة الى جنة عدن . « نحن » ! والسواعد هي سواعد احمد ومصطفى » .

جوردون

في أعقاب حرب حزيران ، فتح باب العمل امام عمال المناطق العربية المحتلة ، ليعملوا في الاقتصاد الاسرائيلي ، وبذلك فتح معه من جديد ملف سياسة العمل العبري ، هذا الملف بدأت سطوره الأولى في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واخذت تكتب بغزارة في الربع الاول من القرن الحالي واستمر قائما حتى قيام دولة اسرائيل ثم أخذت سطوره تخف وتهدأ الى ان بدأت تثور وتموج من جديد في أعقاب حرب حزيران .

وقبل الوقوف على ملف سياسة العمل العبري لا بد لنا من التطرق قليلا الى موقف التيارات الاسرائيلية من قضية العمل العربي في الاقتصاد الاسرائيلي في الوقت الراهن باعتبار ان العمل العربي يشكل النقيض للعمل العبري .

يخطىء من يتوهم بأن التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل راضية تماما عن وجود أكثر من ٥٠ الف عامل عربي في الميادين الاقتصادية المختلفة في اسرائيل ، فبالرغم من قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على استيعاب عدد من العمال اكبر من هذا العدد ، وبالرغم من الفائدة العائدة اليه من جراء فائض القيمة التي تدرها الايدي القوية الرخيصة المستغلة ، يبقى الرضى مشفوعا بنقيضه ، ويعود ذلك الى عاملين اساسيين كانا ولا يزالان يتحكمان في المسلك العام لمجتمع المهاجرين والمستوطنين (١) شهوة التوسع (٢) شهوة الحفاظ على نقاء او صفاء المجتمع اليهودي في « دولة اليهود » ، وهذا ما يفسر لنا الطبيعة التوسعية الاجلائية التي يتسم بها الكيان الاسرائيلي ، بيد أنه ينبغي أن لا يغيب عن البال ان هاتين الشهوتين تتخللهما رغبات صعبة ومتناقضة ، فشهوة التوسع ترافقها رغبة في أن تكون المناطق خالية من السكان الاصليين . وبما ان ذلك ليس أمرا متوفرا ، فان الرغبة تتمثل في ترحيل هؤلاء السكان ، الا ان ذلك يعتبر صعبا بسبب الظروف الموضوعية كما أن شهوة الحفاظ على نقاء المجتمع الاسرائيلي وصفائه تتنازعها رغبة اخرى تتمثل في تسخير السكان ضحايا الشهوة الاولى، للعمل في المجالات الاقتصادية المختلفة .

ان التناقض القائم بين المحافظة على النقاء ، وبين الرغبة في التسخير كان وراء المواقف المتباينة للتكتلات السياسية والتجمعات الاقتصادية في اسرائيل تجاه قضية تشغيل العمال العرب ، ولعل ظاهرة العمال الزراعيين العرب الذين يعملون في المستوطنات الاسرائيلية خير دليل على ذلك ، فقد حدث صراع بين السلطات الاسرائيلية من جهة (تهيمن عليها شهوة المحافظة على النقاء بيد أنها تسعى من وراء تشغيل العرب الى

احراز مكاسب سياسية) وبين مستوطنات النقب (تهيمن عليها الرغبة في تسخير الايدي العاملة العربية الرخيصة) من جهة اخرى حول ظاهرة العمال العرب الذين يخدمون داخل المستوطنات في ظروف صعبة شبيهة الى حد كبير بظروف الملونين في جنوب افريقيا واوضاعهم ، فالسلطات الاسرائيلية رأت في هذه الظاهرة « خطرا قوميا واجتماعيا » كما جاء على لسان وزير العمل ، منطلقة من شهوة الحفاظ على نقاء مجتمع المستوطنين وطهارته ، ولذا اتخذت قرارا بعدم السماح للعمال العرب بالنوم داخل هذه المستوطنات ، بينما تحركت رغبة التسخير لدى المستوطنين واخذوا يناضلون ضد قرار الحكومة « لانها تعارض تصفية العمل العربي ، اذ بدونه لن تكون هنالك ارباح في الزراعة » . ومن الجدير بالذكر ان الحقائق « المؤلمة » التي يحاول كل طرف التستر عليها امام الاغيار ، والتي من شأنها ان تشوه سمعة اسرائيل ، تجد متنفسا لها في الصراع القائم بين الطرفين ، وعلى سبيل المثال اوضاع وظروف العمال العرب تغدو واضحة من خلال الصراع فهنالك « جواري » يخدمن في المستوطنات ولا يعدن الى القطاع ، وغدت مستوطنات النقب شبيهة بمستوطنات جنوب افريقيا .. « ان ذلك بدأ يشبه جنوب افريقيا ، ففي كل بيت تستطيع ان تعثر على خادمة او طباخة وعمال مزارع ، بينما يتحول صاحب البيت بينهم كالسيد » (معاريف٧٢/٨/٨) بدون هذا الصراع ما كان يمكن « للحقائق المؤلمة » ان تقال، ومن المشكوك فيه ان تقال حتى بعد نشرها ، أمام الاغيار ، بيد ان هذا الصراع بين الطرفين ، يجعل « الحقائق » المكبوتة تظهر من خلال عملية مخاض « مؤلمة » ففي كيبوتس مجين (مثلا) التابع لحركة هشومير هتسعير (مبام) القريب من مشارف رفح يشتغل عمال عرب تحت اشراف مستوطنين من مشارف رفح جلبهم الكيبوتس لهذه الغاية،ومن المعروف ان هناك صراعا احتدم بين حركة هشومير هتسعير (يسارية النزعة) وبين مستوطني مشارف رفح ، بسبب معارضة الحركة « لاعمال السلب والنهب » المتمثلة في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في تلك المنطقة ، بالرغم من ان واقع قيام مستوطنة مجين هو بمثابة سلب ونهب اخر ، يدركه اعضاء الكيبوتس غير أنهم يكبتونه ، بيد أن الطرف الاخر يعمد الى الاعتراف به مثل قول احد المستوطنين من مشارف رفح : « ذات مرة ، ابان تناول وجبة الغداء نشب نقاش حول الاستيطان في المناطق . توجهت الينا احدى الرفيقات بسؤال : هل انتم من مشارف رفح؟ اجبناها بالايجاب وعند ذلك صرخ احد الرفاق : آه ، اذن ، انتم المستغلون » . لقد أثار هذا التلون غضبنا . سألناهم : « فوق أية منطقة هم يعتقدون ، انهم جالسون . واقترحنا عليهم بأن يسكتوا . انهم لا يملكون الحق الادبي في التحدث ضدنا » . واكثر من ذلك نجد اعترافا كاملا « بالحقيقة المؤلمة » شبيها باعتراف جوردون ، ناجم عن الصراع الداخلي ، يدين الحركة الصهيونية برمتها ، ولكن صاحب الاعتراف يرضى بهذا الواقع مثل قول احد مستوطني مشارف رفح المدعو « ياكي » (ضابط في سلك الاحتياط) : « انني لا أنفعل من صيحات حركة هشومير هتسعير فعندما جاء جدي الى مستوطنة الشجرة عند بداية القرن الحالي ، قام بنهب العرب ، لقد اشترى البارون اراضي وسلب العرب . كما ان مستوطني كفار شلوم ونير عوز التابعتين للكيبوتس القطري تقعان على ارض عربية وكذلك نحن ايضا نجلس فوق ارض عربية » (معاريف ٧٣/١/٥) .

ويروي صاحب كتاب « أرض الغزال » اريه الياف السكرتير السابق لحزب العمل الاسرائيلي الحقائق التي تتكشف من خلال تصارع وجهات النظر الداخلية بعيدا عن الاغيار اعتراف احد الضباط الاسرائيليين اثناء مناقشة حول الصهيونية موجها كلامه الى الياف : « ماذا تريد منا ، ان الصهيونية تعتمد اساسا على الخبث والخداع والقوة، كان آباؤنا يتمتعون بقسط أكبر من الخبث ، اما نحن فاننا نتمتع بقسط اوفر من القوة » (مجلة حوتام ٧٢/٨/٤) .

لقد اوردنا هذه الامثلة للتدليل على أن الحقائق تخرج من محبسها في حالة انقسام وجهات

النظر بين المستوطنين انقساما عموديا حول قضية معينة ، واذا علمنا ان سياسة العمل العبري موضوع البحث كانت ولا تزال على رأس القضايا الرئيسية التي احدثت انقساما عموديا بين وجهتي النظر منذ مطلع هذا القرن ، فاننا لن نجد صعوبة في البحث عن الحقائق .

كان من نتيجة التبدلات الناجمة عن حرب حزيران ، ان اثيرت من جديد قضية العمل العبري ، واخذ الحديث ينصب على نقيض العمل العبري اي العمل العربي بشكل واسع على خلاف ما كان يحدث في الربع الاول من هذا القرن ، حيث كان التركيز اكثر على العمل العبري وليس على نقيضه . وقد أحدث موضوع النقيض ، انقساما عموديا في وجهات النظر في اسرائيل ، كما أحدث في الماضي موضوع العمل العبري انقساما في الرأي في فترة « اليشوف » ، ومن هنا برز موقفان متعارضان تجاه العمل العربي في اسرائيل (١) الموقف الاول يدعو الى فتح باب العمل امام العمال العرب في المرافق الاقتصادية المختلفة ، ويدعم هذا الموقف فئتان ، الاولى فئة المستوطنين من أصحاب الاملاك في المستوطنات الزراعية ، ومقاولي البناء وارباب العمل في المدن ، اي الشريحة البرجوازية الريفية والمدينية ، انطلاقا من مصالحها التي تتعزز بفضل فائض القيمة التي تدرها الايدي العربية المستغلة حيث تتفوق لديها رغبة التسخير على شهوة النقاء وكثيرا ما يعلو صوت هذه الشريحة قائلا : « لولا الايدي العاملة العربية لخسرنا في هذا الموسم » . وتجد هذه الفئة متنفسا لافكارها المعبرة عن مصالحها في صحيفة « هآرتس » كما كانت الشريحة المماثلة لها في عهد اليشوف تجد متنفسا لافكارها في صحيفة « هتسفي » ، وتركز هذه الفئة في حديثها على الفائدة الجمة العائدة على الكيان الاسرائيلي ومخططاته « ان الدمج الاقتصادي المتصاعد للاقتصاد العربي بما في ذلك العمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي هو جزء من اجراءات العودة ، والهجرة والاستيطان ... ان التأثير متبادل ، لقد قيل الكثير عن الفوائد الاقتصادية التي جناها العرب ، بيد ان الفوائد التي جناها اليهود لا تقل عنها ، فلولا العمل العربي ، لما كانت موجة الهجرة تستوعب بالسرعة التي استوعبت بها » . ثم يتطرق صاحب المقال لدور العمال العرب في عملية بناء المساكن للمهاجرين الجدد في فترة الانتداب ، « ان مهاجري المانيا في الثلاثينات استوعبوا في منازل ، اعتمد في بنائها على مواد البناء التي انتجها العرب ، وتم بناء قسم منها في القدس وحيفا ، بواسطة الايدي العربية كما ان عملية استيعاب مهاجري الدول الاسلامية وشرق أوروبا في الخمسينات تمت بالاستعانة بتجنيد الايدي العربية في المناطق القديمة . ان التطور المعروف لدينا في الاعوام التي أعقبت حرب حزيران ليس فيه جديد .. » .

ثم ينتقل صاحب المقال الى مسألة طهارة وصفاء المجتمع اليهودي ، ليقرر بأن الدولة اليهودية في الازمان الغابرة لم تكن قائمة على طهارة وصفاء اليهود ، بل كانت فيها اقليات غير يهودية ، ويذكر ان ابناء تلك الاقليات « اشتركوا في بناء الهيكل ، ولولاهم لما اقيم . وان حقوقهم كانت محفوظة » ، ليصل في النهاية الى القول : « ان الدولة اليهودية لا تعني دولة لليهود فقط » (هآرتس ٧٢/٥/٢٤) . ان هذا القول يعبر تعبيرا صادقا عن موقف الفئة البرجوازية الريفية في اسرائيل تجاه العمل العربي ، الذي لولاه لخسرت المستوطنات موسمها الزراعي « ولولا عمل الاغيار .. لما اقيم الهيكل » !

الفئة الثانية يتزعمها وزير الدفاع موشيه ديان ، وهي تنطلق في دعوتها الى فتح الباب امام العمل العربي ، لخدمة هدف سياسي معين ، سنقف عليه فيما بعد ، وتواجه هذه الفئة ضغوطات نفسية في تصديها لسياسة العمل العبري ، اذ انها نشأت في احضان تلك السياسة ، فهذه الفئة لم تقف حتى الان ضد سياسة العمل العبري بنفس الحجم الذي وقفت ضدها الشريحة البرجوازية الريفية والمدينية، لانها بموافقتها على العمل

العربي تخدم هدفا سياسيا مرحليا وقد عبر دايان عن ذلك بقوله : «ان الجواب الوحيد للنزاع هو التعايش مع العرب، ان نعيش معا مع العرب الموجودين بين صفوفنا . علينا ان نحولهم من لاجئين يعيشون على مخصصات السمن والارز الى اناس يعملون،علينا ان نؤدي بهم الى وضع يمكنهم من العيش بشرف ، اننا لسنا بعيدين عن ذلك ، فخلال الاعوام الخمسة الماضية عملنا بما فيه الكثير ، ولكن ينبغي بذل المزيد من العمل . **ان الصرخة المطالبة بالعمل العبري تصم آذاني لانها تعني عدم توفير عمل للعرب** » (معاريف ٧٢/٦/١٩) .

الموقف الثاني يغلب عليه طابع المعارضة للعمل العربي ، وهو الذي درج بعد حرب حزيران عن اطلاق الصرخة التي تصم آذان دايان ، وفي الوقت نفسه تجعل مزارعي المستوطنات يتباكون على الخسارة التي تلحقها بمواسمهم الزراعية . يقف الى جانب هذا التيار رجال الادارة في المؤسسة الحاكمة ، ممن تربوا على الدعوة لفكرة العمل العبري . ويركز هؤلاء في معارضتهم للعمل العربي على أمور منها :

١ ــ التخوف على الطابع اليهودي للدولة من خلال فتح الباب على مصراعيه امام اعداد كبيرة من العمال العرب ، ويعتبرون ذلك بمثابة « غزو من الداخل » خاصة وان العمال العرب « المستوردين » من المناطق المحتلة حديثا الى المناطق المحتلة قديما ، هم ليسوا مجرد عمال ، بل هم في الوقت نفسه اصحاب الارض التي شردوا منها ، وان واقع وجودهم فوقها يعتبر بمثابة نوع من « العودة » .

٢ ــ الفروق بين معاشات العمال العرب والعمال اليهود ، الامر الذي من شأنه أن يشوه صورة اسرائيل في الاوساط الدولية .

٣ ــ اقتصار العمل في بعض المهن على العمال العرب ، وتهرب اليهود منها ، الامر الذي ستكون له تبعات خطيرة في حالة الاستغناء عن العمال العرب سواء عن طريق التوصل الى تسوية ، او عن طريق اتخاذ السلطات الاسرائيلية قرارا بهذا الشأن حيث ستبقى تلك المهن السوداء بدون عمال لان العامل اليهودي قد تخلى عنها ، ومن العسير عليه حينئذ ان يعود اليها .

٤ ــ التخوف من حدوث منافسة بين العمال العرب والعمال اليهود من ابناء الطوائف الشرقية الذين يحتلون المراكز الدنيا في مجالات العمل المختلفة في المرافق الاقتصادية ، تتطور الى صراع بين الطرفين ، ويضرب اصحاب هذا الرأي مثلا على ذلك بقولهم ان عمال ديمونا (اكثريتهم من الطوائف الشرقية) ابان مرحلة الأزمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل في عام ١٩٦٦ طالبوا بـ « طرد العمال العرب والدروز الذين يعملون في مناطقهم » . الا ان هذا التخوف ليس في محله لسببين اولا : ان عام ١٩٦٥ ليس كعام ١٩٧١ ، ففي المرحلة الاولى استطاع الموجهون لدفة الحكم في اسرائيل بث روح العداء للعرب بين الطوائف الشرقية ، اما المرحلة الاخرى فقد اتضحت الصورة بشكل أوضح أمام اليهود الشرقيين ، حيث اخذت روح العداء تخف وتمحى من خلال صحوتهم على أوضاعهم التعيسة التي خلقها التمييز الواقعي غير المكتوب القائم في المجتمع الاسرائيلي، واذا حدث وان تحولت المنافسة الى صراع وتصادم ، فان ذلك على الارجح سيكون بفعل أيد خفية من داخل المؤسسة الحاكمة . وثانيا ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا من بين ضحايا سياسة العمل العبري .

٥ ــ التخوف من حدوث أزمة اقتصادية محتملة وما يترتب على ذلك من حدوث بطالة بين أوساط العمال ، الا ان هذا التخوف ليس في محله أيضا ، فالعمال العرب هم بمثابة أداة لسد الفراغ في المرافق الاقتصادية في اسرائيل ، واذا ما توفرت أداة يهودية لسد هذا الفراغ فسيتم الاستغناء عن الاداة الاولى ، ففي معمل النسيج « اوف اور » في

بلدة اوفكيم مثلا ، تم الاستغناء عن الايدي العاملة العربية في المصنع عندما وصل الى البلدة مهاجرون يهود من الاتحاد السوفياتي لكي يتم استيعابهم هنـــاك ، بيد ان المستوطنين الجدد لم يتأقلموا في عملهم الجديد واستقالوا وبقي المصنع دون أيد عاملة لان الادارة الاولى المحركة له قد استوعبت في منشآت أخرى . ويقدم حانوخ سميث مدير مصلحة القوى البشرية في وزارة العمل تصورا لما يحدث في حالة حدوث ازمـــة اقتصادية بقوله « اذا مـــا حدثت ازمة شبيهة بأزمـــة ١٩٦٦ فان الازمـــة ستمس قطـــاع البنـــاء وعنـــد ذلك سيتأثر العمال العرب المركزين في هذا الفراغ ، واذا ما مست السياحة ، فان العمال العرب من المناطق الذين يعملـــون في المطاعم وجلـــي الصحون هم الذين سيتضررون ايضا ، وفي مقابل ذلك ، اذا مست الازمة الصناعية ، بحيث يصبح من الضروري ايقاف وتيرة التطور الصناعي ، فان المتضررين سيكونون من بين العمال اليهود ، واذا ما تعمقت الازمة ، حينئذ سيحـــل العاطلون عن العمل من العمال اليهود تدريجيـــا محل العمال العرب ، وحتـــى في فروع الاعمال البسيطة » . (معاريف ١٩٧٢/٥/١٢) .

بيد ان هذا الجناح لا يعارض معارضة تامة العمل العربي، ذلك انه يرى ضمن «السلبيات» التي يركز عليها وجود امر ايجابي في العمل العربي لانه يخدم فكرة سياسية معينة ، وبين السلبيات الجمة والامر الايجابي ، يتخذ اداريو المؤسسة موقفا معارضا من حيث المبدأ للعمل العربي وفي الوقت نفسه يقبلونه شريطة أن يكون مقيدا بحد أقصى ، وكلما يحدث ارتفاع على الحد الاقصى، يأخذ أفراد هذا الجناح باطلاق الصرخات والتحذيرات، مثل وزير المالية بنحاس سابير الذي يتخوف كثيرا على نقاء المجتمع اليهودي ، ويدعو الى عدم تلويث العمل العبري بالعمل العربي ، مع التلويح دائما بسياسة العمل العبري التي تصم آذان ديان . ويقف الى جانبه عدد من الوزراء مثل وزير الزراعة حاييم جباتي الذي يعتبر العمل العربي بمثابة قنبلة زمنية « اعتقد ان تشغيل سكان المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي بأعداد كبيرة ينطوي على خطورة بالغة بالنسبة لنا . ان ذلك قنبلة زمنية » (داڤار ٧٢/٦/٩) . اما سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون فقد حذر من انفجار القنبلة التي « سنحترق جميعا منها » : « ان العمل العربي في المناطق هو بمثابة قنبلة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العرب الذين يتلقون ثمنا في مقابل عملهم . لقد خلقنا نوعا من طبقة افندية جديدة بالنسبـــة للعمال العرب ... ان استغلال موارد القوى البشرية في البلاد غير مستغل بما فيه الكفاية ، كما وان العمال اليهود يهجرون العمل اليدوي ، ليحتله العرب . ان هذه المشكلة ينبغي ان تشغل بال الهيئات الحكومية » (هآرتس ٧٢/٥/٢٣) .

وينضم وزير العمل يوسف الموجي الى المهولين من خطر العمل العربي باعتباره يشكل خطرا اجتماعيا وقوميا ويعرب عن اعتقاده « بأننا وصلنا اليوم الى درجة الاشباع في موضوع تشغيل العمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي » ويحذر من زيادة الحد الاقصى للعمال العرب « لان الضمان الوحيد لوجودنا مرتبط بتنفيذ العمل في البلاد بأيد يهودية » (عل همشمار ٧٢/١٠/١٥) .

يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان من نتائج حرب حزيران ، فتح الباب امام العمل العربي (نقيض العمل العبري) في اسرائيل ، وفي الوقت نفسه فتح الصراع من جديد بين طرفين كبيرين في اسرائيل لا يتورع اي منهما مـــن ذكر الحقائق حتى ولو كانت « مؤلمـــة » وبذلك فتح من جديد ملف سياسة العمل العبري .

ما هي سياسة العمل العبري ؟

لكي تتضح لنا ماهية سياسة العمل العبري لا بد من الوقوف على البنية الطبقية للمجتمع اليهودي في فلسطين ابان الهجرة الاولى والهجرة الثانية .

كانت طبقة البرجوازية والبروليتاريا الرثة في المدينة والبرجوازية الريفية تطغى على المجتمع اليهودي في الربع الاخير من القرن الماضي وحتى بداية الهجرة الثانية في عام ١٩٠٣ ، وقد خلا المجتمع اليهودي في ذلك الوقت من وجود الطبقة اليهودية العاملة مع انه لم يخل تماما من وجود عمال منتجين . بيد ان عددهم كان ضئيلا جدا ، ففي المدن التي كان يتواجد بها اليهود مثل صفد وطبريا والخليل نجد ان عدد العمال في ذلك الوقت يكاد يكون معدوما والمدينة الوحيدة التي ظهرت فيها شريحة عمالية صغيرة هي مدينة القدس التي كانت في عام ١٩١١ ، تضم حوالي ٤٥ الف يهودي اي حوالي نصف عدد اليهود في فلسطين الذين كانوا يعدون ٨٥ الف نسمة ، وكان عدد العمال اليهود في هذه المدينة حوالي الفي عامل معظمهم من يهود فلسطين ومن ابناء الطوائف الشرقية . اما نسبة العمال الاشكناز فقد كانت ضئيلة جدا بسبب كون ابناء هذه الطائفة يتلقون هبات من أموال الـ«حلوكاه»من الخارج، أي ان سكان المدن كانوا يتكونون من طبقة برجوازية، ارباب حرف واصحاب دكاكين وتجار ، وطبقة بروليتاريا تتلقى الهبات عن طريق الـ « حلوكاه » وشريحة عمالية صغيرة في مدينة القدس . اما الوضع الطبقي في المستوطنات فانه اسهل تصنيفا من الوضع الطبقي في المدينة ذلك ان الطبقة البرجوازية الريفية كانت تستحوذ على معظم ابناء المستوطنات ، وقد برزت هذه الطبقة خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حيث اقيمت خلالها ٢٢ مستوطنة تضم ٥٢١٠(١) مستوطنين . اعتمدت هذه المستوطنات على الملكية الفردية والعمل المأجور بيد ان تمويلها الاساسي لم يأت من قبل المستوطنين بل من قبل كبار برجوازيي اليهود في الخارج امثال البارون روتشيلد وبعض العائلات اليهودية الميسورة في روسيا واميركا ومن قبل الجمعيات الخيرية اليهودية ، اذ لم يكن بوسع المهاجرين وهم من ابناء الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة القيام بانشاء مزارع ناجحة،ولم ينجح الا القليلمن هؤلاء في الاعتماد على انفسهم، ولولا البرجوازية اليهودية الكبيرة في الخارج لكان من المشكوك فيه أن تقام مستوطنة واحدة ، فمستوطنة مجدال مثلا الواقعة بالقرب من بحيرة طبريا، اقيمت بفضل اموال البرجوازية اليهودية في روسيا ، وكذلك مستوطنة بوريا في الجليل الاسفل اقيمت بأموال جمعية صهيونية اميركية ، وشرونة اقيمت بأموال شركة اميركية ، ومستوطنات اخرى اقيمت بأموال « الرجل الكريم » البارون روتشيلد . وكانت بعض المستوطنات تابعة لشخص واحد مثل مستوطنة هارطوف بالقرب من القدس التي كانت تمتلكها عائلة جولدبيرغ . اعتمدت هذه المستوطنات على الملكية الخاصة والعمل المأجور ، وكان المستوطنون الذين يشتغلون بها يمتلكون قطعة ارض بدعم مالي من المؤسسات او الاشخاص القائمين عليها وكان الى جانب هؤلاء قلة من العمال اليهود تعمل داخلها بيد انها سرعان ما تحولت الى مالكة للارض ، وبذلك غدت المستوطنات تتشكل من عنصرين اثنين (١) بيروقراطية ادارية تخدم البارون (٢) طبقة من الملاكين المستوطنين ، لم يكن العمل الانتاجي من نصيب هاتين الشريحتين الوليدتين في فلسطين، بل كان من نصيب الايدي العربية العاملة . فبالرغم من رغبة البارون روتشيلد ان يقتصر العمل داخل المستوطنات التابعة له بقدر الامكان على الايدي العاملة العبرية ، الا ان هذه التوصية لم يكتب لها النجاح ، وذلك بسبب تحول المستوطن العامل الى مالك للارض ، وتحول هذه المستوطنات الى نوع من الاقطاعيات الجديدة في فلسطين ، قامت على أكتاف العمال العرب . ويصف يتسحاق تبنكين تحول المستوطنات الى اقطاعيات بقوله : « لقد غدت المستوطنات تعتمد على الملكية ، وتحول المزارع بسهولة الى مالك ... وكان العمل شاقا للغاية في المجال الزراعي ، وكان دخله قليلا ورأى المزارع الحل في استغلال العمل الرخيص . كان أمام المستوطن اليهودي امكانيتان : الهبوط الى المستوى المعيشي لاهل البلاد العرب ، او ان يتحول الى مستغل للعمل الرخيص ، وقد اختار المزارع الطريقة الثانية ، فتعززت مزرعته ، **وتحولت المستوطنات الى اقطاعيات،**

تعتمد على استغلال العامل الرخيص ، كما هو الحال بالنسبة لاستغلال عمل السود في الولايات المتحدة »(٢). لقد كان هذا هو الوضع في المستوطنات ، ولم يأخذ المستوطنون بتوصية ورغبة البارون في اقتصار العمل على اليد العاملة اليهودية « لانكم بذلك ينقذ الواحد منكم الاخر وتذكروا بأنكم كنتم فقراء ، لا تتركوا اخوانكم ولا تعطـوا الآخرين فقط »(٣). بيد ان ذلك لم يثمر ، وفضل المستوطنون العمال العرب على العمال اليهود مما دفع القادرين من هؤلاء العمال الى التحول الى مزارعين ملاك ، اما القلة المتبقية فقد بقيت تعمل داخل المستوطنات . لم يكن مزارعو المستوطنات مجرد فلاحين بسطاء، بل كانوا بمثابة طبقة برجوازية ريفية تعتمد بالاساس على جهد وعمل العمال العرب ، ويعود ذلك الى طبيعة المستوطن ، فهو ابن المدينة ، وابن الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ولذا فقد تحكمت فيه نفسية التاجر ، وروح البرجوازية الصغيرة ، التي تعتاش بادارتها للامور دون انتاجها ، هذا علاوة على ان المستوطن اليهودي لم يسبق له ان اشتغل بفلاحة الارض منذ زمن طويل ، وقد مس يوسف اهارونفتس نفسية المستوطن التي تسيطر عليها روح التجارة بدل الفلاحة بقوله « ان ابن شعب كان خلال الفي عام مدينيا وابان منفاه الطويل لم يكن خلاقا ، بل استخدم كوسيط للاخرين الذيـن انتجوا ، ابن شعب كهذا لا يمكن له أن يتحول فجأة الى قروي يعيش حيـاة الفلاح . ان « معانـاة التركة » التي خلقتها مئات الاجيال لا تزول بسرعة ، ان شعبا كهذا يمكن ان يتحول من تاجر اقمشة الى تاجر كرمة ، او برتقال ، باستطاعته ان يهجر المدينة وان يخلق له حياة مدينية في القرية ، بيد انه لا يتمكن تماما من نسيان المدينة ونظـام حياتها . ان مزارعينا الموجودين في البلاد هم تجار . . . »(٤).

وبفضل هذه الروح فضل المستوطن اليهودي وكذلك الاداري اليهودي العامل العربي على العامل اليهودي في حالة وجوده ، لان الاول يمكن استغلاله بشكل أكثر وأبشع ، ولانه يعطي في الوقت نفسه مجهودا أكبر مما يدر على المستوطنين أرباحا ، فتحولت المستوطنات الى نوع من الاقطاعيات الجديدة في فلسطين ، تضيف الى الاقطاع التركي المسمى بالالتزام نمطا آخر مختلفا عنه ومتقدما عليه مبنيا بالاساس على استغلال الايدي العاملة العربية . اذن يمكن القول ان المجتمع اليهودي في فلسطين حتى مطلع القرن الحالي وبداية الهجرة الثانية ، كان يتكون من شريحتين اساسيتين (١) شريحة المدن وتتألف بالاساس من البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وقد خلت المدن التي يوجد بها يهود من العمال اليهود باستثناء القدس . (٢) شريحة الريف وتتشكل بالاساس من البرجوازية الريفية سواء على شكل مستوطن ملاك او اداري بيروقراطي ، ولم تكن هنالك شريحة عمالية تذكر . ويصف موشيه بارسليفسكي في كتابه **تـاريخ الحركـة العمالية في فلسطين** وضع المستوطنات ابان بداية الهجـرة الثانية بقوله : « لقد وجدت الهجرة الثانية اكثر من عشرين مستوطنة جميعها مغطاة بالعمال العرب ، وفي المعدل كان كل مستوطن يعيل ثلاث عائلات عربية، وقد وجد آلاف العمال العرب اذن معيشتهم في المستوطنات ، وكان عدد السكان العرب داخل بعض المستوطنات يفوق عدد السكان اليهود ، وفي الوقت نفسه كان يتدحرج داخلها عدد ضئيل من العمال اليهود ويناضلون للحصول على يوم عمل . هذا هو الواقع »(٥).

« **احتلال العمل** » : تعتبر الهجرة اليهودية الثانية التي تدفقت على فلسطين خـلال الربع الاول من القرن الحالي من اخطر الهجرات اليهودية ، ففيها تم تكوين الخليـة الاولى للطبقة العاملة اليهودية ، هذه الخلية التي أخذت تتنامى وتتعزز حتـى أصبح المجتمع اليهودي قادرا على الاعتماد على ذاته في تكوين الدولة . وقد اصاب موشيه بارسليفسكي حين قال : « ان معركة احتلال العمل كانت أهـم معـركة في تاريـخ الصهيونية ، فهي التي حسمت مصيرها ، وفيها أيضا تعززت قوة الحركة العمالية ،

وبفضلها تم استقلال اسرائيل بعد أكثر من أربعين عاما »(٦). ومع صحة هذا القول هنالك ثلاث ملاحظات تجدر بالتسجيل :

١ ــ ان ولادة الطبقة العاملة اليهودية في فلسطين لم تكن ولادة طبيعية ، كما هو الحال في معظم المجتمعات ، بل جاءت نتيجة تهجير اقتصاد الى فلسطين وتهجير مجموعات بشرية اليها .

٢ ــ لذا ، فان الهدف الذي وضعته الطبقة العاملة الوليدة نصب عينيها يختلف اختلافا كليا عن أهداف الطبقات العمالية الاخرى التي نشأت نتيجة ظهور البرجوازية في بلادها، فبينما نجد تلك الطبقات تضع نصب أعينها الدفاع عن حقوقها والتعاطف مع زميلاتها الطبقات العمالية الاخرى ، نجد الطبقة العمالية اليهودية تسعى لخدمة هدف معين ، يخدم بالاساس مخططات ومرامي الاقتصاد المهجر من الخارج . وقد طغى هذا الهدف على فكر الطبقة العاملة الاسرائيلية ، وغدا اقوى بكثير من الاهداف المطلبية العادية ، ويقر الدكتور تراتكوفر ذلك بقوله : « وحسب ذلك لن يحتاج العامل اليهودي الفلسطيني الى تنظيم عادي ليقف الى جانبه ، لان مصلحته لم تكن هي الاساس في نظره ، ولم تدر المعركة حول الشؤون المهنية للعامل في هذه الحالة ، بل حول اعتبار العمل كاساس في سير الانعتاق القومي.ومن أجل هذا الهدف اقيمت التنظيمات العمالية، وكانت مهمتها أن تجذر فيهم فكرة العمل وامكانية تحقيقه، هكذا اعتبرت رسالة حزب العمال الاول « هبوعيل هتسعير » الذي اقيم عند مطلع هذا القرن وتحول بسرعة الى احد العناصر الهامة في اوساط الجماهير اليهودية الفلسطينية »(٧).

٣ ــ ان اصول الطبقة العاملة الوليدة لا تعود الى البروليتارية اليهودية ، وانما يطغى عليها طابع البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، ويعترف كل من كتسنلسون وتسفي بن شوشان بذلك ، الاول يعتقد ان هذه حقيقة مؤلمة لدى البعض الا انه يعترف بها قائلا : « ربما يكون من يرى في ذلك تحقيرا اذا قلت أن الحركة العمالية في البلاد ولدت من البرجوازية الصغيرة . انها هي التي أنجبت العامل اليهودي في فلسطين»(٨) والاخر يرى ان اكثرية العمال اليهود في فلسطين ، « كانت من أبناء الطبقة الوسطى ، ومن صلب البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، وجاءوا الى البلاد ليكونوا عمالا وبهذا تكمن أهمية هجرتهم . ومن لم يحالفه النجاح هجر البلاد . ليست البروليتاريا اليهودية في المنفى هي التي أقامت الطبقة العاملة فيأرض اسرائيل، بل أبناء الطبقة الوسطى المفككة فيالمنفى». وسبب ذلك ان الصهيونية وجدت رواجا لها بين شرائح البرجوازية الصغيرة ، ولم تجد رواجا بين شريحة البروليتاريا اليهودية في الخارج ، فالبروليتاري اليهودي الذي كان يعمل في المصنع لم يرغب في التخلي عن عمله المكتسب لينتقل الى الاعمال السوداء والشاقة في فلسطين ، واذا حدث وفكر في ترك عمله فانه ينتقل الى بلدان متقدمة صناعيا مثل الولايات المتحدة والبلدان الاوروبية ، ذلك انه بسبب كونه بروليتاريا لم يحظ بثقافة يهودية صهيونية تستحوذ على فكره وتدفعه الى المجيء الى فلسطين ، مثل أبناء الطبقة البرجوازية الصغيرة او الوسطى الذين ترعرعوا في احضان تلك الثقافة .

اذن يمكن القول أن ولادة الطبقة العاملة في فلسطين لم تكن نتيجة تطور اقتصادي طبيعي من خلال ظهور البرجوازية المحلية وما يترتب على ذلك من ظهور الطبقة العمالية بل كانت ولادة الفكرة قبل ولادة الطبقة العاملة كما وان الولادة كانت نتيجة تهجير اقتصاد من الخارج الى فلسطين ، وان اصول الطبقة العاملة اليهودية تعود الى الطبقة البرجوازية الصغيرة والوسطى ، وكان نتيجة هذه الولادة غير الطبيعية ان وضعت بصماتها على الطبقة العاملة الاسرائيلية فيما بعد وجعلتها تتمايز وتنفرد بخصائص معينة عن معظم الطبقات العمالية في العالم .

نعود الان الى قضية « احتلال العمل » التي تعبر تعبيراً صادقا عن سياسة العمل

العبري. كان من نتيجة موجة الهجرة الثانية ان تدفقت على المجتمع اليهودي في فلسطين اعداد كبيرة من العمال الذين يعودون الى أصول برجوازية ومن المثقفين ، وقد تميزت هذه الهجرة عن غيرها من الهجرات بان الطابع المميز لها كان « الريادة » الا ان مجتمع المستوطنين الذي يعتمد على « اقطاعيات » تعرف بالمستوطنات مبنية أساسا على جهد العمال العرب ، لم يستقبل العمال اليهود الوافدين بأذرع مفتوحة ، بل فضل العامل العربي على العامل اليهودي ، ونتيجة لذلك حدث انقسام كبير بين الوافدين الجدد الذين يودون ان يتحولوا الى عمال وبين الملاكين في المستوطنات ، أدى الى ظهور الدعوة « للعمل العبري » التي غدت نوعا من الفلسفة المشفوعة بالقدسية ، أصحاب هذه الدعوة هم المثقفون الذين شملتهم الهجرة الثانية امثال غوردون ويوسف اهارونفتس وبن غوريون وبن تسفي وغيرهم وقد كان جميع هؤلاء عمالا وخدموا بأيديهم في المستوطنات . تعتمد فكرة احتلال العمل على أمرين اساسيين : اولا احتلال اماكن عمل للعامل العبري عن طريق طرد العامل العربي ، وثانيا احتلال ذاتي من قبل العامل للعمل اي ان يغدو محتلا من قبل العمل . وان الاحتلال في الحالتين ليس لمصلحته الذاتية فحسب وانما « للشعب اليهودي كله »(٩). ولكي تتضح لنا صورة فكرة « الاحتلال » لا بد من الوقوف قليلا حول اراء آباء العمل العبري تجاهها .

يطرح جوردون رأيه تجاه الموضوع بالسؤال التالي : « ما الغرض من مجيئنا لارض اسرائيل » ثم يجيب : « لانقاذ البلاد وبعث الشعب ، بيد ان هذين الامرين ليسا مهمتين منفصلتين ، بل وجهين لشيء واحد ، فليس هنالك انقاذ للبلاد بدون انبعاث للشعب ، وليس هناك انبعاث للشعب بدون انقاذ للبلاد . ان عملية امتلاك الارض بالاموال لا تعتبر انقاذا بالمعنى القومي ، طالما ان الارض لا تستغل بأيدي اليهود ، كما وان انبعاث الشعب لا يمكن تصوره بدون عمل في الارض وبناء اليشوف على ايدي اليهود ... ان العمل العبري هو أساس البعث القومي مثلما هو أساس انقاذ البلاد القومية ، ان العامل يضع اساسا لبعث الامة بواسطة بعث نفسه ، لان العمل يعيده الى البعث . هذه هي المهمة الاساسية للعمل »(١٠) ومن خلال هذا المفهوم للعمل شدد جوردون على حصر العمل في المستوطنات اليهودية بالايدي اليهودية العاملة « لان بلاءنا كان في العمل وشفاؤنا فيه . ينبغي علينا ان نضع العمل في مركز مطامحنا وان نؤسس عليه كل بنياننا » .

اما يوسف اهارونفتس فيرى هو الاخر ان الشرط الاساسي لتحقيق الصهيونية رهن بوجود طبقة عاملة يهودية فهو يرى انه «حتى لو لم يكن هنالك خطر يحدق بنا من العامل الاجنبي ، لكان يتوجب علينا أن نقف خجلين امام العالم كله — أمام نفس العالم الذي نحتج على تحقيره لنا — لاننا ايضا في وطن بعثنا نستطيع ان نكون فقط شعبا من التجار والباعة المتجولين والسماسرة ، وليس عمالا ومنتجين . وقبل أن نحاسب الاخرين يتوجب علينا محاسبة أنفسنا ، والمحاسبة هي ، ان شعبا لا يمتلك هيكلا واسعا من العمال القرويين من الطبيعة ومن مواد انتاج الطبيعة شعبا كهذا نهايته التحجر في جسده وروحه وليس له حق الوجود ، حتى لو نجح في أن يوجد لنفسه بوسائل مصطنعة امكانية الوجود ، اما الشعب الذي ينهض للبعث فان الشرط الاول لبعثه — العمل . فاذا كان العمل موجودا فان البعث موجود واذا لم يكن هنا عمل ، فلا يوجد اي شيء هنا . اذن ، الشرط الاساسي لتحقيق الصهيونية يتمثل في تكاثر وتحصين العامل العبري في أرض اسرائيل »(١١).

ويذهب اليعزر شومط أحد تلامذة جوردون في دعوته للعمل العبري الى درجة يطالب فيها بأن تكون كل نبتة تخلق فوق الثرى الفلسطيني من زرع ايد يهودية ففي مقال له « الابداع القومي والحساب » يذكر « ... يتأتى اذن لنا فقط عن طريق العمل جمع

الخيوط التي تضمنا الى البلاد ضما داخليا . ضما حقيقيا فهو الذي يمدنا بنفس العلاقة النفسية العميقة القائمة بين الرسام والصورة التي رسمها ، وليس بنفس العلاقة السطحية القائمة بين المشتري والصورة التي اشتراها . نعم ، ينبغي ان يكون كل ما يخلق ويتكون في البلاد من صنع ايدينا : كل شجرة ، كل خضرة ، كل بيت ، كل سياج ، كل شيء يغدو فيه الانسان شريكا للطبيعة ، كل رسمة في صفحة مستقبلنا ، كل شيء ينبغي ان يكون من صنع ايدينا . بعرقنا نحن فقط ينبغي ان تترطب ارضنا ، وايدينا نحن هي التي ينبغي ان تعيد لها الحياة »(١٢).

وبالرغم من أن فكرة العمل العبري واحتلال العمل يخدم بالاساس هدفا صهيونيا ، الا أنها ارتطمت بمعارضة عامة من قبل سكان المستوطنات . وبلغت المعارضة في بعض الاحيان من الشدة لدرجة مقاطعة العمال اليهود ، كما حدث في مستوطنة بيتح تكفا في نهاية عام ١٩٠٥ ، هذا علاوة على المقاطعات غير المعلنة التي سادت المجتمع اليهودي، وتمسك المستوطنين برأي مؤسس الصهيونية الروحية احاد هعام الذي كان ينظر الى فلسطين بانها بمثابة مركز روحي لليهود .

ابدى احاد هعام رأيه في مسألة العمل العبري عام ١٩١٢ اثناء زيارته للمستوطنات اليهودية في فلسطين في مقال ناقض فيه دعوة العمل العبري لانه حسب اعتقاده من الصعب قيام جماهير فلاحية غفيرة يهودية في فلسطين : « باستطاعة اليهودي ان يكون مزارعا مجتهدا ، صاحب بيت قروي ، يعيش على الفلاحة التي يتقنها ويغوص فيها ، ففي كل صباح يخرج الى حقله ، للاشراف على عماله ، الذين يحرثون او يزرعون ارضه، الذين يغرسون او يركبون كرمته، ولا يمتنع ايضا عن العمل بيديه مع عماله ... ان حزبا ساميا لهؤلاء المزارعين ، المشفوع بعمل الاخرين لا يمكن ان يشكل اساسا لمبنى كهذا (يعني الملجأ الآمن) . ان الاساس في حياة الدولة هي الجماهير القروية ، العمال والفلاحون الفقراء ، الذين يعيشون بصعوبة من عمل أيديهم في الحقل ، سواء في مزرعتهم الصغيرة او في مزارع الحزب « السامي » ان الجماهير القروية في فلسطين ليست لنا في الوقت الحاضر ومن الصعب ان نتصور كيف تخلق لنا في المستقبل حتى ولو تكاثرت مستوطناتنا في كافة أرجاء البلاد ». ثم يصل بعد ذلك الى الفكرة التي ترضي شهوة المستوطنين المالكين في التمتع بالارباح التي يجنونها من الايدي العاملة العربية ، ويقول: « اذن ينبغي علينا ان نرضخ للفكرة القائلة بأن مستوطناتنا القروية في فلسطين، حتى ولو اتسعت مع مرور الزمن لتصل نهاية حدود الامكانات ، ستبقى دائما مستوطنات « عليا » تابعة لاقلية متحضرة متطورة تستمد قوتها من عقلها ومالها ، بينما الجماهير القروية الفقيرة التي تستمد قوتها من عمل ايديها ، لن تكون لنا في ذلك الوقت »(١٣).

يمكن القول ان تصور احاد الذي رسمه في الفترة التي اشتدت فيها الدعوة الى العمل العبري ، يعتمد على شيئين أساسيين .

١ ــ خلق مستوطنات يهودية في فلسطين تشكل بمجموعها حزبا ساميا يتكون من مجموعة « متحضرة مثقفة » ويعني بها الاقلية اليهودية في فلسطين .

٢ ــ اعتماد هذه المستوطنات على عرق وجهد العمال العرب في اقامتها وتطويرها على أساس ان قوة الاقلية المتحضرة تمثل في « عقلها وحالها » .

تسلح المستوطنون برأي احاد هعام واخذوا يروجون لفكرة احتلال الارض من أجل تنفيذ المخطط الصهيوني في وجه الدعوة الى احتلال العمل ، وبدأ صراع بين فكرتين ، الاولى تفضل احتلال العمل ، ولا تنكر فضل الدعوة لاحتلال الارض اذ بدونها لا يمكن تجسيد دعوتها هي ، الا انها تعتبر ان احتلال العمل هو الاهم فلو استطاعت الحركة

الصهيونية شراء جميع الاراضي الفلسطينية وبقي الوضع على ما هو عليه في المستوطنات حيث تتشكل الاكثرية من جماهير عربية تتمثل قوتها « في أيديها »، والاقلية من مجموعة فوقية مثقفة ومتحضرة تتمثل قوتها في « عقلها ومالها » فان فلسطين لن تكون لليهود وقد عبر عن ذلك الدكتور فاسمانيك في مقال له بعنوان « مسألة العمال اليهود في فلسطين » نشر في عام ١٩٠٩ جاء فيه « اذا أصبحت فلسطين كلها تابعة لليهود الاغنياء ، وكل العمال من العرب ، فان فلسطين ستكون في الواقع بلاد العرب وليست بلاد اليهود »(١٤)، بينما أخذ أصحاب الفكرة الثانية يدافعون عن فكرتهم مشددين على نقطتين اساسيتين :

١ — ان العامل اليهودي حسب رأي المستوطنين ليس عاملا بطبعه وانما اراد ان يتحول الى عامل ، وهذا الامر ينطوي على خسارة مركبة بالنسبة للمستوطن المالك حيث ان العامل العربي ينتج اكثر من العامل اليهودي لكونه « عاملا حقيقيا » ويتقاضى معاشا أقل .

٢ — ان مرحلة تحول العامل اليهودي الى عامل حقيقي تستغرق مدة طويلة وهذا يعني ان على المزارع المستوطن ان يدفع « ثمن تعليمه » مما من شأنه ان يجد الفلاح نفسه غير قادر على تحمل نفقات مزرعته ، الامر الذي يؤدي الى عرقلة نمو المستوطنات وجعلها تسير القهقرى ، فالشرط الاساسي لاستمرار نمو المستوطنات وتقدمها من أجل خدمة الهدف الصهيوني ، حسب رأيهم يتمثل في السماح للعمال العرب في العمل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، وهذا الموقف السابق يعيد الى الاذهان الموقف الراهن لمستوطني منطقة لاخيش الذين اخذوا يرددون بأن الربح في مستوطناتهم مرهون بالعمل العربي .

بيد أن أصحاب الدعوة للعمل العبري وقفوا ضد الفكرة القائلة بأن الفائدة العائدة على المزارع من خلال العمل العربي أكثر منها لدى العامل اليهودي واخذوا يفندونها مركزين على توجيه التهم للعامل العربي، وخطره بالنسبة للمستوطنين، والاموال التي يتقاضاها ولا تعود بالفائدة على اليشوف اليهودي .

ففيما يتعلق بالتهم ، وهي كثيرة ، نجدها عند الكثيرين من دعاة العمل العبري، والحقيقة أنهم جميعا وقعوا عند بث هذه التهم في شراك مناقضة انفسهم ، فكثيرا ما يعثر القارىء في مؤلفاتهم على التهمة ونقيضها . من بين هذه التهم « ان العامل العربي كسلان ، ولا يهتم بجودة عمله ولا يحافظ على ادوات العمل . وهنالك اعمال شريرة مقصودة من جانب العرب فهم يدفنون النجيل في الارض لكي يستأجرونهم مرة اخرى لاخراجها . وفي المقابل يقوم العامل اليهودي بتأدية عمله بأمانة . ومن هنا فبالرغم من المعاش الزهيد الذي يتلقاه العامل العربي فان المزارع يجد ان خسائره تفوق ارباحه(١٥) وبنفس الروح كتب ايضا يوسف اهارونفتس ردا على احتجاج المزارعين على ارتفاع معاشات العمال اليهود في عام ١٩١٢ « ان معاش العامل العبري يفوق بكثير معاش العامل الاجنبي ، ولكن اذا ما أخذنا بالحسبان الاضرار التي يجلبها العامل الاجنبي للعمل ، مثل : ابقاء جذور اعشاب النجيل داخل الارض ، وكسر الاشجار في بعض الاحيان بسبب الاهمال ، وفي أحيان اخرى عمدا بغرض تدمير ممتلكات اليهود ، وأيضا الغش الدائم فيما يتعلق بكمية العمل ونوعيته ، والسرقات المتواصلة وما شابه ... اذن من المؤكد اننا سنجد العمل العبري ليس اكثر كلفة من العمل الاجنبي»(١٦) الا انه بالرغم من « الخسارة التي تفوق الارباح » نجد المستوطن اليهودي كان دائما يفضل العامل العربي منذ ان وجدت المستوطنات وحتى الان ، وهذا يعود الى الارباح الجمة التي يجنيها من عرق العامل العربي وجهده ، ومن الجدير بالذكر ان التهم الموجهة ضد العامل العربي ظلت قائمة حتى يومنا هذا ، ففي أعقاب حرب حزيران التي كان

من نتيجتها فتح ابواب العمل للعمال العرب في المستوطنات الاسرائيلية اخذ الداعـــون لفكرة العمل العبري يشيعون ما درج اجدادهم وآباؤهم على اشاعته ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر منسق البيارات يهودا تسحوري الذي قال انه تعلم العربية لكي « يفهم » العمال العرب فاذا كنت لا تعرف لغتهم فانهم يبيعونك .. وفي اللحظة التي يعرفـــون فيها انك تفهم لغتهم تعلو قيمتك في نظرهم ويعاملونك معاملة حسنة .. واذا شعروا بأن « المعلم » قد ذهب ، فان اي شيء لا يمنعهم من تخريب الاشجار » (معاريف ١٥/ ١٩٧٢/١٢) .

وبالنسبة للخطر الكامن للمستوطن من جراء استخدامه للعامل الاجنبي فقد اكثر دعاة العمل العبري من تهويل الخطر الذي يمثله العامل العربي في المستوطنات « فالعـــامل العربي الذي عرف المستوطنة وبيوتها وبساتينها وطرقها ، والذي استمع واصغى لكل مـــا يجري داخلها وبدأ يفهم مع الايام لغة مستخدميه كان خطرا في تلـــك الايام التي ينتهك فيها السلام بين المستوطنة وجاراتها . فالعمال العرب الذين اشتغلوا فـــي المستوطنات لم يترددوا من الاشتراك في الهجوم عليها ولم يخجلوا « كما يقول يوسف شبيرا » من العودة الى عملهم عندما تهدأ النفوس »(١٧) وقيل مثل كلام شبيرا من كل من بن غوريون واهارونفتس وتبنكين وغيرهم . ومن الجدير بالذكر ان التهويل بخطورة العامل العربي قد انتقل من جيل الى جيل ، وارتفع في الاونة الاخيرة على لسان أكثر من مسؤول ووزير في اسرائيل عندما أخذوا يتحدثون عن «الخطر القومي والاجتماعي» و« الخطر الامني » الذي يمثله العمال العرب .

أما فيما يتعلق بالاموال التي يبذرها المستوطنون على العمال العرب ، فقد ركز دعـــاة العمل العبري على أمرين هامين :

١ ـــ ان المبالغ التي تدفع يتلقاها الاغيار اي العرب بدل ان يتلقاها يهود .

٢ ـــ ان تلك المبالغ لا تنفق في اليشوف اليهودي بل ينفقها العمال العرب في قراهـــم ومدنهم ولذا فان الدورة المالية لا تعود الى اليشوف اليهودي على شكل مشتريات وما شابه بل يستفيد منها المجتمع العربي بعكس ما هو عليه الوضع اذا كان العامل يهوديا، ومن هنا اعتبر دعاة سياسة العمل العبري ان الاموال التي يتقاضاها العمال العرب «تشكل ضررا اقتصاديا» ففي مذكرة قدمها الدكتور طاهون الى القسم الفلسطيني للجنة التنفيذية الصهيونية جاء ما يلي « ليست هنالك حاجة للتوسع في الكلام لبرهنة ان مسالة تشغيل العمال اليهود محل العمال الزراعيين العرب تشكل أحد القضايا الهامة للغاية للاستيطان الاسرائيلي . ان أهمية دور توطين العمال وتشغيلهم محل العمال العرب لا تنطوي فقط على تكاثر عددهم بل أيضا على تعزيز المشروع الاستيطاني من الناحيتين الاقتصادية والاخلاقية .. » ثم أخذ صاحب المذكرة يعدد الاخطار الكامنة للمستوطنات من جراء استيعابها للعمال العرب « الذين يفوقون عدد المستوطنين انفسهم » ليصل الى « الضرر الاقتصادي الناجم عن قيام العرب بصرف معاشاتهم التي تلقوها من أيدي المستوطنين اليهود ، داخل تخوم قراهم هم فقط »(١٨) وقد أبرز دعاة العمل العبري قولا لاحد زعماء المستوطنين (ليس من فئة العمال) يدعى م. سميلنسكي واعتمدوا عليه في استشهاداتهم ومقالاتهم وكتبهم ، والحقيقة انه يكاد لا يوجـــد كتاب اسرائيلي حول تلك الفترة تخلو سطوره من الاستشهاد بـــ « مأثرة » سميلنسكي والتلويح بها ضد المستوطنين على أساس ان صاحب « المأثرة » هو من بين أولئك الملأ الذين تنبهوا الى الخطر الاقتصادي المحدق باليشوف من جراء العامل العربي .

لخص سميلنسكي وضع الاستيطان اليهودي عند مطلع الهجرة الثانية بقوله : « بلغت تكاليف الاستيطان العبري مبلغ تسعين مليون ليرة ، ذهبت كلها تقريبـــا (باستثناء

المبالغ التي بقيت بأيدي الموظفين) الى المجتمع الاجنبي . جزء من هذا المبلغ هو ثمن اراض ومواد . كان من المنطقي ان يحدث ذلك بالضرورة حسب الظروف الطبيعية لاستيطاننا ، ذلك اننا لم نأت لسلب البلاد ، بيد ان الجزء الاكبر ذهب الى ايدي الاخرين دون ضرورة وانما عن رغبة . ولن نكون من المبالغين اذا قلنا ان نصف المبلغ المذكور انتقل الى ايدي العرب بصفة معاشات مقابل اعمالهم ! واذا كان لدينا اليوم في ارض اسرائيل حوالي الف مزارع ، فهناك ثلاث عائلات عربية تعتمد على كل مزارع منهم في معيشتها . ونجد ان العرب يتلقون اليوم من أيدينا مقابل عملهم قرابة مليون فرنك كل عام ، ولا يعود من هذا المبلغ شيء الى اليهود ، ذلك أن العامل العربي ليس مضطرا لشراء اغراضه من اليشوف العبري ، وكل ما يتلقاه في المستوطنة يدخله الى قريته . ومن هنا يمكن القول انه مع كل مزارع يهودي نضيفه في أرض اسرائيل ، نضيف اغاثة واعانة لثلاث عائلات عربية .. » ليطلق بعد ذلك صرخة العمل العبري ... « ولتعرف اسرائيل أن أصحاب الممتلكات العبريين لن يعيدوا البلاد الى اسرائيل بدون العمال العبريين »(١٩).

ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية وكذلك المسؤولون الاسرائيليون اخذوا يضربون باستحياء على وتر سميلنسكي من خلال ابرازهم لـ « مبلغ ربع مليار ليرة يتدفق على المناطق المدارة من جراء العمل العربي » .

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان فكرتين متناقضتين تنازعتا المجتمع اليهودي في فترة الهجرة الثانية ، الفكرة الاولى تدعو الى اقتصار العمل في المستوطنات على اليهود فقط من أجل تحقيق الهدف القومي وتضع احتلال الارض في المرتبة الثانية في سلم الافضليات مع عدم الاستغناء عنها ، وعبر عن هذه الفكرة مثقفو الهجرة الثانية نيابة عن العمال الذين يعودون الى اصول البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، اما الفكرة الثانية فقد عبر عنها المستوطنون الذين روجوا لدعوة احتلال الارض من أجل تحقيق الهدف الصهيوني ، ويدعون الى ضرورة التعايش مع العرب ، متذرعين في كل مناسبة برأي احاد هعام تجاه شكل الاستيطان اليهودي ، لدرجة جعلت بعض دعاة العمل العبري يتهم هؤلاء بأنهم يأخذون ما يحلو لهم من أفكار احاد هعام ويتعامون عن مقالاته المعادية للعرب .

لم تستطع احدى الفكرتين ان تسود في المجتمع اليهودي وان بدا ظاهريا ان قصبة السبق حالفت الفكرة الاولى .

دور العمال في احتلال العمل :

قبل أن نتطرق الى الدور الشوفيني العنصري الذي قام به العمال اليهود من اجل تحقيق فكرة احتلال العمل لا بد لنا من أن نتطرق قليلا حول اوضاعهم وظروف عملهم في المستوطنات .

بعد أن استطاع دعاة العمل العبري ترويج فكرتهم في المجتمع اليهودي ، واخذت الفكرة تتجذر رويدا رويدا بسبب خشية المستوطنين من تهمة « معاداة السامية » التي لم يتورع دعاة العمل العبري من الصاقها بهم كسلاح قوي لتحقيق اغراضهم وفي الوقت نفسه بسبب رغبة المستوطنين في مساعدة بني جلدتهم شرط أن لا يؤثر ذلك تأثيرا كبيرا على اقتصادهم ، وبين الخشية والرغبة من قبل المستوطنين والدعوة القوية من قبل العمال أخذت عملية التجذير تترسخ ببطء لتخلق النواة الاولى للطبقة العاملة اليهودية في فلسطين . اتسم عمل العمال اليهود في البداية بالنشاط وذلك من أجل اثبات جدارتهم امام المستوطنين ، ومراقب العمل «والمنافس» العربي، كانت هذه العناصر الثلاثة تشكل هاجسا رئيسيا للعامل اليهودي ، ولذا وجد العامل اليهودي نفسه مضطرا لمجابهة

العناصر الثلاثة ، مجابهة المستوطنين عن طريق الاقناع بجدوى العمل العبري ، والثاني عن طريق تصفية وظيفته ، والثالث عن طريق احتلال عمله . ويقدم لنا احد « محتلي العمل » وصفا عن وضع العامل اليهودي في تلك الفترة بقوله : « لقد واجهنا في ذلك الوقت ثلاثة عناصر : المزارع ، والمراقب ، والعامل العربي . لقد عارضنا المراقب أكثر من المزارع . فقد كانت مهمته تتمثل في الوقوف حاملا سوطه بيده ويصرخ في وجه العمال : « يا الله ! » . وكان على المراقب النشيط ان يحفظ كل تعابير التنشيط باللغة العربية ، ويتقن الهمز واللمز . لم يكن المراقب موجها فقط ، بل كان ايضا قاضيا ، فاذا لم يجد احدهم استحسانا في نظره ، قام بطرده اثناء العمل . أما العمال العرب فلم يعرفوا من نحن ولماذا جئنا . كانوا يلتقون معنا في الايام الاولى ، عندما لم يكن الفأس بعد صلبا في أيدينا . اجسادنا لم تعتد بعد على العمل ، وأيدينا كانت متورمة ، ولم نكن على دراية باللغة العربية ، وكانوا ينعتوننا بـ « المساكين » ويسخرون منا ، ويحاولون التقدم عنا اثناء العمل بالفأس لاقتلاع الاعشاب ، كان المراقب يدخلنا في الوسط ويضع العرب في جناحينا ، ليبدأ بانشاد اناشيد للتنشيط بالعربية ... وكان النشيد يقوم بمهمته ، فالوحشية تبدأ بالتصاعد والفؤوس تطير من كلا الجانبين ، وكنا نصل اكثر من مرة درجة الاغماء من كثرة الركض وفي تلك اللحظات كان المراقب يخرج عن طوره من شدة الفرح ، بيد اننا قررنا : ليكن ما يكون ، ولكن لن نكون في الخلف »(٢٠).

ادرك العمال انهم لا يستطيعون مواجهة المستوطنين المالكين ، لان وجودهم مرتبط ارتباطا وثيقا بوجود الرأسمال العبري حسب مفهوم قادة العمل في تلك الفترة ، الذين كانوا يرددون المقولة التالية : « طالما ان الرأسمال العبري لم يترسخ في البلاد ، لن يستطيع العمال ايضا الترسخ في العمل » ومن هذا المنطلق وجد العمال اليهود انفسهم مضطرين لخدمة البرجوازية اليهودية الريفية بغرض ترسيخها دون التعرض لمصالح تلك الشريحة ، وذلك من أجل ان يقفوا على أرض صلبة فيما بعد ، ومن هنا نقف على سبب ندرة والاصح عدم وجود تمرد عمالي يهودي على الشريحة البرجوازية الريفية ، والحقيقة ان تصدي البرجوازية الريفية للعمال اليهود وتمردها عليهم (على شكل مقاطعات) علنية او سرية كان يفوق تصدي العمال اليهود لتلك الشريحة . أما حالة التمرد والعصيان التي كانت تبرز بين الفينة والاخرى بين صفوف العمال اليهود فقد كانت انعكاسا امينا لغيظ العمال اليهود من وجود العمال العرب في المستوطنات .

انصب نضال العمال اليهود ضد فئة المراقبين على العمال ، فهذه الفئة ليست طبقة برجوازية يمكن بواسطتها ترسيخ العمل العبري، بل شريحة بيروقراطية ، كانت بمثابة سوط في أيدي الشريحة البرجوازية الريفية لحث العمال العرب على بذل مزيد من الجهد والعرق . لم يقبل العمال اليهود بأن يوجه هذا السوط ضدهم ، ولذا اخذ مفكروهم يشجبون هذا السوط ويعتبرونه مناقضا لبعث امة ، كما عبر عن ذلك بيرل كتسنلسون في مقال « من داخل العمل » اراد كتسنلسون بمطالبته تصفية فئة المراقبين التوصل الى هدفين : الاول ازالة المراقبة عن العمال اليهود وهذا ما يسعى اليه برغبة خالصة، الثاني ازالة المراقبة عن العمال العرب، ليس دفاعا عن العمال العرب، ولكن على أمل زج صاحب العمل في وضع غير مريح مع العمال العرب الامر الذي يساعد سياسة احتلال العمل من قبل العمال اليهود ، يقول كتسلنسون : « ليس الكل يدرك ما هي قيمة بعث شعب بواسطة مجموعة سمسارين مستعبدين ، على اكتاف شعب اخر ... ان ذلك ليس مجرد عمل مستأجرين ، ابناء شعب غريب ، ذلك انه تحت الشكل البرجوازي الخارجي يستتر امر افظع ، يتمثل في كل العلامات الواضحة لنظام العبودية » وعندما ينتقل ليتحدث حول فئة المراقبين يقرر « ان هذه الفئة هي

بمثابة حلقة ضرورية في نظام العبودية التابع لنا »(٢١).

لم يلغ نظام المراقبين عن العمال العرب ، بل بقي قائما حتى الان ، بيد أنه الغى بالنسبة للعمال اليهود ، وبذلك تخلص العمال اليهود من منافسة العامل العربي في بذل مزيد من العرق والجهد ، وغدا قرار « لن نكون في الخلف » لا معنى له . اذ بدأ العمال اليهود لا يعملون في وسط العمال العرب ، بل لوحدهم وبعيدين عنهم . وقد نمت عملية الفصل هذه التي غدت ظاهرة دارجة مسلم بها في اليشوف اليهودي روحا شوفينية لدى الاجيال اليهودية التالية ، ففي الوقت الراهن يرفض العمال الزراعيون اليهود العمل سوية مع العمال العرب ويتضح ذلك من الاجابة على سؤال صحفي وجه الى عمال يهود يشتغلون في نفس البيارة التي يشتغل فيها عدد كبير من عمال قطاع غزة ، اذا كان العمال اليهود والعرب يشتغلون معا ، اجاب العامل اليهودي البرت كوهين : « ولا مرة ، اذ لا يمكن للقط والفأر ان يتواجدا في غرفة واحدة ! » (معاريف ١٩٧٢/١٢/١٥) .

بالاضافة الى ذلك بدأت سياسة التمييز تأخذ مكانا لها الى جانب سياسة الاستغلال والعبودية ، فبعد ان كان العامل العربي يرزح تحت نير الاستغلال اصبح يرزح تحت نير التمييز ، فالعامل اليهودي يشتغل ثماني ساعات اما العامل العربي فقد كان عليه ان يشتغل اكثر من المدة المذكورة ويتلقى معاشا أقل بكثير من معاش زميله العامل اليهودي . ويعترف اهارونفتس بذلك بقوله في عام ١٩١٠ « لقد بدأنا نصادف في المستوطنات مناظر كهذه ، مجموعة من العمال تشتغل بمعاش سبعة قروش لليوم تقف في جانب ، وفي الجانب الثاني مجموعة اخرى تقوم بالعمل ذاته لكن بمعاش قدره عشرة قروش لليوم »(٢٢) اما حاييم الروزوروف فيعترف في مقال له نشر في عام ١٩٢٦ بسياسة التمييز الواقعة على العمال العرب بقوله : « في كل مكان في البلاد حيثما وجد ساعد العمل العبري ممسكا بالفأس والمحراث والشاكوش ، نجد العامل العربي الرخيص يرافقه كالظل . لقد اصطدم العامل العبري ذو المستوى الاستهلاكي الاوروبي ، في كل خطوة وشبر بمنافسة البدائي ، ابن الشعب الجار ، الذي تزيد متطلبات حياته قليلا عن الصفر . فالى جانب اليهودي الذي يعمل ٨ ساعات باجر يومي يتراوح بين ١٧٫٥ — ٣٥ قرشا مصريا مقابل العمل « الاسود » غير الفني ، نجد عاملا يشتغل ١٢ — ١٤ ساعة ، ولا يتجاوز معاشه الذي يتلقاه مقابل عمله حدود ٨ — ١٢ قرشا مصريا »(٢٣).

ومن الجدير بالذكر هنا ان سياسة التمييز في الاجور ناجمة بالاساس عن طبيعة مجتمع المستوطنين والمهاجرين ، الذي تحتم عليه ظروفه من أجل استكمال الطبقات فيه ، اتباع تلك السياسة ، والمجتمع اليهودي في فلسطين شبيه الى حد كبير بمجتمعات المهاجرين والمستوطنين الاوروبيين التي أقيمت خارج القارة الاوروبية ، وقد واجهت تلك المجتمعات قضية العمل ، واعد كل منها حلولا خاصة لها ، وقد رأى بعض زعماء اليشوف اليهودي مثل حاييم الروزوروف ان قضية العمل التي تواجه المجتمع اليهودي لا يمكن موازاتها ومماثلتها مع القضية ذاتها في الولايات المتحدة واستراليا لان وضع المجتمعين أصبح مختلفا عن أوضاع المجتمع اليهودي ، أما المجتمع الوحيد الذي يواجه نفس المشكلة التي يواجهها اليشوف فهو مجتمع البيض في جنوب افريقيا « يبدو لي ان قضية العمل فيجنوب افريقيا هي الحالة الوحيدة تقريبا التي تنطوي على شيء من الشبه لظروفنا الموضوعية ومشاكلنا لدرجة تسمح لنا بالمقارنة »(٢٤) ومن المعروف ان جنوب افريقيا حلت قضية العمل فيها بواسطة قوانين تمييزية صدرت عند مطلع هذا القرن في اوج الدعوة لسياسة العمل العبري ، تعرف بقوانين « الحاجز اللوني » التي تتلخص في طرد العمال الملونين من الاعمال المهنية الفنية ، واحلال عمال اوروبيين محلهم ،

واقتصار تلك الاعمال على العمال الاوروبيين فقط ، وفي اتباع سياسة تمييزية في الاجور حيث ينال العامل الاوروبي اضعاف ما يتلقاه العامل الملون بغرض تشجيع هجرة عمالية اوروبية الى جنوب افريقيا لاستكمال نمو الطبقات المختلفة في المجتمع الابيض . وقد خرج الروزوروف في عام ١٩٢٦ من خلال مقارنته بين مجتمع البيض في جنوب افريقيا والمجتمع اليهودي في فلسطين بالاستنتاج التالي : « ان الاستنتاج العام الذي نتوصل اليه بالضرورة يتعلق بمسألة الاجور في البلاد : تخفيض اجرة العمل اليهودي الى مستوى اجرة العمل العربي ، والتنظيم المشترك. النتيجة : ارض اسرائيل لن تكون أرض هجرة للعمال الاوروبيين ، وبعد ان تغادر مجموعة كبيرة من العمال البلاد سيبقى عدد معين من العمال العبريين الاوروبيين داخل هستدروت العمال التي ستكون بمعظمها عربية ، او : ارض اسرائيل تستخدم كمركز هجرة واستيطان لعمال يهود اوروبيين ، حينئذ يتشكل مجالان اقتصاديان ومخططان للعيش ينسجم كل منهما في مجتمعه ، ما دام المجتمع اليهودي ليس العامل الاقتصادي الحاسم لكل البلاد »(٢٥) من الواضح ان الروزوروف ومن ورائه دعاة العمل العبري قد فضلوا الامكانية الثانية التي طرحها الروزوروف في استنتاجه ، ومن هنا يمكن القول ان سياسة التمييز نابعة بالاساس عن طبيعة مجتمع المستوطنين والمهاجرين .

بدت روح قوانين « الحاجز اللوني » تخيم بشكل او بآخر على مجتمع اليشوف ، فقد أخذت الاعمال هناك بسبب تلك الروح تنقسم الى ثلاثة انماط ، عليا ووسطى ودنيا ، الاعمال العليا مثل قص اغصان الكرمة وتركيب أشجار الحمضيات وما شابه تعتمد على « طهارة » اليد العاملة اليهودية ، الاعمال الوسطى مثل العمل في جني ثمار الكرمة وجني اثمار اخرى اخذت تنتقل ببطء الى الايدي العاملة اليهودية ، واما الاعمال الدنيا الشاقة مثل عزق الاعشاب ، وكل ما يحتاج الى جهد بدني فقد بقيت من نصيب الايدي العاملة العربية(٢٦) .

نعود الان للحديث حول الدور الشوفيني الذي قام به العمال اليهود من أجل فرض سياسة احتلال العمل .

استخدم العمال اليهود وسائل عدة لتحقيق هدفهم من بينها الخبث والاعتداء على عمل العمال العرب، مثل خلع المشاتل التي زرعت بأيد عربية والاضراب والتظاهر ، وفيما يتعلق بوسيلة الخبث نورد هنا الحادثة التي قام بها أعضاء تنظيم « بار جيورا » الذي تأسس عام ١٩٠٧ وكان من بين اعضائه بن تسفي الرئيس الثاني لدولة اسرائيل . وضع التنظيم الجديد هدفا معلنا « احتلال الحراسة واحتلال العمل » . توجه التنظيم الى مستوطنة الشجرة وطلب من المسؤولين الموافقة على ان يحل العمال اليهود محل العمال العرب وقد لبى المسؤولون الطلب وكان من بين العمال دافيد بن غوريون، وقرر التنظيم بعد ذلك ان يشغل العمال اليهود حراسة المستوطنات محل الحراس من أبناء الشركس ، ولم يوافق مستوطنو الشجرة على ذلك فما كان من التنظيم الا ان لجأ الى طريقة تتسم بالخبث ، فاخذوا يراقبون الحارس الشركسي ، وعلموا انه يذهب سرا في ساعة معينة من الليل الى بيته في القرية المجاورة ، فاغتنموا تلك الساعة وتوجهوا الى اصطبل المزرعة ونقلوا بغلة من هناك وخبأوها في مكان اخر ثم أشاعوا بأن لصوصا سرقوا البغلة ، وعندما بلغ الامر سماع الموظف المسؤول عن المستوطنة توجه نحو الحارس فلم يجده ، لانه كان نائما في بيته ، الامر الذي اثار غضب الموظف فطرد الحارس ووافق على أن يشغل عمال يهود مهمة الحراسة(٢٧) .

أما وسيلة الاعتداء وخلع الاشجار فتدل عليها الحادثة التالية : « عند بداية هذا القرن قررت الهستدروت الصهيونية اقامة غابة تحمل اسم هرتزل تخليدا لذكراه ، وكخطوة

اولى شرع العمال في غرس مشتلة اشجار بالقرب من مستوطنة بن شيمش بواسطة العمال العرب . وقد اثار هذا العمل استياء عظيما بين صفوف العمال اليهود : « كيف يحدث ذلك ؟ غابة لذكرى القائد الكبير ، بعمل غير عبري ؟! » وقد اعتبروا ذلك تدنيسا لحرمة هرتزل وشرفه « أما المسؤول عن المشروع الخبير الزراعي بيرمان فقد ادعى انه لم يجد عمالا عبريين للقيام بهذا المشروع . فما كان من العمال اليهود في بيتح تكفا الا ان نظموا أنفسهم وبعثوا بمجموعة منهم الى مكان العمل لازالة « التدنيس » وبعد مفاوضات مشفوعة بالتهديدات مع المسؤول عن المشروع ، تمت الموافقة على طرد العمال العرب واحلال العمال اليهود مكانهم ، وفي نفس الوقت قدمت مجموعات اخرى من العمال اليهود في يافا وبعض المستوطنات الى مكان العمل وانضموا الى المجموعة الاولى (في مارس ١٩٠٨) ، واتخذوا قرارا : « نحن العمال العبريين ، نحتج ضد هذا الواقع المخجل من جانب الصهيونية الرسمية ، وتعبيرا عن الاحتجاج نقرر خلع المشاتل التي لم تغرس بواسطتنا ، ومن ثم نقوم بغرسها من جديد » . وبالفعل قام هؤلاء العمال بتنفيذ أغرب قرار يندر وجود شبيه له في تاريخ مجتمعات المستوطنين والمهاجرين ، بروح مفعمة بالشوفينية حيث « توجه بعض المجتمعين فورا وخلعوا المشاتل التي غرسها العرب ، ومن اجل تحاشي وقوع ضرر للمشاتل ، عادوا في اليوم الثاني وقاموا بغرسها ثانية »(٢٨) .

اما شعار ترك العمل الذي اتخذه العمال اليهود من أجل تجذير « احتلال العمل » فتدل عليها الحادثة التالية : في عام ١٩٠٨ أقامت الهستدروت الصهيونية مزرعة كبيرة أشرف عليها الخبير الزراعي بيرمان بالقرب من بحيرة طبريا ، وكان الشرط الاساسي أن يجري العمل في المزرعة بما يحفظ طهارة العمل العبري . وقد استدعى بيرمان العمال اليهود الذين عملوا معه في غرس المشاتل في بن شيمش للعمل في المزرعة، ولبى هؤلاء الدعوة. كانت العلاقة بين المشرف والعمال اليهود في بداية الامر حسنة للغاية، الا انه مع توسع المزرعة ، واجه العمال اليهود صعوبات في الاعمال التي تحتاج الى جهد جسماني مما أدى الى عرقلة سير العمل ، هذا علاوة على ان « عددا كبيرا من العمال اليهود أصيب بالحمى » الامر الذي ادى الى شل المزرعة ، وكحل لحالة الشلل هذه أقدم بيرمان على المحظور حين استدعى عمالا من القرية العربية المجاورة للقيام بالاعمال التي لا يستطيع القيام بها العمال اليهود الاصحاء منهم أو المرضى ، بيد أن هذه الخطوة أحدثت استياء شديدا بين صفوف العمال العبريين ، وكاحتجاج على ذلك قرر العمال ترك المزرعة ، وقد أثارت عملية الاضراب عن العمل في المستوطنة وهجرها تذمرا شديدا بين أوساط العمال الذين اخذوا من خلال نقابتهم « هحوريش » يطالبون باقالة بيرمان من وظيفته ، وكحل وسط تمت الموافقة على نقل بيرمان الى وظيفة اخرى وبقي قسم من العمال يعمل في المزرعة بعد طرد العرب منها(٢٩) .

وقد استخدم العمال اليهود سلاح الاضراب من اجل تكريس سياسة العمل العبري ففي عام ١٩١٤ أضرب العمال اليهود في مستوطنة الشجرة طيلة شهرين بسبب رفض ادارة المستوطنة الاستجابة لمطالب العمال اليهود بطرد العمال العرب ، ويبدو ان العمال اليهود في أماكن أخرى قد أضربوا مطالبين مثل زملائهم في مستوطنة الشجرة بطرد العمال العرب ويصف اليعزر يافه في كلمة القاها في مؤتمر عمال الجليل عام ١٩٥١ موجة الاضراب بقوله : « ... اتسعت حدود الاضراب في ذلك الوقت، واندلعت الحرب في جميع أرجاء البلاد ، وخارجها من أجل فكرة العمل العبري ... كم من العار والاهانات واجهنا خلال الاسابيع القليلة التي عملنا بها هناك... كم من أعمال قاموا بها أمام أنظارنا لانتهاك مقدساتنا ، حتى اندفعنا الى الحرب ! وكم هو عظيم حزننا عندما اضطررنا لترك أرض الشجرة التي ارتوت من دماء اخوتنا ، ومن مقابر اخوتنا هناك »(٣٠) .

الى جانب احتلال العمل في المستوطنات ، أخذ العمال اليهود يعملون من أجل احتلال العمل في المدن وخاصة في مضمار البناء ، وغني عن القول أن العمل في هذا المضمار يعتبر من الاعمال الشاقة التي لا يتقنها الا العمال العرب او حسب المراجع الاسرائيلية « كانت حكرا على العمال العرب » فالمستوطنات الاسرائيلية خلال الهجـرة الاولى والثانية أقيمت معظمها بأيد عربية ، كما ان الايدي العاملة العربية كان لها نصيب كبير في تشييد المستوطنات في الهجرات اللاحقة . ومع ذلك فقد حاول العمال اليهود خلال اشتداد الدعوة لسياسة العمل العبري دخول هذا الميدان الشاق ، حين قاموا بعملية احتلال أولى ، لبناء مدرسة يهودية في يافا . ففي عـام ١٩٠٩ قرر تنظيم « محبي صهيون » اقامة مدرسة للبنات في يافا ، وبطبيعة الحال توجه المقاول اليهودي الى الايدي العاملة العربية ، بيد ان ذلك أحدث استياء في صفوف العمال اليهود في القدس الذين قرروا التوجه فورا الى يافا واحتلال العمل هناك ، فخضع المقاول لرغبة العمال اليهود وطرد العمال العرب ، ويبدو ان حماس العمال اليهود أعماهم عن اتقان العمل في اشادة المدرسة ، مما تسبب في انهيارها بعد مدة وجيزة ، وبالرغم من ذلك أصر العمال اليهود على اعادة بنائها من جديد . وقد اعتبرت هذه العملية بمثابة انجاز كبير واهتزت لها قلوب الداعين لعبرنة العمل فرحا وابتهاجا ، وتصف رسالة نشرت في صحيفة (هبوعيل هتسعير آذار ١٩٠٩) البهجة والسرور اللذين عما النفوس بقولها : « كانت هناك فرحة غامرة عندما انتهى العمل في بناء الطابق الاول لمدرسة البنات الذي جرى هذه المرة بأيدي بنائين عبريين فقط ... استدعى الدكتور حيسين البنائين الى بيته وهناك فرحوا معا . وقد عبرت لجنة المهندسين التي تشرف على العمل ، عـن ثقتها ورضاها من عمل البنائين ، الذين أثبتوا مدى خطأ اللجنة السابقة التي تخوفت من الاعتماد على البنائين اليهود ، اما الدكتور حيسين فقد قال انه من الخطأ اتهام اعضاء اللجنة السابقة بأنهم لم يرغبوا في بنائين يهود ، بل الصحيح هو انهم لم يؤمنوا بأن بوسع اليهود انجاز العمل بشكل جيد . وبعد الاحتفال جرت تظاهرة في الشارع وانتهت الامسية بالخطابات ورفع الانخاب وبالاغاني والرقص »(٣١).

بيد ان تظاهرة الاغاني والرقص الناجمة عن احتلال العمـل في مدرسة واحدة تلتها مظاهرة صاخبة مشفوعة بالاصطدامات ، فعندما شرع العمل في بناء تل ابيب في عام ١٩٠٩ لم يستدع العمال اليهود للقيام بهذه المهمة ، بل فضل القائمون على بناء المدينة الوليدة العمال العرب ، وبالفعل تم وضع الحجر الاساسي للبيت الاول على أيدي عمال عرب واستمر العمال العرب في بناء مئات البيوت الاخرى ، مما ادى الى ظهور موجة استياء شديدة بين أوساط العمال اليهود الذين اخذوا يعقدون الاجتماعات وينطلقون بتظاهرات صاخبة ضد العمل العربي .

ومن الجدير بالذكر هنا وفي معرض الحديث عن محاولة احتلال العمال اليهود قطاع البناء ، ان نشير الى انه كان يحدث صراع قوي بين فئة المقاولين اليهود ، وبين العمال اليهود شبيه الى حد كبير بين الصراع القائم بين المستوطنين المالكين والعمال هناك ، فالمقاول اليهودي يجني ارباحا أكثر فيحال تشغيل العمال العرب، الا انه في حالة ارتفاع حرارة الدعوة لاحتلال العمل كان يردد الجملة التالية : « يهود لماذا لا ؟ الا انني لا أضمن الجدران » بمعنى انه لا يأخذ على عاتقه مسؤولية حدوث انهيار أو سقوط في المبنى الذي يشاد بأيد يهودية ، ويقول دعاة العمل العبري : « ان هذا القول هو بمثابة الترويج لمقاطعة سرية ليس له مثيل في أية أمة او لغة »(٣٢).

والحقيقة ان الذي يندر له مثيل في أية أمة هو قصة احتلال العمـل بواسطة العمال اليهود ، وينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن الدور الشوفيني العنصري الذي قام به العمال

اليهود لاحتلال العمل ، يوصف في المصادر والمراجع الاسرائيلية بالدور البطولي من أجل الهدف القومي مع اضفاء مسحة نضال طبقي عليه .

يمكن تلخيص ما سبق بالقول انه نتيجة للصراع بين الشريحتين البرجوازيتين الريفية والمدينية من جهة والعمال اليهود ومثقفيهم من جهة ثانية ، وكنتيجة لطبيعة مجتمع المهاجرين والمستوطنين أخذ العمال اليهود يتمتعون بوضع مميز عن أوضاع العمال العرب في جميع المجالات ، وضع شبيه الى حد كبير بوضع العمال الاوروبيين في جنوب افريقيا بفضل قوانين الحاجز اللوني هناك ، الا ان العمال اليهود لم يكتفوا بالوضع المميز كما هو الحال في جنوب افريقيا بل قاموا بدور عنصري شوفيني تمثل في حملاتهم من أجل « احتلال العمل » وطرد العمال العرب . ولم يكن نضالهم موجها ضد البرجوازية بقدر ما هو موجه ضد العمال العرب لادراكهم بأن وجودهم مرهون بوجود البرجوازية اليهودية ومرتبط بها ارتباطا وثيقا .

تسخير اليهود الشرقيين لاحتلال العمل :

بالرغم من الوضع المميز الذي حصل عليه العمال اليهود لم يستطع معظم هؤلاء الاستمرار ومواصلة العمل في المستوطنات ، فقد أخذ حماس الكثيرين منهم يخف ويذوي بعد الحصول على شهوة « الاحتلال » ويعود ذلك الى عدة أسباب من أهمها (١) ان العمال اليهود لم يكونوا عمالا « عاديين » اذ أنهم يرجعون الى أصول البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، هذا علاوة على صعوبة التأقلم في المحيط الجديد ، وتعرضهم لطقس مختلف لم يعتادوه ، ولامراض لم يألفوها . (٢) موقف المستوطنين المالكين المعادي : فبالرغم من الموافقة الظاهرية التي أرغم المستوطنون على اعطائها ، فانهم بشكل عام كانوا يرفضون تلك السياسة، ويصطدمون في كثير من الاحيان بالعمال اليهود الامر الذي ولد كراهية بين الطرفين . (٣) الشعور الذي اعترى العمال اليهود بأنهم « غرباء » في المستوطنات نتيجة اصطدامهم مع المستوطنين وتفوق الآخرين عليهم من حيث العدد ، وقد اعتبرت الفئات الموالية للعمال مسلك المستوطنين تجاه العمال اليهود « الغرباء » بأنه بمثابة « لا سامية يهودية في ارض اليهود » . لهذه الاسباب مجتمعة أصبح اليأس يسيطر على قسم من العمال مما دفع بالكثيرين منهم الى ترك البلاد والعودة الى اوروبا او التوجه الى اميركا او التحول الى مستوطنين مالكين . وقد تدارس البشوف اليهودي هذا الوضع المستجد ، فظهرت ثلاثة تيارات هناك تعطي كل منها تصورا لحل المشكلة . ويقول اهارونوفيتس ، ان التيار الاول دعا الى اعادة العمال الى أوطانهم أو أية اماكن أخرى ، من خلال الشفقة عليهم والثاني يقول بأنه من الافضل تحويلهم الى مزارعين بدل تسفيرهم الى الخارج، اما التيار الثالث فكان يؤمن انه «لكون هؤلاء الشباب القادمين من الخارج لا يستطيعون احتلال العمل بسبب ثقافتهم الزائدة واحتياجاتهم الكبيرة ، التي لا يستطيع العمل تلبيتها ، ينبغي علينا توجيه عملنا الى جانب آخر تماما، الى اليهود اليمنيين ، فهؤلاء يمرون في وضع ثقافي متدن ، ويكتفون بالقليل .. ولن يؤثروا على المزارع ، وبوسعهم منافسة العنصر المحلي واحتلال العمل »(٢٣) .

من الواضح ان هذه الفكرة لقيت استحسانا لدى شريحة البرجوازية الريفية ، التي أخذ افراد منها لا يكتفون بطلب جلب عمال يمنيين الى المستوطنات بل ويدعون الى «احتلال» اليمنيين لاماكن العمل التي كان الاشكنازيون الاوروبيون قد احتلوها من قبل العمال العرب ، والغريب في الامر أن العمال اليهود وافقوا على ذلك ، فقد أخذ « هبوعيل هتسعير » يشدد على دور اليهود الشرقيين في عملية « احتلال العمل » ففي عام ١٩٠٨ قرر مؤتمر هبوعيل هتسعير التأثير بواسطة الدعاية، على أرباب الاعمال بأن يعملوا على

احلال العمال من ابناء الطوائف الشرقية ومواليد البلاد عامة محل العمال العرب(٣٤) على اساس انهم يعتبرون عنصرا ملائما لتنفيذ سياسة العمل العبري . ويفسر اهارونوفيتش وجه الغرابة المتمثل في اتفاق المستوطنين والعمال الاشكناز على أن يحل العمال اليمنيون محل العمال اليهود الذين أصابهم اليأس بقوله بأن اليشوف اليهودي رأى في هجرة اليمنيين في ذلك الوقت « المسيح المنتظر » وانه كان بمثابة « الفريق الذي يتمسك بالقشة » ليقرر « بأن هذا العلاج انقض عليه الان كل من المزارعين والعمال ، الطرف الاول وجد فيه امكانية صيد عصفورين بحجر واحد : عامل عبري وايضا عبد مستسلم مرغوب فيه لثمنه البخس ، الطرف الثاني وجد فيه نوعا من التعزية ، فأماكنهم لن تعبأ بواسطة الاجانب ، بل بواسطة اخوتهم اليهود »(٣٥).

من خلال هذه الرغبة الجماعية من قبل العمال والشريحة البرجوازية ، تحركت الحركة الصهيونية بمساعدة من « المكتب الفلسطيني » الذي يرئسه الدكتور روبين وبتشجيع حركة هبوعيل هتسعير لتسخير اليهود اليمنيين الموجودين في فلسطين للعمل في المستوطنات وجلب المزيد منهم من اليمن ، حيث أرسل موفد خاص في عام ١٩١٠ ، وأثمرت جهوده بجلب ١٢٠٠ مهاجر يمني الى فلسطين ، ويبدو ان اليشوف لم يرغب في هؤلاء القادمين الجدد عند مجيئهم ، واعتبر أن العدد أكثر من اللازم والمرغوب فيه ، ولذا أرسل المسؤولون عن الحركة الصهيونية رسالة الى الموفد الخاص يطالبونه فيها بوقف عملية التهجير الا في حال تلقي بيان جديد(٣٦).

لم يقم العمال اليهود اليمنيون بعمليات « احتلال » اسوة بالعمال اليهود الاوروبيين وانما وقعوا تحت عبودية قوة « العقل والمال » التي تحدث عنها أحاد هعام ، والانكى من ذلك ان المستوطنات التي كانت تشكل حالة اقطاعية جديدة في فلسطين استقبلتهم استقبالا سيئا في اعقاب رحلتهم الطويلة . ويصف ي. شبيرنتساك الذي رافق احدى القوافل الى مستوطنة ريشون لتسيون استقبال المستوطنين لهم بقوله : « صرح رئيس لجنة المستوطنة قائلا : لماذا جئتم بهذه المصيبة ... قامت نساء المستوطنة بجمع النساء اليمنيات ليعملن خادمات عندهن واستوعبت معصرة الخمور بعض الرجال ، في البداية زج اليمنيون في قبو « بيت الشعب » وبعد ذلك تم جمع مبلغ بسيط واقيمت لهم منازل خشبية خلف الكنيس »(٣٧).

وبذلك تحول « المسيح المنتظر » عند ظهوره في المستوطنات الى « مصيبة » على حد تعبير رجال المستوطنات ، وفي الوقت نفسه تحول الى بقرة حلوب لا يتورع المستوطنون في ضربها واذلالها لبذل مزيد من العرق في المستوطنات ، فبالرغم من ان هؤلاء عملوا ما في وسعهم لتحسين أوضاعهم بيد أن أوضاعهم أخذت تسير من سيىء الى أسوأ بفعل العلاقة الاستغلالية السائدة في المستوطنات و« تقاعس » أصحاب الدعوة للعمل العبري عن الدفاع عن هؤلاء ، ويعطي مؤرخ الحركة العمالية اليهودية في فلسطين موشيه برسلفسكي وصفا لنظرة المستوطنين الاوروبيين تجاه اليهود اليمنيين بقوله : « لقد كانت النظرة تجاههم كالنظرة الى أناس متدني المرتبة ، فمعاشهم كان قليلا، وطلب منهم أن يتحلوا بطاعة رب العمل. لم تكن قليلة حالات الاستخفاف والظلم وايضا الضرب من خلال الشعور بالسيادة تجاههم» ويقر كتسنلسون حالات الضرب التي كان يتعرض لها اليمنيون من قبل المستوطنين بقوله « لا يمكنني أن أمر مر الكرام على كل ما شاهدته بسكوت ، لانني شاهدت وليس انسانا غريبا ، دماء نظيفة، تضرب دون ان تقترف ذنبا، وكذلك فساد العدالة الذي كان من نصيب المضروبين بواسطة منتخبي الشعب المختار في الارض المختارة » وأيد ذلك الكاتب يعقوب رفينوفيتس الذي كتب مقالا في هبوعيل هتسعير (١٩١٣) تعرض فيه الى التنكيل والاساءات التي تتعرض لها الفتيات اليمنيات في المستوطنات(٣٨). وقد بلغت هذه الاساليب ذروتها في حادثة جرت عام ١٩١٣ بين

مستوطن مالك يدعى « ي. م. » ويمنيتين تعبر بشكل حاد عن الروح الاقطاعية المشفوعة بالعنصرية التي تحلى بها اولئك الذين قوتهم في « العقل والمال » فقد صادف ان وجد المستوطن المذكور يمنيتين في كرمته تقومان بجمع الاغصان، فما كان منه الا ان تقدم نحوهما وقام بتكبيل أيديهما ومن ثم ربطهما بذنب حماره وسار بهما ممتطيا حماره من الكرم حتى وسط مستوطنة رحوبوت(٣٩).

ونتيجة لهذه الاوضاع التعيسة اصبح العمال اليهود اليمنيون «غرباء» في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، بيد أنهم يختلفون عن « الغرباء » السابقين ، فالغربة الاولى التي يشعر بها العمال الاشكناز سطحية بينما الغربة الثانية نفسية وعميقة ، الاولى نجمت عن الفارق الطبقي ، والاخرى نجمت عن الفارق الطبقي والاثني معا .

بالاضافة الى مجمل الاوضاع التعيسة التي واجهها العمال اليمنيون بسبب طبيعة مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، أخذت سياسة التمييز توجه ضدهم بشكل مفضوح ، ففي مشروع بناء مستوطنة نحالات يهودا الذي أعد في عام ١٩١٢ لتكوين مستوطنة عمالية يهودية وردت الشروط التالية :

١ ــ كل عنصر يتلقى ٧ دونمات. ٢ ــ كل أعضاء المستوطنة يتلقون مساحات متساوية. ٣ ــ من مجموع الـ ٣٥٠ دونما يخصص منها ٥٠ــ٦٠ دونما لاقامة مستوطنة يمنية تضم ٢٠ شخصا . ومن الملاحظ في هذه الشروط ان العامل اليمني في المشروع الجديد لم يحظ بكلمة « عضو » وانه روعي ، بالرغم من أن المستوطنة مستوطنة عمال فقط ، ان يفصل العمال اليمنيون عن العمال الآخرين ، وأهم من ذلك أن نصيب الفرد من العمال اليمنيين كان ٣ دونمات بينما نصيب زميله العامل اليهودي الاوروبي سبع دونمات(٤٠). ومن هنا تمخضت سياسة العمل العبري وولدت نوعين من العمال اليهود متمايزين طبقيا واجتماعيا مما كان له الاثر الكبير فيما بعد في بلورة الطبقة العاملة في اسرائيل ، حيث أخذت الحلقة العمالية الاولى من العمال الذين يعودون الى أصول أوروبية تستقطب الاشكناز وفي المقابل أخذت الحلقة الاولى من العمال اليمنيين تستقطب العمال اليهود من ابناء الطوائف الشرقية ، الحلقة الاولى نمت وترعرعت وسط الاعمال الفنية العادية المريحة ، والحلقة الاخرى نمت وترعرعت وسط مجالات الاعمال السوداء الشاقة .

لم يكن هم العمال اليمنيين « احتلال العمل » بقدر ما كانوا يسعون الى الحصول على عمل شريف يقيهم غائلة الجوع ، ففكرة سياسة العمل العبري وأهدافها لم تكن مستحوذة على أفكارهم بسبب افتقارهم الى الثقافة الصهيونية ، وانما الذي أخذ يسيطر على افكارهم ازالة التمييز والحيف والازدراء اللاحق بهم ، ففي عام ١٩١٣ ، أصدر العمال اليمنيون اليهود بيانا استنكروا فيه سياسة التمييز الموجهة ضدهم ، وسياسة الخداع التي اتبعت لمجيئهم الى فلسطين وجاء في البيان الذي وجه الى المستوطنين الاشكناز « .. الان غدونا في نظركم صغيرين وقذرين ، انكم تقولون عنا : كلاب ! أغيار !.. اننا محتقرون من الجميع لكوننا فقراء والله يشهد بأننا لم نأت من اليمن الا بعد أن استمعنا اليكم »(٤١). ثم طالب البيان بتوفير الحياة الكريمة للجالية اليمنية .

أصيب دعاة العمل العبري بخيبة أمل مريرة من واقع ثلاثة أمور :

١ ــ معاملة المستوطن للعامل اليهودي اليمني معاملة سيئة .

٢ ــ الوهن الذي أصاب العمال اليهود الاوروبيين مما أثر على مواصلة عمليات الاحتلال والانكى من ذلك ان قسما منهم قد أصابه اليأس وفضل مغادرة البلاد .

٣ ــ عدم وعي العامل اليمني لسياسة العمل العبري .

والحقيقة ان بعض دعاة العمل العبري كان يتخوف كثيرا من اللجوء الى العمال اليمنيين

كدواء لمعضلة العمل العبري مثل بن غوريون واهارونفتس وغيرهم ، فقد كتب اهارونفتس في عام ١٩١٠ محذرا من الاخطار الكامنة وراء ذلك قائلا : « عندما نطرح الان فكرة ايجاد أيد عاملة عبرية للمزارع بنفس سعر الايدي الاجنبية ينبغي علينا قبل كل شيء أن نسأل أنفسنا ، أي أعمال نقصد ؟ اذا كنا نقصد الاعمال التي ارتفع سعرها وانتقلت الى أيدي اليهود ، فاننا نهدم بأيدينا الامور التي بنيناها بجهد جهيد ، واذا كنا نقصد الاعمال التي بقيت في أيدي جيراننا لكون أسعارها منخفضة ، فاننا نرتكب خطيئة بحق اليمنيين الذين نأخذهم كأداة لتحقيق فكرتنا . في الحالة الاولى نخطىء بحق أنفسنا، لاننا نخلق لنا منافسا أخطر من المنافس السابق : فأثناء تصدينا للمنافس الاول التجأنا في حربنا الى تفاني العامل اليهودي ونوعية عمله والفائدة التي يجلبها الى المستوطنة في الحاضر ، وفضل الفكرة القومية في المستقبل . ولكننا لا نملك الحق او المقدرة في مجابهة هذا المنافس ، لانه يحوي جميع الخصائل التي أعددناها . . »(٤٢).

لم يتوقف دعاة العمل العبري عن نشاطهم ، بل اخذوا يصعدونه ويشيرون به في كل مناسبة لدرجة أصبحوا معه أسرى فكرتهم ، وبالرغم من ذلك فقد وصل مجموع عدد العمال اليهود في المستوطنات عند بداية الحرب العالمية الاولى يناهز الـ ٢٠٠٠ عامل بينما وصل عدد العمال العرب الذين يعملون في المستوطنات ٥٠٠٠ عامل . وخير صورة للصراع حول سياسة العمل العبري بين المستوطنين من ناحية ودعاة العمل العبري من الناحية الاخرى ، نجدها في قصة كتبها « بيرنر » تحت عنوان « بين الماء والماء » حين يتصدى مزارع لاحد العمال وهو يلقي كلمة حول العمل العبري والواجبات القومية وما شابه ، مقاطعا اياه « لقد سمعنا ذلك ، سمعنا . . . لقد مل صبري ، بما انني يهودي فأنا أسمع ذلك دائما ، في كل احتفال وفي كل عرس ، وفي كل حفلة — من هو المذنب ؟ ذنب من ان اليهودي غير مؤهل ليصبح عاملا جيدا ؟ من هو المذنب في ذلك ؟ على عاتق من يقع عبء سفر عمالنا الحقيقيين الى اميركا وليس الى هنا ؟ لقد قدم الى هنا ، أفراد ، مجموعات من شبيبة اليشيفاه يرقصون ، واخذوا على عاتقهم مهمة اكبر من طاقتهم — يشتغلون اسبوعا ويفرون . . . قبل نصف عام ، في بداية فصل الشتاء ، كان في « يزرعيل » ثلاثون عاملا ، كان ؟ آه ؟ والان كم بقي منهم ؟ »(٤٣).

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان سياسة العمل العبري قد دخلت طورا جديدا عندما عجز العمال الاشكناز عن الاستمرار في العمل ، اذ التجأت الى العمال اليمنيين لتحقيق ولاستكمال ما عجز عن القيام به العمال الاشكناز بيد ان هؤلاء الذين لم يكونوا على وعي بأهداف سياسة العمل العبري ، وقعوا فريسة سهلة للاستغلال من قبل المستوطنين المالكين ، وبذلك خلقت في اليشوف اليهودي شريحتين عماليتين متمايزتين الشريحة الاولى أخذت تستقطب فيما بعد العمال من أبناء الطوائف الشرقية والشريحة الاخرى أخذت تستقطب ابناء الطوائف الغربية .

*

لم يحسم الصراع بين العمال والمستوطنين خلال فترة الهجرة الثانية (أي خلال الفترة التي ركزنا حديثنا عليها) ، بل استمر في العشرينات والثلاثينات والاربعينات وتجمد مع قيام الدولة ، وبعث من جديد في اعقاب حرب حزيران . لا نود هنا الخوض في تفاصيل ودقائق العمل العبري في الفترات اللاحقة لان التعمق في التفاصيل سيدخلنا في تفرعات وتشعبات كبيرة وكثيرة لا تضيف جديدا على جوهر الدعوة لسياسة العمل العبري الذي ركزنا عليها الحديث ، وانما يثري الموضوعات ذات الصلة بسياسة العمل العبري ، وبالرغم من اهمية هذه الموضوعات الا ان خوضها في هذا البحث القصير يعني شيئا واحدا وهو عدم استيفائها حقها من الدراسة والتمحيص وهذا ما لا نريده . ومع ذلك فاننا

سنركز الحديث قليلا حول استمرارية سياسة العمل العبري وموقف التيارات الحزبية من تلك السياسة بشكل عام لاعطاء صورة مصغرة عن تلك السياسة في الفترات اللاحقة .

موقف التكتلات السياسية من سياسة العمل العبري :

اتسمت فترة العشرينات والفترات اللاحقة بظهور احزاب عمالية ونقابات عمالية في المجتمع اليهودي في فلسطين ، وقد تبنت معظم هذه الاحزاب والنقابات المبادىء والافكار التي طرحها دعاة العمل العبري. واذا علمنا ان دعاة ومفكري العمل العبري غدوا قادة ومنظري الاحزاب العمالية ندرك مدى النشاط الواسع الذي تم من أجل تطبيق تلك السياسة . ومع ذلك فقد شهدت هذه الفترات محاولة من قبل التنظيمات العمالية الصهيونية لاحتواء العمال العرب سياسيا عن طريق الجمع بين نقيضين: تطبيق سياسة العمل العبري والدفاع عن حقوق العمال العرب في أماكن العمل التي تديرها سلطات الانتداب مثل سكة الحديد والموانىء والمعسكرات ، التي يعمل بها جنبا الى جنب العمال العرب واليهود وقد قامت الهستدروت بهذه المحاولة حين دعت في مؤتمرها الثاني الى « احداث علاقة رفاقية مع العمال العرب في البلاد » ومن اجل تطبيق سياسة الاحتواء اتبعت ثلاث طرق :

١ ــ الدفاع السياسي أمام حكومة الانتداب والحكومة المركزية في لندن عن حقوق شؤون العمال في البلاد دون تمييز في الدين والجنس والقومية .

٢ ــ دعم نقابة عمال سكة الحديد والبريد والتلغراف في تنظيم انفسهم .

٣ ــ اصدار صحيفة عمالية باللغة العربية تحمل اسم « اتحاد الشعب » . وبالفعل صدرت الصحيفة في عام ١٩٢٥ . وكان رئيس التحرير يتسحاق بن تسفي الذي غدا فيما بعد رئيسا لدولة اسرائيل . وكانت الصحيفة تعمل جاهدة لاحتواء العمال العرب سياسيا(٤٤). بيد ان هذه المحاولة لقيت فشلا ذريعا بسبب الوعي السياسي لدى العمال العرب للطبيعة الشوفينية للهستدروت ، ومع ذلك فقد بقيت محاولات الاحتواء قائمة قبل وبعد قيام اسرائيل ، واستمرت بعد حرب حزيران .

ان محاولة الهستدروت احتواء العمال العرب ، لا يعني انها تخلت عن الدعوة للعمل العبري بل بقيت الدعوة تحتل مكانا مرموقا في السياسة الهستدروتية ، وقد تبلورت سياسة الاحتواء من خلال اختلاف وجهات النظر تجاه جوهر ومفهوم العمل العبري لدى الاحزاب العمالية الاسرائيلية ، ومع ان هذه الاحزاب تبنت فكرة العمل العبري الا انها أخذت تختلف فيما بينها حول حجم تطبيقها .

كان حزب عمال اسرائيل « المباي » وهو الحزب الاقوى قبل وبعد قيام اسرائيل يرفع شعار « مئة بالمئة عمل عبري » ويدعو الى عدم التخلي عن شعار « مئة بالمئة » لان ذلك حسب مفهوم الحزب سيؤثر على المشروع الصهيوني وعلى مستقبل العامل اليهودي اما اعضاء حركة هشومير هتسعير (وهي الحركة التي انجبت فيما بعد حزب مابام ــ يساري صهيوني) فقد عارضوا هذا الشعار باعتبار ان من شأنه ان يثير الشكوك بين صفوف العمال العرب الذين تحاول الهستدروت احتواءهم سياسيا ، هذا مع العلم ان هشومير هتسعير كان يدعو الى اقامة مجتمعين في فلسطين عربي ويهودي بمفهوم صهيوني خاص ، ولذا اكتفى برفع شعار « الحد الاقصى من العمل العبري » وقد حدثت نقاشات واسعة بين الجانبين ، وادعى الجانب الاول ان محاولة هشومير هتسعير رفع هذا الشعار لن تفيد في شيء لان « العمال العرب » سيفهمون صيغة هشومير هتسعير بشأن الحد الاقصى من العمل العبري ، تماما كشعار « مئة بالمئة » وقد تبلورت النقاشات بين الحزبين في آب عام ١٩٣٤ في مجلس الهستدروت، واستمرت

في الثلاثينات والاربعينات . واما كتلة عمال « الصهيونيين العموميين » التي تضم بين أعضائها موشيه كول وكتسنلسون فقد حافظت على الدعوة للعمل العبري. ففي المؤتمر الذي عقد في رعنانا في ١٩٣٥/١١/٢٢ اتخذت مقررات من بينها « حرب دفاعية واحتلال العمل العبري »(٤٥) كما أن بقية الاحزاب اليمينية والدينية كانت ترفع شعار العمل العبري وتدعو اليه . اما الحزبان اللذان عارضا سياسة العمل العبري من خلال مفهومين مختلفين، فهما حزب «عمال صهيون ــ يسار» والحزب الشيوعي الفلسطيني. الاول ــ تأسس عام ١٩٢٤ وجمع بين نقيضين الصهيونية والشيوعية ــ كان الحزب يعتقد ان الطبقة العاملة العبرية غير مؤهلة لتنفيذ سياسة العمل العبري لافتقارها الى اللياقة البروليتارية لانها ولدت من صلب البرجوازية الصغيرة وبنت جيل واحد، اما عملية الانقاذ فانها ستأتي من خلال « البروليتاريا » الحقيقية عندما تهاجر الى البلاد . اما الحزب الشيوعي الفلسطيني فقد اتخذ موقفا واضحا ضد سياسة العمل العبري ومجمل الاهداف الصهيونية . وفي الاول من ايار ١٩٣٦ اصدر الحزب منشورا الى الجمهور اليهودي دعاه فيه للانضمام الى الاضراب الذي أعلنه العرب والنضال من اجل المطالب التالية « الغاء الانتداب ووعد بلفور ، مجلس تشريعي ديمقراطي شعبي ، وقف الهجرة، واحتلال العمل والارض ... الغاء المنظمات الصهيونية العسكرية »(٤٦).

في هذه الفترة استمر الصراع قائما في المجتمع اليهودي بين العمال من جهة وبين البرجوازية الريفية من جهة اخرى كما كان في السابق ، واصل فيها دعاة العمل العبري نشاطهم ضد البرجوازية الريفية . ففي المؤتمر الرابع لنقابة العمال الزراعيين ــ على سبيل المثال ــ الذي انعقد في يونيو ١٩٣١ في تل ابيب شن يتسحاق تبنكين حملة ضد شريحة البرجوازية الريفية قائلا « ان الاقتصاد الاسرائيلي المبني على الاستغلال بدون عمل عبري ، يعتبر خطيئة تجاه الضمير...». لم يفلح دعاة العمل العبري في تقليص عدد العمال العرب في المستوطنات الاسرائيلية بل استطاعوا زيادة العمال اليهود في تلك المستوطنات . ففي عام ١٩٢٣ كان عدد العمال العرب في المستوطنات ٤٠٠٠ عامل ارتفع في عام ١٩٣٠ الى ٥٥٠٠ وفي ١٩٣٣ الى ٦٠٠٠ ووصل بين عامي ١٩٣٤ ــ ١٩٣٩ الى عشرة الاف ثم انخفض العدد بسبب حدة العداء : اما عدد العمال اليهود فقد أخذ في الثلاثينات يفوق عدد العمال العرب بقليل، ولم يرض عددهم دعاة العمل العبري ففي عام ١٩٣٨ عقد مؤتمر حزب عمال اسرئيل وجاء في مقرراته « ان كون كثيرين من أبناء البلاد لا يأخذون على عاتقهم مهمة المساهمة الشخصية ، بأجسادهم في بناء البلاد والدفاع وانقاذ الشعب بل يسعون الى الحياة السهلة والمريحة ، ومنهم من يتشتت في ارجاء المعمورة سعيا وراء الثقافة والحياة الجديدة ، ان ذلك هو بمثابة شهادة فقر لليشوف ... ونذير شؤم لمستقبلنا ولصورة الجيل الجديد في البلاد »(٤٧).

ازاء عدم انصياع البرجوازية الريفية لفكرة العمل العبري ، وعدم مقدرة العمال اليهود على تطبيق الفكرة سواء لكونهم عمالا غير « طبيعيين » او لكونهم بروليتاريا بنت جيل واحد خرجت من صلب البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وجد دعاة العمل العبري أن تطبيق الفكرة مرهون باتساع روح الكراهية بين اليهود والعرب ، وكان اول من نظر لذلك يوسف اهارونفتس حين قال اثناء تحدثه عن العوامل التي من شأنها ان تعمل على استبدال الايدي العاملة الاجنبية بالايدي العاملة العبرية : « ان العامل الاهم يكمن في خوف المزارع من العامل الاجنبي . حتى الان كان حديثنا للمزارع حول هذا الخطر كنوع من التنبؤ الذي من الممكن التنبه له ومن الممكن ايضا الاستخفاف به، ولكن في الاونة الاخيرة بدأت الاحداث تتوالى الواحدة بعد الاخرى وهي ترغم المزارع الانتباه لهذا الامر. وما دام العربي يأخذ بأسباب التطور فان هذه المحاولات ستكرر او تخرج نهائيا من كونها حالات وتأخذ شكلا مستديما للكراهية ، والتعصب القومي، وهذا الامر ، الذي

يذهلنـــا ، هو أيضا الضمان الاكيد لصالح العـــامل اليهودي »(٤٨). والحقيقـــة ان اهاروفيتس ليس الوحيد من دعاة العمل العبري الذي ربط نجاح فكرة العمل باتساع شقة الكراهية والتعصب القومي بين العرب واليهود ، بل معظم دعاة العمل العبري من قادة الاحزاب العمالية اليهودية في فلسطين .

في نهاية هذا البحث واستلهاما منه ، اود التطرق الى طبيعة الطبقة العاملة في اسرائيل، والعمل العربي هناك .

قبل التطرق الى الموضوع الاول اود أن ابدي تحفظا واحدا ، انني لا أزعم بأنني درست في هذا البحث ولادة وتطور الطبقة العاملة في اسرائيل ، بل حاولت جهدي دراســـة سياسة العمل العبري ، ومع ذلك فانني اعتبر ذلك محاولة اولية لفهم طبيعة الطبقـــة العاملة في اسرائيل . ومن هنا يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

١ ــ ان الطبقة العاملة في اسرائيل هي وليدة الفكرة ، ففكرة الخلق سبقت الوجود ، وعندما ظهر الوجود كرس لخدمة الفكرة ، بعكس نشوء معظم الطبقـــات العماليـــة الاخرى ، حيث سبق ظهور الطبقة العاملة الفكرة او الايديولوجية . من هنا كان تعلق الطبقة العاملة في اسرائيل بالفكرة التي خلقت من أجلها شديدا .

٢ ــ ان خلق الطبقة العاملة اليهودية كان امرا على جانب كبير من الاهمية والخطورة اذ لولا قيام الطبقة العاملة لما تمكن المجتمع اليهودي في فلسطين من اقامة دولة يهودية بسبب عدم استكمال بناء الطبقات فيه ، ذلك انه من المستحيل بناء دولة في مجتمـــع يتكون فقط من البرجوازية الريفية والمدينية ، بل الاصح من مجموع الطبقات ، او حتى من قبل طبقة واحدة هي الطبقة العمالية .

٣ ــ ان نمو وتطور الطبقة العاملة اليهودية في فلسطين رافق نمو وتطور البرجوازية اليهودية الريفية منها والمدنية ، وقد جرى من خلال عملية سلب ونهب منظمة ، بالرغم من التناقض الجانبي بين الطبقتين ، فقد قامت الطبقة البرجوازية بدور سلب الارض وقامت الطبقة العمالية اليهودية بسلب العمل ، اي تحالف الطرفان بسلب وسيلـــة الانتاج الكبرى وسلب العمل في وسيلة الانتاج تلك ، مما ادى في نهاية المطاف الى طرد الشعب الفلسطيني ، الذي يتكون معظمه من الفلاحين والعمال خارج وطنه .

٤ ــ ان الطبقة العاملة في اسرائيل تشعر تماما كالطبقة البرجوازية هناك بالاستفادة من الاحتلال ، ومن الارتباط بالمصالح الغربية ، فالاحتلال يشبع شهوة التوسع لديها كما ويدر عليها ارباحا مادية ، اما الارتباط بالغرب فالحقيقة انه ليس حبا بالغرب بقدر ما هو عملية حساب دقيقة للمصالح ، فهي باعتبارها وليدة الفكرة الصهيونية وخادمة لها ترى انها تلتقي مصلحيا وليس بالضرورة وديا ، بالاستعمار بسبب طبيعة الحركة الصهيونية ، ذلك أن اسرائيل لا يمكن لها ان تبقى بدون الاعتماد على الاقتصاد الغربي.

٥ ــ ان الطبقة العاملة في اسرائيل تتكون من شريحتين مختلفين متمايزتين ، الشريحة الاولى تتكون معظمها من أبناء الطوائف الغربية الذين يحتلون المراتب العليا من الاعمال اليدوية والفنية ، والشريحة الثانية تتكون معظمها من ابناء الطوائف الشرقيـــة الذيـــن يحتلون المراتب الدنيا من الاعمال مثل الاعمال السوداء وما شابه . وتمتاز الشريحة الاولى بتأصل الفكرة الصهيونية بين صفوفها اما الشريحة الثانية فان الفكرة الصهيونية اكتسبت لديها اكتسابا ، ولذا يمكن القول ان الطبقة العاملة في اسرائيل لا تختلف عن الطبقات الاخرى في اسرائيل التي تشكل بمجموعها المجتمع الاسرائيلي ، في تصورهـــا للقضايا الرئيسية في المنطقة وفي العالم مثل قضايا الحرب والسلام ، او في نظرتها تجاه حركات التحرر العالمية سواء تجاه الثورة الفلسطينية او الفيتنامية او أية ثورة اخرى معادية للاستعمار .

هل تتغير النزعة الشوفينية لدى الطبقة العاملة في اسرائيل ؟

بالرغم من النزعة الشوفينية للطبقة العاملة الاسرائيلية ، الا ان طبيعتها يمكن ان تتغير — ليس من خلال نضال داخلي — ، وانما من خلال تغير الظروف والاوضاع المحلية والدولية اي من خلال عملية التغيير التي تلمس شيئين اثنين .

١ — ضعف الاستعمار الغربي الذي يمد اسرائيل بمقومات الحياة والاستمرار بالوجود .

٢ — تغيير خريطة العالم العربي رأسا على عقب ، من خلال بناء دولة واحدة فيه ، تعتمد اساسا على الطبقة العمالية والفلاحية المسلحة بالنظرية الاشتراكية العلمية التي ينتفي فيها استغلال الانسان ، حينئذ ستجد الطبقة العاملة الاسرائيلية سواء قبيل تحرير كامل التراب الفلسطيني او بعد التحرير نفسها اكثر من الطبقات الاسرائيلية الاخرى ، استعدادا لنفض غبار الروح الشوفينية ، والانضمام الى المجتمع الجديد البديل .

وفيما يتعلق بالقضية الثانية ، العمل العربي في اسرائيل ، يمكن القول ان الدوافع وراء الموافقة على تشغيل العمال العرب وفق طريقة الحد الاقصى تهدف الى تحقيق اغراض سياسية ، وبالتحديد ثلاثة اغراض :

الهدف الاول : وهو الاهم ، محاولة ابعاد الطبقة العاملة الفلسطينية وخاصة الشرائح المسحوقة منها عن الثورة الفلسطينية بواسطة ايجاد اعمال لها تجني من ورائها ارباحا من خلال معاشات مرتفعة نسبيا ، الامر الذي من شأنه ان يجعل تفكير هذه الشريحة منصبا على رفع مستواها المعيشي ، خاصة وانها ذاقت الامرين قبل حرب حزيران ، ونكتفي هنا بتثبيت استشهاد حول هذا الهدف الذي ترمي اليه اسرائيل « ان الضمان الانجع للهدوء والامن واحباط مشاريع المخربين يكمن في ايجاد عمل للسكان العرب وزيادة مستواهم المعيشي » . (معاريف ٧٢/٥/١٢) .

الهدف الثاني : محاولة محو صورة العداء المرتسمة في ذهنية الجماهير الشعبية ، والمسلمات الناجمة عن تلك الصورة تجاه الكيان الاسرائيلي، من خلال السماح للجماهير الشعبية بالاحتكاك بالمجتمع الاسرائيلي ومشاهدته عن كثب . والحقيقة ان بعض المسلمات تأخذ بالتصدع والاهتزاز في بداية الامر ، بفضل الدعاية العشوائية غير الواعية التي كانت تبثها الانظمة العربية ، بيد أن عامل الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل في هذا المجال ، فهو كفيل بكشف الطبيعة العنصرية التمييزية التي يتسم بها الكيان الاسرائيلي .

الهدف الثالث : طمس حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ من خلال الحركة المتبادلة الدؤوبة اليومية عليها ، تمهيدا لرسم حدود جديدة .

هنالك دوافع اخرى يعتقد البعض انها اساسية ، الا انها في الحقيقة ثانوية ، مثل حاجة الاقتصاد الاسرائيلي للايدي العاملة العربية ، ومع ان هذا القول صحيح ، الا انه ليس دافعا اساسيا ، ذلك ان بامكان اسرائيل الحصول على اعتمادات وقروض كبيرة من الغرب والمؤسسات الصهيونية ولا يكلفها ذلك عناء كبيرا ، ومثل حاجة المؤسسة العسكرية الى العمال العرب بغرض تمكين جزء من العمال اليهود من ترك المرافق الاقتصادية والانخراط في سلك الخدمة العسكرية ، الا ان هذا الدافع يبقى ثانويا ، وفي بعض الاحيان غير مقبول اصلا بسبب محافظة الطرف العربي بشكل محكم على هدوء الجبهات . اذن يمكن القول ان دوافع تشغيل العمال العرب هي دوافع سياسية ترمي الى حصر النفوذ الفدائي ، وازالة الصورة المسبقة تجاه الكيان الاسرائيلي ، ومحو خريطة الحدود . ومع ذلك فقد بقي السؤال الكبير قائما في المجتمع الاسرائيلي «هل نسمح للعمال العرب العمل في اسرائيل ؟» وقد بلغ من الشدة

بين الطرفين لدرجة دعا فيها رئيس الهستدروت يتسحاق بن اهارون الى الانسحاب من مناطق عربية معينة (ربما كان يقصد قطاع غزة) دون التوقيع على اتفاقية سلام .
ويبدو أن هذا السؤال الذي واجه اليشوف ولا يزال قائما في اسرائيل قد اخذ يتدحرج حتى بلغنا نحن . وبالرغم من اهمية السؤال الا انني اعتقد ان الخوض فيه هو بمثابة رياضة عقلية كما وان التوصل الى « نعم » او « لا » ليس فيه شيء يفيد المقاومة الفلسطينية ، لاننا بالاصل لا نواجه هذا السؤال ، وانما نواجه سؤالا اكبر ينبغي ان نصب فيه فكرنا وعملنا « **كيف توظف المقاومة الفلسطينية جهد وعرق ودموع العمال العرب سواء العاملين منهم في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية او غيرها في عمل نضالي دؤوب من أجل تحرير الارض والانسان ؟** »
هذا هو السؤال الذي ينبغي أن نجهد فكرنا فيه .

---

* ملاحظة : جميع المراجع ادناه باللغة العبرية.

١ — تسفي بن شوشان ، **تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل** — المجلد الاول — ص ١٧. « عام عوبيد » طبعة ثانية . عام ١٩٦٣ .

٢ — يتسحاق تبنكين ، **مجموعة مقالات** ، ص ١٠٢ ، هكيبوتس هآرتسي .

٣ — بن غوريون . **دولة اسرائيل الجديدة** ، المجلد الاول ، عام عوبيد . طبعة ثانية ١٩٦٩.

٤ — يوسف اهارونفتس . **الشعب والبلاد** ، ص ٨٦ . تربوت فحينوخ ١٩٧٠ .

٥ — موشيه بارسليفسكي . **الحركة العمالية في أرض اسرائيل** . الجزء الاول . ص ٨٤ . هكيبوتس همؤحاد . ١٩٦٦ .

٦ — موشيه بارسليفسكي **المصدر السابق** . ص ٨١ .

٧ — اريه تراتكوفر. **المجتمع الاسرائيلي**. ص١٣٣ مساداه ١٩٥٩ .

٨ — بيرل كتسنلسون . **كتابات** . المجلد الحادي عشر . ص ٢٤ . حزب عمال اسرائيل «دافار» الطبعة الثانية ١٩٤٩ .

٩ — تسفى بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ٧٥ .

١٠ — غوردون . **كتابات غوردون** . المجلد الثالث ص ٥١ . المكتبة الصهيونية ١٩٥٤ .

١١ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٨٣ .

١٢ — موشيه بارسليفسكي . **المصدر السابق** ص ٨٣ — ٨٤ .

١٣ — شلومو ريخف . **كتابات مختارة** . ص ٢٢٧ — ٢٢٨ . هكيبوتس هآرتسي ١٩٦٦ .

انظر أيضا . بن غوريون **المصدر السابق** ص ٤٩ .

١٤ — شلومو ريخف . **المصدر السابق** . ص ٢٢٢ .

١٥ — يوسف شبيرا . **العمل والارض** . المجلد الاول . ص ٦١ . عام عوبيد ١٩٦١ .

١٦ — يوسف شبيرا . **المصدر السابق** ص ٦٢.

١٧ — يوسف شبيرا . **المصدر السابق** ص ٦٢.

١٨ — اليكس باين. **تاريخ الاستيطان الصهيوني**. ص ٦٧ . مساداه . الطبعة الرابعة ١٩٧٠ .

١٩ — بن غوريون . **المصدر السابق** . ص ٥٠.

٢٠ — تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ٧٦ — ٧٧ .

٢١ — موشيه بارسليفسكي . **المصدر السابق** . ص ٨٧ .

٢٢ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٨ .

٢٣ — حاييم الروزوروف . **كتابات** . المجلد الثالث . ص ١٣٥ . شتيبل . ١٩٣٤ الطبعة الثانية .

٢٤ — حاييم الروزوروف . **المصدر السابق** . ص ١٣٨ .

٢٥ — **المصدر السابق** . ص ١٦٢ .

٢٦ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٨ .

٢٧ — مناحيم تلمي . **محاربو الحرية في اسرائيل**. ص ١٩ . فريدمان . ١٩٥٥ .

٢٨ — تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ١٢٨ — ١٢٩ .

٢٩ — **المصدر السابق** . ص ١٣٠ — ١٣١ .

٣٠ ــ موشيه بارسليفسكي . **المصدر السابق** . ص ٨٧ .
٣١ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ١٥٠ .
٣٢ ــ **المصدر السابق** . ص ١٥١ .
٣٣ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٠ .
٣٤ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ١٤٢ .
٣٥ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٠ .
٣٦ ــ اليكس باين . **المصدر السابق** . ص ١٠١ . أنظر ايضا كتاب م. روبين . **بداية عملي في البلاد** . المجلد الثاني ص ١٠٦ . عام عوبيد ١٩٦٨ . تحرير اليكس باين .
٣٧ ــ موشيه بارسيفسكي . **المصدر السابق** . ص ٩٧ .
٣٨ ــ **المصدر السابق** . ص ٩٧ ــ ٩٨ .
٣٩ ــ يوسف شبيرا . **المصدر السابق** . ص ٢٣٥ .
٤٠ ــ دافيد بن غوريون . **العامل العبري وهستدروته** . ص ٦٨ . تربوت غحينوخ ١٩٦٤، الطبعة الثانية .
٤١ ــ يوسف شبيرا . **المصدر السابق** . ص٢٣٦
٤٢ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٩ .
٤٣ ــ كتسنلسون . **المصدر السابق** . ص١٤٤.
٤٤ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . المجلد الثالث . ص ١٣٦ .
٤٥ ــ **المصدر السابق** . ص ١٦٣ .
٤٦ ــ **المصدر السابق** . ص ٣٠١ .
٤٧ ــ **المصدر السابق** . ص ٢٩٧ .
٤٨ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٥٩ .

ملاحظة : لاستكمال وضع وظروف العمال العرب في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ ، ننصح بالرجوع الى **شؤون فلسطينية** العدد ٧ ، ص ٢٦٤ .

صدر عن مركز الابحاث

كتـــاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقـــلم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث ان يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في أحد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها .

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير **١٠ ل.ل.**

تضاف أجـــور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البـــلاد العربيـــة ٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

رسالة من قارىء
حول مقال « سقوط صفد »

اسعد محمد برغوتي

جاءنا من الاخ اسعد محمد برغوتي ، نزيل الدوحة عاصمة دولة قطر ، الرسالة التالية :

في العدد ٢١ (أيار ١٩٧٣) من شؤون فلسطينية كتب السيد جادو عز الدين عن سقوط مدينتنا « صفد » . ورغم انه نبه في مقاله الى انه لم يكن يلم بكل جوانب وتفصيلات سقوط المدينة وانه اعتمد فيما كتب على ما علق بذاكرته كواحد من الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ المدينة ، لا يمكننا الا الاشارة بأسف لما تضمنه المقال من تساؤل مسموم حول انسحاب ابناء المدينة منها . ولجلي بعض الحقيقة عن ظروف سقوط المدينة ولتبقى صفحات نضال ابنائها مواقف فخر واعتزاز لاجيالنا القادمة أخط ما توفر لدي من معلومات استقيتها من بعض ابناء صفد العاملين بقطر والذين عاصروا وشاركوا في الدفاع عن مدينتهم حتى ساعة تسليمها (لا سقوطها) ومن كتاب « النكبة » للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف ومن كتاب « فلسطين عبر ستين عاما » للسيد اميل الغوري ومن بعض ما علق بذاكرتي لاحداث مدينتنا في اسابيعها الاخيرة ، وانني اذ أكتب عن مدينتي صفد لابعد عن تاريخها المغالطات للوقائع والغمز المقصود او العكس لنضال ابنائها أهيب بكم العمل فورا لتجنيد امكانيات مركز الابحاث لتاريخ نضال شعبنا بصدق وأمانة قبل ان تمسخه الاقلام المسمومة .

تعجل شباب صفد قتال اليهود ، فقتلوا قبل شهور عدة من تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني أحد رجالهم في السوق المحلي للمدينة ، أغلقت على اثر ذلك جميع المداخل بين الحي اليهودي والاحياء العربية وراح كل فريق يستعد للايام القادمة وكل بحسابه ذكريات عامي ١٩٣٦/٢٩(١).

كانت الاسلحة المتوفرة لرجال المدينة تلك التي كان يسمح بها الاستعمار البريطاني كأسلحة الصيد وبعض المسدسات المرخصة وعددا قليلا جدا من البنادق الحربية امتلكها اصحابها بشكل سري وكانوا يعتزون بها اعتزازهم بأولادهم رغم عدم فعاليتها(٢). ولم يكن لدى شبابها أية فكرة عن القتال ولم يتلقوا اية تدريبات باستثناء ما كانوا يقومون به بشكل عفوي من الرمي على الهدف واصابته .

كان دخل معظم عائلات المدينة عن طريق ابنائها العاملين في المدن الكبيرة كحيفا والقدس وغيرهما . من هذا لم تتوفر أيضا للمدينة الطاقة البشرية القادرة على القتال(٣). كما لم يكن لدى سكان المدينة أية معلومات حقيقية عن أسلحة وقوة العدو البشرية اذ لم يكن هذا الامر موضع اهتمام (ونحن الاكثرية وبالعصي والحجارة نبيدهم)(٤).

قبل انسحاب الانكليز بأسابيع قليلة ارسل اديب الشيشكلي(٥) الملازم احسان كملماز(٦) كآمر لحامية صفد وبصحبته بعض الجنود . كان احسان شعلة وطنية وشجاعة نادرة واخلاقا حميدة ، هذه الصفات حببته وقربته لقلوب ابناء المدينة صغارهم وكبارهم وسرعان ما أصبح مثلهم الاعلى يسمعون منه ويتلقون أوامره بقدسية . استغل احسان بذكاء محبة المناضلين له وحماسهم وتشوقهم للجهاد فراح يدربهم وينظمهم ويقودهم لمعارك خفيفة(٧) مع العدو ويحاول قدر امكانياته مساعدتهم بالحصول

لهم على الذخيرة والاسلحة ، فتمكنوا خلال فترة قصيرة من تحقيق العديد من العمليات الناجحة ضد العدو دون ان يتكبدوا خسائر تذكر ، كما قام بنفسه وبمساعدة ابناء المدينة العاملين في مراكز الجيش البريطاني بالدخول الى تلك المراكز ودراستها عن كثب مما مكنه والمناضلين من تحقيق مكاسب هامة يوم انسحاب الانكليز من المدينة كما سيأتي .

حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر ١٦ نيسان ١٩٤٨ تم انسحاب الانكليز(٨) من المدينة وفي نفس الوقت قاد احسان المناضلين فهاجموا المراكز(٩) التي أخلاها الانكليز وفي أقل من ساعة واحدة كانوا قد احتلوها ودخلوا بمعركة مع المواقع الامامية لليهود واستطاعوا اجبارهم على التراجع لمواقع خلفية بعد تكبيدهم خسائر فادحة(١٠). كان ذلك اليوم عرس صفد الحقيقي رغم غدر الانكليز لهم(١١). وكانت زغاريد النساء تعلو اصوات الرصاص مشجعة للمناضلين وفرحة بالنصر الذي حققوه وزاد تعلق ابناء المدينة بقائدهم احسان . مع بزوغ فجر اليوم التالي (١٧ نيسان) كانت سرية من مقر قيادة جيش الانقاذ بقيادة الملازم عبد الحميد السراج تدخل مدينة صفد ولحقها فصيلان من سرية ادلب يقودهما الملازم هشام العظم(١٢) وسرية اردنية(١٣) يقودها الرئيس ساري فنيش(١٤) ويعاونه الضابط اميل جميعان ، دخلت هذه القوات المدينة بأمر من الشيشكلي ومعها أمر منه بتعيين الرئيس ساري فنيش قائدا للحامية ومنحه سلطة اعلان الاحكام العرفية كما عين اميل جميعان مساعدا له .

وجد احسان كملماز ان الفرصة مؤاتية مع وصول تلك القوات لاقتحام الحي اليهودي وانهاء الوضع في المدينة قبل ان يسترد العدو أنفاسه وتصله النجدات بيد أن القائد الجديد عارض الامر بشدة مدعيا ان مهمته مع قواته دفاعية لا اكثر .

في ١٨ نيسان وصل اليهود نجدات من البالماخ ووقعت في نفس اليوم اشتباكات بين الطرفين ولاول مرة راح اليهود يقذفون المدينة العربية بقنابل الهاون وراجمات الالغام(١٥). وشعر شباب المدينة ان مبدأ الدفاع المعتمد من القيادة من شأنه ان يقتل حماس المناضلين ويقلب الوضع لصالح العدو نتيجة التعزيزات التي كانت تصله تباعا فالتفوا حول قائدهم المحبوب احسان وراحوا يحثونه على متابعة القتال ولم يكن احسان اقل منهم حماسا للامر فقاد فريقا منهم وهاجموا موضعا للحي اليهودي وعلى اثر ذلك اصطدم احسان بساري فنيش بمشادة كلامية(١٦) انتهت بمغادرة احسان المدينة .

ضمد ابناء المدينة جراحهم وحاولوا الالتفاف حول ساري الا ان نفسه كانت قد طفحت بالحقد والكراهية فراح يعاملهم اسوأ معاملة(١٧).

في ١ ايار وبعد وصول النجدات لليهود بأعداد كبيرة بعد سقوط حيفا في ٢٤ نيسان وبعض القرى القريبة من صفد(١٨) هاجم اليهود قريتي بيريا وعين الزيتون(١٩) وتمكنوا من احتلالهما ودمروا عين الزيتون تدميرا تاما . وعبثا حاول الصفديون اقناع ساري بنجدة القريتين. وباحتلال القريتين المذكورتين تمكن اليهود من محاصرة المدينة من جميع الاطراف باستثناء الطريق الجنوبي الغربي للمدينة . وفي ٥ و ٦ ايار ازداد تدفق قوات العدو على صفد سالكين طريق الجاعونة ــ صفد الرئيسي والترابي خلف جبل كنعان وأقاموا اتصالا مع الحي اليهودي في المدينة عن طريق قرية عين الزيتون فأصبحت المدينة تحت سيطرتهم وراحوا يقذفونها بأسلحتهم المختلفة بكثافة .

سافر وفد من رجال المدينة على اثر ذلك الى دمشق لمقابلة المسؤولين واطلاعهم على الوضع في المدينة(٢٠). وفي ٧ ايار قدم الشيشكلي الى صفد وبعد تفقده الوضع عاد الى مقر قيادته في الصفصاف(٢١) وراحت مدفعيته تقصف الحي اليهودي . وكرر القصف في اليوم التالي (٨ أيار) كما اشتبك في اليوم ذاته المناضلون واليهود بمعارك عنيفة صمد فيها العرب ونفد الكثير من ذخيرتهم فراحوا ينتظرون رجوع الوفد الذي سافر لدمشق ليأتي بالنجدة والعتاد . وفيما كان الوفد في دمشق يصف الى رئيس اللجنة العسكرية الوضع في دمشق دخل عليه الشيشكلي(٢٢) الذي أكد للرئيس كل ما قاله رجال الوفد وطلب المساعدة غير ان الرئيس اجاب «العين بصيرة واليد قصيرة». عندئذ سافر السيد زكي قدوره الى عمان وبصحبته اميل جميعان(٢٣) في محاولة للحصول على المساعدة من هناك وقابل الملك فرد الاخير قائلا للرئيس قدوره « لم لا تذهب للقوتلي الذي دخل المعركة قبل ان يكون مستعدا لها ؟ » ولما حاول هذا اقناع الملك بضرورة انقاذ صفد اعتذر الملك قائلا انه لا

يستطيع ان يدخل فلسطين قبل انتهاء الانتداب — « هذا ما انذرني به الانكليز » .وغادر قدوره عمان مخلفا فيها اميل جميعان(٢٤) متوجها لدمشق ثانية وقابل القوتلي هنـاك فطمأنه — ان صفد قيـد اهتمامه . واثر هذه المقابـلة ارسلت اللجنـة العسكرية ١٣٠ جنديا من جنود جيش الانقاذ بقيادة عز الدين التل في ٩ ايار فقام العرب حال وصول هذه القوة بمناوشة مواقع العدو وقصفه بقنابل الهاون(٢٥).

غادر الشيشكلي صفد في ٩ ايار بعد زيارة تفقدية لبضع ساعات كما غادرها بعد ظهر اليوم نفسه ساري فنيش قائد الحامية فتسلم منه اميل جميعان القيادة(٢٦). وفي الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل ٤٨/٥/١٠ صدرت الاوامر من اميل جميعان الى قواته بالانسحاب واعلن عن سقوط المدينة في ١١ أيار عام ١٩٤٨(٢٧).

وقد لخص اديب الشيشكلي بتقريره الى قيادة جيش الانقاذ اسباب سقوط صفد كما يلي :

١ — انسحاب ساري فنيش آمر الحامية بصورة غير مشروعة . ويشكو الشيشكلي من ان ساري كان يتغيب عند كل هجوم .

٢ — توزيع سرية عزالدين التل بصورة واسعة .

٣ — جهل السرية المذكورة لقواعد القتـال واستعمال السلاح .

٤ — استعمال اليهود للاسلحة المختلفة بكثرة هائلة وحرقهم الحرش في القلعة .

٥ — معاكسة الاحوال الجوية للعمليات الحربية.

٦ — عدم عمل آمر الحامية بالوكالة اميل جميعان على الصمود ، فقد كان موقفه ظاهر الضعف من ابتداء الهجوم ولا أدري (الكلام للشيشكلي) ان كان ذلك بسبب انهياره المعنوي او لسبب مقصود بعد رجوعه من عمان .

وهكذا سقطت المدينة بيد اليهود — هذه المدينة التي بقيت بيد العرب اجيالا عديدة وكانت تدعى فيما مضى (صفت) بمعنى العطية ثم حور الاسم الى صفد ولها تاريخ طويل انتزعها الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس من يد الافرنج وأمر بتجديدها وتحصين قلعتها وعمل لها ابوابا سرية الى خندقها وشارك بحمل تراب خنادقها وحجارتها بنفسه .

الحواشي

١ — في كلا الثورتين هاجـم عرب صفد الحي اليهودي ودمروا مستعمرة عين زيتيم القريبة من المدينة وأحرقوها . وكان اليهود أبدا يتوعدون أهل المدينة بالانتقام ، من شهداء المدينة في الثورتين نذكر الشهيد فؤاد حجازي اعدم في عكا وخلد ذكره وذكر رفاقه الشاعر الفلسطيني الكبير ابراهيم طوقان في العديد مـن قصائده الوطنية ، والشهيد محمد محمود عبد المجيد أعدم لحيازته مسدسا حربيا ، والشهداء محمد ابو شيره ، محمود الحـدري ، احمد قدورة الملقب بالحاج ياسين ، احمد خليل صوان ، احمد ابو ديه ، سليم الحاج عثمان ، سليم غريري ، عبدالله الاصبح ، محمود النقيب ، محمد حسان ، مصطفى دواه ، نايف اسعد مراد ، وغيرهم .

٢ — بنادق عثمانية وبنادق فرنسية (ام حبة).

٣ — كان هناك زهاء ٢٠٠ مناضل في المراحل الاولى من النضال وارتفع العدد حتى سقوط المدينة الى حوالي ٥٠٠ .

٤ — كان في المدينة في اواخـر عهد الانتداب البريطاني ١١٩٣٠ نسمـة منهم ٩١٠٠ مسلم و ٤٣٠ مسيحيا و ٢٤٠٠ يهودي ، ولم يبق من سكانها عند سقوطها عربي واحد .

٥ — كان الشيشكلي في ذلك الوقت قائدا لفوج اليرموك الثاني (جيش الانقاذ) ومسرح عملياته منطقة الجليل (صفد ، عكا ، الناصرة) قواته تتراوح ما بين ٤٥٠ و ٥٠٠ مقاتل ، اجتاز حدود فلسطين عن طريق بنت جبيل في ٨ كانون الثاني ١٩٤٨ وضم بين صفوفه العديد من رجال سوريا المعروفين امثال اكرم الحوراني وعبد السلام العجيلي وعبدالكريم الزهور وخليل كلاس وعبد الحميد السراج وغيرهم . ألحق بهذا الفوج سرية اردنية بقيادة الرئيس ساري فنيش من الحصن واميل جميعان من مأدبا .

٦ — ضابط سوري شجاع استشهد في معارك سمخ قرب جسر المجامع .

٧ — نصب الكمائن لوسائل نقل العدو خاصة طريق صفد — الجاعونة حتى اصبح هذا الطريق بالنسبة للعدو « طريق الموت » .

٨ — ذكر الشيشكلي بتقريره المرفوع لقائد جيش الانقاذ بتاريخ ١١ ايـار رقم ٤٨ ان الانكليز اخلوا صفد فجأة بتاريخ ١٦ نيسان . (يقول

عارف العارف بكتابه **النكبة** الجزء الاول ، ان عبد الرحمن الخضرا « احد رجال المدينة الموثوقين » حدثه ان الشيشكلي اجتمع بتاريخ ١١ نيسان بمنزل سليمان سعد الدين « من ابناء المدينة » بالقائد البريطاني وطلب قائد منطقة صفد وطلب منه (أي الشيشكلي) ان يفسح له المجال لمهاجمة صفد ومستعمرة عين زيتيم القريبة منها دون تدخل منه، فرد وطلب انه لا يستطيع البت في الامر وانه يرغب باستشارة الجنرال ستوكويل قائد منطقة حيفا وشمال فلسطين وفي اليوم التالي (١٢ نيسان) عقد اجتماع بمنزل محمد يوسف الخضرا « من ابناء المدينة » حضره الجنرال ستوكويل نفسه والبريغادير والكنهد قائد منطقة الجليل والقائد وطلب والشيشكلي وعبد الرحمن الخضرا الذي كان يقوم بمهمة الترجمة واتفق في الاجتماع على ان يرجىء الشيشكلي مهاجمة صفد والمستعمرات الاخرى الى ما بعد ١٦ نيسان فتعهد الشيشكلي بذلك) .

٩ — مركز رئاسة بوليس المدينة ، دار الحاج فؤاد الخولي قرب مدخل الحي اليهودي وكانت مركزا للبوليس ، القلعة ، مركز بوليس كنعان.

١٠ — قتل يومئذ من اليهود ١٨ وجرح اربعون ، هذا ما اعترف به الكاتب اليهودي مايرفيشر راجع العدد ٢٤ من مجلة **الهدف** المقدسية بتاريخ ١٩٥٠/٩/٣ .

١١ — تمركزت القوة البريطانية اثر انسحابها من المدينة لبعض الوقت في منطقة الصيفية قبالة صفد من الشرق وقذفت الاحياء العربية وقلعة المدينة بمدافع الهاون وقنابل الدبابات فاستشهد العديد من الرجال والنساء والاطفال .

١٢ — كان السراج والعظم ، السوريان من جيش الانقاذ ، الفوج الثاني .

١٣ — قيل ان عددها ١٠٠ جندي ألحقت بجيش الانقاذ بناء على رغبة ملك عمان (**النكبة** الجزء الاول) .

١٤ — ساري فنيش واميل جميعان كانا يعملان في الجيش العربي قبل صدور قرار التقسيم ولما صدر القرار المذكور استقالا من الجيش وهبطا الشام فعرضا خدماتهما على طه الهاشمي (من الرجال المعروفين في العراق ، عضو **اللجنة العسكرية المنبثقة عن اجتماعات مجلس** الجامعة العربية في عاليه ، لبنان) فضمهما الى جيش الانقاذ . وفي رواية اخرى ان السرية الاردنية بجنودها وضباطها كانت ملحقة بجيش الانقاذ بناء على رغبة الملك في عمان ، (كلا الروايتين نقلا عن عارف العارف ، **النكبة** الجزء الاول) .

١٥ — راجمات « دويد » ، حول اليهود حمام النساء الكائن في الحي اليهودي الى موضع لتصليح السلاح وصنعوا فيه السلاح المذكور . تأثيره التدميري معدوم الا ان صوت انفجاره رهيب . راجع مجلة **الهدف** المقدسية العدد ٢٦ تاريخ ٥٠/٨/١٧ والعدد ٢٧ تاريخ ٥٠/٨/٢٤ .

١٦ — حسم ساري المناقشة مع احسان باشهار مسدسه في وجهه مهددا اياه بالقتل فغادر احسان المدينة قائلا بأعلى صوته رحمه الله « سقطت صفد » . كادت تقع يوم مغادرة احسان المدينة مذبحة كبرى بين الاهالي وقوات ساري اذ استنكر الجميع اعمال ساري وابدوا عزمهم على الاحتفاظ باحسان وراحوا يتجمعون لتنفيذ ما عزموا عليه الا ان تدخل زعماء المدينة حال وذلك الاصطدام .

١٧ — عرف سكان المدينة ساري فنيش بسوء الخلق والجبن منذ وصوله المدينة وبعد مشادته مع احسان ووقوف الاهالي الى جانب الاخير طفحت نفسه السيئة بالشر فراح يعامل ابناء المدينة بكل قسوة فاعتقل العديد منهم بدون سبب وأمر بجلد آخرين في ساحة السرايا القديمة .

١٨ — الجاعونة ، فرعم ، الطابغة ، المنار ، المنصورة ، القديرية . وباحتلال هذه القرى طوقت المدينة من الشرق والجنوب .

١٩ — شمال صفد على بعد كيلومترات قليلة وتتحكمان بالطريق الرئيسي الوحيد للمدينة .

٢٠ — كان الوفد برئاسة السيد زكي قدورة رئيس بلدية صفد ذلك الوقت .

٢١ — من قرى صفد .

٢٢ — نقلا عن **النكبة** (الجزء الاول) .

٢٣ — لم يذكر زكي قدورة في حديثه لعارف العارف مهمة اميل جميعان في دمشق او سبب وجوده فيها او تاريخ مغادرته صفد . (راجع **النكبة** الجزء الاول ص ٣٠٥) .

٢٤ — عاد اميل جميعان الى صفد بروح انهزامية ظهرت بأفعاله واقواله اذ سحب قواته من

اكثر من موقع لم يتعرض لاي هجوم وراح يشيع بين الاهالي عدم امكانية الدفاع عن المدينة ويحثهم على اخلاء المدينة من النساء والشيوخ والاطفال . وكان واضحا ان القوة الاردنية ستنسحب من المدينة بعدما صرح اميل جميعان بان رؤساءه في عمان اخبروه بأن صفد داخلة في القطاعين السوري واللبناني وطلبوا منه عدم العودة الى صفد الا انه لم يشأ ان يترك جنوده في المدينة فعاد اليها .

٢٥ ــ في قول آخر ان القوة كانت مؤلفة من ١٥٠ جنديا وسرية واحدة من سرايا فوج اليرموك وكانت هذه القوة سيئة التدريب ووزع قواتها فور وصولها اميل جميعان على المراكز التي اخلاها من رجاله وكانت أفدح الخسائر البشرية التي تكبدتها المدينة في هذه القوة .

٢٦ ــ غادرها ساري فنيش حاملا معه جميع حاجياته وقضى ليلة ٩ ــ ١٠ ايار في قرية عين التينة من قرى صفد . ولقد اقدم على ترك المدينة دون علم الشيشكلي . وعندما وصل دمشق القي القبض عليه بأمر من وزارة الدفاع السورية وكانت النية متجهة الى محاكمته لولا ان تدخل ملك عمان في الامر فأطلق سراحه .

٢٧ ــ يقول الشيشكلي في تقريره ان اليهود بدأوا هجومهم الاخير على صفد في الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ من ليلة ٩ ــ ١٠ ايار وتلقى من وكيل آمر الحامية اميل جميعان اشارة لاسلكية مآلها ان ذخيرته قد نفدت فأمره الشيشكلي بالانسحاب وصدر هذا الامر في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ ايار ١٩٤٨ . وهناك من يعتقد ان في الامر حيلة مدبرة من عمان مع اميل جميعان تقضي باسقاط المدينة ان حاول الحاج امين الحسيني دخول فلسطين من لبنان لاسقاط خطة الحاج امين . وكان فعلا قد سرى الخبر بأن الحاج امين جاء من مصر قبل سقوط المدينة ببضعة ايام وهبط المالكية وتبنين (من اعمال صور في لبنان) وما الى ذلك من القرى الغربية من الحدود وكان يقصد دخول فلسطين من تلك الناحية ليؤلف فيها حكومة عربية فلسطينية .

يقول اليهود انهم عثروا بعد ان تمت لهم السيطرة على كميات كبيرة من السلاح والعتاد في السرايا القديمة مقر قيادة اميل جميعان.وقد حدثني السيد عبد الفتاح الحجة من ابناء المدينة ويعمل الان في قطر انه كان ليلة سقوط المدينة مع السيد احمد ابو زينة ايضا ، يعمل الان في قطر ، وكانا ضمن المدافعين عن المدينة ومركزهما في بناء الحاج فؤاد الخولي الواقع في مدخل الحي اليهودي وانه ارسل الى القيادة من قبل رفاقه لجلب الذخيرة وعند وصوله هناك لم يجد احدا والابواب مشرعة وكانت خراطيش الذخيرة ملقاة على الارض ومخلوطة اصنافها بشكل يصعب فرزها وكانت بكميات كبيرة وانه عاد الى رفاقه واعلمهم بالامر فانسحبوا .

مراجعات

Maxime Rodinson, **Marxisme et Monde Musulman**, (Editions du Seuil, Paris 1972).

صدر مؤخرا للمفكر اليساري الفرنسي المستقل ، مكسيم رودينسون ، مؤلف ضخم (٦٩٨ صفحة) بعنوان « الماركسية والعالم الاسلامي » (باريس ، منشورات دي ساي ، ١٩٧٢) . ولقد سبق للاستاذ رودينسون ان تناول جوانب عديدة من قضايا العرب في مؤلفاته السابقة(١). وما يهمنا في هذه العجالة التحليلية الانتقادية هو تناول الجانب الفلسطيني في هذا الكتاب . وأول ما يجدر التنويه به هو أن الكاتب لا يخصص فصلا ولا معالجة مترابطة للقضية الفلسطينية — فضلا عن كون الكتاب مجموعة دراسات ومقالات متنوعة . ولهذا كان لا بد لنا من الاطلاع الكامل على محتوياته لكي نستخلص منها ما له علاقة مباشرة بموضوعنا . فكنا امام مشكلة منهجية : هل نتناول الموضوع من خلال توزعه التسلسلي على فصول الكتاب أم نحاول التفرد بعرض متناسق ، مفتعل ؟ ووجدنا أنفسنا أيضا أمام سؤال ملح : هل ثمة تطور حاصل في نظرة رودينسون الى القضية الفلسطينية؟ وعليه، فقد رأينا من جهة ان نكتفي بعرض تسلسلي لموضوعات رودينسون الخاصة بالقضية الفلسطينية في كتابه « الماركسية والعالم الاسلامي » ، ورأينا من جهة ثانية ان هذه الموضوعات قد وضع رودينسون معظمها قبل كتابه « اسرائيل والرفض العربي » الصادر سنة ١٩٦٩ ، وايضا قبل مداخلته في العدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » الصادر سنة ١٩٦٧ بعنوان « الصراع العربي الاسرائيلي » ، فضلا عن احاديثه المنشورة في مجلة « بارتيزان » الفرنسية بشكل مناظرة مع ارنست مندل ، وفي مجلة دراسات عربية وسواها. ولهذا نرى انه من الافضل ان تخصص دراسة خاصة بتطور آراء ومواقف اليسار الفرنسي من اليهود والقضية الفلسطينية ، بدءا من الفونس توسنل (اليهود ملوك العصر ، باريس ١٨٤٦) ، مرورا بالحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي ، وانتهاء بجان بول سارتر (تأملات في المسألة اليهودية) وجورج فريدمان (نهاية الشعب اليهودي ؟) ومكسيم رودينسون .

١ — فلسطين والاستقلال العربي :

في فصل عنوانه « حول سياسة ماركسية في البلدان العربية ، بحث مستقل » ، يتناول الاستاذ مكسيم رودينسون المهمات المطروحة على المجتمعات العربية الراهنة ، معالجا بالافضلية مهمة الاستقلال ثم التنمية . وفي سياق معالجته لمهمة الاستقلال العربي يتناول القضية الفلسطينية (ص ٤٦ — ٥٧) . يبدأ بتعريف ماهية الاستقلال بقوله : « ان ضمانة الاستقلال تعني التزام البلدان العربية وسيرها على طريق تنمية مستقلة ذات تمركز ذاتي، توجهها احكام وقواعد وطنية وفقا لحاجات المجتمع العربي ذاته . ان هذا الهدف يعني بوضوح مكافحة كل ما من شأنه ان يحد من حرية واستقلال قرار الامم او الامة العربية ، كما تشاؤون . وبما ان معظم الامم العربية مستقلة الان ، فان الخطر

---

١ — من أشهر مؤلفاته عن العرب وقضاياهم : « القمر عند العرب وفي الاسلام » ، باريس ١٩٦٢ ، « الاسلام والرأسمالية » باريس ١٩٦٦ ، « محمد » باريس ١٩٦١ ، وطبعة منقحة ١٩٦٨ ، « اسرائيل والرفض العربي »، باريس ١٩٦٩ (منشورات دي ساي) ، « تلك آثارنا » ، بيروت ١٩٤٣ ، دار المكشوف ، « الجزيرة العربية قبل الاسلام »، انسيكلوبيديا لابلياد ، ج٢ باريس ١٩٥٧ ، « الساميون والابجدية »، باريس ١٩٦٣، «العالم الاسلامي وانتشار الكتابة العربية» ، باريس ١٩٦٣ .

الداهم يأتيها من مجتمعات بشرية اخرى ، من جماعات اثنية — قومية اخرى تريد ان تحد من هذه الحرية بآلية (ميكانيزم) سياسية اقتصادية او سواها او انها تنجر الى ذلك بدون قصد مسبق . ولا يمكن ان يكون المقصود بذلك سوى مجتمعات تنوي استغلال مجتمعات اخرى ... »

ويبين ان المقصود بالخطر على العرب هو « ما يسمى عادة بالنزعات الامبريالية » ، ويشير الى ان الامبريالية ليست هذا الوحش الاسطوري ، ذا الرأس الوحيد ، الذي يتغذى من دم البشر ونخاعهم ، مطاردا بغضبه الخالد ارادة التقدم والحرية في كل انحاء العالم . اذن ما هو المقصود بالامبريالية ؟ يقول : هناك امبرياليات وكل مجتمع هو امبريالي بالقوة . ويعلل موقفه الغامض هذا بقوله : كل مجتمع لم يتردد — عندما استطاع — في تأمين مصالحه الخاصة والبحث عن سعادته على حساب الاخرين . لكن هل هذا هو المقياس الوحيد لتعريف الامبريالية ؟

يعتبر رودينسون ان الامبريالية الرأسمالية هي من أخطر الامبرياليات الراهنة في عصرنا ، على انه يفتح باب النقاش لمعرفة ما اذا كانت بنية المجتمع الرأسمالي الراهن بالذات هي التي تجبره او لا تجبره على ان يكون امبرياليا . فهل يفهم من هذا الكلام ان هناك رأسمالية امبريالية ورأسمالية غير امبريالية وكيف ؟ ام ان هناك مفارقة في درجات نمو قوى الامبريالية وقدرتها على السيطرة والامتداد ؟

يؤكد من هذه الزاوية انه في الواقع ثمة « امبريالية اقتصاديا رأسمالية حاليا » وان « الامم الرأسمالية تخلت مؤقتا على الاقل عن امبريالية سياسية اي عن السيطرة السياسية المباشرة على الامم الاخرى » . ولكن رودينسون لا يعطينا امثلة ملموسة ومعاصرة على ذلك . ونحن نسأله هل تخلت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مثلا عن الامبريالية السياسية كما يحددها ؟ وهل ان اليابان والمانيا الاتحادية — وهما الان في طور الامبريالية الاقتصادية — لا تطمحان او لا تعملان منذ الان على الانتقال الى الامبريالية السياسية ؟ واخيرا ، الى اي حد يمكن الفصل ، جدليا وفي الواقع بين الاشكال الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية للامبرياليات الرأسمالية الراهنة ؟ انه يحصر دور الامبرياليات الرأسمالية بالامبريالية الاقتصادية ، منظرا ذلك بقوله : « ان المجتمعات الرأسمالية المتطورة تستفيد من تفوقها (في نطاق او خارج نطاق خطة مدروسة) — (هل هذا صحيح اصلا او قابل للافتراض ؟) لاجل الحد من امكانات التقرير المستقل عند المجتمعات المتخلفة فيما يختص بالاقتصاد ؟ وان الدول الرأسمالية تستفيد من هذه الالية لتضغط ايضا على حرية التقرير السياسي في الدول المتخلفة » . اذن هناك امبريالية اقتصادية — سياسية معا ؟ والا فكيف يمكن فصل الارتهان الاقتصادي عن الارتهان السياسي والعسكري ؟

وينتقل الى الحديث عن « الامبرياليات الاشتراكية » قائلا انها « امبرياليات كامنة حاليا » ، ولكن أليس في هذا تضليل ؟ اذ كيف يمكن ان نضع امام الشعوب النامية، الامبريالية الاوروبية — الاميركية القائمة على نفس مستوى ما يسميه رودينسون « الامبرياليات الاشتراكية الكامنة حاليا » ؟ انه يلاحظ مثلا ان القوى الاشتراكية لا تعمل على اعاقة الاستقلال الاقتصادي للبلدان المتخلفة ، وذلك خلافا لما يجري مع البلدان الرأسمالية .

وبعد ، يتناول الامبريالية الاسرائيلية ، بقوله : « بما ان المقصود هنا هو البلدان العربية فلا بد من الاخذ بعين الاعتبار ، علاوة على ما تقدم ، امبريالية خاصة نوعيا ، تهدد هذه البلدان ، ألا وهي الامبريالية الاسرائيلية . ان القضية معقدة ودقيقة ، وتستوجب تدقيقات كثيرة ، من الواضح انه من الصعب أن نطالب بها الناس والمجتمعات الملتزمين مباشرة في المعركة . ومعالجة القضية موضوعيا تعرضنا لاتهامات شديدة من كل الاطراف، بعضها مستوحى من مشاعر حميدة بحد ذاتها . وبما انني قد انزلقت في السير على هذا الطريق ، فسوف أواصل سيري » (ص ٥٠) .

وفي سياق تحليله وتحديده لظاهرة الامبريالية الاسرائيلية ، يقول : « انه لامر شرعي ان نعتبر ، مثلما برهنت على ذلك بالتفصيل في موضع آخر ، ان الانغراس الواسع لسكان من اليهود ، ثم تكوين دولة يهودية على الارض الفلسطينية ، بمثابة ظاهرة استعمارية تدخل في سياق توسع اوروبا الامبريالي ، مع تفاوت زمني معين . ان جماعة بشرية ، جماعة اليهود الصهاينة ، قد تكونت شيئا فشيئا في تشكيل أثني جديد ، له لغة عبرائية ، ومزود بقوة متعاظمة ، وحائز على حظوة الحماية البريطانية سنة ١٩١٧ . ولقد

استعمل هذه القوة ليلحق به قسما من سكان فلسطين الاصليين وليطرد الاخرين . واننا لا نرى من جهة ثانية كيف كان يمكن أن يتحقق بطريقة أخرى المشروع الصهيوني الموضوع بوضوح سنة ١٨٩٧ لاجل خلق دولة يهودية فوق ارض عربية . صحيح ان هذا التأصل له مزاياه النوعية ، وان المجموع اليهودي الذي كان الصهاينة يختارون منه ، كان له من جهة ثانية وبوجه خاص ما يعذره كثيرا على الاقل في ان يرى في خلق دولة يهودية علاجا للامراض التي كانت ترهقه . بقي ان هذه النتيجة قد تم الحصول عليها بفرض [التشكيل اليهودي الصهيوني] ارادته بالقوة على جماعة بشرية اخرى . وفي هذا بالذات تحديد مسيرة من الطراز الامبريالي ، حتى وان كان الامر لا يتعلق اطلاقا بقرار ماكيافيلي صادر عن كائن اسطوري يدعى امبريالية بوصفها عنصرا في خطة عالمية وضعتها هيئة اركان سرية لاجل اذلال الشعوب المحبة للحرية ، ولمص دمائها » .

ويضيف رودينسون : « كان بالامكان ايقاف التحليل عند هذا الحد ، لو ان السكان الجدد والدولة الجديدة قد قبل بهما جيرانهم » ، ويورد مثال اوستراليا التي تكونت دولتها على مثال اسرائيل ، ولكنه يسارع الى التنويه : « ولكن الامر ليس كذلك ، كما نعرف ، فيما يختص بدولة اسرائيل . فعلاوة على مسألة المسيرة الامبريالية التي ساعدت على تكوينها ، تثار مسألة النزعات الامبريالية المحتملة لدى الدولة المكونة على هذا النمط . وانه لمن الملائم تحليل الامور بجدية اكثر مما هو حال البيانات الاخلاقية والدعائية او التمثلات الاسطورية المزدهرة التي تقدم تفسيرات بسيطة لافهام بسيطة » .

وينتقل رودينسون الى تحليل الامبريالية الاقتصادية والامبريالية السياسية بالنسبة الى اسرائيل ، متمسكا بمنهجه السابق الذكر . يقول : « على الصعيد الاقتصادي ، تتمتع دولة اسرائيل بتفوق ملحوظ على جيرانها . فكتلة الرساميل المستثمرة فيها ، والعدد المتزايد للمنتجين او المنظمين من ذوي الكفاءات الاكثر تقدما في العصر الصناعي ، تؤمن تفوقها على نحو حاسم في هذا المضمار . وكما سبق لنا القول آنفا ، فان هذا يؤمن لها امكانات توسع اقتصادي على حساب الاقتصاديات المجاورة والاقل نموا منها ، وبذلك تؤمن امكانات الحد من استقلال جيرانها في التقرير الاقتصادي .

ولقد سبق لامكانات التوسع الاقتصادي هذه ان تحققت ، بأحجام ضئيلة جدا ، في نطاق فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، لمصلحة المؤسسة اليهودية (اليشوف) في فلسطين التي كان بمستطاعها ان تبيع بسهولة منتوجاتها في لبنان وسورية وضفة الاردن الغربية الخ . ولقد توقف ذلك او كاد ، بعد انشاء دولة اسرائيل وقطع العلاقات بين هذه الدولة والبلدان المجاورة . الا ان هذا التوسع استمر على نحو شبه سري بواسطة التجار العرب المستفيدين في البلدان المجاورة ، وتطور بوجه خاص بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بفضل الاجراءات التي تسهل مرور السلع على الحدود الجديدة التي توصلت اليها دولة اسرائيل . واذا قام السلام بين اسرائيل وجيرانها ، فمن الممكن بكل تأكيد أن يتطور هذا التوسع الاقتصادي بسهولة اعظم . والدول العربية يفترض فيها ، لكي تدافع عن نفسها ، ان تتخذ اجراءات حماية هامة ، خاصة وان نمو الدول العربية الى نفس مستوى دولة اسرائيل ، هو الذي من شأنه ان يضمنها ضمانا نهائيا في مواجهة امكانات السيطرة الاقتصادية هذه . ومن المؤكد ، من جهة ثانية ، ان كل اجراء حماية قد يصطدم بمقاومة ربما تكون بالغة الفعالية من جانب القوى الضاغطة التجارية داخل الدول العربية » .

ويدافع رودينسون عن فصل موضوعة الامبريالية الاقتصادية عن موضوعة الامبريالية السياسية ، اذ يقول : « خلافا لما تقول به الماركسية الدارجة عموما ، ولما يقول به القوميون غير الماركسيين الذين لهم مصلحة ايديولوجية في ذلك ، فان امكانات التوسع الاقتصادي لا تؤدي بالضرورة الى توسع سياسي . فمن زاوية اقتصادية تماما ، قد يكون بمستطاع اسرائيل ان تعيش وان تزدهر جيدا دون ان تتوسع في الاراضي ، كما هو حال النرويج او سويسرا . ان توسع اسرائيل في الاراضي لم يكن سببه العوامل الاقتصادية وانما العوامل السياسية » . ويتابع رودينسون تعليله المنحرف ، بفصل العوامل الاقتصادية عن العوامل السياسية ، وهو يدرك تماما انها عوامل مترابطة جدليا ، لا يمكن فهمها بمعزل عن بعضها بعضا ، وهو لا يجهل على الاقل بأن بنية الاقتصاد الاسرائيلي هي بنية عسكرية متطورة . ولكنه مع ذلك يواصل تفسيره — الخاطىء من حيث المنهج اصلا والذي أسماه بمنهج الماركسية المستقلة — يقول : « لقد وجدت المشاريع التوسعية فقط في بعض القطاعات

وعند بعض الجماعات الاسرائيلية في بعض المراحل. وهي ، ككل مشروع سياسي ، كانت قابلة لان تتبع وان تحد وتوسع او تترك حسب الظروف . فليس هناك توسع بحد ذاته ، وانما هناك توسع بالنسبة الى حدود معطاة . وعلى سبيل المثال ، كان هناك أولا عند القائد الاعلى د. بن غوريون وجماعته سنة ١٩٤٨ ، قبول شبه مقهور بالحدود التي يرتأيها مشروع تقسيم هيئة الامم المتحدة . ثم كان هناك ، بمساعدة الحرب ، ارادة توسع فيما يتعدى هذه الحدود . غير ان ارادة فرض الاعتراف بالدولة الجديدة على الجيران العرب كانت تقريبا ارادة عامة تقريبا وثابتة » . فهل يتفضل الاستاذ رودينسون وهو يدرك الطبيعة الامبريالية العامة — السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية لاسرائيل — ان يوضح لنا مدى صحة فصله الامبريالية الاقتصادية عن الامبريالية السياسية ، بعد ان اوقع نفسه في التناقض الصريح ، عندما استعان بتحليل تاريخي عيني ؟ ان وحدة البنية الامبريالية لا تتجزأ ، فهي على الرغم من تشعبها ، متداخلة تماما ، وأي فصل بينها كأجزاء متفاعلة ومترابطة — تتباين اولويات ممارستها : ممارسة عسكرية سياسية ام ممارسة اقتصادية — انما يعني تزوير تحليلي لمعطى واضح علميا وواقعيا . أليست الامبريالية الاقتصادية هي عمل عنفي وهي مرتبطة جذريا وعمليا بتعبيرها الامبريالي السياسي والعسكري الخ ؟

يقول متابعا : « وكان العامل الاهم هو ان الاستراتيجية التي اختارتها الدوائر الحاكمة المهيمنة ، كانت استراتيجية تتضمن استخدام القوة العسكرية بالدرجة الاولى . وليس هنا المجال لمناقشة ما اذا كانت هذه الاستراتيجية هي الوحيدة الممكنة ، ولا المجال لمناقشة تقييم هذا الاختيار ولا هدفه اخلاقيا . ومن الواضح ، في كل الاحوال ، وحتى الان ، انه لم يترتب عليها هذا الاعتراف الكلي والكامل من قبل الدول العربية ، وانما ترتب عليها توسع في الاراضي بعد الدينامائية التي سارت بها هذه الاستراتيجية . وبهذا المعنى ، كانت هناك فعلا مسيرة امبريالية اسرائيلية . وهذا واضح بشكل خاص بعد مضي ٤ سنوات على حرب حزيران ١٩٦٧ ، اذ نرى ان الحكومة الاسرائيلية ترفض بوضوح الجلاء عن الاراضي المحتلة مقابل اعتراف الدول العربية بها».

وبعد هذا المدخل الملتوي الى مشكلة الامبريالية الاسرائيلية العسكرية والسياسية ، ينتقل رودينسون فورا الى تبريرها،واللعب على معطيات المشكلة ذاتها : فهو من جهة يقول : « حقا يمكن القول ان هذا التوسع ناتج عن رفض الدول العربية، ومن ثم عن رفض الجماهير العربية الاعتراف بتكوين دولة جديدة » . ويقول من جهة ثانية « ولكن هذا الرفض ذاته ناجم عن الطبيعة الامبريالية لتكوين الدولة » . ومجددا يعود الى فكرة تبرير التوسع الاسرائيلي — اذا كنا قد أحسنا فهم الكاتب — حينما يقول :

« ان القول بأن دولة اسرائيل قد توسعت لانها كانت ذات طبيعة توسعية ، انما يقودنا الى مغالطة اطباء موليير » . كيف ؟ هنا يوضح الكاتب رؤيته ويكشف موقفه السياسي : « اذا استمرت الدول العربية في رفض الاعتراف باسرائيل ، اللهم اذا لم تنسحب اسرائيل من أراض لا يمكنها الانسحاب منها ، واذا استمرت اسرائيل من جهة ثانية في رفضها التفاوض حول الاراضي مقابل السلام ، فمن الواضح ان حالة الحرب ، الخفية على الاقل ، سوف تستمر . وفي هذا الوضع ، تجد الحكومة الاسرائيلية نفسها معرضة باستمرار لاغراء احتلال أراض أخرى ، وربما ان مزالق الصراعات المقبلة ستدفعها قدما بشدة . وكل شيء سيتوقف على الحساب الاستراتيجي للقادة الاسرائيليين الذين سيوازنون بين الفوائد والعوائق التي ستواجههم من جراء ضم اراض جديدة » .

ألا يعني هذا ان رودينسون بات يعتبر ان رفض العرب الاعتراف باسرائيل — التي يعتبرها هو نفسه دولة امبريالية — هو السبب الراهن لعدوانية اسرائيل ولاحتلالها اراض عربية بالقوة وامكان اقدامها الان او غدا على احتلال جديد؟ هذا واضح بلا شك ، وهو من صلب منطقه . ولكنه ، مع الاسف الشديد يتهم العرب بأنهم يسيئون فهم مشكلة صراعهم مع اسرائيل عندما يؤكدون على خطرها الراهن والمقبل ، ويخرجون بنتيجة واحدة هي ان مكافحة هذه الامبريالية وحلفائها ، وتحرير فلسطين المحتلة هو السبيل الوحيد لاستقلال فلسطين وعودة الشعب العربي الفلسطيني اليها.

فما هو رأي الاستاذ رودينسون ؟

يقول « هناك ايضا وضع آخر يمكن ويجب توقعه . فلنفترض ان سلاما قد حل بين اسرائيل (المتوسعة نسبيا) وبين الدول العربية المجاورة ، الداخلة معها في معركة فعلية ، فانه من غير المحتمل ان

تتوقف مطالبة الفلسطينيين بسبب هذا الواقع . والحق انه ليس من المستحيل ان تتصاعد هذه المطالبة وان تتمكن من التوصل الى صدام عسكري . ولا يجوز ان ننسى ان كل صدام عسكري للفلسطينيين وحدهم مع اسرائيل هو صدام صعب، لكونهم لا يستطيعون الانطلاق الا من قواعد واقعة في البلدان المجاورة ، ولانه اذا كان هناك سلام فعلي ، فان اسرائيل يمكنها بكل وضوح مطالبة الدول المجاورة بعدم تقديم قواعد كهذه . وربما تستطيع الحركة ان يكون لها قاعدة داخلية في الاراضي الواقعة تحت سيطرة اسرائيل . ولكن في الحالة التي رسمت خطوطها الكبرى ، حالة قيام انتفاضة خطيرة فعلا على اسرائيل ومتطورة داخل حدودها ، فان اسرائيل تملك سلاحا يبدو انه لا مرد له : انه امكان طرد كل او على الاقل اكثرية السكان العرب » .

بعد هذا الغوص في التصورات ، والابتعاد عن رؤية الواقع الصدامي بين العرب والاسرائيليين ، يقفز رودينسون الى نقد التصور العربي واليساري عن الامبريالية الاسرائيلية ، واصفا اياه بأنه « تصور اسطوري للامبريالية » . ولكن ما هو مستنده فيما يقول ؟ « انه استعمال الامبريالية بدلا من استعمال تعابير واضحة مثل الحكومة الاميركية ، الاقتصاد الاميركي ، الاقتصاد الرأسمالي ، الحلف الاطلسي الخ » . فهل اطلع الاستاذ رودينسون على الادبيات العربية واليسارية حتى يصدر مثل هذا الحكم المبتسر ؟ وما هي المواقف — الاهداف التي يريد بلوغها ؟

يقول « اذن يمكن الاعتبار بتحفظ ان البلدان العربية خاضعة لتهديد امبريالية اقتصادية اسرائيلية في حالة السلام ، ولتهديد امبريالية اسرائيلية سياسية في حالة استمرار الوضع الحربي . انهم يستطيعون الخلاص من الامبريالية السياسية اذ يعقدون السلام وفقا لشروط اسرائيل ، اي بقبولهم الاستسلام لنتائج امبريالية سياسية سابقة ، والا فان استمرار حالة الحرب يفرض عليهم في آن واحد خطر توسع مقبل اكثر عمقا وضرورة تكريس جزء هام جدا من مواردهم للجيش، وهذا يضغط ضغطا واضحا على امكاناتهم الانمائية أي على استقلالية تقريرهم الاقتصادي . وفي حالة السلم ، سواء قبلوا الشروط الاسرائيلية الراهنة ام اعتدلت هذه الشروط واصبحت مقبولة من جانبهم في المستقبل ، فان الدفاع ضد الامبريالية الاقتصادية الاسرائيلية قد يكون بكل وضوح اكثر سهولة بكثير ، ولربما سينحصر في بعض تدابير الحماية » . وهذا يعني بكل بساطة : استسلموا لاسرائيل سياسيا حتى تسلموا اقتصاديا . ولكن هل لهذا الكلام من معنى ؟ ان سبب كل هذا التناقض في منطق رودينسون يعود الى فصله الاعتباطي ما بين الاقتصادي والسياسي ، وهذا منطق غير ماركسي وغير يساري على الاطلاق . ولكن رودينسون يستمر في استعراض جميع الاحتمالات الممكنة ، وهنا لا يستبعد حالة الانتصار الشامل للعرب على اسرائيل ولكنه سرعان ما يستدرك : « الا انه يبدو ان افقا كهذا ليس له ادنى حظ في ان يتحقق في مدى من الزمن يدخل في توقعاتنا وحساباتنا . اذن لن نأخذه بعين الاعتبار هنا » . ويعود الى احتمال آخر : تبدل البنى الداخلية لدولة اسرائيل ، بحيث يصل الى الحكم فيها جماعة تطبق « استراتيجية سلمية » . وماذا يعني بذلك ؟ « يعني بذلك استراتيجية سياسية ترمي الى تحقيق هدف اسرائيل الاول ، وهو اعتراف الدولة المجاورة بها ، كتشكيل شرعي ، بواسطة اساليب تستبعد الحرب وضغط القوة العسكرية كأسلحة رئيسية. ومن دلائل هذا التوجه مثلا التفاوض على اساس الانسحاب من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ مقابل الاعتراف بها...». وهذا يعني ان رودينسون لا يرى حلا آخر لمشكلة فلسطين سوى الحل الاسرائيلي ، وانه يستبعد كليا آفاق الحل العربي والفلسطيني . ويعتمد في موقفه هذا على ما يسميه « ازالة صهيونية اسرائيل» (désionization d'Israël). ولكن هل من المحتمل ان تخرج اسرائيل من صهيونيتها ؟ وهل يفترض بالعرب عامة ، والفلسطينيين خاصة ان ينتظروا حدوث مثل هذا الخروج ، مثلما كان اليساريون الفرنسيون ذوو الاستعلاء على نضال الشعب الجزائري يطلبون منه انتظار معجزة يسار المتروبول ؟ أليس كفاح العرب والشعب الفلسطيني ضد الصهيونية هو الذي يزيل صهيونية اسرائيل بالتحديد ؟

٢ — استشهادات أخرى عن القضية الفلسطينية:

ان ما عرضناه حتى الان ، ربما يشكل صلب الرؤية السياسية عند رودينسون فيما يختص بعلاقة فلسطين بالاستقلال العربي ، وبوحدة العرب التي يعتبرها « احتمالا من بين عدة احتمالات » وهي

« ليست ضرورة » . ولكن رودينسون يورد في كتابه استشهادات اخرى عن القضية الفلسطينية، موزعة على النحو التالي :

أ — يتناول رودينسون (ص ٢٣٦) موضوع « الاسلام عامل سياسي في مصر بعد عبد الناصر ؟»، فيقول : « ان اتخاذ المواقف من الصراع الاسرائيلي — العربي يلعب دورا كبيرا . ويعتبر البعض انهم يستطيعون وصف الدول العربية بانها ثيوقراطية في مجملها ، معتقدين انهم بذلك ينالون من صوابية مآخذ العرب على اسرائيل ، اذ يضيفون هذه التهمة الى التهم الاخرى التي يصفون بها هذه الدول . انه مسار مشكوك بأمره، من حيث المنطق السليم ، فضلا من كون العرب الاكثر نضالا ضد اسرائيل هم بكل وضوح أولئك الذين ينددون بهذه المثالب تنديدا أكثر صرامة من سواهم » .

ب — يتحدث (ص ٢٥٨) عن هوية اعداء التطلعات القومية العربية المعادية للفاشية ، ويحصرها بما يلي : بريطانيا العظمى ، فرنسا ، اليهود (في مرحلة صعود الفاشية في الحرب العالمية الثانية).

ج — في الحرب العالمية الاولى نالت « الجاليات اليهودية الصغيرة في فلسطين حقوقا خاصة » (ص ٣٤٨) . ويقول الكاتب (ص ٣٢٠): « ومنذ عام ١٩٢٠ ، تعزز الوسط اليهودي في فلسطين ، مع عناصره العمالية ذات النزعة الاشتراكية ، والقادمة من اوروبا الشرقية . وكان هذا الوسط يقدم تربة خصبة لنمو الحركات الاشتراكية والنقابية ، المبتعدة في معظمها عن الشيوعية بسبب مواقف البلاشفة المعادية للصهيونية » . ويضيف (ص ٣٥٢) : « ان الحركة [الشيوعية] بادىء الامر لم تكن تملك الا عدد يهود فلسطين نواة من المناضلين الحسني التكوين وفقا للقواعد الجديدة ، وتعيش في البلد نفسه . ولكن اولئك المناضلين لم يكونوا فعالين بوجه خاص على اثر التناقض الداخلي بين معارضتهم المبدئية للصهيونية وبين انتمائهم الى مجتمع خلقته الصهيونية وحافظت عليه . وكان الكومنترن قد أوصاهم بـ « تعريب » الحزب [الشيوعي الفلسطيني] ، الامر الذي أدى الى مصاعب وتمزقات وانشقاقات وعدم انضباط واستقالات » . ويتابع (ص ٣٥٣) : « ان اشتراكية الاممية الثانية لم تكن جذابة للجماهير الشرقية الا قليلا ، ما عدا يهود فلسطين ... » . ويقول (ص ٣٥٥) : « وفي فلسطين فقط ، سهلت العوامل العالمية بعض التسهيل مهمة الشيوعيين في مواجهة القضايا البالغة الخطورة التي كان يثيرها اتجاه الجماعة اليهودية نحو تكوين دولة يهودية، تدينها ايديولوجية الحركة [الشيوعية] » .

د — يستعرض (ص ٣٥٦) اثر موقف الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٧ على الاحزاب الشيوعية العربية فيقول : « أدى موقف الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٧ ، من تقسيم فلسطين ، اذن من خلق دولة اسرائيل الى التقليل من اعتبار الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية ، تلك الاحزاب التي كانت تبرر التطور السوفياتي على مضض ... وفي المقابل استطاع اليهود الفلسطينيون اخيرا ان يتخذوا موقفا اكثر ترابطا مع موقف شعبهم . فظهروا وطنيين ومتطرفين في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ » . « وفي العالم العربي ، ادت حرب فلسطين الى الفقدان النهائي لكل ثقة ممنوحة للاجهزة الحاكمة ، والى توطيد حاسم للاتجاهات الثورية . وسوف تطبع هذه الموجة الثورية الجديدة بتأثير حاسم للافكار الماركسية ، في حين ان الشيوعيين ، عموما ، ما عادوا يلعبون فيها سوى دور ثانوي نسبيا . ففي غضون الحقبة السابقة ، اخترقت الافكار الماركسية مجمل المجتمعات الشرقية » .

هـ — يتناول الكاتب دور الفلسطينيين في الاردن فيقول (ص ٣٦٠) : « وفي الاردن لم يتمكن النظام المحافظ والموالي للغرب من منع القوى الاشتراكية من الاضطلاع بدور هام في سياسته الداخلية . والفلسطينيون منشغلون بشكل رئيسي بكفاحهم ضد اسرائيل ، ذلك الكفاح الذي ازداد استقلالا ووحدة بعد عام ١٩٦٥ . ولكنهم غالبا ما يتأثرون بالماركسية ، والعوامل الخارجية تدفعهم نحو البحث عن الدعم الصيني » ويوضح في هامش الصفحة (٣٦٠) : بعد كتابة هذه الاسطر ، تكاثرت التحليلات ذات النمط الماركسي في اليسار الفلسطيني .

و — في الصفحة (٣٦١) ، يتناول رودينسون نوع النظام السياسي في اسرائيل ، قائلا : « وفي اسرائيل كان التطور مختلفا تماما . ففي الحكم حزب اشتراكي (في حكومات ائتلافية) بدون انقطاع منذ قيام الدولة . ولكن المقصود بذلك

اشتراكية بالغة الاندفاع للدفاع عن مصالح الاجراء في نطاق اتفاق مع المنشأة الحرة ، ومع ابقاء النظام البرلماني ، كما في بريطانيا العظمى والسويد . يضاف الى ذلك ان هذا الدفاع مرتبط تماما بالمصلحة القومية . كذلك هو الحال في بعض البلدان العربية ولكن المصلحة القومية تدفع العرب لمكافحة الاندراج في العالم الرأسمالي الصناعي الذي يهدد استقلالية تقريرهم ، في حين ان اسرائيل تبحث بشكل واضح عن دعم سياسي في هذا العالم الذي تربطها به اواصر وطيدة ، والذي تساهم فيه الى حد معين . ويحاول الاشتراكيون المعارضون (وحزب المابام في مقدمتهم) ان يوفقوا المصلحة القومية مع اتجاه اكثر ثورية نحو تمشرك أعمق في الاقتصاد ونحو الارتباط مع الدول التي تحقق فيها هذا التمشرك (Socialisation) وكذلك مع الحركات الثورية العالمية . وعمليا لقد ضحوا في الفترات الحاسمة بهذا الاتجاه في سبيل المصلحة القومية ، وكذلك فعل معظم الشيوعيين اليهود سنة ١٩٦٥ . وهناك أقلية ضئيلة من اليهود اتحدت مع العرب في اسرائيل للبحث عن سبيل آخر ، الامر الذي يمكنه ان يؤدي الى رفض الاساس الصهيوني لدولة ذات سيطرة يهودية تضمنها اجراءات عضوية » . ويضيف الكاتب ما يلي في هامش الصفحة (٣٦١) : « هنا ايضا سأكتفي بالاشارة الى كتابي « اسرائيل والرفض العربي » والى المراجع التي يذكرها . فمنذ ذلك الحين ، تطورت حركة رفض عنيفة في اوساط الشبان من الفئات اليهودية المحرومة ، المنحدرة من العالم الثالث (فهود سود او بيض). وهذه الحركة لا تدين اطلاقا السمة القومية للدولة . وترفض الجماعة التروتسكية الصغيرة (متسبن : المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية) الموضوعات الاساسية التي تقوم عليها الدولة الصهيونية ، ويمكن لآرائها ان تبدو احيانا ذات صلة بآراء الحركات الفلسطينية ، ولكن مع فارق هو أن متسبين ، خلافا للفلسطينيين ، تقبل بواقع التكوين الجديد الاثني الاسرائيلي — اليهودي (وليس جماعة دينية يهودية) ، ذي الحق في في بنية سياسية مستقلة ، غير واضحة من حيث طبيعتها . وان انشقاقات جديدة (شملت بضعة أفراد) قد سلخت من متسبين بعض التروتسكيين « اللمبرتيين » الذين يتهمونها بالانحياز غير الكافي الى المفهوم الماركسي اللينيني الدوغمائي للحزب الطبقي ، وبعض (الماويين ؟) ، القريبين من موضوعات الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين ، الذين ينددون بأفكار متسبين عن فلسطين المقبلة ، القائمة على اساس نظام خاص بالشعب الاسرائيلي — اليهودي .

ز — يشدد رودينسون على «ان الرفض الاسرائيلي لاتفاق مشرف ، تقبل به الدول العربية ، قد أسهم بقوة في تطور العالم العربي نحو اليمين ، واضعا في رأس اهتماماته الراهنة هدفا قوميا جوهريا ، مهما قال في ذلك الفلسطائيون : انه هدف الكفاح ضد اسرائيل » . ويشير ، من جهة ثانية الى ان اليساريين العرب وجهوا انتقادا شديدا للاحزاب الشيوعية العربية التي كانت ، في العشرينات ، على صلة بالحزب الشيوعي الفلسطيني ، ويوضح ان الشيوعيين اليهود المقصودين ، بهذه الصلة ، كانوا من الد اعداء الصهيونية ، وكانت قرارات الكومنترن توجههم أكثر فأكثر في هذا الاتجاه : « صحيح ان اولئك الذين كان يفترض بهم ، في البداية ، ان يتجهوا نحو الشيوعية ، كانوا قد قدموا الى فلسطين في اطار الايديولوجيا الغامضة للصهيونية المتمركسة ، اي جاءوا بفكرة « تجدد » يهودي يمكن حدوثه في فلسطين بدون الاساءة للعرب بل وبالتعاون معهم . وسرعان ما سقطت هذه الاوهام بعد الاحتكاك بالواقع ، وايضا تحت تأثير توجيهات الكومنترن المعادية للصهيونية ، فانفصل عن الشيوعية اولئك الذين كانت الايديولوجيا الصهيونية أشد وطأة عليهم ، والذين ظلوا في الحزب الشيوعي الفلسطيني كانوا يتميزون بعداء شديد للصهيونية ، فوجهت اليهم اكثرية متحدهم القومي الآخذ في التكون ، اتهامات الخيانة مرارا وتكرارا . ولا بد من التشديد على ان الاوهام عند العرب كانت في تلك المرحلة بالغة التعدد مثلما هو الحال عند اليهود ، وان القيادة « الاقطاعية » للحركة القومية العربية واتجاهاتها غالبا ما كانت تصب على شعارات عنصرية ودينية ، قلما كانت تحرك التقدميين من اليهود وغير اليهود ، ليمنحوا العرب ثقتهم العمياء » (ص ٤٢٣ — ٤٢٥) .

ح — ويضيف رودينسون ، في معرض حديثه عن « الاحزاب الشيوعية في مصر وسورية » ان الاوساط اليسارية كانت تحت تأثير قوة خارقة

من الدعايات المتعددة المصادر والمعادية للعرب ، ومنها : الصور المشوهة السائدة في الادبيات الاستعمارية ايام العصر الذهبي للامبراطورية الفرنسية ، وفي الادبيات التقليدية للارساليات ، وكذلك روايات التجسس والدعاية الاسرائيلية (ص ٤٢٧) .

ط — لا يتناول رودينسون مباشرة وبالتفصيل مسألة « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، وانما يشير في هامش الصفحة (٤٢٩) الى ما يلي : « سنجد ، حول الحركة الشيوعية في فلسطين الواقعة تحت الانتداب ، معطيات هامة ومعاشة ، في كتاب بالعبرية للقائد السابق جوزيف برجيه (الذي صار اسمه بارزيلاي) . وفي هذا الكتاب يتحدث برجيه عن محادثات طويلة اجراها في اذار عام ١٩٢٩ مع ستالين ، بحيث جرى بحضوره لاول مرة (وربما لآخر مرة) درس مشكلة الصهيونية الفلسطينية وعلاقاتها مع الحركة القومية العربية . وكان الخط المقرر هو تعريب الحزب [الشيوعي الفلسطيني] والكفاح ضد القيادة الرجعية للحركة القومية العربية . وأرسل مندوب ، هو التشيكوسلوفاكي ب. سميرال الذي كان من واجبه ان يدرس الوضع وان يتخذ قرارات . ولقد انقطع الاجتماع السري للقادة [قادة الحزب] مع المندوب (الاجتماع الذي عقد في قرية بيت صفافا على بعد ٨ كيلومترات من القدس) ، بسبب الحركات العربية الخطيرة المعادية لليهود والتي انفجرت في آب ١٩٢٩ » . والجدير بالذكر ان كتاب برجيه قد صدر في تل ابيب سنة ١٩٦٨ — بعنوان :

(Y. Y. Berger Barzilay: hat-trâgédyâh shèl ha-mahpékhâh ha-sôvyètit, Tel Aviv, 'Am 'ôvéd, 1968).

ط — وفي سياق تناوله لموضوع « التطور نحو الحياد ودور الشيوعيين في سورية » يشير الى علاقة حلف بغداد باسرائيل . يقول : « كان حلف بغداد هو قطرة الماء التي جعلت الاناء ينضح ، أي انه كان محاولة خاطئة ترمي الى اعطاء تركيا مكانة هامة في الشرق الاوسط . وهذا الامر أثار كثيرا من المخاوف عند العرب الذين كانوا ، منذ وقت غير بعيد ، تحت السيطرة التركية ... ان تركيا ذات الماضي العلماني الحديث ، والحليفة لاسرائيل ، لم تكن لتثير سوى الحذر في اوساط الجماهير الدينية والوطنية » (ص ٤٣٤ — ٤٣٥).

ي — اما فلسطين قوميا ، فيشير رودينسون اليها في معرض حديثه العام عن « الماركسية والقومية العربية » ، وبشكل خاص صفحة (٤٦٢ — ٤٦٦) حيث يتحدث عن « الايديولوجيا الجديدة » عند العرب :

— لقد تميزت سياسيا مرحلة ما بين الحربين في الشرق الاوسط بنوع من التواطؤ بين بريطانيا العظمى والسلالة الهاشمية (عائلة الشريف حسين) ، فترك قسم للفرنسيين (سورية ولبنان) وأعطي قسم للصهاينة (بؤرة يهودية في فلسطين).

— والعرب بدلا من ان يتوحدوا ، كان الانقسام بين صفوفهم في درجته القصوى ، في حين كان جزء من فلسطين يعطى للمهاجرين الاجانب ، للصهاينة الذين لا يخفون نيتهم في انشاء دولة خاصة بهم ، وهكذا لعبت جبهة الاعداء دورا كبيرا : وهذه الجبهة كانت تضم الامبريالية الانكلو — فرنسية واليهود ، بينما لم يكن العرب — باستثناء العنصرية السورية التي نادى بها انطون سعاده — عنصريين لا ايديولوجيا ولا سياسيا .

— في ايار ١٩٣٩ ، كان « الكتاب الابيض » في فلسطين يرمي الى الحيلولة (كذا) دون تحول الجالية الصهيونية الى دولة ذات اكثرية يهودية... وفي حرب فلسطين سنة ٤٧ — ١٩٤٨ كان البريطانيون يدعمون العرب بشكل شبه سري (كذا) . وكان النشاط المعادي للامبريالية الفرنسية واسرائيل يعبىء الشعور القومي العربي الى أبعد حد . من جهة ثانية كانت قوى حلف الاطلسي ترمي الى ادخال الدول العربية في تحالف عسكري معاد للسوفيات ، وفي الحقيقة لم يكن العرب ضد السوفيات ، ولم يكونوا يعتبرون الشيوعية خطرا عليهم ، وانما كانوا حذرين من القوى الغربية وانصارها في الارستقراطية العربية ، ومن العناصر الغربية التي كانوا يريدون ان تتحالف الدول العربية معها ، والتي كان يعطى لها دور قيادي في الشرق الاوسط ، وهذه العناصر الغربية هي : تركيا واسرائيل . وهذا كله عزز عند العرب فكرتي الوحدة والاستقلال المترابطتين بالتوق الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

— وفي بداية عام ١٩٥٥ ، جاء حلف بغداد (بريطانيا العظمى ، تركيا ، العراق ، ايران ، الباكستان) ليستفز الشعور القومي العربي مرة اخرى .

س — يعود رودينسون ، ثانية ، الى العشرينات، مشيرا الى نداء الاممية الصادر في تموز ١٩٢٠ ، والموجه الى شعوب الشرق الاوسط ، والذي يدعو ايضا لانعقاد مؤتمر باكو . وهذا النداء خصص في توجهه فلاحي بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية ومصر وفلسطين . ونورد منه :

« اننا ندعوكم الان لشن اول حرب مقدسة صحيحة تحت الراية الحمراء للاممية الشيوعية ... ».

« انهضوا جميعا نهضة رجل واحد لشن حرب مقدسة ضد الغزاة الانكليز ... ».

« هبوا ، ايها العرب والافغان ، الضائعين في الصحارى الرملية والمنقطعين عن العالم بأسره ، بسبب الانكليز ... » .

« انها لحرب مقدسة لاجل تحرير شعوب الشرق ، حتى لا تعود البشرية منقسمة الى مضطهدين (بكسر الهاء) ومضطهدين (بفتح الهاء) ، ولاجل المساواة التامة بين جميع الشعوب والقبائل ، مهما كانت اللغة التي تتكلمها ، ومهما كان لون جلدها ، والدين الذي تؤمن به ... » .

هذا ولم يلق هذا النداء صدى في العالم الاسلامي الا حيث كانت تتوفر امكانات الكفاح الوطني . ولم تؤسس احزاب شيوعية او تنظيمات مماثلة الا في الحلقات الاجنبية داخل البلدان العربية ، في مصر وفلسطين . ويوضح (ص ٤٧٩) : « كانت الحركة الشيوعية في فلسطين ، محصورة بجماعات يهودية صغيرة ، كان موقفها المعادي للصهيونية ، في وسط صهيوني او « متصهين » على الاقل ، موقفا عاجزا بالقوة ومن حيث التحديد .

ع — وفي سياق بحثه عن « الثورة البروليتارية والوفاء للاتحاد السوفياتي » ينقل رودينسون (ص ٤٨٤) النص التالي من مقررات الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني سنة ١٩٣١ :

« ان الكفاح لاجل الاستقلال الوطني والتوحيد الوطني للشعوب العربية على اساس السيادة الشعبية يرتبط ، في سورية وفلسطين ومصر ، بالكفاح لاجل ثورة زراعية فلاحية موجهة ضد النهابين الامبرياليين وعملائهم الصهاينة في فلسطين، وكذلك ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين المحليين». ويوضح الحزب الشيوعي الفلسطيني في قرار اتخذه مؤتمره المنعقد سنة ١٩٣١ : « ان الحزب الشيوعي يعتبر ان الحل الوحيد للقضية الفلاحية يكمن في كفاح ثوري انتفاضي للفئة الرئيسية من الجماهير الفلاحية بقيادة الطبقة العاملة التي يوجهها حزبها الشيوعي ضد الامبرياليين والصهاينة والملاكين العقاريين العرب » .

وهذا يعني انه بدأت تظهر في الحزب الشيوعي الفلسطيني والسوري ، علاقات بين المطلب القومي والمسيرة نحو الاشتراكية . ولكن ضعف هذه المجموعات في تلك الفترة لم يؤد الى شيء آخر سوى ان هذا النوع من العلاقات بين النضال القومي التحرري والنضال الاشتراكي كان بذرة لتطور مقبل (ص ٤٩٩) . اذن كانت مهمة الماركسيين ان يؤسسوا قومية اشتراكية ، معادية للامبريالية وللرأسمالية (ص ٥١٥) .

ف — يشير رودينسون (ص ٥٢٠) الى « ان الفكرة التي اقترحتها « الحركة الصامية » الاسرائيلية [التي يتزعمها اوري افنيري] ، والقائلة باتحاد دول آسيا الغربية وافريقيا الشمالية ، تبدو بوجه خاص ، كفيلة بالتوفيق بين العوامل التي يجدر اخذها بعين الاعتبار [مهما كان التفكير في مصدرها] » .

ص — عن فلسطين ونجيب عازوري ، يقول رودينسون (ص ٥٩١ — ٥٩٢) : « ان افكار الكواكبي قد تناولها وطورها المسيحي السوري — الفلسطيني نجيب عازوري (المتوفى سنة ١٩٣٦)، الذي أسس في باريس (مع يوجين يونغ الموظف الفرنسي الكبير) « رابطة الوطن العربي » ، ونشر كتابا بعنوان « يقظة الامة العربية في آسيا التركية » (باريس ، منشورات بلون ، ١٩٠٥)، وانشأ مجلة « الاستقلال العربي » (باريس ١٩٠٧ — ١٩٠٨) . وكان اول من نادى بامبراطورية عربية مستقلة . ولكن انتماءه الى اقلية ، وواقع ان دعايته قد نشرت بالفرنسية فقط ، وعلاقاته المحتملة مع السياسة الفرنسية الاستعمارية ، قد اساءت كثيرا لتقبل افكاره » .

ق — يعود في الصفحة (٥٩٣) الى الحديث عن تآمر بريطانيا العظمى على فلسطين بعد فصلها عن سورية ، وفتح ابوابها امام الاستعمار اليهودي ، تنفيذا لوعد بلفور الصادر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وللاتفاقية السرية المعقودة سنة ١٩١٦ بين سايكس وبيكو .

ويتناول في الصفحة (٥٩٤) تناولا سريعا حركات التمرد الكبرى في البلدان العربية بعد الحرب

العالمية الاولى ، فيذكر : انتفاضة مصر سنة ١٩١٩ ، انتفاضات فلسطين سنة ١٩٢٠ ، الانتفاضة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ . ويقول ان حركات التحرر العربية الفعلية كانت قليلة ومرتبطة في أغلب الاحيان بظروف محلية: الانتفاضة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٧) ، حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق (نيسان — ايار ١٩٤١) ، التي يجب ان تضاف اليها انتفاضة عبد الكريم ، البعيدة في المغرب (١٩٢١ — ١٩٢٦) . ولكن استياء الشعوب قد تجسد في حركة متواصلة من الاضرابات والتظاهرات والانتفاضات الصغيرة ، التي كانت بالطبع تشدد من اعمال القمع ضدها . هذا ولم يتوصل العرب الى صياغة سياسة مشتركة ، فكانوا يتفقون على صعيد الدعاية ويختلفون على صعيد العمل الملموس . وفي سنة ١٩٤٨ مني العرب بهزيمة أليمة سددتها لهم دولة اسرائيل الجديدة ، وهم متفرقون وعلى رأسهم قيادات فاسدة ، الامر الذي زاد من حدة حرمان العرب وآلامهم (ص ٥٩٥ — ٥٩٦) . ويشير رودينسون الى ان الشعور القومي العربي قد ازداد تعمقا بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦ .

واخيرا لا بد من ملاحظة ختامية وهي ان الاستاذ مكسيم رودينسون لم يدخل حركة مقاومة الشعب الفلسطيني منذ ١٩١٩ حتى الان في سياق تحليله، وهذا نقص فادح في كتاب يتناول الموضوع العربي والاسلامي من كافة جوانبه . بقي ان نناقش معطيات هذا الكتاب وان نقيم بالتفصيل ، لان الحوار من زاوية علمية وملتزمة ، من شأنه ان يغني تجربتنا الفكرية والثورية .

الدكتور خليل احمد خليل

توفيق فياض ، **الشارع الاصفر**
(دار العودة ، بيروت)

في مجموعة توفيق فياض القصصية « الشارع الاصفر » يتكوم الانسان الفلسطيني تكوما جريحا حول ارضه . يدخل في جسدها مداويا قروحها ، ومتشبثا بها بنضالية ثورية مليئة بالعنف والتحدي. انه لا يجد نقطة ارتكازه خارج الارض.فهي المنطلق والهدف في آن . واذا كان الشعر الفلسطيني المعاصر ، لا سيما شعر الارض المحتلة ، يتكون حول الارض ، ويرسم اطاراته في حدود علاقة الانسان بها ، فان هم توفيق فياض هو تحويل الانسان الى جزء من هذه الارض وتحويل الارض الى امتداد للانسان . فالحدود تتساقط . وهاجس المقاومة ينصب على التشبث بالبقاء داخل الارض المحتلة بالرغم من سوداوية الافق ، وصعوبة فتح كوى في داخله من أجل الوصول الى الشمس والحرية .

لقد استطاعت القصة الفلسطينية ، ان تكتشف ارضها الغنية والفكرية الخاصة بها . وهي بذلك تشكل مساهمة جادة في اغناء الادب العربي المعاصر بالكثير من الابعاد التي تميز علاقة الانسان الفلسطيني بأرضه فلقد استطاع غسان كنفاني ان يصل الى رصد علاقة الانسان بالموت ، عبر تحويله للموت من مجرد حدث فردي او جماعي ، الى فعل تاريخي تتحدد اطرافه عبر علاقة الانسان بالارض وعبر ممارسته النضالية ومسيرته نحو هذه الارض . كذلك استطاع اميل حبيبي ان يكشف علاقة الفلسطيني بوطنه ، عبر اكتشافه للعلاقات الانسانية الحميمة ، لليوميات والجزئيات التي تندرج في كل نضالي يرفع صوت الصمود والقتال ويمجد الانسان . ويأتي صوت توفيق فياض . انه صوت يكتشف تقنية العمل الابداعي من خلال العملية الفنية نفسها ، ويكتشف الانسان من خلال اطار القمع ورد الفعل تجاه القمع حيث يصير الانسان ، نشيدا قرويا ينحدر في السهول ويصعد الجبال ، حاملا علامة فلسطينيته في جراحه وفي اصراره على الصمود .

تتمحور مجموعة الشارع الاصفر حول ثلاثة محاور:

١ ــ القمع الاسرائيلي ونقاط تمفصل المقاومة الشعبية .

٢ ــ الارض وعلاقة الانسان بها .

٣ ــ البعد الانساني للفعل التاريخي .

هذه المحاور الثلاثة تندمج داخل العمل الفني . وتأخذ لنفسها اطارا واحدا هو الارض الفلسطينية وضرورة البقاء فيها .

١ ــ القمع الاسرائيلي ونقاط تمفصل المقاومة الشعبية :

لعل قصة « الشارع الاصفر » وهي اولى قصص المجموعة تشكل وثيقة اتهام كاملة لاشكال القمع الوحشي الذي يمارس ضد عرب الارض المحتلة . وتوفيق فياض يضع نفسه في حيفا « في الغيتو العربي في حيفا » حيث يصل القمع الى درجة جنونية . فالشرطة التي تعتقل امين سعد في تظاهرة « نظمها شلة من الزعران العرب » تمارس معه أبشع انواع التنكيل والبطش والارهاب . الانسان يتحول الى خرقة تتكوم في بئر عميقة لا يصلها شيء بالحياة . والسلطة تقمعه في حياته الشخصية عبر الضغط المادي على خطيبته وداد كي تتركه . ان ثقل الموضوع كله ينصب على ناحيتين : من **جهة اولى** هناك الوجهاء العرب في حيفا الذين باعوه وباعوا أنفسهم للمحتل . ومن **جهة اخرى** هناك ضراوة القمع الذي يتعرض له المناضل في الارض المحتلة. وفياض حين يحاول تصوير الجانب الاول من الموضوع فان بطله امين سعد يكتفي بالتقيؤ على المارة من شرفة منزله ، او هو يقوم باشعال النار حيث يرقص وجهاء العرب ليلة رأس السنة . اما حين تتعرض ريشته للجانب الثاني من الموضوع ، فان عنف القمع يصل به الى وصفه بشكل سوريالي « قبل لحظات معدودة فقط ، كان يعلق من كعبيه في حانوت قصاب وسط سوق عكا ... وقد شرع القصاب في تقطيع اوصاله وهو لا يزال حيا ، دون ان يستطيع الكلام ، كان ينظر اليه وهو يقطع يديه على الجذع ، ويضع قطعها على الطاولة ! ثم ما لبث ان قطع رأسه ووضعه الى جانب يديه !!... » القمع يصل حافة الجنون وتصويره بشكل كلاسيكي قد يوقع الفنان في تبسيط الموضوع او في التقليل من أثره . من هنا يقفز الكاتب الى الوصف غير الواقعي ، ليصور واقعا معاشا . فسوريالية هذا المقطع ، ــ الغرق في كابوس مرعب ــ هو واقع يومي يعيشه الانسان العربي المسحوق تحت احذية الغزاة . لكن القصة لا تتوقف عند حدود وصف الواقع ، انها تبحث لنفسها عن المخرج . وهنالك بالفعل مخرج سهل الهجرة « انك تعيش هنا في قبر ! شعبك كله هنا يعيش في قبر ، مظلم ، قاتم ! وطنك هذا الذي لك،وليس لك،لماذا لا تهجره ؟ لماذا!؟»جواب امين سعد على هذا التساؤل يأخذه من اطفال شعبه من اغانيهم : « لاني اذا هجرتك يوما تهجرني روحي واذا نسيتك ينساني الفرح » .

اما اليأس من النضال ، والانزواء خارج حلبة القتال ضد المحتل ، فان اصوات المتظاهرين وهتافاتهم تصير حركة فعل تاريخي تخرج الانسان من يأسه الفردي ، وتحيله الى لحن في اغنية نضال جماعية .

اذا كان القمع الاسرائيلي يظهر في قصة « الشارع الاصفر » واضحا فانه في بقية قصص المجموعة ، يصبح رمزا يفتك بالارض نفسها . ففي قصة « الراعي حمدان » يتحول المحتل الى ذئاب جائعة ، تلتهم الارض والاغنام التي ترعى عليها ، وهو في قصة « أم الخير » يصبح حية سامة تقوم بعملية قتل جماعية لعائلة بكاملها وتحيل اهالي القرية الى جموع من النازحين هربا من الداء الذي ينبت قروحا في جسد ام الخير ، وهو في قصة « ليلة القدر » يتحول الى مرض يفتك بعيون الصبية الجميلة العينين . وهو في قصة « الكلب سمور » جندي انكليزي او صهيوني يفتك بأهالي القرى . القمع هو الكابوس الذي تعيش مجموعة « الشارع الاصفر » في ظلاله . وهذا القمع يتمفصل حول جسد الارض . حول القرية الفلسطينية . انه السرطان الذي يدخل جسد القرية ولا يستطيع احد مقاومته . وحين يأخذ القمع شكلا مدينيا « حيفا » فانه يصبح في قسوته قمعا لا معقولا . يفصل الرأس عن الجسد ، يبيع الاعضاء الاخرى في حانوت قصاب .

غير ان الرد على هذا القمع يأخذ نقطتي ارتكاز :

أ ــ تعلق الانسان بأرضه . هذا التعلق الذي يصل الى حدود بقاء الانسان وحيدا امام قروح ام الخير التي يتحول جسدها الى شجرة تشفي قروح الناس الذين بقوا معها الى النهاية .

ب ــ النهر الجماهيري الهادر الذي يغتسل فيه المثقفون من آثار سياط الجلادين على اجسادهم . فالقمع يولد اليأس الى حين ، ولكن الحركة الجماهيرية لا تتوقف ، وهي في سيرها نحو أهدافها ، تستطيع ان تداوي الجراح الفردية التي تظهر على اجساد المناضلين .

٢ ــ الارض وعلاقة الانسان بها :

اذا كان الادب الفلسطيني يحاول ان يرسم اطاراته حول الارض الفلسطينية ، فهذا يعود الى طبيعة القضية الوطنية الفلسطينية نفسها . فالهجرة الجماعية ، تجعل من العودة الى تراب الوطن حلمها اليومي ووقود نضالها الرئيسي ، كما ان الاقلية العربية التي بقيت داخل جدران السجن الاسرائيلي ، لا تجد مبرر وجودها وسط الظلام الذي يحيط بها سوى مزيد من التعلق بالارض . مزيد من الالتصاق بها والذوبان في احشائها . فحمدان الراعي الذي تحيط الذئاب بأغنامه من كل ناحية وتفتك بها ، يرفض ان يهاجر مع جموع ابناء القرية الذين فضلوا الرحيل « قلت لك يا ناجي ، بطلعش من هالبلد ، لو بفطس بزقاقاتها وبلقاش مين يدفني ! حمدان قال كلمته وبرجعش فيها ... بدك تشرق يا نذل شرق ، اما حمدان ، درب النذال ما هيش دربه ، وعمره ما نقل فوقها قدم . براسك يا ناجي هالموال غنيه ! بيجيك يوم يا ناجي توكل ايديك فيه ندامة ! مية الغربة عشاربها حنظل يا ناجي ، وبرسيمها الاخضر عالغنم عليق » . هذا الاصرار القروي، الرعوي على البقاء في الارض ، ترافقه عامية فلسطينية ، بسيطة . فالفلاح لا يعرف المعادلات الحسابية . انه مقتنع بأرضه حتى لو سرقوها منه كما في قصة « الفرس » فانه لا يبيع فرسه ويرحل . فالفرس تلد مهرا . والتفاؤل والاصرار على الصمود يأتي من فعل الطبيعة نفسها . الطبيعة قادرة على البقاء وعلى التجدد . الفرس تلد مهرا رغم ان الارض سرقت بأمر اداري ، فان الفرس تستطيع ان تكتشف بقعة ارض عليها تقف وتستمد الحياة .

لقد استطاع فياض في قصة « أم الخير » ان يحول الرمز الى فعل ايمان بالمستقبل . فالحية التي دست السم في اللبن وقتلت عائلة « أم الخير » وملأت جسدها بالقروح ، هذه الحية استطاعت ان تجبر أهل القرية على الهرب الى الحقول والسكن في الخيام . لكن حسن الذي أحب أم الخير عندما كان يافعا وبقي مخلصا لحبه رغم مرور السنين الطوال . حسن بقي مع ام الخير ومع قروحها التي تنقل العدوى الى جسده . بقي امام الجروح حتى ماتت ام الخير . لكنها فعليا لم تمت . تحولت الى جذع يرويه حسن من قروحه الدامية « وفي صباح اليوم التالي ، كان برعمان أخضران يتفتحان حيث كان الوشمان على غمازتيها ، وقد اخذا يكبران يوما بعد يوم ويتفرعان ، ومن اطرافهما كانت تسقط عند كل صباح دمعتان ، على قروح حسن التي اقعدته تحتها ، فتشفى عند كل صباح قرحتان » . هنا تتحول علاقة الانسان بالارض الى علاقة صوفية ، علاقة الدخول الى الجراح ومعانقتها والبقاء في داخلها . فأم الخير ستتحول الى شجرة خضراء الغصون ، اذا بقي الانسان متمسكا بها يسقيها صموده واصراره .

اما في قصة « الكلب سمور » فان الارتباط النضالي بالارض يصبح هاجس الكاتب الرئيسي ، فالتاريخ النضالي الطويل الذي صنعه الشعب الفلسطيني في معاركه ضد المحتلين الانكليز ثم ضد الغزاة الصهاينة ، ينتقل الى الكلب سمور الذي يكلمه الكاتب وكأنه انسان يناضل من أجل قضية يعرفها جيدا . فالكلب يتعود على محاربة الجنود الانكليز، ثم ينتقل الى محاربة الجيوش العربية التي دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨ دون ان تحارب . وحين يصل اهل القرية فان الكلب يتركهم ويعود الى البيت ليحرسه « ــ لا حول ولا قوة الا بالله ... رجع سمور عالبلد يا قاسم . ورد قاسم بصوت كسير : ــ على الاقل رجع يموت في الدار يابا... مش مثلنا ، نموت مهجرين من الجوع والعطش ، لا بيت ولا مأوى » .

في قصص هذه المجموعة ، يعلو صوت الارض ، ليغطي جميع الاصوات الاخرى . فصوت الانسان لا يصير مسموعا ، الا اذا كان جزءا من صوت الارض . وقيمة الانسان لا تأتي الا من خلال تعلق رجليه بالارض وانغراسها فيها . هذا الهاجس الدائم في قصص هذه المجموعة هو الذي يميزها فعليا . لكن الارض ليست واحة رومانسية يلتجىء اليها المحارب ساعة القيلولة . انها هي ساحة المعركة ، لان المعركة تجري باسمها . من هنا ، ورغم الصوت الفلاحي

الواضح الذي ينبع من هذه المجموعة ، فان توفيق فياض لا يسقط في الرومانسية . يحاذيها ، ويلتجيء الى الرموز التي تستطيع ان تحمل نوازع شعبه وآماله ومعاركه النضالية .

٣ ــ البعد الانساني للفعل التاريخي :

في قصة « ليلة القدر » يتوحد البعد الانساني بالفعل التاريخي بشكل مذهل . فالنضال ليس مجرد رفع شعارات سياسية او تعلق شامل بالارض انه بحث عن الانسان من خلال النضال والارض . فالارض تكشف في اعماقها عن الانسان الرابض هناك . ففي ليلة القدر تقدر سنية ابنة السابعة عشرة ان تبحث عن نور عينيها بيديها . فهي فقدت البصر رغم جمال عينيها ولا تزال منذ سبعة عشر عاما تنتظر ان يرد النور الى عينيها بقدرة ما . لكنها تكتشف من خلال ليل الانتظار الطويل ان لا شيء يرد لها بصرها سوى نضالها هي : « ــ ما عدليش عالصبر يا ستي ... وان ما فرجتها انا عحالي مش رح الله يفرجها » ، هكذا تخاطب سنية جدتها التي تدعوها الى انتظار الفرج وتخرج الى الطريق باحثة عن الضوء . في هذه القصة يصل الرمز الى غايته ، فاذا كان الرمز هو محاولة اعادة تصوير الواقع بواسطة رموز واقعية تسهل اقامة العلاقات المعقدة بينها، فان قصة ليلة القدر تصل الى هذه الرؤية النافذة. فسنية اليوم أصبح عمرها خمسة وعشرين عاما ، لكنها لا تنتظر . انها تقاتل في الشارع في سبيل عينيها ، في سبيل جراح أم الخير ودماء امين سعد المنثورة على طرقات حيفا .

قصص توفيق فياض من خلال ابعادها الثلاثة ، تحاول الكشف عن العمق الانساني ، عن التوق الى الجدية في علاقة الانسان الصراعية بالحياة . من هنا فجميع ابطاله الرمزيين يكشفون في ذواتهم عن انسان يتطلع بحدة الى الخلاص . وفياض يتوجه الى وجدان جماعي . الى الوجدان الفلسطيني المناضل . من هنا فشخصياته فلاحية. وحين يصل الى البرجوازية فانه يصور فسادها وسقوطها امام ارجل المحتل .

الفعل التاريخي الذي تدعو اليه هذه المجموعة هو فعل انساني في الاساس . فالتكوم حول الارض الفلسطينية لا يجد معناه الحقيقي بمعزل عن الانسان الفلسطيني الذي يصنع هذه الارض بجراحه وعرقه . هكذا لا يسقط فياض في التعليمية والمباشرة . انه يبحث عن الانسان فيما هو يبحث عن الارض ، وصوت الانسان يأتي من جراح ام الخير وتأوهات حمدان الراعي ومحبة قاسم للكلب ودخول امين سعد في البحر الجماهيري الذي يصير وقع اقدامه على الارض نشيدا لهذه الارض .

ان الصوت الفلسطيني القادم الينا من الارض المحتلة في هذه المجموعة القصصية ، هو صوت ناضج فنيا . فالقضية رغم مباشرتها وحرارتها لا تحجب الجهد الابداعي الذي تبذله ريشة الكاتب . فتعدد الاصوات داخل القصة الواحدة ، والقدرة على ولوج اللاواقعية دون الوقوع أسير النظرة الاحادية للامور ، بمعنى دون الوقوع في متاهة اعادة ترتيب الامور بشكل غير واقعي ، وبالتالي الابتعاد عن الارضية التي عليها يقف العمل الفني الثوري ، ثم وبالاخص القدرة على الدخول في العالم الفلاحي دون الوقوع في الرومانسية الجاهزة التي تستطيع ان تقضي على العمل الفني في مهده . كل هذه المؤشرات تدلنا على الطاقات الكامنة خلف القصة القصيرة التي لا تستنفد . فاذا كانت حياتنا العربية لا تزال ، في مختلف أبعادها الثقافية والسياسية والاجتماعية ، أسيرة عدم القدرة على التحرك الثوري الجذري بمعنى عدم القدرة على اعادة فهم تراثنا الثقافي ورسم الابعاد السياسية والفكرية للحركة النضالية الواقعية في حركتنا الثورية العربية ، فان القصة القصيرة قادرة عبر ايجازها والتقاطها للجزئيات ، ان تطل على مشارف كليات حياتنا النضالية العربية دون الوقوع اسيرة التعميمات .

ان شهادة « الشارع الاصفر » شهادة مليئة بالغنى والدلالات . وتوفيق فياض استطاع بتجربة فنية متواضعة ان ينقلنا الى أعماق الجرح الفلسطيني ، الى اعماق وجدان الذين بقوا في الغيتو العربي يقاتلون ويموتون .

أ. خ.

Congrès Juif Mondial, Section Française, Israel dans la Conscience juive (P. U. F. Paris 1971).

ان نظرة اولى الى الاطروحات التي يلقيها الفكر الصهيوني المعاصر في شارع الثقافة الغربية والتي يرددها مستعملا كل القنوات الممكنة ، تشد نظر الانسان العربي الى جملة ملاحظات تستحق التأمل والتفكير .

ان الصهيونية تستعمل أدق وأعمق الاساليب العلمية لطرح جملة مواضيع وقضايا لا علاقة لها بالعلم . انها في نقطة انطلاق عملها تستند على بنيان عقلي متين وفي نهاية مطافها تقذف بجملة محاكمات تناقض العقل ، انها تنطلق من الوضوح لتعطي سجل الضباب والتعمية . أي بمعنى اخر انها في البحث عن ايصال صوتها الى أكبر جمهور ممكن ترتكز على أسس بحث اعلامي دقيق ، ثم بعد ذلك تطرح جملة قضايا ميتافيزيقية . تطرح حزمة من المواضيع الانسانية التي تدغدغ القلب. انها في طرحها تصر وتركز على البعد الانساني وعلى الشمولية الانسانية . متجاوزة بذلك وهن وعي تام الطرح السياسي والعلمي للامور ، ان صلب العمل الدعائي الصهيوني اليومي في الغرب يعتمد على مخاطبة العاطفة (مستندا بلا شك على جهل السواد الاعظم من السكان للقضية الفلسطينية) ويرفض اطلاقا طرح الامور من وجهة نظر سياسية او تاريخية .

ملاحظة اخرى تستحق الوقوف ، ان الصهيونية واعية تماما لطبيعة وتعقد العمل الذي تقوم به وواعية كذلك بصورة تبرير سياستها وقبولها تلجأ وتصل من خلال بحث متواتر شديد الى تركيبات ذهنية ذات لمعان واغراء ، صورة براقة من التنظير ذي النزعة الانسانية،ان كل هذه التركيبات يسهل دحضها ، فهي جملة تلفيقات في اطار لغوي وفلسفي جذاب ، لكنها مع ذلك تستهوي حشدا كبيرا من المثقفين ، ان من يتصفح الكتاب المذكور (اسرائيل في الضمير اليهودي) يجد عالما من التلفيقات المنظرة العجيبة ، نواة أكاذيب يلفها اطار من الثقافة والفلسفة، السؤال الذي يفاجيء القارىء العربي مباشرة ، هو ما مقدار الجهد الذي بذلته الحركة الصهيونية حتى استطاعت ان تقول كل هذه الاكاذيب وتجد ايضا جمهورا عريضا من المثقفين يستمع الى هذه الاكاذيب ويقبلها كحقيقة .

الملاحظة الاخرى التي يمكن استخلاصها من خلال الكتاب هي جملة الرحلات والندوات والمناظرات التي هيأتها الصهيونية لتحفظ شبكة علاقاتها مع هؤلاء المثقفين ولتحافظ على حوارها المستمر معهم، لكن الامر الهام في نظري والذي يبدي حذق العمل الصهيوني هدفهم التركيب النفسي والعاطفي للانسان الغربي ، ان الصهيونية توقظ وتحرض كل النزعة الانسانية في الغرب والنزعة الانسانية المسيحية بشكل خاص ، انها بهذا تستند على ارضية علمية في عملها الاعلامي ، انها بواسطة هذا الفهم تستغل ما يعرف هنا « بمركب الاثم » الذي يشعر به الغربيون نحو اليهود ، ان العزف على كل هذه الاوتار الانسانية يسهل حقن الافكار ويحول الاكاذيب الى حقائق يومية ، ان التنظير الصهيوني يحاول تحميل المواطن الاوربي ثقل كل الظلم الذي لحق باليهود ابتداء من العصور الوسطى حتى الان . امر اخر يمكن استخلاصه من الكتاب المذكور هو التركيز على الرباط المقدس بين اسرائيل والغرب ، فاسرائيل هي الوجود الاوربي في العالم الثالث وان اسرائيل في (نضالها) ضد حائط العالم الثالث انما تسعى لنشر القيم الغربية ، ان بين اسرائيل والغرب قدرا مشتركا ، هو الدفاع عن الحضارة ونشرها .

ان اسرائيل بهذا الطرح المتعدد الالوان والذي يعزف بحذق على كل أوتار البنيان النفسي والاخلاقي والعنصري تحاول الوصول الى كل خلية ومسام في بنيان المجتمع الغربي .

يضاف الى كل هذا أمر آخر يمثل ديماغوجية العمل الصهيوني ، هو الطرح الفكري الثنائي ، اي طرح فكر لليهود وبين اليهود ، وطرح فكر آخر لمناصري القضية الصهيونية او لرجل الشارع الاوربي ، فعملها بين اليهود يعمل على تعميق الهوية والشخصية اليهودية ، وتشبثها بعزلتها ويهوديتها. فاليهودي بدون يهوديته عار ، كما يقولون ، كما ان اسرائيل هي التمثيل التاريخي والمشخص للكيان اليهودي ، اي طرح فكر عرقي عنصري . في حين ان حوارها مع اللايهودي يعتبر الشمولية الانسانية موضوعة اساسية في العمل .

ولعل الصور الآتية تبرز بعض معالم الفكر

الصهيوني المعاصر وتظهر القنوات التي يسير فيها كي يخرج من جديد كحقيقة اصيلة تعمل وبسهولة من اجل الآلة الصهيونية .

أولى هذه الصور تتحدث وباسهاب عن الالتزام الروحي والخلقي للشعب اليهودي تجاه المجتمع البشري قاطبة ، « فالشعب اليهودي هو ضمير هذا العالم » ، وان اليهودي التائه كان تائها لانه رفض قبول القيم المنحطة ورفض قبول الظلم وتحقير الانسان ، هذا اليهودي التائه عبر القرون كان يعبر دائما عن الرفض الانساني لعالم الظلم والكراهية ، ان التتويج التاريخي لهذا الرفض المستمر هو انتصار الكرامة الانسانية والتي تتمثل ببقاء الذات اليهودية وخلق اسرائيل ، ان الالتزام الاخلاقي للشعب اليهودي تجاه المجتمع البشري لم يتوقف ، وهو الان يسير ضمن اتجاهين ، الاول هو التزام اليهودي بالدفاع عن أخيه اليهودي والحفاظ على الذات والهوية اليهودية ، حيث ان ذوبان هذا الذات هو ضربة للقيم الاخلاقية ، وهذا يستلزم تجميع اليهود جميعا في بلد واحد » !

« الالتزام الاخلاقي الاخر لليهود هو التزام نحو العالم الثالث ، ان اسرائيل ممثلة الكيان اليهودي ذات كفاءة علمية وثقافية كبيرة لذا تجد نفسها أمام مهمة أساسية وثقيلة نحو العالم الثالث الذي يرزح في ظروف لا انسانية » .

كما نرى الصورة مليئة بالنزعة الاخلاقية والانسانية في حين ان الاسس الكفيلة بفهم ظهور المشكلة اليهودية ثم الحركة الصهيونية والتلاحم بين هذه الاخيرة والامبريالية كل ذلك لا مكان له في الصورة، حيث ان الطرح التاريخي للامور يقود الى كشف حقيقة الوجه الصهيوني وكذب الادعاءات الصهيونية .

الصورة الثانية اكثر تأثيرا وتعتمد على ابتزاز العاطفة ، وبالتالي تبرير الحاضر من خلال الماضي، يقول اوغستان جيرار : « ان حضور اسرائيل في ضمير الشعوب يعني الحضور المستمر للملايين الموتى بين ١٩٣٣ — ١٩٤٥ ، واليهود يمثلون الوجدان الانساني الذي قاتل النازية من اجل السلام وشرف الانسان ، والذين بموتهم لم يدافعوا عن ذواتهم فقط بل دافعوا عن كل البشرية ، واذا كانت النازية تمثل القطب الانساني الرامز للعدوان والتعصب واللاانسانية فان الشعب اليهودي هو القطب الاخر المناقض لهذه القيم ، ان هذا القدر المأساوي لليهودي لا يمكن فهمه ضمن مجموعة قوانين ومقالات لانه قدر ملفوف بغموض تاريخي سحيق ، فاليهودية ظاهرة روحية ميتافيزيقية ، ويجب فهمها بالروح لا بالعقل ، لهذا فان انخراط اليهود في الحرب لم (يكن لمحاربة الالمان ، ولم نحارب لنجعل العلم الفرنسي يرفرف من جديد ، بل لاننا شعرنا ان العدالة قد امتهنت في شخص اسرائيل) في كل هذا جانب غامض ، ربما هو قدر اليهود ، ان اليهود بقتالهم هذا اصبحوا (الضمير السياسي) للفرنسيين ، بل ان اسراع الفرنسيين بحل المشكلة الجزائرية ، وتظاهرات الفرنسيين من اجل تحرير الجزائر لم يكن الا انعكاسا للحضور اليهودي في ضمير الشعب الفرنسي، فالفرنسيون قد رأوا في الجزائري المظلوم صورة اليهودي الذي يذبحه النازيون » !!

أولى الملاحظات التي تطل علينا من هذه الصورة الصهيونية ، هي النزعة العرقية ، الملاحظة الثانية هي التزييف التاريخي ، ان كل الشعوب قد قاتلت ضد النازية وليس فقط اليهود ، الملاحظة الثالثة هي الاصرار على (ميتافيزيقية) الشعب اليهودي. ان اسرائيل والحركة الصهيونية هي محصلة تاريخية لجملة اعتبارات يسهل فهمها ، فاليهودية لم تستمر رغما عن التاريخ بل من خلال التاريخ وبواسطته كما يقول رودنسون .

الصورة الثالثة تعود فتركز على البعد الروحي لاسرائيل ناسية ان اسرائيل ليست الا ظلا امبرياليا وان كل انعكاساتها وتلوناتها ليست الا انعكاسا واهنا لرؤوس الاموال ، والامبريالية العالمية ، نرى في هذه الصورة المحاكمة الآتية : « ان عذابات اليهود الطويلة قد اعطتهم طابعا قدسيا فهم شهداء وقديسو هذا العالم ، لهذا السبب نرى ان البشرية تتعاطف مع اليهود ، ونرى في اسرائيل مثالا لنبل الانسان وخلاصه (أعتقد ان اسرائيل ستبقى دائما وعلى الرغم من المفاوضات الدبلوماسية والتسويات الاقتصادية ضمير هذا العالم) » !! ويمضي هذا المنظر الصهيوني فيستخلص نتائج تتأتى من (قدسية) اسرائيل منها ان آلاف الشباب ، بل افضل العناصر وأنشطها على حد قوله ، يسافرون كل عام الى اسرائيل ، ان ذلك لا يتم بدافع السياحة والاصطياف ، وليس بسبب الفضول وحب المعرفة، ولا بغية التعرف على التنظيم الاجتماعي للكيبوتز ، بل ان هؤلاء الشباب ينقادون بغموض نحو اسرائيل

لانها تبقى في لا شعورهم وفي ضميرهم رمزا للامل والخلاص ، ان اسرائيل هي عالم القيم ، لهذا فكل من يرى في اسرائيل رمزا للعدالة والقيم هو صهيوني وان لم يكن يعرف ذلك ، فالصهيونية (كما يراها المنظرون في هذا الكتاب) « ليست مجرد نزوة عابرة او شوقا آنيا بل هي بحث دؤوب عن التوازن الداخلي للانسان (فالحضارة ما بعد الصناعية أفرزت معها أزمة روحيـــة وخلقية ، أفرزت معها تلاشيا للقيم ، من هذا المنظار تبقى اسرائيل (مشعلا للامل) ، فاسرائيل تمثل عالما متوازيا للتقدم التكنيكي والعلمي) » !!

من هذه المحاكمة يصل المنظـــر الصهيوني الـــى نتيجتين أولهما التوازن الروحي للشخصية اليهودية على عكس غيرها مـــن الشخصيات ، والنتيجة الثانية ان اسرائيل هي رمز عالم القرن الحادي والعشرين الذي يطمح فيه الانسان الى مصالحة مجتمع الاستهلاك وعالم القيم الانسانية ، وبذلك « تعتبر اسرائيل بديلا وتجاوزا للمجتمع الاشتراكي في أحسن أحواله » !!

بعد ذلك نصل الى أطروحة بيير برنار الذي يتحدث عن الدور الثقافي لليهود ، فهو لا يرى الظروف التاريخية التي تدفع اليهودي الى التفكير ، كما لا يرى الامكانيات المتاحـــة له ، بل يرد ذلك الى خصائص اليهودي ، فاليهودي عنده ليس ظاهرة تاريخية تفهم من خلال المنطق التاريخي بل هو ظاهرة ذات بعد خاص ليس له قوانين ، يقول في تحليله (ان حضور اليهودية في العالم ومسارها التاريخي أعطى للبحث الفكري كل الدوافع الممكنة للابداع والبحث عن الحلول ، فهي مصدر الهام ، لذلك أصبح كل باحث عن الحقيقة يهوديا وان لم يكنه . ان اليهودية تمثل ثقـــل الارتكاز الفكري والروحي في هذا العالم (أنتم شعب منذ ثلاثة آلاف عام ، شعب له في التاريخ كثافة حضارية لا يمكن مقارنتها مع أي شعب آخر ، انكم تحملون أكثر من أية مجموعة انسانية أخرى على وجه الارض سيماء هوية الذات ووحدتها) .

اليهوديـــة كمـــا يراها الكـــاتب « ميزان حرارة للاخلاق والقيم » ، ان « التدخل اليهودي يأتي ليجعل الانسان يتجاوز أزمته » ، فاليهودية عرفت نهضة سريعة مع ظهور المجتمع الصناعي ، ان « مجيئها المواكب للثورة الصناعية هو رد فعل أخلاقي مقابل تعقد الحياة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ، وان « دور الفكر اليهودي كان في اخراج الفكر الغربي من أزمته والسماح له بمتابعة مسيرته لخلق التحول الهائل الذي نلمسه اليوم ، ان الفكر اليهودي بسبب قدراته الخاصة حافظ على توازنه واتساقه خلال ثلاثة آلاف عام » . ان هذا الفكر « متجانس منذ البدء الى اللانهاية ، وشفافيته واتساقه هو الذي يعطيه القدرة للتدخل دائما ، ذلك انه لا يعاني من حالات اللاتوازن والاضطـــراب التي مرت علـــى المجتمعات الاخرى . واليهـــودية ظاهرة سرمدية ، وهي حركة نضالية مستمرة من اجل تعديل واصلاح المجتمع البشري ، ان الصهيونية والتي هي تعبير عن نهضة اليهودية في القرن العشرين ليست مجرد حركة سياسية بل هي حركة روحية أخلاقية تسعى لخلق مجتمع انساني متوازن، وقد وجدت اليهودية دائما لكنها لم تصل الى أعلى مستوياتها وقمة ديناميكيتها الا في بداية القرن العشرين اي القرن الذي أزم العالم الروحي للانسان ، انها البديل عن العالم التكنيكي الساحق للانسان ، ومن هنا تأخذ الحركةالصهيونية شموليتها وبعدها الانساني. ان الكيبوتز هو بديل المدينة الصناعية الخانقة »!! ويتابع الكاتب تحليله ليصل الى جـــذور عرقية وحضارية مشتركة بين الفكـــر اليهودي والفكـــر الغربي ، فهو يرى ان الثقافة الاوروبية في هذا القرن هي حصيلة تكافـــل وتفاعل بين الفكـــر اليهودي والفكـــر الغربي وبالتالـــي فان فرويـــد ودوركايم وكافكا واينشتاين وشونبرج هم مفكرون يهود فهموا أزمة العصر ثم حاولوا اعطاء حلول مناسبة ، هذه الحلول هي التي تكون اساس الثقافة الاوربية المعاصرة . ان هناك ثنائية الفكر اليهودي ـــ الغربي وهي ثنائية متكاملة في الوقت نفسه . هذه الثنائية بقيت متوازنة وفاعلة حتى جاء النازيون فكسروا هـــذا التوازن والتفاعـــل واحدثوا صدعا في هذه الثنائية . ان الكاتب يرى في ضرورة اعادة لحام هذه الثنائية المهمة الاولى التي يجب (النضال) من اجلها .

مفكر آخر (جان ماري دومينالك) يبحث عن تحليل آخر ليشرح الاسباب التي « جعلت من اسرائيل ضميرا للشعوب » ، فاسرائيل بالنسبة لـــه هي محصلة للعذاب والمعـــاناة (عندما نتكلم عـــن اسرائيل ، نتكلم عن دولة ليست كالدول الاخرى ، دولة بلا نظير ، وهذا طبيعي يمليه علينا الشعور بالاثم وعقدة الذنب ، لقد اضطهد اليهودي خلال

سنات السنين ، ان شعورنا واحساسنا بهذا الاضطهاد (يجعل من اسرائيل ضميرنا وان ضميرنا هو اسرائيل ، ان ما يجعل من اسرائيل ضميرنا هو كونها الرمز لسقوط الانسان التاريخي) .

ويتابع الكاتب ليرى في اسرائيل مرآة لكل الخدوش والجراح التي شوهت الوجه الانساني ، ثم يعود ليعطي محاكمته هذه بعدا فلسفيا ، فاسرائيل عنده هي « نظير الفكرة المطلقة عند هيجل » ، فالفكرة عند هيجل تبدأ بتحسس الامور البسيطة ثم تنتهي خلال التاريخ الى المعرفة الكاملة ، واسرائيل كذلك بدأت من التيه والضياع وانتهت الى وجود كامل « يمثل الحرية والعدالة » !!

الحقيقة ان كتاب « اسرائيل في الضمير اليهودي » مجموعة أكاذيب وتلفيقات ذات طلاء لماع ، لكن هذا القول لا يمكن ان يعطي حلا ، ذلك ان هذه الاكاذيب لها مكان وجمهور ، وهي توجه عادة الى جمهور المثقفين والكتاب الذين يدافعون بأقلامهم يوميا عن اسرائيل . وهؤلاء الكتاب انفسهم يعودون ليطرحوا القضية الفلسطينية كما يريدون ، ان هذا الاعلام المتقدم يحصد نتائجه بشكل مباشر وكثيف .

ويمكن القول ثانية ان أسلوب العمل الدعائي الصهيوني أسلوب متقدم ، فهو يتكلم عن الانسان ، ومركب الاثم ، والتحالف الثقافي الروحي بين الغرب واليهود ، ويعطي كل ذلك صلة ثقافية عصرية ، ثم يقوم بنشر هذه الاطروحات من خلال جهاز اعلامي متين ، فالمنظمة الصهيونية العالمية تملك فروعا في أكثر من ٦٠ بلدا وتحت تصرفها وفق المعطيات الرسمية لنشرة (الصحافة اليهودية في العالم) والصادرة في لندن أكثر من ٨٥٠ صحيفة ومجلة ، وتقدم محطة الاذاعة الاسرائيلية برامجها بجميع لغات العالم الرئيسية .

فيصل دراج

انيس فوزي قاسم ، **قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان : دراسة في القانونين المحلي والدولي .**
(سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٨٩ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢) .

ما زلنا — على الرغم من تدفق الكتابات والمنشورات عن اسرائيل — نجهل الشيء الكثير عن تشريعاتها الداخلية . وقد جاءت هذه الدراسة تسد فراغا وتلقي ضوءا على بعض القوانين التي سنتها اسرائيل لخدمة الاغراض الصهيونية . ووضعت الدراسة أصلا كأطروحة لنيل شهادة الماجستير في القانون الدولي العام . وكتبت بأسلوب علمي رصين يخاطب العقل ويعتمد المنطق . وينبغي لدراسة من هذا النوع الا تبقى حبيسة الجامعة التي قدمت فيها ، أو وقفا على القارىء العربي . ان الواجب يقضي بتعميمها وايصالها الى اكبر عدد ممكن من المثقفين في العالم الذين يشكلون قوة واعية ومتحركة وضاغطة .

ان لكل انسان حقا مقدسا في حماية قيمه الانسانية ، بغض النظر عن الدين او العرق او اللون او الجنس الذي ينتمي اليه . ومن واجب كل دولة توفير هذه الحماية ، وتطوير هذه القيم ، وسن التشريعات الكفيلة بصيانة حقوق الانسان . واهتمام المجتمع الدولي بمسألة حماية حقوق الانسان والدفاع عنها يتزايد جيلا بعد جيل . وتقوم الامم المتحدة اليوم بدور ريادي في هذا السبيل . والاراء متفقة على ان ان انتهاك حرمة هذه الحقوق من قبل دولة ما لم يعد مسألة داخلية بل اصبح أمرا مهما يعني الاسرة الدولية ويخولها حق التدخل . ومن الحقوق الاساسية للانسان حق التمتع بجنسية ما . وقانون العودة الاسرائيلي موضوع فريد وغريب في حقل الجنسية . لقد كان غرضه ، عندما صدر عام ١٩٥٠ ، تسهيل هجرة اليهود الى اسرائيل ، ولكنه اصبح ، حينما تضمنه قانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ ، احدى الوسائل المنظمة للجنسية الاسرائيلية . ان كل شيء في اسرائيل مكرس لخدمة الاهداف الصهيونية ، ولهذا

لا يمكننا تحليل قانون الجنسية الاسرائيلي الا بالاستناد الى قاعدته او خلفيته الصهيونية .

ان الهجرة الى اسرائيل تشكل العنصر الاساسي في الحركة الصهيونية، فهرتزل كان يعتبر ان الغاية القصوى لهذه الحركة هي خلق دولة لليهود ، وايجاد الارض لانشاء هذه الدولة ، وتنظيم هجرة اليهود اليها . واعلن مؤتمر بازل اهداف القانون العام الصهيوني ، وكان في طليعتها ذلك الهدف الذي يعتبر ان يهود العالم يشكلون تجمعا قوميا اسمه « الشعب اليهودي » . ومفهوم هذا الشعب قد صمم ليكون وسيلة سريعة وفعالة لتجنيد الهجرة اليهودية الى اسرائيل . والعضوية في هذا التجمع ليست سوى جنسية اضافية تفرض على اليهود دون ادنى اعتبار لجنسيات الاقطار التي يقطنونها. انها تمنحهم الحق في العودة الى « وطنهم » . ان قانون العودة ، كقانون هجرة ، يمنح حق العودة ، وكقانون جنسية يهب كل يهودي « عائد » الجنسية الاسرائيلية بشكل مباشر وآلي . وعودة اليهودي « حق » لا يطاله مبدأ التقادم .

والغريب ان القانونيين الصهيونيين يحاولون تبسيط الخلفية السياسية لمفهوم العودة فيصورون المسألة كأنها أمر يتعلق بقضية عقارية تستهدف استعادة قطعة ارض فقدت منذ فترة وجيزة . انهم لا يحاولون البتة تجاوز هذا الاطار لدراسة النتائج السيئة التي قد يلحقها هذا القانون بالسكان الاصليين ، ولا يشيرون الى الحدود القانونية التي أقامتها الاعراف والقواعد الدولية في حقل الجنسية. ولكن المؤلف يفضح مراميهم ويصف الخلافات التي ذرت قرنها مؤخرا في اسرائيل بسبب تعريف اليهودي ، ويحلل بعمق وموضوعية قانون الجنسية الاسرائيلي الذي يتناول جنسية اليهود وغير اليهود .

لقد كان لسكان فلسطين جنسية قبل قيام اسرائيل ، ولكن حينما ظهرت هذه الدولة توقف مفعول الجنسية الفلسطينية وأصبح سكان اسرائيل ، ما بين ١٤ ايار ١٩٤٨ و ١٤ تموز ١٩٥٢ ، عمليا ، دون جنسية . والسلطات الاسرائيلية هي التي تعمدت ذلك وفرضته كي تتمكن من مواصلة عملية تهجير السكان العرب الباقين وحرمان من نزح منهم ، طوعا أو كرها ، من حق العودة . وسخرت المحاكم الاسرائيلية بمبادىء العدالة فقضت بأن الجنسية الفلسطينية قد توقفت بمجرد قيام اسرائيل ، واصبح الفلسطينيون ، بالتالي ، بلا جنسية . ان المادة الاولى من قانون الجنسية الاسرائيلي تنص على ان « لا تكون جنسية اسرائيلية الا بموجب هذا القانون » .

ومن المهازل المؤلمة ان القانون يمنح السكان والمهاجرين اليهود الجنسية الاسرائيلية اوتوماتيكيا، في حين انه لا يسمح للفلسطينيين بالقيام بمعاملات التجنس الا اذا توافرت لديهم بعض الشروط الخاصة التي تعتبر أحيانا شروطا مستحيلة . وحتى لو توافرت جميع الشروط فان ذلك لا يخول الفلسطيني حق اكتساب الجنسية حكما . انه بحاجة ايضا الى تذليل عقبة « الاستنساب » الذي يقوم به وزير الداخلية . ويملك الوزير في هذا المجال صلاحيات مطلقة ، وبعد القرار الصادر عنه نهائيا لا يمكن استئنافه .

ان للقانون الدولي معايير واحكاما تشمل قوانين الجنسية ، فهو يعتبر ان الجنسية رابطة قانونية اساسها ارتباط اجتماعي . ومع ان الدولة هي التي تضع قانون جنسيتها فانها تخضع في ذلك لقيود وضوابط نظمها القانون الدولي . ان حق الدولة في تنظيم أمور جنسيتها ليس حقا بلا حدود. ان كل قانون للجنسية يجب ان يراعي المبادىء والقواعد التي تتضمنها الاتفاقات والاعراف الدولية المتعلقة بالجنسية . وذهبت محكمة العدل الدولية الى ان الدول ليست ملزمة باحترام قوانين سنتها دولة ما اذا لم تكن هذه القوانين منسجمة مع قواعد القانون الدولي . فما هي اشهر القيود التي يفرضها هذا القانون على الدولة التي تنظم قوانين جنسيتها ؟ وهل احترمت اسرائيل هذه القيود والتزمت بها عندما اصدرت تشريعاتها الخاصة بالجنسية ؟

هناك ، أولا ، قيود أو حدود مفروضة على تنظيم الجنسية عند الولادة . فالقانون الدولي يعترف بطريقتين لاكتساب الجنسية بالولادة : مبدأ الاقليم (الولادة فوق اقليم الدولة) ، ومبدأ الدم (التحدر من أحد رعايا الدولة) . وقد تبنت كل دولة هذا المبدأ او ذاك او كليهما . ولكن القانون الاسرائيلي أخذ ، من ناحية ، بقاعدة الدم ، وتبنى ، من ناحية اخرى ، طريقة جديدة ، هي حق العودة ، فكل « من قدم الى اسرائيل او ولد فيها قبل انشاء

الدولة ، وكل من ولد فيها بعد انشائها » يكتسب الجنسية .

وهناك ، ثانيا ، قيود أو حدود مفروضة على تنظيم الجنسية بالتجنس . وهنا يجب توافر أمرين: وجود علاقة معقولة بين طالب الجنسية والدولة ، ووجوب التقدم بطلب صادر عن ارادة صريحة . وبالاضافة الى ذلك يجب تنظيم الجنسية على اسس غير عنصرية. لقد حمل العالم على قوانين الجنسية الالمانية الصادرة عام ١٩٣٥ لانها حرمت اليهود من حق المواطنية في الرايخ . واول عمل قام به الحلفاء بعد انتصارهم كان الغاء هذه القوانين العنصرية الجائرة . غير ان القانون الاسرائيلي لا يقيم وزنا لهذه الاعتبارات ، فهو لا يشترط توافر شرط الاقامة لليهودي القادم الى اسرائيل . ان مجرد العودة تكسبه الجنسية . والقانون لا يتطلب منه ان يعبر عن رغبته في التجنس ولا ان يقدم طلبا بذلك . ان الجنسية تفرض عليه فرضا . ورفضها يتطلب منه اعتراضا صريحا امام موظف رسمي . وهي قائمة حصرا على اساس ديني . والمحكمة العليا في اسرائيل دعمت في قراراتها هذا الاساس . وحينما حاولت تغييره في قضية شاليت سارع الكنيست الى نقض قرارها وتثبيت المعيار الديني الصهيوني بقانون . ثم ان اسرائيل تمارس في منح الجنسية للمهاجرين اليهود عملية «انتقاء» . ويكفينا ان نشير الى حادثة اليهود السود الذين قدموا من الولايات المتحدة ، عام ١٩٦٩ ، ورفضت السلطات الاسرائيلية منحهم حق « العودة » ، حتى يتسنى لها استشارة السلطات الدينية حول ما اذا كان بامكان اشخاص سود ان يكونوا يهود.

وفي ١٩٧٢/١٢/٨ ، اعلنت المحكمة العليا « ان يهودية هؤلاء السود ليست ثابتة » .

وهناك ، اخيرا ، القيود والحدود المفروضة على ازدواج الجنسية . فهناك اتجاه قوي في القانون الدولي يهدف الى تقليص حالات ازدواج الجنسية، لان له آثارا سيئة بالنسبة الى مصالح الفرد والدولة مما (مثلا : دعوة الشخص ذي الجنسية المزدوجة الى الخدمة العسكرية ، او مطالبته بدفع الضريبة في الدولتين ، او احتمال الاشتباه بولائه) . ولكن القانون الاسرائيلي تبنى مبدأ الازدواج . ولعله فعل ذلك من اجل تشجيع الهجرة اليهودية . غير ان التناقض يبدو جليا عندما نرى ان الغالبية العظمى من العائدين (الذين يفترض فيهم العودة الى « وطنهم ») ترغب في الاحتفاظ بجنسيتها الاصلية .

وفي الفصل الاخير من الدراسة يوجه المؤلف توصياته الى اسرائيل كي تلغي قوانينها العنصرية، والى الدول الاخرى والهيئات الدولية كي تواجه بحزم انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان وحرياته. يؤسفنا ان نلاحظ ان هذه التوصيات ستبقى توصيات ما دامت اسرائيل تعمل ليومها وغدها كأنها تعيش أبدا ، وما دمنا منغمسين في هموم يومنا نتهرب من التفكير في أمور غدنا .

قال حاييم وايزمن : « انني متأكد من ان العالم سيحكم على الدولة اليهودية بما ستفعله بالعرب». وقد فعلت بالعرب ، خلال ربع قرن ، اكثر مما فعله النازيون باليهود .

الدكتور محمد المجذوب

الحلم والفجيعة

ليس غسان كنفاني ، مجرد علامة مضيئة في تاريخنا المعاصر . بل هو يحمل بذور الكشف عن المسار الصحيح لعلاقتنا بهذا التاريخ . فكنفاني يقع بالضبط في نقطة التقاء الفجيعة بالحلم ، هذه النقطة التي نسميها في لغتنا السياسية ، الممارسة . في هذه النقطة لم يكن الادب ممارسة لعلاقة الانسان بذاته او بغيره من الناس . بل كان علاقة حميمية بالبحر الجماهيري الذي يختزن اعظم الطاقات ، والذي يحمل في أحشائه فجر التحولات الجذرية .

في نقطة اللقاء هذه كتب كنفاني الادب ، ممارسة تاريخية ، في أقسى الظروف النضالية التي يمر بها شعب من الشعوب . « المخيم » ، « الهجرة » و« المقاومة » ليست عناوين لروايات كنفاني وقصصه . انها العصب الذي يشد الكلمات ، فتخرج مليئة بطاقة الفعل ، قادرة على طرح العديد من الاسئلة وان لم تكن قادرة على الاجابة عليها جميعا . كتابة كنفاني علاقة دائمة بين طرفين : القطيعة والاستعادة . القطيعة بوصفها رفضا للماضي ، رفضا للمخيم والهجرة وقيمهما التي تستلب الفلسطيني وتحيله لاجئا . والاستعادة بوصفها اكتشافا لجميع القيم النضالية الموجودة خلف ظاهرة المخيم . هذه العلاقة ، هي التي جعلت لكتابات كنفاني حضورا مذهلا . انه الحضور وسط الآلام ووسط الدماء التي يدفعها الفلسطيني في احتفال ثوري جماعي في مواجهة لحظة الانحطاط في حياتنا العربية .

وعندما انفجر غسان كنفاني ، انفجرت الكلمة الثورية الملتزمة ، شهادة على قدرة الثورة على الاستمرار ، وعلى تأسيس تراثنا النضالي الذي تكتبه الجماهير بدمائها .

كان الموت بطلا رئيسيا في كتابة كنفاني . غير ان بطولته لم تكن مجانية . كانت تأكيدا على نقيضه ، الذي لن نكتشفه اذا لم نخض لحظة الموت . فالحياة هي ذروة الموت كما اكتشف كنفاني بالممارسة التي هي بحجم الارض الذي يرقد في داخلها .

في الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد كنفاني ، نرى كيف استحال الحبر دما يمتزج بالبرقوق الاحمر ، ويمتد نهرا من دماء آلاف الشهداء المقاتلين ، الذين يكتبون تاريخا ثوريا جديدا ، ونرى كيف يستحيل الدم مسارا تاريخيا يقود الى الحلم .

مرزوق يقود
قطار الصدفة

« الاشجار واغتيال مرزوق » هي العمل الروائي الاول لعبد الرحمن منيف . تحاول الرواية ، ان تعالج واقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي من منظورين مختلفين : الياس نخلة الفلاح القادم من الطيبة ، يرى الحياة العربية من خلال الريف وتحولاته ، حيث يجد نفسه خارج المجتمع وخارج جميع اطاراته . ومنصور عبد السلام المثقف العائد من اوروبا ، الذي يواجه المدينة ، مسلحا بنقائه وايمانه بالديمقراطية ، فتسحقه حضارة القمع وترميه خارجا . الغربة والبحث عن عمل هو الذي يوحد بطلي الرواية . انهما غريبين لا يجدان مكانا ضمن الواقع الذي يعيشان وسطه . ولقاؤهما هو الاخر ، يتم خارج المجتمع . خارج الانتاج . الحوار في الرواية ، يجري داخل قطار يجمعهما بطريق الصدفة. الاول ذاهب الى ما وراء الحدود، لانه بعد أن تنقل في جميع المهن الممكنة ، يمتهن التهريب ، والثاني ذاهب الى عمل له بعد مضي ثلاث سنوات على طرده من التعليم في الجامعة .

وعبر هذا الحوار يرسم الياس نخلة ، لوحة عن حياة الريف ، وعن معاناته كفلاح اصيل وسط هذا الريف . وتتمحور قصة حياته حول اربعة أمور :

ـ **الارض** حيث يبدأ حياته متعلقا بها الى ابعد الحدود . وينتهي بعد عمليات الابعاد الاجتماعية المستمرة، متعلقا برياح الهجرة والسفر والتهريب.

ـ **البحث عن العمل** هو مبرر وجود الياس نخلة ، وهو الذي يعطي حياته هذا البعد الرومانسي الغروي المغامر . فيتنقل في جميع الاعمال الممكنة.

ـ **المرأة** التي هي النقطة المفصلية في تجربته الانسانية . علاقته بها ، مباشرة وطريفة في آن . وهو يتعامل معها بنفس العقلية التي يتعامل فيها مع الاشجار .

ـ **الاشجار** التي تصير كائنات تتحرك . من اجلها يعيد الياس نخلة نسج علاقته بالقرية ، من اجلها يهرب ومن اجلها يعود .

هذه القضايا الاربع ، تعود لتظهر في شخصية منصور عبد السلام . لكنها تأخذ هنا طابعا تراجيديا . فهو ليس متعلقا بالارض ، الا بمقدار علاقته بالهزيمة التي شارك في صنعها عسكريا بوصفه مجندا . والعمل هو مأساة حياته . فالثقافة ليست وظيفية ، الا بمقدار ما تتخلى عن نفسها وتصبح مجرد أداة دعائية في خدمة السلطة ، والاصرار على معنى ما للثقافة يقذف بك خارج المجتمع . اما المرأة فهي المكان الذي تتكثف فيه غربته وشعوره باليأس الكامل . وهو حين يحاول مصالحة الواقع بالزواج التقليدي ، فان هذا الزواج يرفضه هو الاخر . اما شجرة منصور فهو مرزوق . شجرة وحيدة تلخص الانقطاع والاستمرار في آن معا . مرزوق المناضل الذي تغتاله يد السلطة ، يتحول الى طقس يومي يمارسه منصور عبد السلام في منفاه العملي مع بعثة الاثار الفرنسية .

في الملامح الاربعة لشخصيتي روايته ، نقطة مركزية يحاول منيف ان يطرحها . فمنذ رواية توفيق الحكيم « عصفور من الشرق » وموضوع العلاقة بالغرب ـ العدو والمثل في آن معا ـ تأخذ حجمها في الرواية العربية المعاصرة : العلاقة بالغرب هي نقطة التقاطع الصعبة والمعقدة التي تتكون ـ بها وضدها ـ ملامح الانتلجنسيا العربية وسط شعور متساوي بالغربة . الشخصيتان الرئيسيتان ، تعبران بنسبة واحدة ، عن عدم القدرة على الاندماج ، ـ البقاء خارج الاطر الاجتماعية القديمة ، والبقاء خارج اطار سلطة القمع الايديولوجي ـ فيبقى المثقف خارج حركة الواقع (بمعناها السياسي المباشر) ويبقى الانسان العادي خارج هذه الحركة (بمعنى خارج همومها اليومية) غارقا في عملية البحث عن لقمة الخبز وداخلا حلبة التحولات ـ التي لا تمسه الا لتؤكد وعيه الشعبي الحاد بالمسألة التي يطرحها ـ . من يبقى داخل الاطر بعد ان تقطع الاشجار ويموت مرزوق ؟ يبقى الضباط والتجار والسماسرة . اما الياس نخلة نيبدأ عملية رشوة رجال الجمارك . وينصرف منصور عبد السلام الى اغتيال صورته في المرآة فينتهي في مستشفى المجانين .

ان القطار كمكان للقاء ، هو مكان يؤكد الغربة والخروج من الاطر السائدة . عبد الرحمن منيف، يلتقط من الواقع طرفين لشخصية واحدة . وهو حين يقوم بتوحيدهما في علاقة الاشجار بمرزوق ، فانه عمليا يدين الواقع الذي نحياه . ويترك لنفسه ـ عبر حرية اختياره للاحداث ولربطها ببعضها ـ مجالا واسعا للحركة ضمن اطار العلاقة بالغرب ، وانعكاس هذه العلاقة داخل مجتمع مهدد بسلطة قمعية لا حدود لها ، تنمو في ظل هيمنة الهزيمة ، على أغلبية مفاصل الحياة في المجتمع العربي .

منصور عبد السلام والياس نخلة هما شخص واحد ، او آلاف من الرجال المسحوقين تحت وطأة القمع ، « جيلنا لم يعط نفسه حتى فرحة الخيال . ان يتخيل ببناء مدن سعيدة . بهدم هذا العالم المتوحش الكئيب . هذه المتع الصغيرة التي يحسها أي حشاش ، لم ينعم بها هؤلاء الصغار » . ويلخص منصور تجربته في مذكراته « مرزوق ليس واحدا ، مرزوق كل الناس ، مرزوق شجرة ، مرزوق ينبوع ، مرزوق هو الياس نخلة الذي لا يموت » .

هذه الرواية ، هي علامة هامة في تطور الرواية العربية . فتشكيلها الكلاسيكي ، المليء بالحوار البسيط والمباشر ، استطاع ان يحتال على المضمون الشديد التعقيد . انها بلجوئها الى الحوار الواقعي تتغلغل في مشاعرنا ، وتعطينا احساسا حادا بواقعيتها ، رغم انها ليست رواية واقعية

بالمعنى الكلاسيكي . انها تنتقي بعض احداث الواقع ، تعيد تركيبها ومزجها فتشكل موقفا انسانيا من هزيمة عسكرية ، هي تلخيص لعدم القدرة على بناء مجتمع قادر على التحرك نحو المستقبل . وهي بهذا المعنى صرخة في سبيل الحرية والديموقراطية . من هنا فهي ليست رواية واقعية الا بمقدار ما تخدم ممارسة الكتابة الواقعية الرؤية الفنية . وهي رومانسية ريفية بمقدار ما يشكل الريف ثوبا تنزف عليه جراح حزيران .

سياح على ارض الهزيمة !

« الثقافة والهزيمة » هو موضوع الندوة التي نشرتها مجلة البلاغ ١٨ و٢٥ حزيران ١٩٧٣ . وقد شارك فيها كل من : نجاح العطار ، غالي شكري ، حنا مينة ، يوسف ادريس ولطفي الخولي . والندوة وان عقدت منذ حوالي ستة أشهر في القاهرة ، فانها تطرح أكثر القضايا تعقيدا واثارة للجدل في حياتنا الثقافية .

في مستهل الندوة قدم نجاح العطار وغالي شكري ورقتي عمل كأساس للنقاش . فنجاح العطار تعتبر ان الهزيمة هي هزيمة الانسان العربي المسحوق بالقمع والتخلف . « ان اكثرنا يلتقي عند رأي يقول : ان هزيمة حزيران عنصر جديد من هزيمة أكبر واسبق هي هزيمة الانسان العربي في معركة وجوده الفعلي » . ان آثار هذه الهزيمة قد سمحت للتيارات التجريدية والعدمية والعبثية والضبابية بالظهور . لكنها تؤكد على « ان تأصل الخط الواقعي لدى بعض الكتاب هو الذي ظل يطبع نتاجهم بطابعه الاصيل المتطور بتطور الاحداث » . وفي نهاية كلمتها تطرح نجاح العطار قضية الايصال ، داعية الى الكتابة السهلة العميقة .

اما غالي شكري فانه يؤكد النقطة التي اثارتها العطار وهي ان الهزيمة « كانت التعبير العسكري الدموي المباشر عن هزيمة واقعة في باطن المجتمع العربي » . ولقد اعادت الهزيمة طرح المسألة الوطنية . فقضية فلسطين أضحت قضية الانسان العربي اينما كان واكثر من أي وقت مضى ، « في ظل المقاومة الفلسطينية المسلحة التي مارست وتمارس دورها الايجابي » . اما نتائج الهزيمة على المستوى الثقافي ، فيمكن تلخيصها بنقطتين :

١ — فهي من جهة « أكدت في الاغلب الرؤى الفكرية للادباء العرب المعاصرين من مواقعهم المختلفة » .

٢ — ومن جهة اخرى « فاجأت الكثيرين من ادبائنا » ، الراضين بالواقع ، او الذين لا يرون سوى الهموم الصغيرة العابرة . ويخلص الى ان القلة النادرة من الادباء العرب استطاعت ان تضيف الى رؤيتها القديمة عناصر جديدة .

طرح يوسف ادريس قضية بالغة الاهمية . فهو يرى ان الهزيمة الثقافية هي أخطر انواع الهزائم « ذلك ان الثقافة ليست لمجرد الثقافة ، كما ان الفن ليس لمجرد الفن وانما هو روح الامة » . والثقافة في رأي ادريس قد ازدهرت بعد الهزيمة لان الادباء العرب هم ادباء مقاومون.

اما حنا مينة فانه يؤكد على الادب الواقعي الذي تنبأ بالهزيمة قبل وقوعها : « الادباء العرب قبل الهزيمة قد نبهوا الى وضع الانسان ، الى فقره وتخلفه » ، مستشهدا بروايتيه « الشراع والعاصفة » و « الثلج يأتي من النافذة » . ثم يعيد تقييم الادب الذي دعا الى الكتابة بالسكين والازميل ، فيرى انه ادب عصبي فيه مرارة صادقة ، لكنه اوصل نفسه الى درجة اليأس وفقدان الرؤية والامل . ثم يطرح علاقة الادب بالمستقبل ، فيدعو الى التخلي عن الكتابة الصعبة والمعقدة مؤكدا على الايصال . اما الحجة التي يتذرع بها الكتاب العرب وهي انهم يكتبون للاجيال القادمة يقول مينة : « ولست ادري من زعم لهؤلاء المبدعين ان الاجيال القادمة ستكون بحاجة الينا لنكتب لها » .

ولعل مداخلة لطفي الخولي ، هي اكثر مداخلات الندوة عمقا وشمولا . فهو لا يكتفي بوصف الواقع وتحليله ، انما يقوم بعملية ربط هذا الواقع الثقافي بخلفياته ، فهو يطرح قضيتين رئيسيتين تؤديان

الى طرح السؤال المركزي « كيف كان عدد الكتاب العرب الذين شاركوا في حركة المقاومة قليلا جدا ؟ » .

١ — ان ارتباط الادب بالهزيمة هو في الواقع ارتباط هذا الادب بالتطور السياسي والاجتماعي والمناخ الفكري عموما . « والمناخ الفكري يشتمل عندي على الاطار الديمقراطي وصياغاته المختلفة والامكانيات المتاحة للانسان كي يعبر عن نفسه بحرية » .

٢ — ان الاديب والفنان في بلادنا قد ساير الموجة التي شملت العالم الثالث كله . موجة تضخيم دور الفرد في التاريخ » .

ويصل الخولي الى استنتاج اساسي هو التناقض بين الموضوعية والذاتية . هذا التناقض هو الذي وضع الفنان الواقعي « في موقف السائح وسط الجماهير او موقف المنادي وليس المشارك».

وهو حين يحاول الاجابة على السؤال الذي طرحه ، يطرح ثلاث امكانيات للاجابة :

أ — القمع الفكري الذي تمثل بالجدانوفية .
ب — وهذا ما يؤدي الى تهرب الاديب من الالتزام.
ج — ان مشكلة الادب مرتبطة بشكل وثيق بمشكلة المجتمع ككل . « ان تحرير الادب او تحرير المرأة لا يمكن ان يتم بمعزل عن الحركة في المجتمع ككل » .

يطرح حنا مينة في رده على مداخلة الخولي ثلاث نقاط : أ — ان النقاد وليس الادباء هم الذين يتحملون مسؤولية الاتجاه الجدانوفي. فيالخمسينات « أصبح مفهوم الادب الواقعي ، هو تصوير الجانب الميت في الانسان ، والمساعدة على الموت أكثر » . ب — لم يقف الكاتب العربي على رصيف الاحداث « لقد ساهم ادباؤنا في كل المعارك . لكنهم الان في حالة انتفاء عن المساهمة في المعركة، لان الحركة الان في شبه انتفاء » . ج — « يقول الخولي ان ادباءنا لم يغطسوا الى العمق ، وهذا صحيح . بمعنى اننا لم نكتب شيئا بحجم « الدون الهادىء » او « سقوط باريس » ذلك اننا لم نكتب فصلا عن الهزيمة » .

وفي ختام الندوة ، يعود لطفي الخولي الى تأكيد كون الجدانوفية كانت ايديولوجية مرحلة كاملة ثم يطرح قضيتين رئيسيتين :

١ — الدور الجماعي للكاتب يزداد شحوبا الان . وهذه ظاهرة غريبة وغير صحية . « فالفنان هو مهندس النفس البشرية » . لكن هذا مهدد اذا تقوقع الكاتب او الفنان .

٢ — دعوة الى التجمع الجبهوي ، والى خوض الصراع الفكري .

ويلخص غالي شكري استنتاجات الندوة باقتراح عملي : « قيام جبهة وطنية تقدمية ديمقراطية من ادباء وفناني الوطن العربي . لو ان هذا الاقتراح يأخذ من الدرس والمناقشة في سنوات اخرى ما يستحقه لكان مؤشرا هاما لحل الكثير من القضايا المعلقة » .

ان أهمية ندوة « البلاغ » هي في طرح المسألة . حتى وان كانت الندوة شبه عفوية ، رغم ورقتي العمل التي تقدم بها نجاح العطار وغالي شكري. وعفوية الندوة تتجلى من خلال قضيتين :

١ — فالندوة لم تطرح المسألة الجذرية بكل أبعادها : مسألة سيرورة علاقة الادب بالواقع . ليس على المستوى النظري فحسب ، ولكن على مستوى الواقع العربي الراهن . فالمسألة ليست مسألة التعبير عن هزيمة الخامس من حزيران ، انها مسألة القدرة على اكتشاف دور للادب من خلال اكتشاف محاور الصراع ونقاط تقاطعه .

٢ — ان النتيجة العملية التي خرجت بها الندوة « قيام جبهة ديمقراطية في ميدان الادب والفن » هذه الجبهة الضرورية واقعيا ، تصطدم باستحالة تشكيلها العلني في ظروف القمع الذي يزداد شراسة . من هنا يصبح السؤال عن الارض التي ستقوم عليها هذه الجبهة وعن القوى التي ستتحالف معها . أليست ثقافة « تحت الارض » هي الثقافة الوحيدة الممكنة في هذه المرحلة ؟

حديث هام
لكنه غامض

في عدد حزيران ١٩٧٣ من مجلة المعرفة الصادرة في دمشق مقابلة هامة اجراها بدر الدين عرودكي مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك . في هذه المقابلة يطرح بيرك العديد من المفاهيم الادبية والثقافية التي تمس مباشرة حياتنا الثقافية الراهنة . وتتمركز آراء بيرك حول ثلاثة محاور :

ا — فهو حين يحلل ظاهرة التجديد في الشعر العربي المعاصر يصل الى الاستنتاج « ان الشعر المعاصر ، قد تبنى المعنى القديم والمستمر للاطلال والذي هو عبارة عن الحنين الى الوطن ، وأضاف اليه معنى اجتماعيا جديدا هو الاغتراب او الضياع » . وحول مبررات دراسة الشعر العربي انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية يرى بيرك : « مما لا شك فيه ان ما هو شعري لدى الشاعر لا يكتفي بعكس البيئة ، وانما يقوم بخلقها ايضا. الشعر والشعر العربي منه هو كما قال مؤخرا شاعركم الكبير ادونيس مقولة من مقولات الابداع التاريخي . ان بينه وبين المقولات التاريخية الاخرى ، السياسة والتكنولوجيا الخ. ، علاقات متكافئة ، لا علاقات انعكاسات . ومن الخطأ القول ان الشعر يعكس الواقع . انه كالوعي يؤثر على المقولات الاخرى ، بقدر ما تؤثر هي عليه ... الشاعر انسان ، يؤثر في المجتمع تأثيرات لا يتلقاها هو نفسه من المجتمع . انه بذلك يؤلف رسول فضل القيمة . وذلك يفسر بالتالي تضامنه في الحياة السياسية مع الطبقات الاجتماعية خالقة فضل القيمة » .

ب — يعيد بيرك محاكمة عصر النهضة . فهو يدعو الى نقد النهضة المتهمة « بوضع العرب في طريق خاطىء . اني اعتبر ادباء النهضة مقتبسين ومتممين » .

ج — حول القصة والرواية والانواع الادبية الاخرى ، يرى بيرك ان الفنون التي كانت معروفة سابقا ، أي قبل ما يسمى بعصر النهضة ، قد أخفقت في تجديد نفسها ، نتيجة الصراع بين القديم والجديد . كالموسيقى مثلا . بينما في الرواية وهي نوع ادبي جديد « فقد كان العرب خلاقين بما فيه الكفاية » . وهو يعتبر ان العرب قد نجحوا كثيرا في ميدان الابداع الشعري : « فعندما سيطر الشاعر بما فيه الكفاية على قيم لغته الخاصة لكي يضاعف في الابداع في المناهج او في مصادر الوحي . فقد حقق هذه المضاعفة بواسطة قيم لغته الخاصة ، لا عن طريق مناوأتها. ولذلك بالتحديد اعتقد ان العرب قد حققوا نجاحهم الاكبر في الشعر » .

ان المقابلة مع جاك بيرك ، كبيرة الاهمية . فهي في طرحها للقضايا الرئيسية التي تشكل ميدان الممارسة الابداعية في حقل الادب والفن ، تطرح اشياء جديدة ، ومنهجا في التحليل الادبي يتجلى في ضرورة دراسة الشعر انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية . غير ان الطابع السريع للمقابلة ، قد أبقى أهم المفاهيم التي يطرحها بيرك ، غامضة وخارجة عن اطار الدراسة الموضوعية الهادئة . فموضوع علاقة الشعر بالوعي ، وعلاقة الوعي بالمقولات الاخرى ، ووضع وجهة نظر بيرك ضمن السياق التاريخي لفهم العرب للشعر وممارستهم للابداع الشعري ، قديما وحديثا ، يتطلب مناقشة واسعة ، تنطلق من ضرورة اكتشاف العلاقة بين المستويات المختلفة للثقافة العربية ، وعلاقة هذه المستويات بالتطور التاريخي ، الاجتماعي ، الاقتصادي ، لبنية المجتمع العربي .

درويش يمرّ
بين فراغين !

● يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة « كأني أحبك » [الاهرام ٦ — ٧ — ٧٣] الخط الذي بلوره في « النزول من جبل الكرمل » . فالموقف الغنائي هو موقف مأساوي في بعده الاساسي . والمزاوجة بين الواقع والحلم هي مزاوجة لا تنتهي الا الى تساؤل جديد . فالقصيدة تنتهي في نقطة

بدايتها حول السؤال الذي لا يـزال مرتسما ، والتحولات داخل القصيدة ، ليست سوى محاولة للمزج بين اطراف متعددة ، توحدهـا الكآبة ، ويصير فيها الوطن صدى لامتداد الانسان في عالم موحش ، يغربه ويدفعه خارجا ، فلا يبقى امامه سوى التساؤل :

« لماذا نحاول هذا السفر

وكل البلاد مرايا

وكل المرايا حجر

لماذا نحاول هذا السفر »

ان قراءة ثانية لقصيدة درويش تطرح علينا العديد من الاسئلة ، عن مسار التجريبية في الشعـر العربي ، التي يحاولها درويش في اصرار وعناد . فتجريبيته تتنقل بين محورين :

أ ـــ القصيدة الشاملة ، التي تحمـل موقفـا انسانيا شموليا ، وتحاول ان تبلوره بلغة شعرية تبتعد عن تراث لغة الشاعر ، لتكتشف في اللغة ابعادا جديدة ، ولتقتحم الاسـئلة الصـعبة التي تطرحها المواجهة الواقعيـة . في بناء متعـدد الاصوات ، تتبع هندسته التشكيلية مـن داخـل العلاقة بين اطرافه المتعددة .

ب ـــ الغنائيات ، التي هي استمرار ، لتراث الشاعر اللغوي والرؤيوي ، يقف المغني وسط قضيته ، ويتنقل بين ابعادهـا حاملا صورته فـي الاساس ، المنعكسة على جسد الحبيبة الغائبة دائما .

في العلاقة بين هذين المحورين، ينمو شعر درويش، محاولا ان يمسك بطرفي لعبته الخطرة . فالانتقال نهائيا الى مواقع جديدة ، بشكل جذري ، ليس قضية شخصية ، يستطيع شاعر ان يحلها بشكل فردي . انها قضية تغييرات الواقع ، وانفجاراته، التي بها ، ومعها يتطور الشعر ، ويكتشف ارضه التي يقف عليها

« آه لا بد من حارس بيننا

كأن المياه التي تفصل الجسدين

دم الجسدين

وكنا هنا ضفتين »

« كأني أحبك » ، محاولة للاستمرار الغنائي ، لكن الاستمرار لا يعني البقاء ، دون انعطافات يفرضها منطق الحب ، ومنطق توغل الفجيعة داخل علاقة الشاعر بأرضه وشعبه . فاذا به يمشي بين فراغين ... « مر يوم بلا شهداء » و « مر يوم بلا شعراء » ليصل الى لحظة السؤال عـن معنى العلاقة بين جثته والقمر في بدايـة الشروع في مغامرة السفر ، الذي يبقى سؤالا بغير جواب .

ادونيس . .
يهدم من الداخل

في ٣٠ حزيران ١٩٧٣ ، جرت مناقشة الرسالة التي تقدم بها الشاعر ادونيس لنيل الدكتوراه في الادب العربي في معهد الاداب الشرقيـة التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت. موضوع الرسالة « الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب ـــ منذ نشوء الاسلام حتى نهاية القـرن الثالث الهجري ـــ » وقد شارك في النقاش : الاب بولس نويا ، سعيد البستاني ، انطوان غطـاس كرم وعبدالله عبد الدايم . والرسالة هي حدث هام في حياتنا الثقافية ، لانها من جهة تطرح احد اعقد الموضوعات الفكرية ـــ العلاقة بالتراث وفهمنا لهذا التراث ـــ ولانها من جهة ثانية تتبع منهجية جديدة ، دراسة التراث من منظور مقولتي الثبات والتحول ، لتصل الى استنتاجات جذرية . وفي الدفاع الذي تلاه في بداية المناقشة ، قدم ادونيس الخطوط الرئيسية لاستنتاجات رسالته : « بما ان الثقافة العربية ، بشكلها الموروث السائد ، ثقافة اتباعية ، لا تؤكد الاتباع وحسب ، وانمـا ترفض الابداع وتدينه ، فان هذه الثقافة ، تحول بهذا الشكل الموروث السائد ، دون اي تقدم حقيقي . لا يمكن بتعبير آخر ، كما يبدو لي ، ان تنهض الحياة العربية ويبدع الانسان العربي ، اذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه ... غير ان كل تغيير يفترض الانطلاق بأن اصل الثقافة العربية ليس واحدا بل كثير . وبأن

هذا الاصل لا يحمل في ذاته حيوية التجاوز المستمر ، الا اذا تخلص من المبنى التقليدي ولا يكون اولوية للمعنى على الصورة ، او للنطق على الكتابة ، بل هناك جدلية وحدة بينهما .

واذا كان التغيير يفترض هدما للبنية القديمة التقليدية ، فان هذا الهدم ، لا يجوز ان يكون بآلة من خارج الذهنية العربية ، وانما يجب ان يكون بآلة من داخلها . ان هدم الاصل ، يجب ان يمارس بالاصل ذاته . وفي هذا الهدم يجب التوكيد على ان الحقيقة ليست في الذهن بل في التجربة . والتجربة الحقيقية الحية هي ما تؤدي الى تغيير العالم . وهكذا تكون النظرية الصحيحة وعيا بممارسة عملية تستهدف هذا التغيير » .

وفي المقدمة التي كتبها ادونيس لرسالته ، محاولة لدراسة أهم التيارات الفكرية والادبية منذ نشوء الاسلام وحتى نهاية القرن الثالث الهجري . وهو في مقدمته يحاول أن يعيد تركيب الفكر العربي ضمن هاتين المقولتين ، ليكتشف ان لا جدل بينهما بل هما يسيران في خطين متوازيين .

ان الاهمية الكبرى لرسالة ادونيس هي في جرأتها على طرح المسألة الاكثر تعقيدا في فكرنا العربي . وهو في محاولته هذه ، يحاول اعادة فهم التراث العربي ، واعادة تصنيفه وتقويمه . وادونيس في رسالته هذه يتابع العمل الذي قام به في مقدمة « ديوان الشعر العربي » وفي « زمن الشعر » حيث حاول التنظير للحركة الشعرية العربية بمقاييس « فنية » لا تكشف ارتباط البنى ببعضها ، انما تقيم بينها مجرد نقاط تقاطع . وهذا يؤدي الى وقوع البحث في الانتقائية . والرسالة سوف تصدر قريبا في بيروت . ولا بد من العودة اليها ومناقشتها بشكل مفصل .

مشروع رواية

صدر عن دار ابن خلدون رواية عاصم الجندي « كفرقاسم » . والرواية هي مشروع اولي لكتابة سيناريو عن مذبحة كفرقاسم . انها دراسة أعدت لتكون الخلفية التي يبنى على اساسها سيناريو سينمائي . لذلك فهي تحاول ان تتكون في اطار متحرك لعلاقات اجتماعية وسياسية تربط بشرا محددين الى بعضهم البعض في مواجهة الوحشية الاسرائيلية . انها كرواية ، تفتقر الى مقومات العمل الروائي الحقيقي . انها مشروع اولي .

فيه الكثير من الحقائق التاريخية ومن جهد البحث. وقد فاز سيناريو هذه الرواية الذي أعده المخرج اللبناني برهان علوية بالجائزة الاولى في مسابقة سينمائية للدول الناطقة بالفرنسية . قيمة الجائزة مئة الف ليرة لبنانية تستخدم لانتاج السيناريو سينمائيا . وسوف تقدم الجائزة في مهرجان يقام في بيروت بين ١ و١٣ ايلول ١٩٧٣ .

الياس خوري

اسرائيل والتكنولوجيا :
ثلاثة تقارير

التقرير الاول

التكنولوجيا في اسرائيل

الدكتور محمد عجلان

للموضوع أهميته الكبيرة بسبب عديد من العوامل، تضافرت لتعطي له أهمية تكاد تكون الاولى حاليا فيما يتعلق باسرائيل . وأبرز اهميته سرعة الهزيمة في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ — وقسوتها ومداها . ولعبت اسرائيل على نغمة الفجوة التكنولوجية بينها وبين العرب لتجعل من مجرد الاسم رعبا يملأ الصدور . وساعدها الاستعمار بالاعلان في كل مناسبة عن تميز تكنولوجي جديد يضيفه الى ترسانتها . بل ووقع الكثير من العرب اسرى هذا المخطط . راح الذين أعمت الشماتة قلوبهم يرددون قول اسرائيل والاستعمار . وذهب دعاة اليأس والاستسلام الى تضخيم ما سمي بالفجوة والدعوة الى الصبر والتأني حتى يكون للعرب نصيبهم من قدرات هذا المارد الجديد . وراحت اقلام — قد لا يشك في اخلاصها — ببحث ظواهر مختلفة في المجتمع الاسرائيلي وهي أسيرة قسوة الهزيمة ومداها ، وخرج ما كتبته هذه الاقلام — بصرف النظر عن النوايا — تضيف انغاما في السيمفونية الكبرى التي يعزفها الاستعمار واسرائيل . وتكاد الشعوب العربية لهذا تقع أسيرة التميز التكنولوجي الاسرائيلي . وتكاد صورة المارد تطغي على ما عداها من صور في أمر النزاع العربي الاسرائيلي. من هذا وغيره ، كانت للموضوع اهميته القصوى. ومن هذا وغيره ، تكون صعوبة المعالجة ، لانها تتم في أرضية تكاد لكثرة ما بث فيها من دعاية تشبه حقلا من الالغام . وليكن سبيلنا لنشق طريقنا خلاله عددا من النقاط يتم الاتفاق حولها قبل الدخول الى الموضوع .

أولا : ان المعالجة لا يمكن ان تكون اكاديمية تعنى بالظاهرة من حيث هي فحسب . تعدد جوانبها المختلفة ، وتقيم هذه الجوانب وتصل في النهاية الى استنتاج وان بني على عدد من الحقائق الا انه كان استنتاجا أصم .

ثانيا : ان أي ظاهرة في المجتمع الاسرائيلي — وكل المجتمعات — لا يمكن أن تنفصل عن باقي الظواهر، بل أنها جميعا وفي الظروف الطبيعية للمجتمعات يجب أن تنعكس على بعضها بعضا . تلك قاعدة جدلية لا يجوز ان نحيد عنها حتى لا تقع فريسة التأثير الخاص لاي لون من الوان الظرف وحده .

ثالثا : الا نقع فيما وقع فيه الكثيرون قبل يونيو (حزيران) ١٩٦٧ من فرط التهوين .

رابعا : والا نقع فيما تريد لنا اسرائيل والاستعمار بعد يونيو ١٩٦٧ من فرط التهويل .

وليكن هدفنا تقييما موضوعيا اهم ما نصل اليه منذ ان نستكشف الطريق السليم للتحرير واستعادة الحقوق .

المجتمعات التكنولوجية

اذ توصف اسرائيل بالتقدم التكنولوجي الكبير بالنسبة للعرب، في وقت تتعالى فيه الاصوات كذلك عن الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة في العالم، فان الربط الذهني يكون تلقائيا فيما بينهما ويصبح المستمع — اراد او لم يرد — مضطرا الى ان يربط بين هذه وتلك ، وان يرى في اسرائيل صورة محلية من هذا الواقع العلمي الجديد . ومن هنا

كان واجبا ان نتلمس ملامح تلك الثورة التكنولوجية العالمية وما تستلزمه في المجتمعات التي وجدت بها، وما تضفيه عليها من صفات ليكون هذا منظارا — وفي الواقع معيارا — نرى ونقيس به المجتمع الاسرائيلي .

ومع أنه باعتبار الثورة التكنولوجية وافدا جديدا على المجتمع العالمي ، وقد تختلف الاراء بعض الشيء حول آثارها الاجتماعية والسياسية او الشروط الاجتماعية اللازمة لنموها وتطورها الا انه تكاد الاراء تتفق حول اعتبار الثورة التكنولوجية نتاجا طبيعيا لظاهرتين تلازمتا في العقود الاخيرة ، الاولى ظاهرة « الطوفان العلمي » بكل ما تحمله كلمة الطوفان من معاني الاكتساح والسيطرة والطغيان ، والثانية الاستخدام السريع الفوري لهذا الانجاز العلمي في حقول النشاط الاقتصادي عامة .

وينتج من ذلك عديد من المستلزمات حتى تتحقق منهما الظاهرتان المتلازمتان ضمن ملامح الثورة التكنولوجية . لعل اهمها **وجود قاعدة علمية** قادرة على الخلق والابتكار وليس مجرد الاضافة للمحصول العلمي الانساني ، **ووجود قاعدة صناعية** لها من التقدم التكنيكي وترتبط بالبحث العلمي التطبيقي الى درجة ان تستطيع تحويل الانجاز العلمي الى واقع عملي .

أما **القاعدة العلمية** فيكاد يتفق الرأي على أنها تكون قد تواجدت اذا ما تحقق ان يوجد في المتوسط ثلاثة من العلماء (وليس مجرد المشتغلين بالعلم) لكل ألف من السكان ، وان يكون الهرم العلمي بحيث لو افترضنا ثلاثة مستويات للابداع العلمي فانه يكون هناك ازاء كل عالم في المرتبة العليا اربعة في المرتبة الثانية ، وتسعة في المرتبة الثالثة . هذا الوضع الذي ينتج عنه توسع كبير في التعليم الجامعي الى حد انه من بين كل ١٠٠٠ من السكان ينخرط في الجامعة ٢٩ فردا في الولايات المتحدة (او ٤٣ ٪ من عدد المواطنين الواقعة اعمارهم بين ٢٠ ، ٢٤ عاما) ، ١٨ فردا في الاتحاد السوفياتي ، ١٠ في هولندا ، ١٠ في السويد ، وذلك ليتوفر دائما الفيض المستمر من الاعداد اللازم انخراطها في سلك البحث العلمي . كما يستلزم وجود القاعدة العلمية أمران اخران ، الاول تزايد الانفاق على البحث العلمي الى ان يصل في المتوسط الى ٢،٨ ٪ من الناتج القومي. فالواقع ان الولايات المتحدة ، مثلا تنفق ما يزيد على ٤ ٪ على البحث العلمي ، كما ينفق الاتحاد السوفياتي حوالي ٣،٥ ٪ بينما يتراوح ما تنفقه اوربا حوالي ٢ ٪ من الناتج القومي . ولا بد ان يستقر في الاذهان انه ليست مجرد النسبة هي الدالة الفعلية بل لا بد من ارتباطها بصورة مباشرة بالناتج القومي في هذه البلاد ، والذي يجعل من مخصصات البحث العلمي ارقاما تكاد بالقياس الى ميزانيات عديد من الدول النامية تصبح ارقاما فلكية . أما الامر الثاني الذي يستلزمه الاقرار بوجود القاعدة العلمية فهو امكان مضاعفة المحصول العلمي في عدد قليل نسبيا من السنين . ولعلها حقيقة قد تصلح بعض الشيء للمقارنة ان نذكر ان اوربا وقد بدأت نشاطها العلمي منذ منتصف القرن السابع عشر اذ كان متوسط مضاعفتها للمحصول العلمي كل ١٥ عاما بينما كانت الفترة عشرة اعوام لامريكا الشمالية بدءا من منتصف القرن الثامن عشر ، وكانت سبعة أعوام للاتحاد السوفياتي بدءا من ثورته الاشتراكية في ١٩١٨ ، وكانت خمسة اعوام بالنسبة للصين بدءا من ثورتها الحديثة في ١٩٥٠ .

ويضاف بالضرورة في شأن القاعدة العامة ان تصبح رسالة خريج الجامعة — ذلك الذي يجب ان يهيىء أساسا للبحث العلمي — في أي موقع له في المجتمع، طاقة عاملة في البحث العلمي، وليس مجرد تسيير الاعمال . لقد أنفق قدر من الثروة القومية لكي يصل بالتعليم الجامعي الى هذا المستوى ، وان تستغل قدراته عند اقل من هذا يكون اهدارا لقدر من الثروة القومية . وهذا واقع يستلزم بالتالي ان يتوفر في المجالات العملية — على الاقل — لكل جامعي ثلاثة الى اربعة افراد من ذوي التأهيل المتوسط . يتيح وجودهم ومعاونتهم للجامعي في العمل أن يحقق الدور المفروض منه. والواقع أن الامور تذهب الى أبعد من ذلك . فالبحث العلمي والتوجه العلمي في الاداء وتحقق اثر البحث العلمي والمعرفة العلمية في الواقع الاقتصادي للمجتمع لا يتحقق بانزواء البحث داخل المعامل والمختبرات فحسب ، بل يجب ان ينتقل الاسلوب العلمي الى الممارسة اليومية للحياة في المجتمع . فالعمل اليومي في اي موقع ومكان من المجتمع يوفر الاف وملايين الفرص للمشاهدات ، وتسجيلها ، والربط بين الظواهر ، والوصول الى استنتاجات مبدئية على الاقل ، ذلك النوع من

النشاط الفكري الذي يمكن أن يوجه البحث التطبيقي على الاقل في عديد النواحي ، ويوفر اصدق المجالات للحكم على نجاحه. والمعيار الحقيقي للتقدم العلمي في أي مجتمع — ومن ثم رسوم القاعدة العلمية فيه — يكمن ليس في كمية البحوث التي تفرزها مختبراته ومعامله ، بل في استطاعة افراد هذا المجتمع — أيا كانت مهنهم — أن يراقبوا النتائج العلمية في التطبيق ، وان يحققوا صحتها، بل وان يحسنوها وان يضيفوا من الاقتراحات ما يساعد على تطويرها .

اما القاعدة الصناعية فحتى يوصف احد البلدان بأنه قد حقق وجودها فان ذلك يتضمن ليس مجرد قيام الصناعات المختلفة فيه ، بل مواصفات معينة للقطاع الصناعي . وهذه وان كانت عديدة الا انه يمكن ان يؤكد اتفاق الرأي بصورة واسعة على اضفاء هذه الصفة اذا تحقق عدد من الشروط لعل أهمها :

* قيام الصناعة الثقيلة ويعني بها في الاساس صناعات الحديد والصلب والمعادن غير الحديدية والصناعات الهندسية .

* واذا كانت الصناعات المعدنية معروف ما يعني بها ، فان وجود القاعدة الصناعية تستلزم أن تشمل الصناعات الهندسية انشطة مثل صناعة الادوات ، معدات انتاج الكيماويات ، معدات الهندسة الكهربائية ، صناعة المعدات والماكينات الثقيلة ، وآلات توليد الطاقة ، ومعدات النقل وآلات تشغيل المعادن وهكذا .

* ولا يعني هذا مجرد انتاج هذه القوائم من المعدات والالات ، بل انه يلزم عند اختبار التركيب الانتاجي في أي بلد من البلدان أن يفحص بدقة التركيب الداخلي أي التركيب الانتاجي داخل كل فرع من فروع الصناعة ، فلهذا اثره الكبير على تقدير المستوى التكنولوجي للانتاج في الفرع ومن ثم الانتاج القومي ككل .

* هنا تدخل اعداد من معايير القياس بالاضافة الى المعايير المعتادة منها التوزيع النسبي للرأسمال الثابت بين اجهزة الانتاج واجهزة القياس والتحكم والمعايرة ، ومؤشرات الكفاءة الانتاجية التي تبنى على أساس الربط بين الانتاج والاتفاق من عوامل الانتاج في توليد وحدة الانتاج ، ومدى الهدر في استخدام المستلزمات بمختلف مصادرها ، ونسبة رأس المال اللازم لتشغيل العامل مقارنا بالغير ، ونسبة الانتاجية مقارنة كذلك بدول اخرى ذات مستويات مختلفة من التطور ، ومؤشرات التطوير في طرق الاداء كما تنعكس على هذه العوامل السابقة وهكذا .

وحين يتم التلاحم بين القاعدة العلمية والقاعدة الصناعية وهو الشرط الضروري لاسهام المجتمع في الثورة العلمية والتكنولوجية العالمية ، فان ذلك يعني فوق ما سبق او يجب ان يتحقق منه عديد من الصفات التي يمكن الاشارة اليها في :

* ان يتزايد معدل النمو للناتج القومي بمعدلات مرتفعة ، ولكن يصبح أغلبه راجعا الى التقدم العلمي والتكنيكي الناتج من انجاز علمي تكنولوجي أكثر من أن يرجع الى زيادة الاستثمار من رؤوس الاموال ، او لزيادة العمالة كما او كفاءة . ذلك مما ينطبق على الدول المتقدمة فعلا ، وان كان يلزم بعض الحذر في اعماله على الدول النامية ، وكثير منه في حالة الدول المتخلفة .

* ان يتضاءل نصيب المواد الخام في اقتصاد الدولة اذ يتقلص القدر الناتج عنه في تكلفة الانتاج، ويصبح القدر الاكبر من التكلفة راجعا الى الثروة العلمية المستغلة في الانتاج ، سواء كانت في صورة البحوث العلمية التي أنشأته وتطوره او في صورة الاسلوب التكنولوجي المستخدم في الانتاج ومدى تقدمه .

* ان يتحول الانتاج وعلى الاخص الصادرات في تزايد نسبي لصالح الصناعات النامية مثل المعدات الالكترونية والطيران والادوات العلمية والكيماويات على حساب الانتاج والصادرات التقليدية .

* ان يتزايد نصيب الاثمنة ممثلا في تزايد عدد العقول الالكترونية من مختلف الاحجام والقدرات في رأس المال المستغل .

* ان يكون للمجتمع ككل دور متزايد في الاتجاه العالمي الحالي نحو تسخير واستخدام الطاقة الذرية وفي الصناعات الكيماوية كممثل فعلي للاتجاه التكنولوجي الحديث والالكترونيات كمفتاح السيطرة العلمية على الانتاج وعلى نشاط الطيران ووسائل التحكم والقياس سواء عن قرب او عن بعد .

وحقيقة ان ما سبق انما يعطي ملامح تلك المجتمعات التي يمكن وصف انها تشارك في الثورة العلمية

والتكنولوجية المعاصرة ، ولكن هذه الملامح حيث تتحقق فانها لا تنشأ من فراغ ، بل هي النتاج الطبيعي لعملية تطور مستمرة في المجتمع دفعت به الى بلوغ هذا الشأن .

ويلعب عديد من العوامل دوره في وصول المجتمع الى ذلك الوضع . لعل أولهـا ضخامة المجتمع بالمعنى المادي للكلمـة أي في مساحته وخاماتـه وعناصره البشرية وفوق ذلك انتاجه القومي وما يخصصه للبحث العلمي وللمستوى التعليمي لافراده كافة ، ولعل منها توفر رؤوس الاموال القادرة على المخاطرة والمثابـرة وراء البحث ونتائجه ، ومنها كذلك اتساع السـوق سواء المحلـي او الخارجي الذي يتيح انطلاق الانتاج المحقق الـى الاستهلاك ، ومنها كذلك ــ في الدول الرأسمالية بالذات ــ وجود الشركات العملاقة التي يمكن ان تسيطر على مراحل عملية انتاجية معينة من ألفها الى يائها وأن تعمل كل عوامل تحسين النـوع وخفض التكلفة وتدرج العمليات وغير ذلك والتي تتيح لها امكانياتها الانفاق على البحث العلمـي والذي يصل كمتوسط في العالم الان الى ما بين ٢٠،١٠ ٪ من اجمالي انفاقها .

وقد يتميز بين هذه العوامل في المجتمع ارتفـاع المستوى التكنيكي لدى أفراده الذي لا بد يسمح بأن تتحول الاعمال التي تؤدى في تلقائية وميكانيكيـة ورتابة الى وسائل تكنيكية بحتة تخلى العامل من العمل العضلي ليتفرغ للعمل الذهني وهو المرحلة الاولى نحو دخول مجتمع الثورة التكنولوجية التي فيها يسلم النشاط الذهني المرتبـط بشكل مباشر بالعملية الانتاجية الى الالات ذاتها عن طريق العقول الالكترونية التي تحكم أداؤها . كما يتميز بـين العوامل ارتفاع المستوى التعليمي عامة. فبالاضافة الى ما ذكرناه عن نسب التعليم الجامعـي فان مجتمعنا في عصر الثورة التكنولوجية لا يمكـن ان يعيش أو أن يتقدم فيها اذا كان مستوى اغلبيـة افراده عند ما اصطلحنا على تعريفه بالمرحلـة الابتدائية ، غير أن نشاط البحث العلمي وزيادة خريجي الجامعات ، وتوجيههم نحو البحث العلمي في مواقع عملهم شروط اساسية ولكـن ارتفاع مستوى التعليم عامة في البلاد شرط مكمـل ولا يصلح الاول بدونه .

ان ارتفاع كل من التقنية (التكنيك) والمستوى العلمي انما هما في الواقع طاقة تكنولوجية محتملة.

الصورة الاسرائيلية

يجب عنـد استعراض صورة المجتمع الاسرائيلي في أي شأن من شؤونه أن نضع نصب اعيننا وان يظل في الذهن دائما عدد من المعايير المدروسـة التي ينظر لذلك الشأن في ضوئها . فنحن العرب عرضة على الدوام للانبهار بمختلف ظواهر تلك الدولة . لقد دأبت دعايتنا وحكامنا طوال القدر الاكبر من ربع القرن الذي مضى من حياة اسرائيل ــ بل وفيما قبله ــ يبثون فيما بيننا ما يدفع الى الاحتقار لشأن هذه الدولة « المزعومة » وعلـى العكس التضخيم لكل ما نملك او نستعمل من سلاح ــ اذا كنا قد استعملنا ــ ازاءها حتى سرت العقيدة لدينا بأن اسرائيل ما هي الا كيان تافه تكفي هبة مـن الريح لتلقي بها في زوايا النسيان . واذ تعيش شعوبنا أسرى هذا الوهم الذي لم يكن له من جانب العرب ما يسنده ثم فجأة بمرات ثلاث متتالية من انتصار ان لم يكن ساحقا فهو كبير لهذا الكيان الضعيف ــ كما ظللنا نسمع ــ لامر كفيل بأن تفغر الافواه بالدهشة وان يولد رد فعل يذهب بنا من النقيض الاول هو وهم الدعاية العربية المستمرة بضعف العدو وتفاهة شأنه ، والنقيض الثاني هو الانبهار الى حد اليأس بانجاز ذلك « الضعيف ، التافه الشأن » .

ولقد دفعت نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بسبب سرعتها وقسوتها الى انهيار ذلك الاسلوب الدعائي العربي السابق ، وارتفع عاليا ــ وربمـا لاول مرة ــ صوت الداعين بالمعرفة بالعدو قدر المعرفة بالنفس كضرورة أساسية لامكان ان يتحقق للعرب نصر . وتوالت الدراسات الهادئة الهادفة حول مختلف شؤون المجتمع الاسرائيلي .

ولكن ليس من خشية في ان نقول ان تلك الدراسات تأتي ونحن العرب في حالة الانتقال من النقيض الى النقيض . تأتي ونحن في حالة الانبهار مما استطاع ان يحقق ذلك العدو الذي درجنا عشرين عاما على رؤيته ضعيفا لا يصمد امام نفخة من الريح ، ومن ثم فقد يشوبها بعض من التضخيم ، وقد يعتريها بعض المغالاة . ذلك أمر محتمل . يضاف له انه لا يمكن لعربي ان يدرس شأنا من شؤون اسرائيل او ان يعرض لامر من أمورها الا وكانت الصورة العربية خلفية ثابتة في ذهنه لا يفتأ يعرض ما يدرس للمقارنة ازاءها . وتزداد هنـا الفرص لحـالة الانبهار . انه ليس من انكار ان واقعنا متخلف ،

وان التخلف يذهب به في بعض النواحي ان يكاد المرء يخجل من الحديث عنه . ولكنه واجب ان نحذر دائما من أن يجعل هذا من صورة العدو عملاقا ننتهي في النهاية ان لا سبيل الى مجاراته. ذلك في الواقع حذر لا بد ان يتوفر لكل من الكاتب والقارىء قبل أن نعرض لصورة اسرائيل والتكنولوجيا .

لقد أوضح ما سبق أن عرضناه في شأن الثورة التكنولوجية العالمية المعاصرة، وفي شأن التكنولوجيا عامة انه لا بد أن ننظر اليها من زوايا ثلاث ، زاوية القاعدة العلمية ، وزاوية القاعدة الصناعية والزاوية المشتركة حيث يلتقيان ويتفاعلان وهي زاوية الاقتصاد .

النشاط العلمي في اسرائيل

ان من المسلم به أن ادراك دعاية الصهاينة لدور العلم وأهميته في بناء الدولة الصهيونية يرجع الى نفس الوقت الذي بدأ فيه هرتزل دعوته المنصرية، وان التخطيط للنشاط العلمي قد بدأ منذ اوائل القرن الحالي .

وانعكس هذا عمليا في انشاء الجامعة العبرية في القدس منذ ١٩١٨ ، وأعقبها اقامة كل من معهد وايزمان ومعهد التخنيون حيث استطاعت ثلاثتها مع الوقت والجهد أن تصل الى مرتبة متقدمة من الناحية الاكاديمية تعترف بها الاوساط العلمية العالمية .

وتابعت الدولة بعد قيامها نفس الاتجاه فأنشأت هيئة الطاقة الذرية الاسرائيلية بعد ثلاثة شهور فحسب من قيامها ، وأضافت جامعتين جديدتين في تل ابيب وبار ايلان ، ، ونشرت عددا من المعاهد يوردها دليل المؤسسات العلمية والتقنية في اسرائيل، منها ٦٨ مركزا في قائمة المعاهد والمحطات ومراكز الابحاث المتخصصة في التكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، ٥٢ مركزا آخر في قائمة مراكز التطوير والبحوث في الحقل الصناعي تتوزع تخصصات الاولى منها بين العلوم الزراعية والاسماك والصحة ومصادر المياه والبترول والشؤون الصناعية والتحليل النفسي والطقس واخيرا علوم الفضاء والطاقة الذرية ، كما يتميز من بين مراكز النوع الثاني سبعة تخصصت في صناعات الكترونيات الصناعة والطب والملاحة الجوية ومعدات الاشارة والانذار والاجهزة العلمية وصناعات الطيران وما يتصل بها .

وتبذل اسرائيل جهدا كبيرا في سبيل اعداد القوة البشرية اللازمة لسير الابحاث العلمية في الجامعات والمعاهد الى درجة ان يزيد العدد الى حد ما عن ٣٠٠ باحث نصفهم على الاقل من حملة الدكتوراه . وفي سبيل استمرار تجدد المعرفة العلمية والاتصال بالتطورات العلمية عالميا فانها تشترك في معظم المؤتمرات العلمية العالمية والاجتماعات والحلقات والندوات والدورات التدريبية حتى كانت الثانية بين دول العالم في هذا الشأن بنسبة مساهمة وصلت الى ٨٨ ٪ بعد أمريكا فقط . وتوالى ارسال العلماء للاستزادة والمشاركة في البحوث في معاهد خارجية ، وتنشط في اقامة المؤتمرات العلمية محليا حتى كان متوسط عدد المؤتمرات العلمية (أو ما يشابهها) التي تعقد بها يزيد عن عشرين اجتماعا سنويا . كما تنظم ترجمة لكل الدوريات والمقالات العلمية في العالم لتتوفر بذلك لدى افرادها المراجع العلمية كاملة فضلا عن استغلال الترجمة تجاريا .

ومع ان اسرائيل تخرج من حملة الدكتوراه عددا اذا قيس بالنسبة الى عدد السكان لفاق معظم دول العالم ، الا انها تشجع هجرة الفنيين والاخصائيين اليها من الخارج ، وتقوم جمعيات صهيونية بالدعوة والتشجيع والتمويل لهذا النوع من الهجرة الى حد ان صار تركيب الطاقة البشرية العلمية والتكنولوجية في منتصف الستينات مكونا من ٥٢٪ من خريجي المعاهد الاكاديمية الاسرائيلية، ٤ ٪ طلاب أنهوا تحصيلهم العلمي في الخارج والباقي وقدره ٤٤ ٪ من المهاجرين والوافدين . اما تمويل البحوث العلمية والتقنية فمتعددة المصادر . فاسرائيل تنفق ما يمثل حوالي ١٫٥ ٪ من الدخل القومي (او ١٫٣ من الناتج القومي) على البحوث ولكن هذا الرقم تراوح في نسبته الى اجمالي الانفاق على البحث العلمي بين ١١ ٪ ، ٦٥ ٪ حيث يمول الباقي من مصادر خارجية اهمها « جمعيات اصدقاء » المعاهد الاسرائيلية في الخارج، وبعض المؤسسات الخاصة والعامة والشركات العالمية (شركة فولكس فاجن مثلا) . والهيئات الحكومية الامريكية التي تصل مساهمتها في تمويل بعض البحوث الى ١٠٠ ٪ .

وأدى هذا الجهد المستمر الى الاثمار في حقل البحوث العلمية المنشورة فحققت اسرائيل معدل نشر قدره مقال علمي لكل عالم بحثي سنويا ، وهو

معدل يفوق جميع الدول النامية على الاطلاق ، بل ويتفوق في الكم — أي من ناحية العدد — على انتاج قارات بأكملها مثل أمريكا اللاتينية .

هذا في شأن قوى البحث العلمي وقيادته . أما في شأن الجامعيين العاديين فيحتوي المجتمع الاسرائيلي على حوالي ٥٥،٠٠٠ جامعي من مختلف التخصصات ، تفخر اسرائيل بأن من بينهم ٩٠٠٠ مهندس بمتوسط قدره ٣ مهندسين لكل ألف من السكان وهي نسبة لا تتوفر لعديد من الدول الاوربية ، وان بينهم من الاطباء ما جعل نسبتهم الى السكان كنسبة ١ : ٤٠٠ وهي افضل نسبة عالمية في هذه الناحية ، مما امكن ان يوفر من بينهم حوالي الالف للقيام ببحوث علمية في الطب وعلوم الحياة ، وان كان من وفدوا اليها كمهاجرين من هؤلاء الاطباء يبلغون سبعة أضعاف من تلقوا علومهم الطبية في البلاد .

هذا وغيره من الحقائق حول التعليم العالي في اسرائيل يمكن ان يحدث بالفعل بعض الانبهار ، ولكن استكمال الصورة عن التعليم عامة او عن الصلة بنواحي النشاط الاقتصادي سوف يقلل بالتأكيد من درجة الانبهار وان كان لن يمحو حقيقة ان هناك تقدما وفي نواح معينة خاصة اذا ما قورن بالدول العربية المجاورة .

فهذا العدد من الجامعيين في اسرائيل والذي جلبت نصفه تقريبا من الخارج لا يزيد كثيرا عمن حصلوا هذا المستوى العلمي من شعب فلسطين المشرد ، والذي لو توفرت له الارض والتجميع والتنظيم لربما استطاع ان يحقق ما يحققه الاسرائيليون خاصة في الظروف الثورية التي يعيشها هذا الشعب .

واذا كانت الاحصاءات تتضارب بعض الشيء في شأن مستويات التعليم في اسرائيل الا انه يمكن ان يستنتج منها ان المحصول العلمي يقف عند مستوى المرحلة الابتدائية لحوالي نصف السكان ، وان من تتاح لهم فرصة اكمال الدراسة حتى المرحلة الثانوية لا يزيد عن ٢٥ ٪ بأي حال ، بالاضافة الى حوالي ٢٠ ٪ يتلقون تعليما فوق المرحلة الابتدائية اما في المدارس الثانوية المهنية او في مراكز التدريب المختلفة ليتبقى ما بين ٥٤٣ ٪ (حسب الاحصاءات المختلفة) تتاح لهم فرصة التعليم الجامعي . وهذا الاخير رقم ضعيف بالنسبة لدولة كاسرائيل يتوفر لها الدعم المالي اللازم ، ووضع مخططوها للعلم شأنا في حسابهم ، بل انه ينخفض عن النسبة المناظرة في اكثر من دولة عربية .

وينعكس هذا الوضع بالفعل على تركيب قوة العمل الاسرائيلية التي يبلغ نسبة العمال غير المهرة فيها ٢٦،٢ ٪ ونصف المهرة ٣٠،٩ ٪ والعمال المهرة ٢٨،٦ ٪ والفنيون ٩٢ ٪ والجامعيون ٥،٢ ٪ كما ينعكس في نسبة الفنيين الى الجامعيين حيث لا يوجد سوى ١/٣ ١ فني لكل مهندس بينما ان المتعارف عليه وجود ما بين ٤،١٣ من هؤلاء حتى يتوفر للمهندس ان يعمل بالمستوى الذي يجب ان يعمل عليه المؤهل جامعيا . ولذلك كثيرا — حسب أقوال المشاهدين لذلك المجتمع — ما تجد المهندسين يقومون بأعمال الفنيين . ولذلك يقرر المهندسون في مؤتمر عقدوه بالقدس في يناير ٦٧ اللوم للحكومة لانها « لا تخلق الاجواء المناسبة التي يستطيع المهندسون ان يلعبوا الدور الرئيسي في الصناعة عوضا عن السماسرة » .

ورغم الجهد الاسرائيلي في اخفاء الارقام عن هجرة المهندسين والاطباء والعلماء فقد ثبت انه قد هاجر خلال الفترة ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ من اطباء اسرائيل ٥٤،٣ ٪ ، وتشير احصاءات هيئة الامم ان نسبة المعدل السنوي للمهندسين الذين نزحوا من اسرائيل الى الولايات المتحدة وفرنسا وكندا بالنسبة لمجموع خريجي الجامعات في كافة الحقول بلغت ١٥،٧ ٪ لنفس الفترة الزمنية المشار اليها . ويعترف رئيس معهد التخنيون في حيفا « ان السبب الرئيسي لنزوح خريجي المعهد يعود الى ان ٤٦ ٪ من خريجي قسم الهندسة قد وجدوا اعمالا كفنيين في اسرائيل ، وليس كمهندسين في حقول اختصاصهم » .

ولا تتوزع التخصصات في التعليم العالي توزيعا يسترشد بالاحتياجات الفعلية للبلاد ويخطط على اساسها فتجد مثلا ان العلوم الاجتماعية والانسانية والحقوق لا تحظى بأكثر من ١٥ ٪ من مجموع الطلاب ، كما نجد في النهاية ان المجتمع يعاني تخمة زائدة من المحامين مثلا ومهندسي الالكترونيات .

ويشير عديد من الدلائل ان كثيرا من البحوث العلمية الممولة من الخارج انما تستهدف مصلحة الممول قبل ان تكون ذات فائدة مباشرة للمجتمع ذاته . والعلم والبحث العلمي في هذه الحالة لن يمثل الا بيعا لقوة العمل لصالح مشتر من جهة ما بدلا من ان يمارس وضعه الذي تفترضه الثورة

التكنولوجية المعاصرة من حيث تحوله الى قوة انتاجية مباشرة للمجتمع المعني .

ولربما كان أخطر ما يعيب التنظيم العلمي الاسرائيلي عامة هو ذلك التمايز العنصري الكبير بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، والذي لا بد تنعكس له آثار سياسية واجتماعية طال الوقت أو قصر .

ولكن نعود في النهاية لنكرر ان التقييم الصحيح لاوضاع العلم في اسرائيل يجب ان يأخذ جانبي الصورة في الاعتبار بايجابياتها وسلبياتها حتى لا نقع في خطأ التهوين حين نرى السلبيات فحسب ، او في انحراف التهويل اذ لا تقع العين الا على الايجابيات .

النشاط العلمي والانتاج

وقد نجد هنا عديدا من المنجزات التي تصدق أمثلة لاستخدام العلم في دفع القوى الانتاجية قدما الى الامام . فحين تنتشر ٤٥ محطة لقياس الطاقة الشمسية ، ينعكس ذلك في استغلال الطاقة الشمسية في كثير من التطبيقات الصناعية حيث تحتوي الكثرة من المنازل في النقب على سخانات شمسية لتسخين المياه والتدفئة المركزية ، وتصنع برادات (ثلاجات) شمسية تقوم على استخدام تيار دائم من بخار الماء وبعض المركبات الغازية .

واذ تتدعم البحوث الذرية ، وتوليها الدولة كل العناية — لاسباب سوف نستجليها فيما بعد — يتحقق من ذلك ان تنجح اسرائيل في تموين العالم بحوالي ٩٥ ٪ من احتياجاته من الاوكسيجين الثقيل ، وتستخدم النظائر المشعة في العمل في ١٢٢ مؤسسة صناعية بينها مصانع للبطاريات والاطارات والمولدات الكهربائية والانابيب والاسلاك والفولاذ والحديد والمعادن والادوية والاصباغ وغيرها . ويستخدم الكربون المشع في الابحاث التاريخية . ويستطيع علماء اسرائيل المشاركة في تصميم المفاعلات النووية اللازمة لتحلية مياه البحر وفي نفس الوقت انتاج الكهرباء كمساهمة في حل أزمة الطاقة في اسرائيل ، ورسم المشاريع لحفر القنوات باستغلال التفجيرات الذرية ، واستخدام النظائر المشعة في مكافحة الحشرات عامة وذبابة الزيتون بصفة خاصة الى حد نقل الخبرة العلمية في هذا الصدد الى اليونان .

ويأخذ العلم اتجاهه نحو الابحاث التطبيقية للمشاركة في حل بعض القضايا المستعصية، فحسب ما جاء في كتاب اخطار التقدم العلمي في اسرائيل « تطورات الابحاث الرياضية تطورا انقلابيا بمجيء البروفيسور حاييم بيكرز وجماعته الى رحفوت ، اذ أنهم جابهوا مشاكل رياضية اهم بكثير من مشاكل الرياضيات الكلاسيكية » فقد وجدوا ان اسرائيل تحتاج الى الماء والوقود . ومن اجل ذلك تركوا الرياضيات النظرية وانصرفوا الى تطبيق أساليبها في ميدان الجيوفيزياء حتى توصلوا الى مغريات ناجحة انتهت باكتشاف البترول في ناحية والى حل المشاكل المتعلقة بالمد والجزر في المحيطات في ناحية اخرى .

وينجح العلماء الاسرائيليون مع صناعة الالكترونيات في تصنيع خمسة من العقول الالكترونية ، وان كان يوجد منها الان ما يناهز المائة عقل ، الا ان هذا الانجاز مما لا يمكن اغفاله .

واذ يعود العلماء الى الارصاد المسجلة منذ ما يزيد على خمسة وعشرين عاما حول الاشعاع الشمسي والرطوبة النسبية والضغط الجوي ويقومون بتحليلها واستقراء مدلولاتها يتطور هذا مع تطبيق كل المعرفة العلمية الخاصة بالزراعة حسب البيئة الفلسطينية لايجاد شروط التكليف اللازم للنباتات مع الظروف والاوضاع المناخية المحلية ، وبالتالي توضع جداول لكميات الماء والسماد والحرارة والنور اللازمة لكل نبات حتى توصل الفلاح الاسرائيلي الى تسجيل انتاج اكبر كمية من الحبوب في وحدة مساحة الارض المزروعة بين سائر بلدان العالم ، وزيادة مدة قطاف قصب السكر الى ٦ شهور بدلا من ثلاثة كما هو الحال في بلاد العالم والى وضع خارطة للتربة الاسرائيلية. وحقيقة ان المساحات وصغرها ، والفلاح ونوعيته وهدفه السياسي وراء قدر كبير من هذا النجاح ، ولكن يظل لهذا الانجاز العلمي قيمة كبيرة في هذا المجال .

تلك أمثلة من الانجاز العلمي المرتبط بصورة مباشرة بالعمليات الانتاجية . اذا أضفنا لها طبيعة اهمية قيام الصناعة بالنسبة لاسرائيل وان السياسة العامة تعتبر الصناعة ورشة التنمية للتقنية وميدان التدريب واكتساب الخبرات للمهندسين والعاملين في الابحاث التطبيقية وانها المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع مؤسسات وتنظيمات مصادر الماء والكهرباء والموانىء والمطارات والمدارس

المهنية ومراكز التدريب ومعاهد التعليم العالي والمواصلات البرية والجوية والبحرية لفسر ذلك الاهتمام بوجود المختبرات المجهزة تجهيزا حسنا في مختلف المؤسسات الصناعية والانتاجية .

الواقع انه كما يتبع كل جامعة مؤسسة للابحاث والتطوير وظيفتها تحويل المنجزات العلمية في المختبرات الاكاديمية الى وسائل تقنية للانتاج فان من مهام معهد التخنيون الاساسية اجراء البحوث اللازمة لتطوير فروع الصناعة المختلفة ، فانه تنتشر كذلك المعاهد النوعية الخاصة بفرع محدد من فروع النشاط الانتاجي مثل معهد المنسوجات ودائرة هندسة النسيج في معهد التخنيون ، ومعهد ابحاث منتجات الغابات والخيوط ، ومختبر تشعيع الاغذية في رحفوت ، ومؤسسة خاصة تعنى بمشاريع الابحاث في الصناعة البتروكيماوية ، وجمعية للابحاث لصناعة الدهانات ، ومعهد خاص لصناعة الماس ، وآخر للابحاث الجيولوجية والجيوفيزيائية عدا مراكز تطوير الصناعات الالكترونية التي سبق الاشارة اليها ، وغير ذلك من المعاهد او المختبرات او المراكز أو المؤسسات أو الدوائر الاكاديمية التي توجه جهودها نحو الابحاث التطبيقية وأبحاث تحسين النوع وتحسين الكلفة واعادة تخطيط المصانع وهكذا .

الا ان هذا الجهد الذي يبدو مكثفا في الابحاث العلمية ، والصلة العضوية التي تبدو وثيقة بين الانتاج والبحث العلمي لم تجعل من الصناعة الاسرائيلية ذلك الصرح الذي كان ولا بد ان يكون حسب ما يبدو من شكل هذا الجهد وهذه الصلة. فنصيب الصناعة من الانتاج القومي ما زال يدور حول نسبة ٢٥ ٪ وهي نسبة لا يمكن في ضوئها ان يوصف المجتمع بأنه صناعي . وحسبنا في هذا أن عددا من البلدان العربية لم تتوفر لها رؤوس الاموال الهائلة التي توفرت لاسرائيل ، بل على العكس تعرضت لاستنزاف وحصار وغيرها وصلت بها نسبة الصناعة الى الانتاج القومي حوالي او قريبا من هذا الرقم .

ويؤكد هذا التوزيع النسبي للتوظيف على القطاع الاقتصادي اذ يبلغ نصيب الخدمات ٤١،١ ٪ من القوة العاملة ، والصناعة ٢٧،٩ ٪ والزراعة ١١،٧ والبناء والاعمار ٩،٢ ٪ والنقل والمواصلات ٧،٦ ٪ والمنافع ١،٨ ٪ والتعدين والمحاجر ٠،٧ ٪ .

وتفيد احصاءات هيئة الامم أن نصيب الزراعة في الناتج العام قد انخفض بين ١٩٥٣ الى ١٩٦٦ من ١٢ الى ٨ ٪ بينما بقي نصيب الصناعة ثابتا على التقريب فانتقل من ١٣ الى ١٤ ٪ فحسب . وتشير تقارير اخرى الى انه مهما يكن من أمر فان الصناعات الاسرائيلية ذات نطاق محدود . وكذلك فان ما يسمى بالصناعات القائمة على العلم انما هي بدرجة او باخرى ملك للدولة وتشرف عليها وزارة الدفاع، وانه ليس بعيدا عن الاحتمال ان تكون هذه الصناعات مدعوة بشكل اصطناعي على نمط الكيبوتزات وغيرها من الانشطة التي تقوم على أساس الخسارة . وان هذه الصناعات القائمة على العلم تمثل اقل من واحد في المائة من الانتاج القومي . وان من الصعوبة في حالة ضيق السوق المحلية ان يتم انجاز توسع كبير في الانتاج الصناعي في مدى قصير الا اذا كان بالامكان تصريف هذا الانتاج في أسواق جديدة في الخارج ، وهو الامر الذي يصعب تحقيقه على أية دولة مماثلة حتى وان كان اقتصادها اكثر تطورا من اسرائيل .

ونضيف الى ذلك انه حين تفيد البيانات انه قد اقيم ما بين اعوام ١٩٥٠ ، ١٩٥٨ ما قدره ٧٥٩ مشروعا صناعيا تبلغ مجموع استثماراتها ٢٨٠ مليون دولار ، فان ذلك يعني انه في المتوسط قد استثمر حوالي ثلث مليون دولار للمشروع الواحد، وهو ما يدل على حجم جد صغير بالمقاييس التكنولوجية المعاصرة ، وباعتبار ادعاء اسرائيل دائما انها تأخذ من الفنون الانتاجية احدثها .

ولعل مراجعة الدراسة الوافية التي يقدمها كتاب اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل تشير في عديد المواقع الى صغر الوحدات الصناعية ، وحاجة الكثير منها الى تحديث آلاتها وتجديدها ، والى غياب وسائل ضبط الانتاج وعدم وجود معايير للنوعية ، وانخفاض الانتاجية وارتفاع التكلفة ، والى نقص المهارات حتى في صناعة الماس التي تكاد في بعض وجوهها تعتبر تخصصا اسرائيليا . كما تؤكد نفس الدراسة ان اسرائيل لا تختلف عن البلدان الاخرى التي تمر او مرت بمرحلة التصنيع ، حيث أن تلك الفروع التي تتطلب مستوى عاليا من التقنية واموالا ضخمة للتوظيف واجهزة معقدة ، ما زال في المرحلة الاولية .

وبصرف النظر عن الخطط التي توضع وتنشر وقد يكون من أهدافها ان تلعب دورا في الحرب النفسية التي تشن على العرب ، او في استجلاب الاموال من دول الغرب فان صناعات المعادن — وهي أحد الاسس للتقدم التكنولوجي — في بلد لا تجبر موارد طبيعية معينة على أن يتجه قدر من التصنيع كبير اليها، تمثل ٢٣٪ فقط من مجموع الانتاج الصناعي، وتغطي ١٨ ٪ من الصادرات الصناعية . ولكن المفارقة هنا ان هذه الصناعة وهي التي تعرف عادة بكفالة رأس المال تقدم عملا النسبة قدرها ٢٩ ٪ من اليد العاملة في الصناعة .

كما أن الصناعات الكيماوية ، ورغم شهرة البحوث الاسرائيلية في الكيمياء منذ حاييم وايزمان رئيسهم السابق والعالم الفذ في الكيمياء في عصره لم تدخل الصناعات الكيماوية عامة والبتروكيماوية الا بالتعاون مع شركات عالمية للكيماويات والعطور والادوية ، وان كانت القدرات العلمية والخبرة التقنية قد اتاحت اقامة مؤسسات خاصة للعناية بالابحاث في هذه المجالات .

وفي مجال صناعة الطائرات وهي التي تدل بالفعل على تقدم تكنولوجي كبير نجد اسرائيل على الدوام تلجأ للمعونة الخارجية اذ تشتري على سبيل المثال مصنعا لتصميم طائرة نفاثة امريكية ذات ٧ مقاعد تصلح لرجال الاعمال . ومع ما ثبت من سرقة اسرائيل لتصميم طائرات الميراج نجدها تلجأ الى امريكا للاتفاق بعد المعونة الفنية لانتاجها محليا . صحيح ان الاموال اللازمة لهذا النشاط كبيرة ولكن لو أنها الاموال فقط لما كانت اسرائيل لتعنى كثيرا بضرورة اللجوء الى امريكا ، فيتم الاتفاق اخيرا على تصنيع سوبر ميراج بمحرك الفانتوم .

الصور الاسرائيلية المتناقضة واسبابها

ان العرض السابق يبرز أن الصورة الاسرائيلية في هذه النواحي تتناقض من زاوية تواجد جوانب ايجابية متقدمة جنبا الى جنب مع جوانب اخرى سلبية . ولكن التناقض لا يقف عند هذا الحد . فهناك معدل سنوي للنمو يعتبر اعلى المعدلات في العالم بعد اليابان ويدور حول ١١ ٪ ، مما يثير التساؤل عما اذا كان نتيجة قدرات وتطوير تكنولوجي خاص ، ولكن البحث يثبت انه في الواقع كانت نتيجته ان اتيحت لاسرائيل الاستثمارات بصورة قد لا تجاريها فيها دولة اخرى سواء كان ذلك من نهب ممتلكات العرب ومن افراج بريطانيا عن ارصدة فلسطين الاسترلينية المجمدة دفعة واحدة في ١٩٤٨ وما حصلت عليه من المانيا من تعويضات والقروض والهبات الضخمة بحيث اصبح ما حصلت عليه اسرائيل حتى منتصف الستينات يوازي ٣٠٠٠ دولار لكل اسرائيلي ، ذلك فضلا عن الدعم الامريكي بعد ١٩٦٧ والذي باعتراف كل الدوائر فاق كل ما قدمت امريكا لاسرائيل قبل ذلك اضعافا . وصار التراكم الرأسمالي يفسر ما بين ٣٠ الى ٤٥ ٪ من اجمالي النمو في الناتج القومي في اسرائيل بالمقارنة بنسبة قدرها ٢٠ الى ٢٥ ٪ في دول اوربا الغربية . ويؤكد تلك الحقيقة لانخفاض معدل النمو الى ٧ ٪ في ١٩٦٥ ، ١،٥٪ في ١٩٦٦ حين انخفضت القروض وارتفعت البطالة الى ٣،٣ ٪ في ١٩٦٤ ، ٦،٦ ٪ في ١٩٦٦ ، ١٠،٥ ٪ في ربيع ١٩٦٧ .

ولان اسرائيل بلد فقيرة الموارد الطبيعية نسبيا ، فقد كان المنتظر ان تستغل القدرات الفنية والتقنية التي تتوفر لها بفضل هذا الجهد العلمي الكبير ونوعية المهاجرين اليها ، والدعم الامبريالي في تصدير الخبرة الفنية الى البلدان النامية في عديد الانشطة من زراعة ومبيدات وتعمير وانشاء وتصنيع وهكذا . ومع أنها قد قطعت شوطا في هذا الاتجاه بالفعل الا ان الوقائع تثبت في بلد بعد الاخر عدم ارتفاع القدرات الفنية والتقنية الى الحد الذي وصلت بها الدعاية اليه ، وبدأ بالتالي ينحسر ذلك المد الاسرائيلي .

ولانها بلد فقيرة الموارد فقد كان منتظرا ان تتحول اسرائيل في تجارتها وصادراتها من الصناعات التقليدية مثل الماس المصقول والنسيج واللعب الخشبية والاسمنت والاطارات الى الصناعية النامية مثل المعدات الالكترونية والادوات العلمية والكيماويات وهي المنتجات التي تقل فيها نفقات النقل ، ويمكن تطوير المهارات والمعرفة الفنية في انتاجها . ولكن ميخائيل برونو في كتابه مشاكل التطور الاقتصادي في اسرائيل من ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ يضع علامة الاستفهام الرئيسية حول مقدرة اسرائيل على احداث هذا التحول .

ولانه فيما قبل البترول الذي تستولي عليه اسرائيل من سيناء حاليا ، فان مصادر الطاقة التقليدية والمعروفة تكاد تصطدم فيها ، الا من حقول الغازات البسيطة في روش زوهار التي تستخدم

حاليا في صناعة الفوسفات وبعض المصانع الكيماوية في صناعة البحر الميت ، وقليل من البترول لا يزيد عن ٥ ٪ من احتياجات اسرائيل ، فقد كان من المنتظر وقد ركزت اسرائيل قدرا ضخما من الجهد والاستثمارات في الطاقة القمرية ان تندفع في اتجاه محاولة تسخيرها لحل مشكلة الطاقة بدلا من الاعتماد على الكهرباء المولدة من محطات حرارية تعمل بالبترول المستورد وترتفع تكلفتها . ولكنا هنا نجد ان اسرائيل قد ركزت على النظائر المشعة وانتاجها ، ثم على الاوكسيجين الثقيل ، ثم على تجميع المعلومات حول انتاج القنبلة الذرية بحيث تكاد تجمع المصادر على استطاعتها انتاجها في حدود ٦ الى ١٦ شهرا اذا اعتزمت ذلك ودون الحاجة الى اجراء تفجيرات تكشف عن التجارب من هذا النوع قبل الانتاج الفعلي . ومع تعقد مشكلة الطاقة ومشكلة المياه نجد اسرائيل وقد اضطرت بعد انكشاف اقامتها للمفاعل الذري الكبير في ديمونا ان تقرر أنها تستهدف به العمل على توليد الكهرباء وتحلية المياه . ولكنها ظلت فيما يبدو تركز الجهد نحو امتلاك القدرة على انتاج السلاح النووي (بمعونة فرنسية عند البداية) واتجهت اخيرا الى الشروع في تحلية المياه بعد أن قضت سنوات طويلة في بحوث علمية في هذا الاتجاه وان كانت مبتكرة الا انها اكثر تكلفة واقل طاقة .

ولا ينخفض صوت الدعوة في اسرائيل الى الابقاء على الفارق التكنولوجي بين العرب وبينها وزيادته قدر الامكان ، لان ذلك في نظر هذه الدعوة : يؤكد فوز اسرائيل في أي معركة تنشب ، ويقلل من حجم الخسائر البشرية ساعة القتال ، ويتيح امكان السيطرة على السوق العربية عند أي تسوية ، ويرفع الدخل القومي ويهيىء الفرص لاستيعاب مهاجرين اكثر ، ويزيد الثقة بالنفس مما يدفع الغرب الى زيادة المساعدات ، ويجتذب دول العالم الثالث والعناصر القادرة تكنولوجيا سواء من الغرب او الاتحاد السوفياتي .

ولان العين في معظم هذه الاهداف موجهة صوب العرب ، ولان اسرائيل لا تعاني بفضل الدعم الغربي عامة والامريكي خاصة من مشاكل اقتصادية فالمعونات الصهيونية والامريكية والقروض الوافرة وغيرها تعين على تخطي مشاكل في هذا الاتجاه . لهذه الاسباب ، ولما يبدو من أن مخططي الدولة الصهيونية برسالتها الامبريالية في قلب العالم العربي يرون الحاجة الاولى حاليا الى تأكيد وجود الدولة وفرضها على الشعوب العربية ، فان افضل تلخيص لمدى استفادة اسرائيل من جهدها العلمي والتكنولوجي هو ما اورده الاستاذ انطون ب. زملان في دراسته الواسعة عن العلم والتعليم العالي في اسرائيل حيث يحدد ذلك في : انتاج القنبلة الذرية ، تطوير انظمة مواصلات آلية متقدمة ذات اهمية حيوية ، تطوير وانتاج وشراء معدات صناعية للعمليات الليلية ، بلوغ المقدرة على استعمال وسائل الحرب الكيماوية والتكنولوجية ، تطوير الصناعات العسكرية الاساسية والعمل نحو الوصول الى مستوى الاكتفاء الذاتي خلال العشرين سنة الماضية ، انتاج وتطوير المعدات العسكرية البصرية الضرورية ومتابعة أحدث التطورات بخصوص استعمال الاشعة الضوئية المركزة (ليزر) في اكتشاف الاهداف وتحديد مداها .

وهناك من الحقائق العديد مما يشير الى ان اسرائيل تركز في استخدام الانجاز العلمي والتطوير التكنولوجي للاغراض العسكرية في الاساس قبل ان تباشر هذه مهمتها في الحياة المدنية واقامة مجتمع له تماسك اقتصادي . والشواهد على ذلك كثيرة . فمؤسسة الطاقة الذرية تنشأ تحت اشراف وادارة وتوجيه وزارة الدفاع . وتحقق اسرائيل انجازات فنية قوية فعلا في المجال العسكري مثل قنبلة الاسمنت التي استخدمتها في تدمير المطارات العربية في ١٩٦٧ بكفاءة عالية، والتي لا يتيسر انتاجها الا اذا سبقتها بحوث في علوم الفضاء . كما تجري حوالي ستمائة تعديل في طائرة الميراج لتلائم اهدافها واجواء استخدامها. وتشرف وزارة الدفاع بالكامل على كل الصناعات الالكترونية محتفظة بكل اسرارها ، ومضحية بذلك في ان تتعاقد على ما تريد مع مصانع مدنية فتدفع بهذا الى تطورها والى نشر الوسائل المتقدمة في ارجاء النشاط الاقتصادي كله . وتفاخر بأن لجيشها اعلى نسبة من العقول الالكترونية للفرد المقاتل في العالم في الوقت الذي ينقص صناعتها ونشاطها المدني الكثير . وفي الوقت الذي يجوب مندوبو الجامعات والمعاهد العلمية الاسرائيلية العالم سعيا الى دعم مالي للبحوث العلمية ، وينشر بوسائل عديدة اجمالي الانفاق على التعليم العالي والبحوث العلمية فانها تعتبر من الاسرار

الكبرى مخصصات مراكز الابحاث التابعة للمؤسسة العسكرية .

ولعل خلاصة هذا الموقف ما يشير اليه احد الخبراء الذين استدعتهم اسرائيل من وجود الروابط القوية بين العلماء الاسرائيليين والمؤسسة العسكرية ، وانعدام مثلها بينهم وبين الصناعة الاسرائيلية ويضيف ان عالما اسرائيليا بارزا قد صرح له بانه لا يوجد اساس منطقي للترابط بين صناعة لا زالت تعيش في القرن التاسع عشر وبين علم يعيش في منتصف القرن العشرين . ولكن يبدو ان ذلك ليس من هدف القيادة الاسرائيلية المباشر فانه يعود بعد بضع سنوات ليعيد التوحيد بوجوب ايجاد جسر فوق هذه الهوة بأقصى سرعة ممكنة .

الخلاصة

من كل ما سبق ان اسرائيل بها من المشاكل العديد الكثير الذي كان يمكن ان يتصدى لها العلم وان توجه اليه جهود البحث العلمي .ورغم العقبات الطبيعية من نقص مصادر الطاقة والمياه والمواد الخام ، وصغر السوق المتاح فانه كان ممكنا ان تستطيع العلوم والتكنولوجيا الاسرائيلية بكل الدعم المادي والادبي الذي يتم لها تحقيق ان تجد اسرائيل لنفسها مكانا الى حد ما في السوق العالمية لبيع منتجات متطورة .

ولكن يبدو انه مع امكان ذلك فان اسرائيل تقصر جهدها — او على الاقل توجه اغلبه في الاتجاه العسكري اساسا مرتضية ان تقف في سلم التطور العلمي والتكنولوجي عند حدود القدرة على تقييم ما يناسب اهدافها وملاءمته مع ظروفها .

ولن نضع علامة استفهام كبيرة او صغيرة امام هذا الوضع الذي قد يبدو غريبا ، فان علينا الا ننسى انه لم تكن اسرائيل منذ انشئت الا لتكون العصا الطويلة للامبريالية ضد العرب لتحتفظ بهم وبثرواتهم اسرى النهب الاستعماري ما استطاع الاستعمار ذلك .

ان الامبريالية ليست في حاجة الى بضع مصانع تنشأ في اسرائيل مهما بلغ شأوها — علما بأنه هدف وان لم تكن له الاولوية — ولكنها في حاجة الى ضمان اخضاع العرب .

ومن هنا تسخر كل الامكانيات لهذا الهدف اولا*.

---

* ارجو ان اعدد هنا بعضا من المراجع التي كان لها الفضل الاكبر في العون على تقديم هذا البحث وهي : اخطار الاثمنة ، الحقيقية والخيالية بقلم ف. جروميكا ، عصر الانسان او الروابط بقلم س. فولكوف ، في مواجهة اسرائيل بقلم د. اسماعيل صبري عبدالله ، نمو الاقتصاد الاسرائيلي بقلم محمد عثمان ، السياسة النووية الاسرائيلية بقلم د. محمود خيري بنونه ، اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل بقلم يوسف مروه ، اخطار التقدم العلمي في اسرائيل بقلم يوسف مروه ، العلم والتعليم العالي في اسرائيل بقلم انطوان ب. زحلان ، هجرة الادمغة العربية بقلم د. الياس زين ، هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل بقلم د. الياس زين ، ذلك عدا مقالات اخرى في مجالات شؤون فلسطينية ، السلام والحرية والاشتراكية ، والطليعة وغيرها .

التقرير الثاني

بعض الملامح البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

الدكتور محمود خيري بنونه

العلم والتكنولوجيا هما احدث تعبير عن القوة في العصر الحديث ، اذ أن من يسيطر عليهما ويتفوق في مجالهما يسيطر على العالم(١). بعد ان وجدت الدول نفسها غير قادرة على حيازة قدر من القوة يحقق لها الامن ومواجهة ترسانات الاسلحة الحديثة ، وبعد أن أصبحت الحكومات عاجزة عن مراقبة ما ينقل الى داخل حدودها من افكار وثقافات ووجهات نظر تهدد امنها من الداخل . وقد وجدت الصهيونية في العلم وسيلة لغزو فلسطين وسلاحا لانتزاع الارض من أصحابها ودعامة لحفظ كيان اسرائيل وهي محاطة بالاعداء من كل جانب واداة تساعد على بقائها ونموها وتوسعها . والفكر الصهيوني اذ يمتد في اصوله الى الدين اليهودي ، يعمل على انشاء اسرائيل الكبرى كموطن قادر على احتواء جميع اليهود الذين يرغبون الاستقرار فيه باستغلال العلم بحثا واسلوبا وتخطيطا وتطبيقا في جميع نواحي النشاط الذي يبذلونه لتحقيق اهدافهم في ظل الظروف القائمة حول الوطن الذي يطمعون فيه .

وقد عمل الصهيونيون منذ البداية على الربط بين العلم وفلسطين ، وارادوا لها ان تكون مركزا للابحاث العلمية والتطبيقات العملية ، فاجروا عدة أبحاث لاكتشاف مادة بديلة للبترول بتقطير الكحول ومشتقاته ، وللبحث عن اغذية بديلة جيدة المذاق سهلة الهضم قليلة التكاليف ، واستغلال مخلفات البترول في انتاج المفرقعات(٢). واسرائيل منذ قيامها لا تدخر وسعا لتبقى متفوقة في مجالات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي .

ولما كانت مواجهة اسرائيل تقتضي الالمام عامة بالخصائص البارزة لتقدمها العلمي والتكنولوجي لذا سوف يعرض هذا البحث بعض هذه الخصائص ، على أن يقوم العلماء العرب في كل مجال من مجالات التخصص ببحث نشاطها في مجال تخصصهم .

واذا كانت اسرائيل تستفيد من التقدم العلمي والتكنولوجي في دول العالم الاخرى ، وهو يدين للعلماء العرب باسس ونظريات ومبادىء علمية وضعوها قديما وحديثا ، واذا كانت اسرائيل تعمل على تحقيق تفوق علمي وتكنولوجي على العرب باتباع اساليب مشروعة وغير مشروعة ، فان الامر يقتضي ان يستفل العرب نشاطها في هذا المجال لتحقيق تفوق عليها .

واسرائيل تعمل على خلق صورة مضللة عن نفسها تفسد بها تخطيط الاخرين وتظهر نفسها كمنارة للعلم والتقدم في بحر من الجهل والتخلف . وذلك يقتضي منا دراسة فاحصة تبين حقيقتها ، ومن الخطورة ان يقف جهلنا بها حائلا دون مواجهتها بتخطيط علمي مضاد ، واشد خطورة ان يخلق كبرياؤنا عجزا عن تقدير ومعرفة موضعها في هذا المجال . لذلك سوف يتضمن هذا البحث عرضا لتعليم العلم ، وركائز التقدم العلمي والتكنولوجي ، والخصائص البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي واثرهما في اسرائيل .

تنظيم البحث العلمي في اسرائيل

يرتبط البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في اسرائيل بنظام التعليم التي تطبقه ، والنشاط الذي تمارسه المعاهد العلمية في هذه المجالات ، والجمع بين البحث العلمي الاساسي والبحث العلمي التطبيقي في مختلف المجالات .

نظام التعليم في اسرائيل*: تأثر نظام التعليم في اسرائيل بالديانة اليهودية كما تأثر بفكر المهاجرين اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل في القرن التاسع عشر . وكان فيما قبل يرتكز على عدة مدارس تديرها الاحزاب السياسية واتحادات العمل . ولكنه طور اخيرا الى نظام موحد ، يستغرق اثني عشر عاما ، ستة منها للتعليم الابتدائي وثلاثة للتعليم المتوسط ، وثلاثة للتعليم العالي . والتعليم خلال تسع السنوات الاولى مجاني والزامي . وتسيطر وزارة التعليم عليه سيطرة مركزية عن طريق انتقاء المدرسين ووضع الكتب وتحديد المناهج واجراء الاختبارات في السنوات النهائية لكل من المرحلتين .

وتعطى للمفتشين سلطة كبيرة للتأكد من تطبيق المبادىء والتعليمات التي تصدرها الوزارة ، اذ يتوقف على تقاريرهم ترقية المدرسين او مجازاتهم. وهم أيضا يعاونون المدارس بالتدريس والارشاد عند زيارتها .

ويلاقي النظام الجديد للتعليم في اسرائيل عدة مصاعب لاختلاف نوعية الطلبة ولغتهم وخلفيتهم العلمية ، وقلة المدرسين خريجي الجامعات المؤهلين لتدريس الاساليب والعلوم الحديثة . ولتلافي ذلك توضع المناهج لتناسب الطلبة ذوي المستوى المتوسط وتترجم الكتب لعدة لغات .

ولتلافي النقص في المدرسين المؤهلين تعقد الدورات في الجامعات بصفة منتظمة لتأهيل المدرسين وتعميق وتجديد معلوماتهم ودراسة المناهج الجديدة في مجالات الرياضة والعلوم. كما تنظم بعض المدارس المتوسطة طاقما من الخبراء ، من المدرسين الممتازين ، لزيارة المدارس ودراسة المصاعب التي يقابلها تعليم العلوم الحديثة ولاعطاء المشورة لتذليلها وكتابة تقارير عنها لرفعها ودراستها في المستويات الاعلى .

وقد وضعت المناهج الحديثة لتعليم الرياضة والفيزياء والكيمياء وعلم الحياة وطبقت في بعض المدارس لتجربتها وتعميمها . كما وضع منهاج لتعليم جهاز الحاسب الآلي لتعريف الطلبة بماهية الجهاز وما يمكنه القيام به من اعمال ، وما لا يمكنه القيام به ، وهو الان تحت التجربة لتعميمه. اما الجامعات في اسرائيل فتتمتع بحرية اكاديمية ، ولا يستطيع احد ان يتدخل في مناهجها ولا في الاسلوب الذي تطبقه، وهي توجه جهودها أساسا للبحث . ونظرا لاهمية الجامعات والمعاهد العليا وأثرها على التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ، لذلك سوف نوجز في الفقرات التالية بعض الاعتبارات والمبادىء التي تحكم نشاط هذه المراكز العلمية ، متخذين معهد وايزمان نموذجا لهذه المراكز .

المبادىء التي تخدم نشاط مراكز البحث العلمي في اسرائيل*: تضع اسرائيل في اعتبارها انها تقع في مكان متوسط من العالم وديانانه ، وانها مركز التقدم في منطقة الشرق الاوسط المرتبطة بالماضي القديم وان قمة العلم والمعرفة في الدولة تتمثل في جامعاتها ومعاهدها العلمية العالية . وان مستوى النشاط العلمي بهذه المراكز العلمية يجب الا يفوق المستويات العلمية في المنطقة فحسب ، بل يجب ان يتفوق بين المستويات العلمية في العالم ، لان « اسرائيل تعيش صراعا من اجل البقاء ... ، وتجسم فكرة العالمية في منطقة متخلفة ... » ولان هذه المعاهد « تجسم فكرة العالمية كما جاءت في الدين اليهودي اكثر من فكرة الاقليمية التي تمثلها دولة اسرائيل » .

وتهتم اسرائيل بالناحية الاجتماعية في هذا المجال فتنشىء الحدائق ، ومنازل الضيافة والمقاصف ، ومساكن للعاملين في المعهد ، لضمان حياة عائلية هادئة لمن يعملون به ، وليستمر النشاط العلمي بجانب الحياة الطبيعية تطبيقا للمبدأ القائل بأنه « ليس بالعلم وحده يمكن ان نكسب دائما . فلننشىء معبرا يصل بين العلم والروح البشرية »(٣). والنشاط العلمي في هذه المراكز يوجه طبقا للموازنة بين الضروري والعلمي والنظري والواقعي .

ومراكز البحث العلمي في اسرائيل تبيح الانفتاح على العالم وتشجعه اذ يسمح للعاملين فيها بعرض نشاطهم في صحافة العالم . وتتابع هذه المراكز النشاط العلمي في اهم مراكز البحث العلمي في العالم لتستفيد بنتائجه وتساهم فيما يرتبط بالمطالب الوطنية بجهود خاصة تنسقها مع الجهود التي تبذل في الخارج . وبذلك يجمع النشاط العلمي في اسرائيل بين الموضوعات العالمية التي يتناولها العلماء في اكثر دول العالم تقدما ، وبين الموضوعات الاقليمية التي ترتبط بالاقليم الذي تعيش فيه .

كذلك يتضمن النشاط العلمي لهذه المراكز بحث موضوعات تدخل في نطاق العلوم الانسانية بالاضافة الى موضوعات العلوم الاخرى خشية تعرضها للعزلة الروحية ولخلق الصلات بين العلماء من كل التخصصات ، وكذا لخلق مراكز للبحث العلمي تفوق في مستواها وشمولها المعاهد والمراكز المشابهة الموجودة في دول المنطقة .

كما تجمع هذه المراكز بين البحث العلمي الاساسي وبين البحث التطبيقي ، لحل المشكلات العملية بأسلوب علمي دون ان تهمل البحث العلمي البحت من اجل العلم نفسه .

البحث العلمي الاساسي والبحث العلمي التطبيقي: قال وايزمان عند افتتاح احد المعاهد العلمية في

اسرائيل « ان المعهد سيعمل على حل المشكلات العلمية بأسلوب علمي دون ان يترك البحث العلمي البحث من اجل العلم نفسه »(٤). والنشاط العلمي في اسرائيل يختص بعضه بالبحوث العلمية البحتة ، لان هذه البحوث تصل الى ارفع مستويات البحث العلمي دون تقيد بظروف المجال الذي تجري فيه. كما ان النتائج العلمية والمكتشفات التي تصل اليها هذه البحوث تساهم في المشروعات العملية ، كما تساهم في حل المشكلات المتعلقة بهذه المشروعات(٥).

والبحث العلمي الاساسي لا يسير في اسرائيل طبقا لخطة موضوعة لان التخطيط لا يجدي في هذا المجال ، ولان اهداف البحث الاساسي لا تكون معروفة، وهو يهدف الى الوصول للمجهول ويتوقف اسلوبه ومنهاجه على قدرة الباحث نفسه وعلى النتائج غير المتوقعة التي يصل اليها ، والتي قد تحدث اثناء البحث وتؤدي الى تعديل منهاجه .

يترك للباحث اختيار موضوع البحث الاساسي الذي يرغب العمل فيه . فاذا ما أراد باحث ممتاز في مجاله — من اي مكان من العالم — الحضور لاجراء بحث في اسرائيل ، واذا ما ووفق على بحثه وتوفرت الامكانات اللازمة لهذا البحث ، تنشأ له وحدة جديدة للبحث الاساسي . وبذلك يطلق العنان للبحث العلمي مهما كان مصدره ، تحقيقا لمبدأ عالمية العلم ، ويشجع صغار العلماء الموهوبين على استغلال مواهبهم دون قيود ، بفتح مجالات لنشاطهم دون تعويق او تعطيل(٦)، مما يحول دون استنزاف العقول الى الخارج .

غير ان هناك قيودا ترشد الى اختيار موضوعات البحث العلمي الاساسي لانه « ليس من الحكمة لعلماء الدول الصغرى بحث موضوعات مطروقة... والارشد لهم طرق ميادين جديدة ، وتفضل تلك التي لدولتهم فيها جهود طليعية »(٧)، لان الموضوعات المطروقة بين دول العالم على نطاق واسع تخصص لها امكانات قد لا تتوفر في دولة صغيرة . لذلك فان معظم مشروعات البحث العلمي في اسرائيل تأتي من داخل المعهد نفسه(٨).

اما البحوث التطبيقية ، وتتضمن بحوث التنمية ، وبحوث الصناعة فتسير طبقا لتخطيط موضوع لان أهدافها تكون محددة من قبل ، في كل ميدان من ميادين التخصص . ويوضع لهذه البحوث نظام ، لتعطي عائدا لما ينفق عليها .. ولا تبخل اسرائيل بالمساعدات المالية والتشجيع في مجال البحث العلمي ، وكلما كان المستوى العلمي عاليا ورفيعا في الدولة ، وكلما كانت البحوث التي تقوم بها فريدة في نوعها ، كلما سهل عليها الحصول على معونات من الخارج وكلما ازدادت قدرتها وارتفع مستواها في هذا المجال ، نتيجة لما تكتسبه من سمعة علمية ومركزا علميا مرموقا .

وتضع اسرائيل في اعتبارها ان تقدم الدول — الصغرى والكبرى — يعتمد أساسا على العلم وان هذا الاعتماد يزداد باستمرار ، والدولة التي تأخذ العلم من الاخرين دون ان تساهم فيه بنشاط بارز سوف يبقى موقفها دائما سيئا ، وان تخلف الدولة في النواحي الاقتصادية وغيرها يكون غالبا نتيجة للتخلف العلمي . والعلم نفسه يتيح للدولة قدرة على استغلال قدراتها من اجل تطوير العلم نفسه .

ركائز التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

تعتمد المدنية الحديثة المعاصرة على التقدم العلمي، « واسرائيل تجاهد لتحقق توافقا بين ما ورثته من قديم الزمان وبين ميلادها الحديث ، وتنظر للعلم كمنقذ لها في هذا الميدان ، وليس من العجيب ان البحث العلمي في اسرائيل يلعب دورا هاما في نموها »(٩). والتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل يقوم على دعامتين اساسيتين : البشر ، والموارد .

العامل البشري : لا يتأثر الانتاج العلمي بعدد السكان بقدر ما يتأثر بمدى توفر العناصر العلمية القادرة على البحث والدراسة بين هؤلاء السكان، وبصلاحية المناخ الاجتماعي الذي يوفر للعلماء مجالا صالحا لممارسة نشاطهم ، وصلاحية المناخ السياسي الذي يوفر ساسة يشجعون العلماء والنشاط العلمي .

واسرائيل تملك أعلى نسبة من العلماء بالنسبة لتعداد سكانها(١٠). وقد عملت على توفير العلماء بأسلوبين اولهما فوري عاجل ، والثاني ممتد آجل، اما الاول، فقد وضعت له برنامجا لتهجير العلماء اليهود الى اسرائيل، وكانت الصهيونية تعمل منذ بدء نشاطها على استجلاب العلماء اليهود الذين طردوا اثناء حكم هتلر الى فلسطين.كما استغلت الصهيونية فكرة الولاء المزدوج وراحت تمتص جهود العلماء المنتشرين في جميع دول العالم .

وقد عملت اسرائيل على ارسال البعثات الدراسية الى انجلترا والمانيا والولايات المتحدة للبحث والدراسة والالمام بأحدث ما وصل اليه البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في مختلف المجالات . اما المنهاج الممتد فقد تضمن تأهيل الباحثين والعلماء في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي في اسرائيل ، وتشجيع البحث العلمي وخلق المناخ المناسب لاستجلاب العلماء من اي مكان في العالم . ونتيجة لذلك لم تتعرض اسرائيل لاستنزاف العقول « فليس هناك اي استنزاف للعقول بين علماء اسرائيل ، وعلى العكس ، فهناك جذب مستمر لاستجلاب العلماء من خارج اسرائيل الى داخلها »(١١).

وتشترك اسرائيل في اغلب المؤتمرات العلمية ذات المستوى الرفيع التي تعقد في الخارج وقد جاءت الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية في ترتيب الدول التي شاركت في المؤتمرات العلمية في الفترة من ١٩٥٥ — ١٩٦٥ . وبذلك ساهم علماؤها في هذه المؤتمرات ، واسمعوا صوت اسرائيل الى حوالي نصف مليون عالم من مائة دولة اشتركت في هذه المؤتمرات ، واطلعوهم على منجزاتهم العلمية وتبادلوا معهم الاراء في هذه المجالات(١٢).

كما تعمل اسرائيل على عقد مؤتمرات ودعوة العلماء من دول العالم لاستجلابهم الى جامعاتها ومعاهدها العلمية للاستفادة بخبرتهم وآرائهم . ولم تنقطع زيارات العلماء لاسرائيل منذ قيامها حتى الان(١٣).

نتيجة لهذه الجهود اصبحت اسرائيل رغم صغر عدد سكانها تملك قدرة علمية تعادل ما تملكه الدول المتوسطة مثل كندا والهند(١٤). ولم يكن بين دول الشرق الاوسط في عام ١٩٦٢ من تستطيع توفير العناصر البشرية اللازمة لانتاج سلاح نووي الا اسرائيل(١٥).

وهناك عامل آخر ساعد على مضاعفة نشاط العلماء في اسرائيل ، اهمها « الروح البطولية والتعاونية بين اليهود داخل وخارج اسرائيل ، التي خلقها التحدي المستمر والقيادات المتفانية»(١٦). والواقع ان التخطيط العلمي في اسرائيل يستغل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لخلق هذه الروح وتنظيم استغلال العلماء اليهود في الداخل والخارج لصالح اسرائيل .

الموارد والوسائل المتاحة : « البحث العلمي كالنبات الرقيق لا يترعرع الا في البيئة المناسبة ، عندما ترعاه الدقة والمثابرة »(١٧). ويبدو ان اسرائيل لا تدخر وسعا لتوفير الموارد والوسائل اللازمة لتنمية ومضاعفة النشاط العلمي . وهي لا تبخل بالمساعدات كيفما كان نوعها لانشاء وادامة مراكز علمية ، كجزء اساسي من الاستثمار الوطني . كما انها تضع مطالب البحث العلمي في الاسبقية الاولى بين المطالب الاخرى(١٨).

وتخصص اسرائيل جزءا كبيرا من ميزانيتها للصرف على البحث العلمي . وتعاون المساهمات العظيمة من رؤوس اموال اليهود المنتشرين في جميع انحاء العالم على توفير الاموال اللازمة . ولولا هذه المساعدات ما كان التعليم ولا العلم ليستطيع انجاز الا القليل ، وهناك خطر كبير على النشاط العلمي في اسرائيل بدون العون الخارجي(١٩).

وتولي اسرائيل عناية خاصة لتوفير الكتب والمراجع العلمية مهما كان مصدرها . وهي تطبق برنامجا لنشر ١٦٠ كتابا مترجما في كل عام ، وبذا تعاون علماؤها على الاطلاع على تيار ضخم ومستمر من المعلومات والبيانات الخاصة بالابحاث العلمية التي يجريها اكبر العلماء في جميع انحاء العالم ، وفي جميع قطاعات التخصص العلمي(٢٠).

والانفاق على البحث العلمي في اسرائيل يوجه لجميع انواع البحوث العلمية ، الاساسية والتطبيقية ، الانمائية والصناعية ، طبقا لاسبقية محددة تهدف الى تحقيق الاهداف العلمية في جميع المجالات .

كما تولي اسرائيل اهتماما خاصا بخلق المناخ والبيئة الصالحة لاستقرار العلماء والباحثين ، فتوفر لهم حياة اجتماعية مناسبة في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث ، وتوفر لهم كل وسائل الراحة والترفيه والتشويق(٢١).

من الخصائص البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ملامح مميزة منها انها ترمي الى تحقيق تفوقا علميا في المجال العلمي ، كما ان نشاطها العلمي لا يتناسب مع امكانات الدول وقدراتها . وهي توجه اهتماما خاصا بالطاقة النووية ، والنواحي العسكرية واستخدام العقول الالكترونية .

التفوق العلمي في المجال العالمي : كان وايزمان يعتقد ان « اسرائيل يجب ان تكون على اعلى مستوى في مجال الانجازات العلمية والثقافية ليس بين دول الشرق الاوسط فحسب ولكن بين جميع دول العالم . وكان يقول انه لا يريد ان يقال « هذا اعظم عالم في اسرائيل » ولكنه يريد ان يكون العلماء في اسرائيل على اعلى مستوى بين زملائهم خريجي جامعات انجلترا وامريكا »(٢١). وتحقيق ذلك يوفر لاسرائيل خبرة علمية ومركزا علميا مرموقا وشهرة عالمية بين الدول المتقدمة في العالم ، مما يدعم قدرتها على مواجهة الدول العربية وتحقيق اهدافها التوسعية . كما يمهد لنفاذها الى الدول النامية والتغلغل فيها وتوثيق صلاتها بها تحت شعار المعونة والخبرة العلمية .

عدم التناسب بين النشاط العلمي في اسرائيل وبين ما تملكه من قدرات : تملك اسرائيل قدرات علمية وتكنولوجية تعادل ما تملكه بعض الدول المتقدمة المتوسطة ، كما ذكرنا من قبل . ولتحقيق ذلك تسلك طرقا مشروعة وغير مشروعة وتحمل ميزانيتها فوق طاقتها . والارجح انها تهدف الى تحقيق مستوى علمي رفيع يضمن لها مركزا قويا بين الدول المتوسطة ، عندما تملك المقومات البشرية والاقليمية والاقتصادية التي تضعها في مصاف هذه الدول ، عندما تنجح في تحقيق احلامها التوسعية.

الاهتمام بأبحاث واستخدام الطاقة النووية في اسرائيل : الاهتمام بأبحاث الطاقة النووية واستخدامها من اهم واخطر مميزات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في اسرائيل . وهي تبني قاعدة عريضة — نسبيا — للصناعات النووية تتيح لها اذا أرادت توجيه نشاطها الى الاغراض العسكرية(٢٢). وهي تملك من الناحية العلمية والتكنولوجية مقومات سلاح ذري . والارجح انها قطعت شوطا بعيدا في صناعته(٢٣) لاكتساب خبرة وقدرة ، وحتى لا تبقى متخلفة في هذا المجال . كما انها تملك المقومات المالية لانشاء قوة نووية صغيرة ، ولكن ليس دون ارهاق لاقتصادها(٢٤). وفي مجالات الاستخدام السلمي تعمل اسرائيل على استخدام الطاقة النووية في مجال الابحاث والدراسات الفيزيائية والكيميائية كما تستخدمها في مجالات الصناعة والزراعة والطب والتجارة وتحلية مياه البحر وتوليد الكهرباء .

وفي مجال الاستخدام السلمي تعتزم اسرائيل بتخطيط يوائم بين اهدافها وقدراتها دون تحمل اعباء تزيد عن طاقتها ، كما تعمل على بدء الابحاث والتطبيقات النووية مبكرا لضمان تفوق علمي وتكنولوجي . وهي تتفادى الانفاق على ابحاث وتجارب باشرها الاخرون ، وتستغل النتائج التي توصلوا اليها اقتصادا للنفقات . وهي تستغل الطاقة النووية من اجل مضاعفة التنمية افقيا ورأسيا ، ومن اجل تحقيق الانتاج النووي الاقتصادي مبكرا ما امكن . كما تعمل على تخطيط النشاط النووي للاغراض السلمية بحيث يمهد لخدمة الاغراض العسكرية(٢٥).

الاهتمام باستخدام جهاز الحاسب الآلي في البحث العلمي في اسرائيل : نظرا لان علم الحاسب الالي اصبح علما هاما بالنسبة للانسان المعاصر ، اذ صار لزاما على الانسان المتنور في هذا العصر ان يلم بعمل هذا الجهاز ، نظرا لان اجهزة الحساب الالي اصبحت عنصرا بارزا في حياتنا الثقافية والعلمية والتكنولوجية ، لذلك وضعت اسرائيل منهاجا لعلم الحاسب الالي لتعريف الدارسين بالاعمال التي يؤديها هذا الجهاز ، وكيف يؤديها ، والاعمال التي يمكنه القيام بها ، وسبب ذلك . وقد عقدت دورة لتأهيل المعلمين لتعليم هذا العلم في مدارسها. والنسبة بين عدد الاجهزة المستخدمة في اسرائيل وعدد سكانها نسبة عالية بين الدول المتوسطة (تملك ٢٠٠ جهاز طبقا لاخر احصاء) .

من آثار العلم والتكنولوجيا في اسرائيل

تعمل اسرائيل على قهر كل ما يقابلها من مشاكل طبقا لتخطيط علمي عقلاني صحيح . وقد تنافس البحث العلمي في اسرائيل لحل مشكلات الانسان والدولة فسارت بحوث العلوم الانسانية والتنظيمية والطبيعية ، الاساسية منها والتطبيقية، والانمائية والصناعية جنبا الى جنب .

وبفضل البحث العلمي تحل مشاكل الهجرة في الداخل والخارج ، وتحاول خلق شعب متجانس من شراذم هاجرت اليها من دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ووسط وشرق اوروبا وامريكا اللاتينية .

واستطاعت اسرائيل ان تخلق من اليهود المهاجرين ، وهي عناصر لا تعرف الفلاحة ، فلاحين من اكثر فلاحي العالم تقدما . كما استطاعت تحويل ارض خالية من الثروات ، صحراوية في غالبيتها ، الى ارض منتجة بعد ان استجلبت

المياه . ووفرت الحبوب والمزروعات الصالحة للنمو فيها ، وربت الماشية حيث لا توجد المراعي وضاعفت الانتاج الحيواني بالوسائل العلمية .

وبفضل الطب الحديث والاهتمام بالصحة العامة، وبفضل البحوث الطبية العلمية الاساسية التي تجري في المعاهد العلمية لدراسة طبيعة الامراض ومسبباتها ، ونظام عمل الكائنات الحية ، وبفضل البحوث التطبيقية التي تجري على المرضى ، وبفضل بحوث التنمية والصناعة التي تجري لانتاج العقاقير والادوية ، تمكنت اسرائيل من الانتصار على الامراض والطفيليات والاوبئة المنتشرة في المنطقة ، رغم انها تستقبل مهاجرين من جميع انحاء العالم .

وبفضل العلم والتكنولوجيا اصبحت جامعات اسرائيل ومعاهدها ومدارسها التقنية ومستشفياتها من اكثرها تقدما في العالم ، واستطاع نظام التعليم فيها ان يحقق التعليم للكبار والصغار بأسلوب مستقر متطور .

وبفضل العلم والتكنولوجيا اصبحت اسرائيل اكثر دول العالم النامية تقدما ، واحتلت مركزا علميا مرموقا بين الدول المتوسطة والدول الكبرى . واستطاعت ان تنفذ الى العديد من الدول الافريقية والاسيوية تحت شعار تقديم المعونة العلمية والفنية .

وأصبحت اسرائيل تملك قدرة نووية ، في مجالي الاستخدام السلمي والعسكري ، تفوق ما تملكه دول متوسطة كثيرة من دول العالم . فهي تصدر الماء الثقيل ، وتملك مفاعلات تنتج الوقود النووي، وتستغل الطاقة النووية في نواحي النشاط الزراعي والصناعي والطبي .

وفي الميدان العسكري ، وصل الانتاج العسكري في اسرائيل الى مستوى « مثير للاعجاب »(٣٥) اذا ما قورن بمستوى انتاج دول العالم الثالث . وتدل التقديرات الاخيرة الى ان ٢٠ في المائة من معدات اسرائيل العسكرية تنتج في داخلها وان هذه النسبة سوف تصل الى ٥٠ في المائة بين عامي ١٩٧٥ — ١٩٨٠ . ولها اكتفاء ذاتي بالنسبة لما تحتاجه من الاسلحة الصغيرة . وهي تحاول انتاج كل ما تحتاجه من قطع غيار لطائراتها .

واسرائيل تحرص على ان تكون كل مشروعاتها مربحة او ضرورية لها في مجال الاستخدام العسكري او في مجال التجارة الخارجية . وقد ثبت ان مشروعات صناعة الطائرات في اسرائيل قامت على اساس تحقيق اقصى ربح ، وليست من اجل صناعة طائرات عسكرية . ويقدر ما تصدره من انتاجها العسكري بحوالي ٣٠ الى ٤٠ في المائة من مجموع ما تنتجه . وقد بلغ ثمن ما صدرته في عام ١٩٦٧ حوالي ٢٠ مليون دولار .

وتنتج اسرائيل البنادق والرشاشات الخفيفة ومدافع المورتار من كل العيارات حتى ١٦٠ مم ومدافع الماكينة الاوتوماتيكية ، وهي في طريقها لانتاج المدفعية الثقيلة من عيار ١٢٠ مم ، وعيار ١٦٠ مم . واسرائيل لا تنتج الدبابات ولكنها تطورها لتضاعف كفاءتها ولتصبح اصلح للاستخدام في ظروفها الخاصة . وفي مجال صناعة الطائرات تنتج اسرائيل بعض الطائرات ، والمحركات ، وقطع الغيار ، واجزاء الطائرات ، والمعدات الارضية اللازمة لها ، والالكترونيات وبعض معدات الطيران الخاصة وكلها تحتاجها للصيانة والتصليح. كما تنتج اسرائيل بعض الصواريخ على اساس التصميم الفرنسي بعد تعديله .

واسرائيل قطعت خطى سريعة للوصول الى الاكتفاء الذاتي وان كانت لا تزال تعتمد على استيراد كل احتياجات الانتاج العسكري من الخارج . وانقطاع وصول هذه المطالب يؤثر تأثيرا شديدا على انتاجها في هذا المجال .

الخاتمة

لقد وضعت اسرائيل للتفوق العلمي والتكنولوجي اسبقية اولى بين اهدافها القومية . وهي حريصة على حفظ هذا التفوق بالطرق المشروعة وغير المشروعة . فبفضل هذا التفوق أمكنها تحييد قدرات العرب المادية والمعنوية ، البشرية والاقتصادية ، السياسية والعسكرية . وهي قدرات كلها قائمة ولكنها كامنة لا تقوم بدورها في المعركة . والبحث العلمي والتطور التكنولوجي والتخطيط العقلاني الجاد ، تلك هي الوسائل التي تمهد لاستغلال القدرات لتحقيق النصر .

الحواشي :

١ — Steph Hertesz. «*National Security*» by David M. Abshire and Others. Hoover Institution Publications 1963. Published by Preager, New York, London, p. 211. And Hanson W. Baldwin. «*Strategy For Tomorrow*, Harper & Row, N.Y. 1970, p. 333.

٢ — Chaim Weizman, «*Trial and Error* ». Harper N.Y. U.S.A. 1949, p. 444.

* Joseph Gills. «Science Education in a Developing Country». *Bulletin of the Atomic Scientists*, October 1972, p. 41.

* Stephen Spender, «A Center of Critical Values» Science and Public Affairs, *Bulletin of the Atomic Scientists*, October 1972, p. 2.

٣ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣ .

٤ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣ .

٥ — انظر **المرجع نفسه** ص ٤ .

٦ — انظر

Dr. I. Berenblum, «Basic and Applied Research in a Small Country». *Science and Public Affairs*, October 1972. p. 30.

٧ — **المرجع السابق** ص ٣٠

٨ — **المرجع السابق** ص ٣٠ .

٩ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣١ .

١٠ — انظر لكاتب هذا البحث، **السياسة النووية لاسرائيل** . مطبوعات دار الشعب ١٩٧٠ ص ١٢ .

١١ — انظر **المرجع السابق** I. Berenblum ص ٣٠.

١٢ — شاركت اسرائيل في ٤٨٤٢ مؤتمرا واجتماعا اجريت خلال هذه المدة . انظر **المرجع السابق** لكاتب هذا البحث ص ١٣ .

١٣ — قام اوبنهايمر ، العالم الامريكي الذي لعب دورا كبيرا في صناعة القنبلة الذرية الاولى بزيارة اسرائيل عام ١٩٦٥ ، كما زار الدكتور ادوارد تيلر الملقب بابو القنبلة الهيدروجينية اسرائيل في اخر هذا العام . انظر المرجع السابق اخذ عن يوسف مروة . « **الابحاث الذرية الاسرائيلية** » مركز الابحاث ، بيروت ص ٥٨ .

١٤ — Leonard Beatong Maddox, *Spread of Nuclear Weapon's*», Published for the Institute for Strategic Studies, Chatto & Windus, London, p. 24 and p. 168.

١٥ — **المصدر نفسه** .

١٦ — انظر **المرجع السابق** I. Berenblum ص٣١.

١٧ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣٢ .

١٨ — انظر

Albert B. Sabin, «Conditions for the Application of Science and Tecknology for Human Welfare», *Science and Public Affairs*, October 1972.

١٩ — انظر **المرجع السابق** Stephen Spender ص ٢ .

٢٠ — انظر **المرجع السابق** Stephen Spender **ص ٢** .

٢١ — انظر **المرجع السابق** لكاتب البحث ص ١٠٥ ، ص ٨ — ٣١ .

٢٢ — انظر

« Israel is already the worlds sixth atomic power»
Hanson W. Baldwin, «*Strategy for Tomorrow*», Harper and Row, N.Y. p. 182.

٢٣ — انظر **المرجع السابق** لكاتب المقال ص١٠٥

٢٤ — انظر **المرجع نفسه** ص ١١٩ .

٢٥ — انظر

Sipri Stockholm International Peace Research Institute. «*The Arms Trade with the Third World.*» Humanities Press. N.Y. 1971. pp. 768-781.

التقرير الثالث

دور الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل في البحث العلمي والتكنولوجي

بكر مصباح تنيرة

العلم هو السلاح الذي يستطيع به الانسان أن يتحكم في الطبيعة ، ويستغل ثرواتها لتحقيق أغراضه على الوجه الامثل . وبالعلم يتمكن الانسان من التغلب على تحديات الحياة . وقد ادركت الصهيونية العالمية هذه الحقيقة ، واتخذت منها اساسا من أسس اقامة دولتها اسرائيل . ثم تابعت اسرائيل بعد قيامها السير على نفس المنهج في المجالات المختلفة . ولا شك انها استطاعت بما توفر لها من امكانات، لم تتوفر لمثيلاتها من الدول الصغيرة ان تحقق تقدما علميا وتكنولوجيا جديرا بالدراسة والبحث خاصة من قبل العرب الذين يتعرضون لاخطاره على حقوقهم ومصيرهم ومستقبلهم .

وان الدعوة لبحث التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل بادرة طيبة في حد ذاتها ، ولكنها تحتاج منذ الان الى عناية وتنظيم وتخطيط يفترض المتابعة الدائمة لما تقوم به المؤسسات العلمية في اسرائيل من نشاط ، وما تقدمه من ابحاث في فروع العلم المختلفة ، واوجه تطبيق ما تتوصل اليه من اكتشافات واختراعات جديدة .

وقد بين حاييم وايزمان العالم الكيميائي واول رئيس دولة لاسرائيل ، اهمية البحث العلمي ودوره في التغلب على التحديات التي ستواجه اسرائيل ، وحث على مضاعفة الجهد وخاصة في مجال التعليم العالي لاعداد الباحثين والخبراء في مختلف المجالات ، كما طالب بأن تقوم اسرائيل في المستقبل بدور قيادي في منطقة الشرق الاوسط بما تحققه من تفوق علمي وتكنولوجي(١). وقد أكد ذلك دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق في مقدمة الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام (١٩٥١ — ١٩٥٢) فقال : « العلم سلطان البشر على قوى الطبيعة وسوف نستعين به دائما لاننا لن ننجح في تحقيق مشروعاتنا اذا لم نسخر العلم لتحقيقها » .

وتقوم الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل بدور فعال في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي .

وقد اوضح ذلك شمعون بيريس وزير المواصلات والاتصالات الاسرائيلي حاليا فقال : « على اسرائيل ان تبذل جهدا تربويا وفكريا ضخما في اعداد الجيل الجديد . فقد قرأت في أحدى نشرات وزارة التربية والثقافة اننا نأتي في الدرجة الخامسة في العالم من حيث نسبة عدد الطلبة الجامعيين بين المواطنين ، فبين كل مائة الف مواطن لدينا ٧٥٠ طالبا جامعيا ، وان هذا الانجاز يبدو باهرا ، الا ان هناك قطاعات تعتبر فيها هذه النسبة غير كافية ، فاذا اردنا ان ننتج طائرة او صاروخا فان هذه النسبة لا تنسجم مع اوضاع اسرائيل . ان تعقيدات السلاح لا تتوقف على حجم البلد بل ان كل ما في الامر هو نوعية الانجاز والتنفيذ . ولذلك فنحن بحاجة الى ضمان التعليم العالي لعدد اكبر من المواطنين والى تدريب مهني أكثر ضمن الجهد التربوي العام . ان خريجي الجامعات والمعاهد الاسرائيلية والمؤسسات التي يعملون بها يجب ان يحافظوا على البقاء في موقف الرواد والمستكشفين ، وأعني بهذا ان عليهم ان لا يكونوا محافظين في استخدام وسائل التجهيز والتقنية ، بل عليهم ان يظهروا اقصى حدود الفضول العلمي الى درجة المغامرة والمجازفة في استغلالهم اخر المستكشفات في الشكل والطريقة النوعية والمواد »(٢). وهكذا يتضح الطموح العلمي الذي يتطلع اليه شمعون بيريس ، ويدعو الجامعات والمعاهد العليا الى الاخذ به .

ومن اهم الاعمال التي تقوم بها الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل : ١ — تزويد مرافق الدولة بما تحتاج اليه من متخصصين في ميادين العمل المختلفة . ٢ — اعداد الباحثين والخبراء والعلماء في مختلف التخصصات العلمية . ٣ — القيام بالابحاث والتجارب في مختلف فروع العلم . ٤ — جذب العلماء اليهود من مختلف انحاء العالم والاستفادة من علمهم وخبراتهم ، وذلك بتهيئة الظروف العلمية التي تناسب تخصصاتهم ، وتحقيق طموحهم العلمي .

وفي هذا البحث الموجز ، الذي لا يعدو ان يكون

مقدمة لما تقوم به الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل في البحث العلمي والتكنولوجي . نستعرض ما يأتي : ١ ــ نشأة وتكوين وأهم الاقسام التي تشملها كل منها . ٢ ــ تطور عدد الطلاب وتخصصاتهم العلمية . ٣ ــ النشاط العلمي الذي تقوم به في مجال الابحاث والتجارب.

وما زالت القوى البشرية تمثل المصدر الاساسي للقوة والطاقة والعلم هو المعيار الاساسي في ذلك .

اولا ــ الجامعات

١ ــ الجامعة العبرية في القدس

١ ــ نشأتها : كانت فكرة انشاء جامعة عبرية في فلسطين من ابرز الاهداف التي تبنتها المنظمة الصهيونية العالمية كجزء من مخططها لتهويد فلسطين ، ووسيلة علمية وعملية لجذب العلماء اليهود للبحث والتدريس فيها ، واداة لتربية جيل صهيوني يستخدم العلم في اقامة الدولة الصهيونية ، وتحقيق اهدافها .

ومن الناحية التاريخية ترجع فكرة انشاء الجامعة العبرية الى الدكتور هرمان شابيرا الذي كان يعمل استاذا للرياضيات في جامعة هيدلبرج بالمانيا . وقد تقدم بفكرته هذه الى المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ . وقد وافق المؤتمر على الفكرة ، ووضع حجر الاساس لبناء الجامعة على جبل سكوبس في القدس عام ١٩١٨ ، وتم افتتاحها في عام ١٩٢٥، وتقوم الجامعة العبرية الى جانب نشاطها الاكاديمي الاساسي والذي يتمثل بالتعليم العالي للطلاب ، بنشاطات علمية على جانب كبير من الخطورة وخاصة في مجالات العلوم الطبيعية والرياضية والكيميائية . من هنا تنبع اهمية دورها في النشاط العلمي في اسرائيل .

٢ ــ الكلية العلمية وتطور عدد الطلاب وتوزيعهم العلمي : تضم الجامعة العبرية ثماني كليات ، هي : الزراعة ، العلوم الطبيعية ، الطب ، الصيدلة ، القانون ، العلوم الاجتماعية ، الانسانيات ، والتربية . وقد تطور عدد طلابها منذ عام ١٩٤٨ ــ ١٩٦٩ من ٩٥٧ طالبا الى ١٢٧٣١ طالبا ، ويبين الجدول رقم (٢) توزيعهم على الكليات وفقا لاحصاءات عام ١٩٦٩ ، ويلاحظ ان هناك اهتماما واقبالا على دراسة العلوم الطبيعية والطب والزراعة . كما يلاحظ ان هناك عددا كبيرا من الطلاب الباحثين وطلاب الدراسات العليا ــ الماجستير والدكتوراه .

ويبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٩٩٠ ، وعدد الموظفين ١٤٣٢ ، وبلغ عدد الخريجين من الكليات المختلفة عام ١٩٦٩ ، ٢٣٦٧ . من هذا يتضح الدور العلمي الذي تقوم به الجامعة العبرية في مجال التعليم العالي وتخريج الطلاب في التخصصات العلمية التي تخططها سياسة الدولة وخاصة في العلوم الطبيعية حيث تبلغ نسبة الطلاب ١٦٪ الى المجموع الكلي .

٣ ــ نشاط الجامعة العبرية في مجال الابحاث العلمية : (٣). تضم الجامعة العبرية عددا من المعاهد المتخصصة ومعامل الابحاث التي تقوم بنشاط علمي يهدف الى تطوير القدرات الذاتية لاسرائيل في المجالات المختلفة ونظرا لقلة المعلومات عن هذا الدور الذي تقوم به الجامعة العبرية وصعوبة الحصول على المعلومات عن الابحاث التي تعدها فنكتفي هنا بعرض نماذج لها مبينين أهم الاتجاهات العلمية التي تحظى بأهتمام الباحثين فيها والتي تعتبر بدورها جزءا من سياسة اسرائيل العلمية .

١ ــ معهد الرياضيات :

يقوم معهد الرياضيات التابع للجامعة العبرية بعدد من الابحاث ذات الاهمية العلمية ، منها :

أ ــ التحليل : يعمل الرياضي البروفسور س . أغمون على تطوير نظرية معادلات التفاضل الجزئية في الشكل الاهليليجي . كما ان البروفسور أ. روبنسون يعالج مواضيع الجبر التفاضلي ، في حين ان الاساتذة الدكاترة : أ. دفورتزكي ، ب. كاتس، أ. جاكوموسكي، م. ماشلر ، يعملون جميعا على وضع وتطوير نظرية جديدة للاجسام المحدبة في الاجواء العامة .

ب ــ الاحتمال : يعتبر البروفسور دفورتزكي مسألة « الحركة البروانية » في الفيزياء من مواضيع الاحتمال والاحصاء . ويعمل الدكتور مايزجيلر على تحديد نظريات الاحتمال . كما يشتغل الدكتور هـ. كيستن بابحاث تتعلق بالقوالب العشوائية ويعمل على تطبيق معادلة شرودنجر في البلورات الوحيدة الابحاث المختلطة عشوائيا مع المواد الضربية . وقام الدكتور ر. خوجل

باستكشافات رياضية هامة حول طرق هيلبرت الفراغية في تفسير عمليات ماركوف المعقدة .

جـ ــ نظرية الالعاب : اكتشف الدكتور ر. ج. اومان نظرية الالعاب التعاونية واوضح كذلك الكثير من نظرية الاستمالة .

د ــ الجبر ونظرية الاعداد : قام البروفسور أ. أميتسور بوضع اسس جديدة للتعقيدات النظرية في نظرية الحقول . كما اجرى تعديلات على طريقة سيلبرغ للبراهين الاولية في نظريات الخطوط التقريبية .

هـ ــ المنطق الرياضي وتطبيقاته : اكتشف البروفسور م. رابين بعض المسائل في نظرية المثال ، كما ان البروفسور أ. روبنسون وضع بعض اسس الحساب اللاقياسي .

٢ ــ دائرتا الفيزياء النظرية والتجريبية :

أ ــ قام البروفسور راقه بعدة ابحاث في ميدان التحليل الطيفي وتصنيف مستويات الطاقة في الذرات . وقد اكتشف البروفسور راقه طريقة عرفت بأسمه تستخدم كثيرا في دراسة وفهم نموذج الحلقة النووية حسب الافتراض القائل بان الجسمة داخل النواة تتصرف بطريقة مشابهة لتصرف الالكترونات في الذرة ، وبفضل دراسات البروفسور راقه ومساعديه اصبحت اسرائيل تعتبر من المراكز الدولية لابحاث التركيب النووي.

ب ــ في دائرة الفيزياء التجريبية ، يجري البحث في شتى مواضيع الفيزياء النووية على اساس دراسة طبيعة النوى وطرق انحلالها وتغيرها الى نوى اخرى مختلفة ، بالاضافة الى ابحاث اخرى في مواضيع فيزياء الحالة الصلبة وانصاف الموصلات والوميض الالكتروني ومراكز الالوان والتحليل الطيفي الميروموجي والظواهر الحرارية العالية . وانصاف الموصلات ، كما يدل الاسم ، هي اجسام صلبة ذات توصيل كهربائي يتراوح بين المعادن ذات التوصيل الجيد العالي ولاخرى رديئة التوصيل.والاهم من ذلك هو ان الالكترونات هي التي تسبب التوصيل في المعادن ، بينما في انصاف الموصلات يوجد نوعان من الشحنة الكهربائية : الالكترونات السالبة والثقوب الموجبة . وهناك اعمال مستمرة في مختبر البصريات من اجل استكشاف بعض الظواهر البصرية الناتجة عن امتصاص البلورات للنور . والهدف من هذه الابحاث هو دراسة العمليات التي تنطوي عليها هذه الظواهر لكي يتمكن الخبراء من السيطرة على تصرفات الاشعة اثناء اختراقها للبلورات .

واما في مختبر الاشعاع الميكروموجي ، فتجري تجارب وابحاث هامة حول اشعتي لارز ومازر وترتكز هذه التجارب على حقيقة كون ذرات اكثر من نصف العناصر تحتوي على عدد ضروري من الالكترونات . وهذا ما يجعلها تنطوي على بعض الميزات المغنطيسية . ويتجه اهتمام العلماء الى قياس مستويات الطاقة في مثل هذه الذرات لفهم اسباب صفة المغنطيسية ولاستخدام هذه المعلومات في سبيل استكشاف الصفات الفيزيائية للبلورات. وهذا النوع من الابحاث تستخدم فيه الحرارة المنخفضة وامواج الراديو العالية الذبذبة المشابهة لامواج الرادار . وأدت ابحاث البلورات هذه الى وضع اجهزة دقيقة للكشف عن الصواريخ الموجهة والاقمار الصناعية على مسافات بعيدة . وقد اصبحت هذه الابحاث البلورية ذات اهمية خاصة في دراسة امواج الراديو الصادرة عن الفضاء الخارجي .

وافتتح منذ خمسة اعوام فرع خاص لفيزياء الحرارة العالية والحرارة النووية ، تجري فيه أبحاث هامة حول الحالة الرابعة للمادة المعروفة باسم (البلازما) ، اذ أن ذرات الغاز تتحول الى ايونات موصلة للكهرباء عندما تتعرض لدرجة حرارة عالية . وتعتبر اعمال الدكتور هـ. ز. تابور وابحاثه التي اجراها في مختبر الفيزياء التطبيقية في الجامعة حول الطاقة الشمسية ذات اهمية خاصة بالنسبة لاسرائيل بحيث اصبحت الاجهزة الشمسية للتدفئة المركزية والتبريد والتهوية والتقطير والطبخ اجهزة شعبية عادية في متناول جميع السكان .

٣ ــ مدرسة حاييم وايزمان للكيمياء :

تشرف الجامعة العبرية على ادارة هذه المدرسة علميا وماديا ، بحيث يمكن اعتبارها كاحدى كليات الجامعة وهي تشمل : أ ــ دائرة الكيمياء التحليلية واللاعضوية . ب ــ دائرة الكيمياء الفيزيائية . جـ ــ دائرة الكيمياء العضوية . د ــ دائرة الكيمياء الحيوية . وتقوم كل من هذه الدوائر بأبحاث هامة في مجالات تخصصها(٤). كما توجد دوائر علمية اخرى في الجامعة العبرية

مثل دائرة النبات ، ودائرة الجيولوجيا ، ودائرة الجغرافيا ، ودائرة الارصاد الجوية والمناخيات، ودائرة الزراعة .

هكذا يتبين ان دور الجامعة العبرية في مجال الابحاث العلمية يفوق دورها في الدراسة الاكاديمية . ولهذا بالطبع اسبابه العديدة سوف نذكرها عند تحليل هذه الظاهرة المنتشرة في مختلف المؤسسات العلمية في اسرائيل .

٢ ــ جامعة تل ابيب

١ ــ نشأتها : تعود فكرة انشاء جامعة تل أبيب الى ما قبل الحرب الثانية . وقد بدأت من الناحية العملية بتأسيس مدرسة عليا للاقتصاد والقانون. ولمواجهة التطورات التي حدثت في اسرائيل بعد قيامها في ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وزيادة عدد السكان نظرا للهجرة الواسعة برزت الحاجة لانشاء هذه الجامعة . وقد تم افتتاحها في عام ١٩٥٦ ، ثم توسعت عام ١٩٥٩ وبدأت الدراسة فيها بشكلها الجديد عام ١٩٦٠ . وهي تأتي في المرتبة الثانية من الناحية الاكاديمية بعد الجامعة العبرية في القدس ونشاطها في مجال الابحاث العلمية محدود.

٢ ــ الكليات والمعاهد التابعة لها : تضم خمس كليات ، كما توجد اربع معاهد تابعة لها . والكليات هي : كلية العلوم وتشمل علم الحيوان، علم النبات ، علم الجراثيم ، والرياضيات التطبيقية . وكلية الدراسة الطبية المتواصلة ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وكلية الطب ، وكلية العلوم الانسانية التي تشمل الدراسات اليهودية ايضا ، وكلية الحقوق .

أما المعاهد فهي : معهد دونولو لعلم حفظ الصحة الفيزيولوجي ، ومعهد علم الوراثة عند الانسان، ومعهد الابحاث الصهيونية ، واكاديمية اسرائيل للموسيقى ، وفي عام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ قامت فيها بعض المشاريع العلمية منها : افتتاح معهد كبلون للرياضيات التطبيقية وعلم طبيعة الفضاء . وتم شراء مركز للالات الحاسبة من الولايات المتحدة الامريكية ، ووضع حجر الاساس لمعهد موشي شاريت للعلوم التربوية ، ووضع حجر الاساس لمدرسة ركاناتي للادارة العامة والمالية، وبدىء العمل في مدرسة وشنياب للفنون الجميلة والتطبيقية .

٣ ــ تطور عدد الطلاب ومجالات تخصصهم العلمي :(٥). ارتفع عدد الطلاب فيها منذ بدء الدراسة عام ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ من ٨٢٥ طالبا الى ٧١٠٢ طالب عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، اي تضاعف عددهم ما يزيد على سبع مرات . ويبلغ عدد طلاب كلية العلوم الطبيعية ٩٨٢ ، وكلية العلوم الانسانية ٢٨٣٧ . كما يبلغ عدد الطلاب الباحثين ٣٣ طالبا منهم ٣٠ طالبا يبحثون في كلية العلوم الطبيعية ، ٣ طلاب فقط في كلية العلوم الانسانية. وبلغ عدد الطلبة في قسم الماجستير ٦٩ طالبا منهم ٤٤ طالبا في كلية العلوم الطبيعية ، ٥ طلاب في كلية العلوم الاجتماعية ، و ٢٠ طالبا في كلية العلوم الانسانية .

من هذا يتضح اهمية الدراسات العلمية وعلى وجه الخصوص العلوم الطبيعية ويبين الجدول رقم (٣) توزيع الطلاب وفقا لسنوات الدراسة، ومجالات التخصص . وبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٧٠٦ ، وعدد الموظفين ١٥٣١ .

٣ ــ جامعة بارايلان(٦)

١ ــ نشأتها : تختلف أسباب نشأة جامعة بارايلان والغاية منها على سابقتيها ، الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب . فقد أنشأتها مؤسسة مزراحي الدينية عام ١٩٥٥ .

وسميت بهذا الاسم نسبة الى الحاخام مئير بارايلان ، وهي تختلف عن بقية الجامعات في اسرائيل ، فهي تهدف الى خلق جيل من الشبان المتعلم يكون ملما بالموضوعات الدينية والعصرية ويكون متمسكا بالعقيدة اليهودية .

٢ ــ نظامها والكليات التابعة لها : تتبع هذه الجامعة نظام الساعات المعمول بها في الجامعات الامريكية وبهذا فانها تتيح الفرصة للامريكيين والكنديين لاتمام دراستهم في اسرائيل . وتضم الجامعة ثلاث كليات : كلية الدراسات الانسانية وتشمل اللاهوت اليهودي والتاريخ والادب اليهودي ، ثم اللغات والادب وتشمل اللغة العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية واليونانية واللاتينية ، وكلية العلوم الاجتماعية وتشمل التاريخ والفلسفة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والتربية . كلية العلوم وبها اقسام للاحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات والبكتريا والكيمياء الحيوية .

٣ ــ تطور عدد الطلاب وتوزيعهم وفقا للتخصص

العلمي : ارتفع عدد الطلاب من ١٧٢ طالبا عام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ الى ٣٦٤١ طالبا عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم (٤) توزيعهم على التخصصات العلمية . وبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٤٣١ ، وعدد الموظفين ٥٠٨ . وذلك وفقا لاحصاءات عام ١٩٦٩ .

٤ — جامعة حيفا(٧)

١ — نشأتها : يعود تاريخ تأسيس هذه الجامعة لعام ١٩٥٢ عندما تأسس معهد للقانون والاقتصاد، وفي عام ١٩٥٤ انشئت دائرة للعلوم الانسانية ودائرة للمحاسبة ، وفي عام ١٩٥٧ تم افتتاح دائرة للعلوم الاجتماعية . ثم قامت بلدية حيفا ببناء هذه الجامعة بشكلها الجديد الذي افتتح رسميا عام ١٩٦٤ .

٢ — كلياتها : تتألف جامعة حيفا من كليتين هما : كلية الدراسات الانسانية ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وتضم هاتان الكليتان خمسة عشر قسما : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، التاريخ العام ، اللغة والادب الفرنسي ، اللغة والادب الانجليزي ، اللغة والادب العربي ، الجغرافيا ، التربية ، علم الاجتماع ، وعلم السياسة .

٣ — تطور عدد الطلاب : ارتفع عدد الطلاب من ٥٦٥ طالبا عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ٢٢٠٣ طلاب عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم (٥) توزيع الطلاب وعدد الاساتذة والمحاضرين ومجموع العاملين في الجامعة . ولا يوجد لجامعة حيفا نشاط علمي كما هو واضح ، كما انه لا يوجد بها كليات عملية .

ثانيا — المعاهد العليا

١ — معهد اسرائيل التكنولوجي (التكنيون)(٨)

تأتي أهمية التكنيون الاكاديمية في المرتبة الثانية بعد الجامعة العبرية مباشرة أما أهميته في مجال النشاط العلمي الذي يقوم على الابحاث فهي في مقدمة المؤسسات العلمية في اسرائيل ، ويتضح ذلك من اقسام المعهد ومجالات التخصص العلمي فيه كما سنرى .

١ — نشأته : بدأت فكرة انشاء معهد التكنيون مع انشاء الجامعة العبرية في اوائل هذا القرن، ومع بدء تنظيم النشاط الصهيوني في فلسطين ، وسياسة اقامة الدولة الصهيونية . وكانت الغاية منه في البداية تخريج العمال المدربين والمهندسين ليكمل انواع الدراسات التي كانت تدرس في الجامعة العبرية .

وقد اقترح انشاءه الدكتور بول ناتان عام ١٩٠٧. وبالفعل شرع في تأسيسه على جبل الكرمل في حيفا في اوائل ١٩١٢ وافتتح رسميا عام ١٩٢٤ ويقوم التكنيون بأبحاث على جانب بالغ الاهمية وخاصة في مجال الذرة ، هذا الى جانب العمل الاكاديمي العادي .

٢ — اقسام المعهد والكليات والمختبرات التابعة له : يضم المعهد الكليات الاتية : الهندسة المدنية ، هندسة البناء (فن المعمار) وتخطيط المدن ، والهندسة الميكانيكية ، والهندسة الكهربائية ، والهندسة الكيميائية ، والهندسة المعمارية ، وهندسة الطيران ، كما يوجد في المعهد الاقسام الاتية : هندسة الادارة الصناعية، والرياضيات ، والطبيعيات ، والكيمياء ، وعلم الميكانيكيات والعلوم النووية ، وعلم الميكروبات ، والجراثيم العامة والتطبيقية ، والدراسات العامة والتربية .

ويشمل المختبرات الاتية : مختبر فحص مواد البناء ، مختبر فحص الالات المائية (الهيدرولية)، مختبر ميكانيك التربة وفحص الطرقات ، مختبر الفحص الميكانيكي ، مختبر الصدأ ، مختبر التلبيس المعدني ، مختبر المائيات (الهيدروليك) مختبر هندسة التربة .

٣ — تطور عدد الطلاب وتوزيعهم العلمي : بلغ مجموع الطلاب في المعهد عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ٦٧٨ طالبا ، ارتفع عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ الى ٥٦٥٩ طالبا . ويبين الجدول رقم (٦) توزيع الطلاب على مختلف التخصصات العلمية ، كما يتضح من الجدول المذكور ارتفاع عدد الباحثين وطلبة الماجستير والدكتوراه وخاصة في مجال العلوم الطبيعية ، والكهربائية والطيران والهندسة الميكانيكية .

وقد بلغ مجموع الاساتذة والمحاضرين عام ١٩٦٩ ٤٦٠ ، ومجموع العاملين ٩٥٢ .

٤ — النشاط العلمي في مجال الابحاث :(٩)

انشئت في المعهد دائرة خاصة بالهندسة والعلوم

النووية وذلك لتلبية حاجات الابحاث الذرية التي تقوم بها اسرائيل . وكانت الغاية من انشاء هذه الدائرة تدريب العلماء في مواضيع فيزياء المفاعلات النووية وبالتالي تأمين الخبراء اللازمين للعمل في المفاعلات الذرية في النبي روبين ، وديمونا ، وريشون لتسيون ، وناحال سوريك . ويتضمن المنهاج محاضرات علمية واعمال اختبارية في الفيزياء ، ونظرية المفاعل وتصميمه وكيمياء وتكنولوجيا محطة الطاقة الذرية والتعدين النووي للسنة الاخيرة .

٢ ــ معهد ابشتاين للفيزياء :

ويعتبر من اهم الفروع العلمية في المعهد . وبالاضافة الى اعداد المهندسين الفيزيائيين فان هناك طلابا يعملون لنيل درجات الماجستير والدكتوراه ويقومون بابحاث فيزيائية هامة في مواضيع الاشعة الكونية وفيزياء الحالة الصلبة . كما أن هناك فريقا من العلماء يقوم بأبحاث هامة في دراسة الاشعة الكونية والتيارات الناتجة عن اصطدام جسيماتها بالجو الارضي . كما ان فريقا اخر من العلماء يقوم بدراسة خصائص الاشعة الكونية في محطة بنيت على قمة جبل الكرمل وفي محطة ثانية بنيت في نفق داخل الجبل المذكور حيث تمر الطريق المؤدية الى حيفا .

٣ ــ تكنولوجية الغذاء :

يقوم فريق من العلماء في التكنيون تحت رئاسة البرفسور برامرمان بتدريب الشبان والفتيات على كيفية انتاج مواد غذائية افضل من اجل رفع مستوى الغذاء والتغذية في اسرائيل .

والى جانب هذا النشاط العلمي في مجال الابحاث، يعمل التكنيون على نشر محاضرات جوزيف ونش، وسلسلة شلومو كمبلانسكي التذكارية ، وخلاصات لاطروحات الدكتوراة وشهادات استاذ العلوم ، والفهارس . وفي حقل البناء ينشر المعهد نشرة تكنيون وهندسة تكنيون الانسانية .

٢ ــ معهد وايزمان للعلوم

١ ــ نشأته : اشرف حاييم وايزمان العالم الكيميائي واول رئيس دولة لاسرائيل على تأسيس المعهد الذي يحمل اسمه ، كمركز للابحاث عام ١٩٣٤ ، ثم اعيد تنظيمه عام ١٩٤٩ ويعتبر معهد وايزمان ثاني معهد في اسرائيل من حيث النشاط العلمي واهمية الابحاث التي يقوم بها .

٢ ــ اقسام المعهد : يضم المعهد عشر كليات في الحقول العلمية الاتية : الرياضيات التطبيقية ، الفيزياء النووية ، التأثير النووي ، الالكترونيك ، بلورات أشعة اكس ، النظائر ، التجمعات ، البيوفيزياء، الكيمياء العضوية، والاحياء التجريبية. وبالاضافة الى هذه الكليات، فهناك اقسام للكيمياء الضوئية والتحليل الطيفي ، والتحليل الطيفي بواسطة أشعة تحت الحمراء والبيوكيمياء ، والوراثيات الحيوانية والنباتية . وبلغ مجموع الطلاب في المعهد عام ١٩٦٩ ــ ٣٣٤ طالبا . ويعتبر المعهد مركزا للبحث والنشاط العلمي اكثر منه معهدا للدراسة .

٣ ــ النشاط العلمي : عندما أسس معهد وايزمان للعلوم كان منذ البداية معهدا للبحث العلمي . من هنا كانت العناية بتزويده بكل ما يجعله يقوم بهذا الدور في النشاط العلمي . فهو يضم عدة دوائر علمية مخصصة تقوم كل منها باجراء التجارب والمواد والابحاث في مختلف نواحي البيئة والتكنولوجيا .

١ ــ دائرة الكيمياء العضوية : تقوم هذه الدائرة بأبحاث هامة في ميدان المركبات الكربونية ونواتج العمليات الحيوية كالمواد الكربوهيدراتية التي تشكل الاغذية الاساسية للجسم البشري والمواد الهيدروكربونية الضرورية لتسيير المحركات الالية. وتتعلق هذه الابحاث بكيفية نشوء الكربون ومن ثم النباتات والمخلوقات الحية ومن ثم كيفية تكوين نشوء زيت البترول في العصور الجيولوجية القديمة . هذا بالاضافة الى مجالات اخرى تقوم هذه الدائرة باعداد التجارب والابحاث عنها .

٢ ــ دائرة الاطياف تحت الحمراء وبلورات أشعة أكس : تتركز أعمال هذا القسم على تطوير طرق جديدة لامتصاص وانكسار اطياف الاشعة تحت الحمراء . وهناك عدة أجهزة صممت وانتجت ، بما في ذلك جهاز التحليل الطيفي الضخم المعروف باسم (رحفوت) ، الذي يعمل كمقياس للاطياف والانكسارات التي تحصل بواسطة الاشعة تحت الحمراء وهو أضخم وأعظم جهاز من نوعه ، اذ يحتوي على حجر اسطواني الشكل يبلغ طوله ١١٤٧ م وقطره ٦٠ سم ، ومصنوع من مادة مقاومة قوية تتحمل الفراغ الضروري الذي يحتاجه انعكاس الاشعة تحت الحمراء لمسافة ٢٢٥ مترا.

ويقوم الخبراء الاسرائيليون الذين يعملون على هذا الجهاز حاليا بعدة ابحاث هامة تتعلق بصفات الجزئيات البسيطة مثل قوة الارتباط التي تربط ذرات الجزء والصفات الكهربائية لهذه الرباطات، وكذلك يدرسون طبيعة التفاعلات بين الجزئيات الضرورية التي تتحرك احداها حول الاخرى مسببة التصادم الثنائي بينهما .

ومن الجدير بالملاحظة أن الكثير من هذه الابحاث تنشر في المجلات العلمية سواء في اسرائيل او خارجها . هذا بالاضافة الى أن الابحاث ذات الطابع السري لا يتم نشرها ، ولكن يمكن تحديد اتجاهات البحث العلمي من خلال ما ينشر . وما ذكر ليس الا نماذج من هذه الابحاث التي كانت قائمة منذ أربع سنوات على الاقل ، فلا بد أن في هذه الفترة حدث الكثير الذي يوجب المتابعة والبحث .

٣ ــ دائرة الرياضيات التطبيقية : انشئت هذه الدائرة في المعهد لاهمية الموضوع الذي تتخذه مدارا لابحاثها ، وقد تطورت الابحاث الرياضية تطورا انقلابيا بمجيء البروفسور حاييم بيكريز وجماعته الى رحفوت ، اذ أنهم واجهوا مشاكل رياضية اهم بكثير من مشاكل الرياضيات الكلاسيكية . وأسسوا فكرتهم على حاجة اسرائيل الى الماء والوقود . وبذرة هاتين المادتين في مواردها الطبيعية . لهذا كانت عنايتهم في تطبيق أساليب الرياضيات في ميدان الجيوفيزياء . وفي أبحاث ترمي الى اكتشاف البترول او الماء في جوف الارض عن طريق التعرف على نوعية الصخور التي تتكون منها ، وبالفعل اجريت تجارب في هذا الصدد في منطقة حيليتس بالقرب من مدينة عسقلان بالقرب من قطاع غزة ، وقام الخبراء في عام ١٩٥٦ بحفريات ناجحة انتهت باكتشاف البترول . وتضم هذه الدائرة عقلا الكترونيا من أهم العقول في العالم (وايزاك) وهو من صنع المعهد .

٤ ــ دائرة أبحاث النظائر : تقوم هذه الدائرة بدراسة تأثير النظائر على الصفات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لمختلف أنواع المواد . وهذه الدراسة تتناول ما يأتي : ١ ــ دراسات حول طرق انفصال النظائر . ٢ ــ دراسة آلية التفاعلات البيولوجية والكيميائية . ٣ ــ دراسة التفاعلات النووية . ٤ ــ استخدام النظائر في التطبيقات العلمية المختلفة .

٥ ــ دائرة الالكترونيك : تقوم هذه الدائرة بأبحاث أساسية في حقل المغنطيسيات والميكرومغنطيسيات وتعمل على تطبيق الابحاث النظرية في تطوير اجهزة الكترونية جديدة . وهناك تعاون وثيق بين هذه الدائرة وشركة (يدا) للابحاث والتطوير الاسرائيلية التي اصبحت اليوم تملك فروعا عديدة في كثير من بلدان العالم .

٦ ــ دائرة ابحاث التجمع : ينبع اسم هذه الدائرة من الموضوع الذي تناوله . فمن المعروف أن النايلون والمطاط والسيلولوز من المواد البلاستيكية الصناعية ، فهي تصنع من سلسلة جزئيات متشابهة مستطيلة تعرف عمليا باسم التجمعات . وتعرف الدراسة الاساسية لهذه التجمعات المشحونة كهربائيا باسم (تعدد الاقطاب الكهربائية) وهذه الدراسات هي ما تقوم به هذه الدائرة العلمية في معهد وايزمان .

٧ ــ دائرة البيولوجيا التجريبية : تجري هذه الدائرة أبحاث علمية هامة تحت ادارة البروفيسور برينبلوم في سبيل التوصل لمعرفة أسباب مرض السرطان . وتوصل العلماء في هذه الدائرة الى أن الورم السرطاني لا يظهر حال حدوثه بل قد يستغرق ذلك سنوات عديدة حتى يتمكن الاطباء من ملاحظته .

٨ ــ دائرة الفيزياء النووية : تضم اعمال هذه الدائرة الى ثلاث مجموعات : الدراسات النظرية في التركيب النووي ، والدراسات التجريبية في البناء النووي ، ودراسات الطاقة العالية التي تتضمن الاشعة الكونية .

وهناك اهتمام خاص من علماء هذه الدائرة بأعمال وأبحاث التأثير النووي المتعلقة بآلية ومعدل التفاعلات الكيميائية السريعة المتبادلة في السوائل ولذلك يستخدم هؤلاء العلماء احدث مطياف مغناطيسي نووي ذو طاقة عالية . ومن الجدير بالذكر ان هذا المطياف هو من تصميم ووضع خبراء هذه الدائرة . كذلك نجح هؤلاء الخبراء أنفسهم في صنع وتطوير اجهزة جديدة لدراسة صفات السوائل والجوامد .

هكذا يتبين من هذا العرض الموجز للدوائر والاقسام التي يشملها معهد وايزمان ، والابحاث والتجارب التي تقوم بها أهمية هذا المعهد ودورها في البحث العلمي ، والتقدم التكنولوجي الذي وصلت اليه اسرائيل ، وتسخيرها للعلم والعلماء

لمواجهة المشاكل التي تعترضها بتكوينها الغريب والمفتعل ومع ذلك نجحت في ذلك .

ويوجد بالاضافة الى الجامعات والمعاهد العليا التي تم استعراض مقوماتها ونشاطها معاهد عليا حديثة النشأة لم تتوفر عنها معلومات كافية في القاهرة على الاقل ، ونذكر منها هنا على سبيل المثال : معهد النقب للدراسات العليا وهو يعنى بدراسة اوضاع صحراء النقب ويعد مقدمة لتطويرها وانشاء مراكز علمية اخرى فيها وذلك تهيئة لما ستكون عليه في المستقبل هذه المنطقة الهامة ، ولا سيما أنها تتصل بخليج العقبة الذي يعتبر منفذ اسرائيل الى افريقيا خاصة والعالم بصفة عامة .

ويضم المعهد المذكور قسما لدراسة الهندسة واخر للعلوم الطبيعية كما يضم قسما للعلوم الانسانية والاجتماعية . وقد بلغ مجموع الطلاب فيه ٧١٩ حسب احصاءات عام ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم (٧) توزيعهم على الاقسام المذكورة .

كما يوجد مجموعة كبيرة من مراكز الابحاث بعضها دراسي والاخر يعنى بموضوعات البحث العلمي المتنوعة وتساهم الى جانب الجامعات والمعاهد العليا في البحث العلمي والتكنولوجي .

خلاصة البحث

مما سبق يتضح ان الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل تساهم مساهمة كبيرة في تطوير البحث العلمي والتكنولوجي ، وتقوم باعداد الباحثين المتخصصين لذلك . وظاهرة البحث العلمي فيها تعود الى طبيعة تكوين اسرائيل ذاتها . كما تعود الى أسباب نشأتها وأهدافها في المنطقة العربية . فمصدر الهجرة اليهودية منذ البداية كان يوفر لاسرائيل اعدادا كبيرة من ذوي المؤهلات العلمية العالية الذين كانوا يحتاجون الى مؤسسات علمية يمارسون من خلالها نشاطهم العلمي(١٠). كما ان تحدي اسرائيل للامة العربية واصرارها على قبول الحق العربي في فلسطين قد دفعها الى العمل لتحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي وخاصة في ميدان صناعة الاسلحة حتى تحافظ على موقعها . ومن الملاحظ ان هناك تركيزا على العلوم الطبيعية ، كما أن هناك عناية واضحة بالابحاث الذرية .

كل هذا يشكل دافعا أساسيا للعمل من أجل متابعة هذا التقدم حتى يتمكن العرب من خلال مؤسساتهم العلمية المماثلة من معرفة العدو الذي يتحداهم ويعملون على تطوير وسائلهم وأدواتهم في مواجهته .

---

١ — Chaim Weizman, *Trial and Error*. Schocken Books. N.Y. 1966, pp. 444-462.

٢ — *Israel Year Book* - 1965, p. 31.

٣ — يوسف مروة ، **اخطار التقدم العلمي في اسرائيل** ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٢ — ٢٢ .

٤ — يوسف مروه ، **المصدر السابق** ، ص ١٧ — ١٩ .

٥ — Statistical Abstract of Israel, 1969, p. 569.

٦ — منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف ، **التعليم في اسرائيل** ، مركز الابحاث ١٩٦٩ ص ١٣٥ — ١٣٦ .

٧ — منير بشور ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ .

٨ — يوسف مروه ، نورمان دندن ، د. م. ص، **المؤسسات العلمية والثقافية والفنيةفي اسرائيل**، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١٦ — ١٧ .

٩ — يوسف مروه ، **اخطار التقدم العلمي في اسرائيل** ، ص ٢٥ — ٢٧ .

١٠ — انطوان : ب. زحلان ، **العلم والتعليم العالي في اسرائيل** ، ترجمة محمد صالح العالم ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع دار الهلال — القاهرة — ١٩٧٠ ص ٤٨ .

جدول رقم (١)
طلاب الجامعات والمعاهد العلمية العليا في اسرائيل

	٤٩/٤٨	٥١/٥٠	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٥/٦٤	٦٦/٦٥	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
مجموع الطلبة فيالجامعات والمعاهد العليا	١٦٣٥	٣٠٢٢	٥٨٤٢	١٠٨٣٦	١٨٣٦٨	٢١٧٥٦	٢٥٥٤٢	٢٨٥٢٠	٣٢٣٨٩
طلاب السنة الجامعية الاولى	٤٠٥	١٠٨٥	١٧٧٠	٣٢٩٦	٦٠٥٥	٧٣٨١	٧٩٨٥	٧٧٤٠	٨٩٠٤
الطلاب الباحثون	٨٨	١٤٨	٣٤٣	٥١٦	٨٥٢	٩٨٣	١١٢٢	١٢٠٨	١٣٨٠
خريجو الجامعات	١٩٣	٣١٣	٨٨٤	١٦٥٤	٢٤٩١	١٧٠٠	٢٩١٢	٣٧٦١	٤٤١٨
الجـــامعة العبرية :									
مجموع الطلاب	٩٥٧	٢٠٦٨	٣٦٦٦	٧٠٢٠	١٠١٦٤	١٠٨١٣	١١٤٥٨	١١٥٨٦	١٢٧٣١
طلاب السنة الاولى	٢١٥	٧٩٩	١١١٢	٢٠٩٦	٢٣٥٧	٢٢١٨	٣٠١٩	٢٧٤٦	٣٢٤٨
الطلاب الباحثون	٨٦	١٤٦	٣٠٦	٤٣١	٥٨٠	٦٠٣	٦٥٩	٧٦٧	٨٢٩
الخريجون	٥٨	١٢٥	٥٣٦	١٠٠٤	١٦٦٢	١٧٣٩	١٧٣٤	٢١٦٠	٢٣٦٧
معهـــد التكنيون :									
مجموع الطلاب	٦٧٨	٩٥٤	٢٠٠٤	٢٣٨٠	٢٩٢٨	٤٤٢٢	٤٩٤٣	٥١١٥	٥٦٥٩
طلاب السنة الاولى	١٩٠	٢٨٦	٦٥٨	٥٤١	٩٦٢	١٠١١	١٠١٧	٩٤٧	١٠٥٣
الطلاب الباحثون	٢	٢	٣٧	٨٥	١٢٧	١٦٢	٢٠٤	١٨٩	٢٨١
الخريجون	١٣٥	١٨٨	٣٤٨	٥٩١	٥٦٥	٥٨٧	٧٤٦	٨١٥	٩٢٤
جامعة تل أبيب :									
مجموع الطلاب	—	—	—	٨٢٥	٢١٢٦	٣٥٤٧	٤٨٢٥	٦٢٠٨	٧١٠٢
طلاب السنة الاولى	—	—	—	٢٧٨	٩٥٧	١٩٧٢	٢٠٨٦	١٨٦٤	٢٢٠٢
الطلاب الباحثون	—	—	—	—	—	٩	١٣	١٢	٣٣
الخريجـــون	—	—	—	٢٣	١٢٦	١٨٥	٢٤٣	٤٢١	٦٥٥

جامعـــة بارايلان :								
مجموع الطلاب	—	—	١٧٢	٦١١	١٤٠٦	١٨٣٨	٢٤٨٥	٣١١١	٣٦٤١
طلاب السنة الاولى	—	—	—	٢٨١	٥١٠	٧٣٠	٩٨٨	١١٧٦	١١٠٦
الطلاب الباحثون	—	—	—	—	—	٦	١١	٨	٥
الخريجـــون	—	—	—	٣٦	١٢٦	١٥٣	١٨٩	٢٠٤	٢٧١
جامعـــة حيفـــا :								
مجموع الطلاب	—	—	—	—	٥٦٥	٨٧٨	١٢٦٧	١٨٢٩	٢٢٠٣
طلاب السنة الاولى	—	—	—	—	٢٦٩	٤٥٠	٦٣٩	٨١٥	٨٤١
الخريجون	—	—	—	—	—	٨	٤١	٦١	١٣١
معهد الدراسات العليا في النقب :								
مجموع الطـــلاب	—	—	—	—	—	—	٢٨٢	٢٦٤	٧١٩
طلاب السنة الاولى	—	—	—	—	—	—	٢٣٦	١٩٢	٤٥٣
معهد وايزمان للعلوم :								
مجموع الطلاب	—	—	—	—	١٧٩	٢٥٨	٢٨١	٣٠٧	٣٢٤
الطلاب الباحثون	—	—	—	—	١٤٥	٢٠٣	٢٣٥	٢٣٢	٢٣٢
الخريجون	—	—	—	—	١٢	٢٨	—	١٠٠	٧٠

المصدر : *Statistical Abstract of Israel.* Central Bureau of Statistics - Jerusalem. 1967, p. 539 - 1969, p. 566.

جدول رقم (٢)
الجامعة العبرية وأقسامها (١٩٦٨ — ١٩٦٩)

	الزراعة	العلوم الطبيعية	الطب	القانون	العلوم الاجتماعية	الانسانيات	المجموع
مجموع الموظفين	٩٤	٤٠١	٣٩٠	٥٤	١٧١	٣٢٢	١٤٣٢
الاساتذة والمحاضرون	٦٢	٢٣٤	٣٢٣	٢٨	١٣١	٢١٢	٩٩٠
مجموع الطلاب	٤٨٢	٢٠٧٥	٨١٩	١٠٩٢	٣٣٥٤	٤٩٠٩	١٢٧٣١
طلاب السنة الاولى	١٢٠	٥٠٨	٩٤	١٣٦	٨٨٤	١٥٠٦	٣٢٤٨
عدد الطالبات	٥٥	٧٣١	١٨٥	٣٠٠	١٤٧٤	٣١٦٠	٥٩٠٥
الطلاب الباحثون	٧٩	٣٨٣	٩١	٢٠	٤٥	٢١١	٨٢٩
الخريجون	١١٦	٤٩٩	١٣١	٣٠٧	٦٩١	٦٢٣	٢٣٦٧
الخريجات	٦	١٥٩	٢٧	٩٥	٢٤٣	٣٦٠	٦٠٠
قسم البكالوريوس	٧٦	٣٠٢	—	٣٠٠	٦٤٠	٥٤٩	١٨٦٧
الاناث	٤	١١٠	—	٩٣	٢٣٣	٣٤٤	٧٨٤
الاطباء	—	—	٩٨	—	—	—	٩٨
قسم الماجستير	٢٨	١٥٠	١٦	٦	٤٧	٥٧	٣٠٤
الاناث	—	—	٢٥	—	—	—	٢٥
قسم الدكتوراة	١٢	٤٧	١٧	١	٤	١٧	٩٨
الاناث	—	٥	٦	—	—	٣	١٤

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 567.

جدول رقم (٣)
جامعة تل أبيب وأقسامها (١٩٦٨ — ١٩٦٩)

	العلوم الطبيعية	الطب	القانون	العلوم الاجتماعية	الانسانيات	المجموع
مجموع العاملين	٣٢٩	٤٨٠	٣٩	٢٢١	٤٦٢	١٥٣١
الاساتذة والمحاضرون	١٨٠	١٧٥	٢٠	٩٩	٢٣٢	٧٠٦
مجموع الطلاب	٩٨٢	٣٩٣	٦٤٢	٢٢٤٨	٢٨٣٧	٧١٠٢
الطالبات	٣٨١	١١٨	١٩٦	٧٣٠	١٩٧٥	٣٤٠٠
طلاب السنة الاولى	٢٤٠	١١١	٢٤٨	٦٣٩	٩٦٥	٢٢٠٣
الباحثون	٣٠	—	—	—	٣	٣٣
الخريجون	١٧٨	٣١	—	١١٥	٣٣١	٦٥٥
الطالبات	٧٢	٤	—	٤٣	١١٦	٢٣٥
البكالوريوس	١٣٤	—	—	١١٠	٣١١	٥٥٥
الطالبات	٥٥	—	—	٤٣	١٠٨	٢٠٦
الماجستير	٤٤	—	—	٥	٢٠	٦٩
الطالبات	١٧	—	—	—	٨	٢٥
الاطباء	—	٣١	—	—	—	٣١
الطالبات	—	٤	—	—	—	٤

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p.569

جدول رقم (٤)
جامعة بارايلان وأقسامها (١٩٦٨ ــ ١٩٦٩)

	العلوم الطبيعية	العلوم الاجتماعية	الانسانيات	المجموع
مجموع العاملين	١٨٢	١٧٣	١٥٣	٥٠٨
الاساتذة والمحاضرون	١١٣	١٠٥	١٢٣	٣٤١
مجموع الطلاب	٦٩٦	١٬٢١٢	١٬٧٣٣	٣٬٦٤١
الطالبات	٤١٤	٦٩٨	١٬٢٥٨	٢٬٣٧٠
طلاب السنة الاولى	١٨٣	٤٠٩	٥١٤	١٬١٠٦
الباحثون	—	٢	٣	٥
الخريجون	٧٦	٧٣	١٢٢	٢٧١
الطالبات	٣٩	٤٣	٩١	١٧٣
البكالوريوس	٥٧	٧٣	٩٥	٢٢٥
الطالبات	٣٢	٤٣	٧٦	١٥١
الماجستير	١٩	—	٢٧	٤٦
الطالبات	٧	—	١٥	٢٢

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p.569

جدول رقم (٥)
كلية حيفا وأقسامها (١٩٦٨ ــ ١٩٦٩)

	العلوم الاجتماعية	الانسانيات	المجموع
مجموع العاملين	٧٤	١٩٦	٢٧٠
الاساتذة والمحاضرون	٢٠	٦٥	٨٥
مجموع الطلاب	٦٠٩	١٥٩٤	٢٢٠٣
طلاب السنة الاولى	٢٧٣	٥٦٨	٨٤١
الطالبات	٢٩٩	١٠٩٧	١٣٩٦
الخريجون	١٨	١١٣	١٣١
الطالبات	٦	٧١	٧٧

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, p. 570.

جدول رقم (٦)
معهد التكنيون وأقسامه (١٩٦٨ — ١٩٦٩)

	العلوم الطبيعية	الصناعية والادارة	الهندسة الزراعية	هندسة الطيران	الهندسة الكيميائية	الهندسة الكهربائية	الهندسة الميكانيكية	الهندسة المدنية	الهندسة المعمارية	المجموع
العاملون	٣٠٦	٤٩	٤١	٥٤	٤٩	١٢١	١١٩	١١٦	٧٥	٩٥٢
الاساتذة والمحاضرون	١١٤	٢٧	٢٢	٢٣	٢٢	٤٥	٥٠	٨٦	٦٢	٤٦٠
مجموع الطلاب	٨٦٨	٥٧٢	٢١٠	٣٧٤	٣٧٧	١١٤٢	٧٧٩	٩٠٠	٤٣٧	٥٦٥٩
طلاب السنة الاولى	١٨٨	١٠٢	٤٨	٧٣	٨١	١٨١	١٦٨	١٤٣	٦٩	١٠٥٣
الطالبـــات	٢٣٨	١٩	١	٢	٦٢	١٤	١٢	٧٠	١٧٣	٥٩٢
الباحثون	١١٢	٢٧	١١	٩	١٤	٢٨	٢٨	٢٨	٢	٢٨١
الخريجون	١٩٢	٧٧	٢٤	٤٩	٧١	٢٠٢	١١٦	١٣٣	٦٠	٦٢٤
الطالبـــات	٤٢	١	—	—	١٦	٢	—	٢١	١٣	٩٥
البكالوريوس	١٤٠	٦٣	٢٠	٤٥	٥٧	١٦٧	٩٨	١١٢	٥٥	٧٥٧
الطالبـــات	٣١	١	—	—	١٥	٢	—	١٨	١٣	٨٠
الماجستير	٣٤	١٤	٤	٣	١١	٣٠	١٧	١٧	٤	١٣٤
الطالبات	٥	—	—	—	١	—	—	٢	—	٨
الدكتوراة	١٨	—	—	—	٣	٥	١	٤	١	٣٣
الطالبـــات	٦	—	—	—	—	—	—	١	—	٧

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 568.

جدول رقم (٧)

معهد النقب للدراسات العليا (١٩٦٨ ــ ١٩٦٩)

	الهندسة	العلوم الطبيعية	العلوم الاجتماعية	الانسانيات	المجموع
مجموع العاملين	١٠٧	٦٢	٨٩		٢٥٨
الاساتذة والمحاضرون	٥٤	٢٨	٣٨		١٢٠
مجموع الطلاب	٢٥٤	١١٧	٨٨	٢٦٠	٧١٩
طلاب السنة الاولى	١٦٣	٥٧	٦٢	١٧١	٤٥٣
الطالبـــات	٤	٥٧	٥٠	١٧٣	٢٨٤

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, p. 570.

جدول رقم (٨)

توزيع الطلاب على الدراسات العليا

(١٩٦٨ ــ ١٩٦٩)

اقسام الدراسة	المجستير والدكتوراه	البكالوريوس	المجموع	١٩٦٨/٦٧
الانسانيات	٩٤٢	٨،٦٨٧	٩،٦٢٩	٨،٥١٢
العلوم الاجتماعية	٧٩١	٦،٠٩٩	٦،٨٩٠	٦،٠٨٤
القـــانون	٦٢	١،٦٤٥	١،٧٠٧	١،٨٩٣
الطب	١،٠٠٨	٨٧	١،٠٩٥	٩٤٦
العلوم الطبيعية	١،٧٠٣	٣،٠٤٨	٤،٧٥١	٤،٥٢٥
الزراعـــة	١٢٣	٣٤٤	٤٦٧	٣٩٦
الهندســة	١،٣٣٦	٣،٥٣١	٤،٨٦٧	٤،٢٧١

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 571.

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

خلال الشهر الماضي استعر الحديث عن « الدولة الفلسطينية » التي رافقها ، مرتبطا بها ومكملا ، موضوع آخر هو المفاوضات مع اسرائيل التي تنهي حالة الحرب القائمة . واذا كان هذا الحديث قد اثير في الماضي دون تحديدات مميزة ، فقد بدأ في الاونة الاخيرة يتخذ له شكلا ذا أبعاد مرسومة السمات أحيانا كما أصبح في حالة واحدة على الاقل جزءا من سياسة دولة عربية . وقد انضج الحديث عن هذا الموضوع غموض محادثات القمة التي تمت مؤخرا بين بريجنيف ونيكسون والتي نتج عنها بيان اكثر غموضا عن اتفاق الطرفين على الاعتراف « بحقوق الشعب الفلسطيني » ضمن اطار « الاستمرار في بذل جهودهما [الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي] لتطوير أسرع لتسوية ممكنة في الشرق الاوسط » . وقد كانت مواقف الدكتور محمد حسن الزيات ، وزير الخارجية المصري ، في مجلس الامن لدى مناقشته أزمة الشرق الاوسط والتي أكدها فيما بعد لصحيفة « أخبار اليوم » القاهرية (٦/٣٠) بقوله « ان الفلسطينيين امة يجب ان يكون لها صوتها ومكانها عند الحديث عن أية تسوية لازمة الشرق الاوسط » ، كانت هذه المواقف سببا في اثارة التساؤل عما يهيأ للفلسطينيين (وبالتالي للمقاومة) من دور في أية تسوية قادمة . وقد جهدت وسائل الاعلام لتفسير محادثات نيكسون — بريجنيف وجملة الاجواء التي خلقتها بالاضافة الى مناقشات مجلس الامن ، في ضوء المساومات بين الدولتين الاكبر في العالم على القضايا الدولية المعلقة بما فيها « أزمة الشرق الاوسط » . ثم جاءت تصريحات الرئيس التونسي ، الحبيب بورقيبة ، لصحيفة « النهار » اللبنانية (٧/٦) عن «الدولة الفلسطينية» والتي مهد لها بحملة مطولة عن المفاوضات العربية — الاسرائيلية ، لتعمق التساؤل ذلك ، خاصة وقد حملت تصريحات بورقيبة شكلا محددا ويكاد يكون مفصلا للحل . فقد ركزت هذه التصريحات على أن « لا شيء في التاريخ اسمه شرق الاردن .. [فقد] اجتزأت بريطانية الجزء الصحراوي من فلسطين مع من عليه من قبائل واضافت اليه وسمته شرق الاردن » . وهو لذلك يدعو الى حل المشكلة في اجتماع قمة « للبحث في الدولة الفلسطينية» . وهو يضع اطارا لهذا الحل في عودة العرب الى القبول بقرار التقسيم للعام ١٩٤٧ ، و« اذا تنازلنا وقبلنا بالجزء من فلسطين الذي أعطته الامم المتحدة وعدلنا الاوضاع الاصطناعية التي خلقتها بريطانيه في شرق الاردن فسنتمكن من خلق سلام وتعاون مثل الذي حدث بيننا وبين فرنسه » . وكان واضحا ان « فكرة » الرئيس التونسي تدعو الى اقامة دولة فلسطينية على ما يطلق عليه الان الضفة الشرقية لنهر الاردن بالاضافة الى الجزء الذي كان من نصيب العرب في قرار تقسيم ١٩٤٧ . والامر اللافت للنظر في تصريحات الرئيس التونسي هو اشارته الى ان اميركه قد رحبت بفكرته ، الامر الذي أكد التساؤل حول جدية الدولتين الكبريين في التوصل الى تسوية في الشرق الاوسط تأخذ في حسابها ما اثير حول « الدولة الفلسطينية » . وقد اخذت وسائل الاعلام العربية (اللبنانية خاصة) ولاسباب مختلفة ومتباينة أحيانا في التركيز على هذا التصور. فذهبت « النهار » (٧/٨) الى ان من بين اغراض الزيارة التي سوف يقوم بها كيرلنكو (الذي وصفه الاعلام العربي بأنه الرجل الثاني في الاتحاد السوفياتي) الى لبنان (زار لبنان في وقت لاحق لنشر التعليق) البحث مع المسؤولين اللبنانيين في قضية الدولة الفلسطينية وانه سيبلغ هؤلاء المسؤولين ان الاتحاد السوفياتي يؤيد فكرة انشاء دولة فلسطينية . كما ذكرت « المحرر » اللبنانية (٧/١٣) انه وردت معلومات تتحدث عن مشروع « الدولة الفلسطينية » والجهود الدولية التي تبذل

حاليا من اجل اقناع الاطراف المعنية به . واضافت ان هذه المعلومات تشير الى ان اتفاقا تم حول هذا الموضوع بين اميركه والاتحاد السوفياتي خلال مؤتمر القمة بين بريجنيف ونيكسون . كما أوردت الصحيفة نفسها ان ريمون اده ، السياسي اللبناني، نقل معلومات عن لسان مسؤول سوفياتي كبير تقول ان حل أزمة الشرق الاوسط أصبح وشيكا وذلك على اساس تحقيق مشروع الدولة الفلسطينية . وذكرت الصحيفة انه يفهم من كلام اده ان المسؤول السوفياتي الكبير والذي ابلغ اده بتفاهم مبدئي بين واشنطن وموسكو حول الدولة الفلسطينية هو مدير شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفياتية الذي رافق كيرلنكو في اثناء زيارته للبنان . واضاف اده ان المسؤول السوفياتي ابلغه بأن لحكومته بعض التحفظات على مشروع الدولة الفلسطينية ومن ابرزها ان الاتحاد السوفياتي موافق على مشروع اقامة هذه الدولة الى جانب دولة اسرائيل شرط موافقة الشعب الفلسطيني ، وانه في حال رفض المشروع المذكور فان الاتحاد السوفياتي يعتبر نفسه في حل من الامر . وذكرت « المحرر » ان مصادر دبلوماسية مطلعة نقلت كلاما مماثلا عن « الدولة الفلسطينية » عن لسان مسؤولين في السفارة الاميركية في بيروت. ورافق ذلك كله موقف مستحدث للجزائر ورد على لسان وزير خارجيتها ، عبد العزيز بوتفليقه ، عندما أعلن في باريس (٧/١٠) ان المفاوضات المباشرة امر ممكن حول النزاع في الشرق الاوسط بشرط ان تشمل ممثلين عن المقاومة الفلسطينية (« دايلي ستار » اللبنانية ٧/١١) .

هذه الاجواء السائدة ، عربيا وعالميا ، كيف واجهتها حركة المقاومة ؟ في حديث ادلى به الاخ ابو عمار لمجلة « الى الامام » (٦/٢٩) لاحظ « ان فكرة طرح الدولة الفلسطينية — وهي طبخة بحص لن يخرج منها شيء — بدأت ليس في يومنا هذا بل منذ ما يتجاوز خمس سنوات . وكانت هذه الفكرة تضيع ثم تبرز حسب الظرف الذي تمر به المقاومة الفلسطينية والظروف العربية وكذلك الوضع الدولي وما يتبع ذلك من مناورات . ومن نافل القول ان نذكر اننا لن نتنازل عن شبر واحد من التراب والارض الفلسطينية ولن نرضى بغير هدفنا الذي حددنا : اقامة الدولة الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني ... ان توقيت طرح الدولة الفلسطينية الان هو مناورة تستهدف بالنتيجة تمزيق وشق الصف الفلسطيني ... هناك فرق كبير بين ان نوضح موقفنا امام شعبنا واصدقائنا من موضوعة الدولة الفلسطينية ، وبين ان نتلهى بمحاربة طواحين الهواء على الطريقة الدونكيشوتية، فموقفنا الواضح لا يحتاج الى مجرد تساؤل ، لان موقفنا يعتمد أساسا على طموحات وتطلعات شعبنا في التحرير الكامل والعودة وحق تقرير المصير » . وأكد ابو عمار هذا الموقف في مناسبة أخرى فقد أدلى لدى وصوله الى الكويت بحديث لصحيفة « الرأي العام » الكويتية (٧/١٣) اجاب فيه عن رأي حركة المقاومة « بالدولة الفلسطينية » بقوله : « في معظم الاوقات كان بعض الدول العربية يتصرف بوحي من تصور خاص به ، على ان الثورة الفلسطينية ، منذ بدايتها ، قامت على تصور واضح ومحدد بشأن مصير فلسطين : اي الدولة الديموقراطية غير العنصرية . وسنواصل كفاحنا من اجل هذا الهدف . وعلى هذا فأي تحرك يجري خارج هذا التصور لا علاقة لنا به البتة » . ونفى ابو عمار ان يكون بورقيبة قد سأل المقاومة عن رأيها « قبل ان يطرح هذه الخطة » وقال « لقد فوجئنا به » .

الدكتور جورج حبش، الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، من جهته اكد رفض مشروع « الدولة الفلسطينية » وأدانه . ففي خطاب ألقاه في ٧/١٠ في الذكرى الاولى لاستشهاد غسان كنفاني (نقلته « الهدف » ٧/١٤) وصف « الدولة الفلسطينية » بأنها « الانحراف الذي تتعرض له مسيرتنا اليوم» وأكد « ان هدف الثورة الاستراتيجي دولة ديموقراطية محبة للسلام مرتبطة بالمنطقة العربية وبحركة التقدم العالمية ، ولن يكون هدفنا في يوم من الايام دولة فلسطينية قائمة على اساس الاعتراف باسرائيل قاعدة الامبريالية العدوانية في المنطقة » . وفي دمشق أعلن تعليق اذيع يوم ٧/١٢ من برنامج صوت فلسطين (نقلته « المحرر » ٧/١٣) رفض الجماهير الفلسطينية المطلق لفكرة اقامة دولة فلسطينية وتصميمها على استرداد فلسطين وقال التعليق « ان شعبنا اختار طريق الكفاح وهو يواصل الشوط داخل الارض المحتلة وخارجها لا مكابرة منه ولا عنادا ولكن ايمانا بقدرته على تحرير ارضه رغم كل الصعوبات والتضحيات ، وهو مصمم على رفض كل التسويات المشبوهة وعلى رأسها اقامة دولة فلسطينية عميلة » . ومن جهة اخرى نشرت صحيفة « البيرق » اللبنانية (٧/١٣)

ان السيد كمال جنبلاط ، الامين العام للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ، ابلغ كيرلنكو « ان المقاومة الفلسطينية بكل فصائلها تعارض مجرد طرح فكرة الدولة الفلسطينية وان الشعب الفلسطيني له الحق بكامل ارضه ووطنه وان هدف الثورة الاستراتيجي هو قيام دولة ديموقراطية في فلسطين ، لا دولة قائمة على حراب اسرائيل » . اما صحيفة « الى الامام » الناطقة بلسان الجبهة الشعبية — القيادة العامة فقد اتهمت (٧/٦) الجبهة الشعبية الديموقراطية بقبول مشروع « الدولة الفلسطينية » . ففي تعقيب مقتضب لها علقت فيه على مقال نشرته صحيفة « الحرية » اللبنانية (٧/٢) بعنوان « مشروع الدولة الفلسطينية بين الموقف الوطني والموقف الاسرائيلي الهاشمي » قالت « الى الامام » ان هذا المقال « يمثل انعطافا خطيرا في جزء من حركة المقاومة التي رفضت عموم قواعدها الثورية وكوادرها السياسية مسألة الدولة الفلسطينية واعتبرتها جزءا من مخطط التسوية الاستسلامية». بيد ان الاخ ياسر عبد ربه ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عن الجبهة الشعبية الديموقراطية القى خطابا في مخيم برج البراجنة (٧/١٦ ونشرته « المحرر » ٧/١٧) قال فيه « ان مشروعات انشاء دولة فلسطينية ليست سوى مناورات تستهدف انتزاع تنازلات جديدة من العرب لمصلحة العدو الصهيوني...ان الشعب الفلسطيني لا يريد دولة مصطنعة تقع بين المطرقة الاسرائيلية والسندان الاردني وهما اداتا الامبريالية الاميركية الصهيونية » .

على صعيد الاعلام الفلسطيني الرسمي (الخاضع لتوجيه مجلس الاعلام الفلسطيني الموحد التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) كانت الاشارة الوحيدة التي وردت حول هذا الموضوع هي التعليق الذي كتبه المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينية (وفا) في ٧/٢٤ والذي جاء فيه انه « كثر الحديث مؤخرا عن مشاريع واقتراحات حول كيان فلسطيني او دولة فلسطينية ضمن ما يسمى بحل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط ، وخلال الاسابيع الماضية تناقلت وكالات الانباء ومراسلو الصحف والاذاعات التحليلات والتكهنات والاستنتاجات حول هذه القضية حتى ان بعضها تعرض مباشرة لموقف الثورة الفلسطينية وفصائلها وعدد من رجالاتها ». وقد أكدت (وفا) في هذا الشأن ان الثورة أعلنت منذ انطلاقتها ان تحرير كامل ارض فلسطين ثم اقامة دولة حرة ديموقراطية عليها هو هدفها وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحقيق هذا الهدف ، وان الميثاق الوطني الفلسطيني والبرنامج السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية وكافة مقررات المجالس الوطنية الفلسطينية والمجلس الشعبي قد حددت بوضوح وصراحة كاملين اهداف النضال الفلسطيني .

ان هذه الاشارة الوحيدة في الاعلام الفلسطيني الرسمي لمسألة « الدولة الفلسطينية » تكشف عن طبيعة معالجة حركة المقاومة لهذا الموضوع . فبخلاف الضجة الاعلامية الكبيرة التي اثارتها المقاومة لدى طرح مبادرة روجرز في العام ١٩٧٠ والنشاط السياسي والجماهيري الواسع الذي قامت به لتوضيح موقفها الرافض للمبادرة ، بخلاف ذلك اتسم التناول الفلسطيني لمسألة « الدولة الفلسطينية » بأكبر كمية من الهدوء ، فلم يصدر أي بيان رسمي عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوضح موقفها . اما التفسير الذي تتحدث به اوساط المقاومة عن مثل هذا التناول الهادىء فينطلق من التأكيد على ان هذا المشروع ليس مقصودا لذاته ، تماما كما كان مشروع روجرز ثم مشروع المملكة العربية المتحدة الذي طرحه حسين في العام الفائت ، وانما يستهدف هذا المشروع كما استهدف المشروعان اللذان سبقاه الى « تمزيق وشق الصف الفلسطيني » كما عبر الاخ ابو عمار في حديثه لمجلة « الى الامام » الذي أكد في المناسبة نفسها ان « نتيجة طرح مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ كانت ان ذر قرن الخلافات بين الدول العربية واصبح العرب عربين بين مؤيد ومعارض وايضا مهاجم . وفي النتيجة كان ذلك مكسبا كبيرا للعدو الصهيوني وللولايات المتحدة الاميركية التي استطاعت ان تشق الصف العربي ». هذا التفسير تؤكده أوساط المقاومة وتطوره فتقول ان رفض المقاومة الفلسطينية لمشروع « الدولة الفلسطينية » رفضا حاسما حازما تضع كل ثقلها لافشاله بتوهم انه موجود وقائم وعلى عتبة التنفيذ سيضع المقاومة — تماما كما حدث اثر مشروع روجرز — في مواجهة كثير من الانظمة في حالة تصادمية (وهو هدف المشروع — الوهم) قد لا تكون نتيجتها في المدى المنظور لمصلحة المقاومة . فكما كان أيلول ١٩٧٠ احد نتائج مشروع روجرز عندما اقتنع النظام الاردني بامكان الحل على حساب المقاومة وعندما

استنفرت المقاومة جميع قواها « لاحباط » المشروع ، فسيكون هناك أيلول آخر ربما اشد فداحة اذا جهدت المقاومة « لاحباط » المشروع الجديد الذي لما يزل وهما و« طواحين هواء » كما وصفه الاخ ابو عمار .

ان هذا التفسير المقبول منطقيا لا يحجب حقيقة ان المراقب يستطيع ان يرصد نقاشا هامسا يدور أحيانا مستغلا المعالجة الهادئة التي التزمت بها حركة المقاومة وعدم تصديها للرد بعنف لمثل هذه الاراء الهامسة التي تنصب في الاتجاهات التالية : ان الرفض الفلسطيني لجميع المشاريع التي عرضت بدءا من قرار التقسيم للعام ١٩٤٧ أفقد الشعب الفلسطيني « الكل » بعد ان رفض «الجزء» وكان هذا « التعنت » الفلسطيني سببا في تثبيت كثير من الوقائع الجيوسياسية في المنطقة العربية التي هي في التحليل النهائي — حسب هذا الاتجاه — لا تخدم المصالح العربية بعامة ومصالح الشعب الفلسطيني بخاصة.كما ان هذا «التعنت»، يقول اتجاه مكمل ، يعتبر أسلوبا غير ذكي في سياسة كسب الاصدقاء . فالمقاومة الفلسطينية في رفضها كل مشروع يعرض عليها لايجاد تسوية ما في المنطقة تحشر نفسها في معزل سياسي عن اصدقائها في العالم الامر الذي يفقدها مرونة التحرك لتحقيق اهدافها . وفي المقابل فان اعلان القبول بمثل هذه المشاريع الهادفة الى تسوية حتى ولو كان اعلانا « تكتيكيا » سيعزل اسرائيل ويكشف سوءاتها وهي التي اثبتت الاحداث عنادها وعنتها وتمسكها الاستراتيجي بما احتلته في العام ١٩٦٧ وعدم استعدادها لمجرد التفكير في الحديث عن الاراضي التي دخلت بحوزتها في العام ١٩٤٨ . وواضح ان هذه الحجة قد استهلكتها جملة التنازلات العربية التي ابتدأت رسميا بقبول قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ .

بيد ان اخطر الاتجاهات التي يلمحها الراصد احيانا هي تلك المشككة في جدوى الاستمرار في الكفاح المسلح لتحقيق الهدف الاستراتيجي الذي أعلنته المقاومة : تحرير كامل التراب الفلسطيني بحرب الشعب طويلة المدى واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية . والاطار التبريري الذي يتحرك ضمنه هذا الاتجاه يستند الى ادعاء ان الظروف الموضوعية المحيطة بحركة المقاومة تجعل استمرارها في حكم المستحيل : فماليا هناك توجه حثيث لتسوية القضايا المعلقة بين الدولتين الكبريين في العالم بدءا من فيتنام ومرورا بالكوريتين والالمانيتين وانتهاء بالشرق الاوسط . وهذا التوجه يتخذ له شكلا تواطئيا مساوما لن يكون في حال من الاحوال لمصلحة القضية الفلسطينية كما يفهم هذه المصلحة اربابها المباشرون ما دامت الدولتان الكبريان تسلمان تسليما بوجود اسرائيل واقعا غير قابل للنقاش . وعربيا هناك موجة التنازلات المنحدرة ككتلة الجليد المتدحرجة من عل تكبر كلما ابتعدت عن القمة نحو الحضيض وهي في انحدارها السريع ذلك على استعداد لاجتياح حركة المقاومة في طريقها ودوسها ان وجدت ان هذه الحركة تقف عثرة في وجه حل معضلة الاحتلال القائم منذ العام ١٩٦٧ ، وهي معضلة ، بالاضافة الى أمور أخرى، تمثل للانظمة (كتلة الجليد المتدحرجة) اكثر من مأزق داخلي تجد نفسها امامه مهددة بالخطر في حال استمراره . عربيا ، مرة ثانية ، اظهرت الممارسة ان حركة التحرر العربية (التي اعتبرت المقاومة نفسها انها جزء منها وطليعة لها) غير قادرة — باستثناءات محددة — على تشكيل سند وقائي لحركة المقاومة يمنع عنها عاديات الافتراس من جانب الانظمة التي تستهدف ذلك . وفلسطينيا، تمر حركة المقاومة حاليا في مرحلة انحسار امام موجات متصاعدة من العداء الذي يستهدف رأسها نفسه ولا يخفي حقيقة هذا الهدف بل يجهر به ويعد العدة لتنفيذه . والمقاومة عندما فقدت الساحة الاردنية ، وهي موطن شعبها الرئيسي وأمنع معاقلها ، كشفت عن نفسها افضل دروعها وبذلك فان صمودها صمودا طويلا امام محاولات تصفيتها وسحقها بات أمرا لا يراهن عليه . ويصل اصحاب هذا الاتجاه الى النتيجة التي يستخلصونها من جميع تلك الحيثيات وهي ان التعنت انتحار والتشبث العنيد موت محتم غير احتفالي . ولدرء هذه النتيجة ينقلب وهم « الدولة » الى تمني ان تكون . وبعيدا عن الخوض في تفصيلات الحجج المقابلة والتي يفرضها منطق الثورة نفسه والذي يرفض ذلك المنطق الذي عرضنا بعض ملامحه ، يطرح سؤال ، ان كان يتعلق مرحليا بمسألة « الدولة الفلسطينية » وهي موضوعنا هنا ، فهو بمضمونه الشامل يتناول مسألة التنازلات باجمال: لماذا تكون التنازلات وما هي الاوضاع التي تؤدي الى تسويات تنازلية ؟

في حالة الوصول الى عتبة النصر النهائي يفرض المنتصر شروطه على الخصم المهزوم بعد ان يكون

الشوط النضالي الطويل المليء بالانتصارات الجزئية والمرحلية قد اقنع الخصم بأن التسليم بشروط المنتصر هو الخيار الوحيد الذي لا مناص منه . وفي هذه الحالة ، يعلمنا التاريخ ان المنتصر يقدم اقسى ما لديه من شروط لينال بعد « تنازلات » يقبل بها افضل اوضاع تخدم اهدافه التي قاتل من اجلها وتتلاءم مع المعطيات الموضوعية على جانبي الصراع . وفي حالة الهزيمة ، تحت وطأتها وسيطرة عناصرها الساحقة لكل امل واثق من طردها ، يجد المهزوم نفسه مضطرا للامتثال لشروط المنتصر مع محاولات حثيثة ، مستميتة ، لنيل اخفها وطأة في ضوء درجة الهزيمة ومقدار فداحتها والظروف الخاصة والعامة التي احاطت بها .

الى أي مدى ينطبق مثل هذا العرض على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى أي من اطراف المعادلة تقف هذه الحركة ؟ في البداية علينا ان نثبت بديهية نراها وهي ان كل حل لا ينطبق باجمال على الاهداف المعلنة لحركة المقاومة هو **تنازل** بغض النظر عن مسبباته ودواعيه ، فقد يكون هناك « تنازل » المنتصر عن اقسى شروطه المعلنة لنيل أهدافه الحقيقية ، كما قد يكون في المقابل تنازل المهزوم المفروض عليه هذا التنازل. فهل تمثل حركة المقاومة أيا من هاتين الحالتين ؟ مما لا يحتاج الى اثبات ان حركة المقاومة لم تنتصر . هي بالفعل حققت كثيرا من الانجازات بيد ان انتصارها النهائي لا يزال شوطه المعاني مترامي المسافات . وبذلك فان أي تنازل تقدمه (اقليم فلسطيني في مملكة عربية متحدة ، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ) لن يكون « تنازل » المنتصر . في المقابل هل انهزمت حركة المقاومة لتقبل بتنازل المهزوم ؟ على الرغم من ان السؤال راعش الا ان مواجهته تضع كثيرا من الحقائق في حجمها الصحيح . ان الجواب « حركة المقاومة لم تهزم » ليس جوابا تعسفيا وانما هو مبني على استقراء معطياتها نفسها : فحركة قادرة على حمل جراحها التي اثخنها ايار اللبناني وفقدان ثلاثة من قادتها في عملية واحدة ، والذهاب بهذه الجراح — في ظروف من الحصار النفسي والعسكري والسياسي رهيبة — الى عمق الارض المحتلة لتنفذ بعض عملياتها (راجع جدول عمليات المقاومة في هذا العدد)، حركت كهذه تثبت ان عطاءها الثوري يحمل بذور استمراره وامكان تطويره نحو الارقى . ان عملية تعريب تصفية المقاومة بكل شراستها لم تستطع ان تفقد حركة المقاومة ادواتها النضالية . صحيح كانت الوطأة شديدة أعاقت تطوير الكفاح المسلح نحو الاشمل ، بيد ان هذه العملية بمراحلها المختلفة وبتباين الساحات التي جرت فوقها لم تتمكن من تحطيم وسائل النضال التي تتملكها حركة المقاومة . هي **حاصرتها** فعلا ولكنها عجزت عن **وأدها** . والبرنامج هل هزم ؟ نقفز فوق التاريخ وحقائقه اذا زعمنا بأن هناك بديلا للبرنامج الذي طرحته حركة المقاومة والذي يجعل حرب الشعب طويلة المدى صلبه ومحوره مستندا الى نتائج تجارب الشعوب التي انتصرت بقواها البشرية المعبئة على تفوق الخصم التكنولوجي . حتى الدولة الديموقراطية التي يتعايش فيها الجميع بحقوق وواجبات متساوية ، وهي الهدف التثويجي للنضال المسلح ، قد وجدت استجابة حقيقية لدى بعض اليهود المخاطبين بهذا الهدف . والا فما تفسير ظاهرة « الجبهة الحمراء » في اسرائيل التي تضم عربا ويهودا ؟ وما تفسير تصريح الجنرال اهارون ياريف لصحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية (٧/٦ انظر « المحرر » ٧/٧) واعترافه بأن هناك بعض اليهود وعددا قليلا من الاسرائيليين يساعدون الفدائيين العرب ؟ ان كانت هذه الاستجابة تبدو على نطاق ضيق حتى الان فان صدق المقاومة مع شعار الدولة الديموقراطية وتصعيد نضالها كفيلان بتوسيع هذه الاستجابة .

ان حركة المقاومة لم تنهزم . غير ان ثمة وهمين انهزما في الواقع : الوهم الاول ان الثورة هي انتصارات دائمة ، هي خط لا ينكسر متصاعد للاعلى غير قابل للتراجع احيانا والنكسات كذلك ، هي المنعة المطلقة التي يخترقها خارق . والوهم الثاني ان الثورة يجب ان يكون مرضيا عنها من الجميع ، « محبوبة » من الجميع ، مباركة مدللة وجاهية . وعندما اثبت الواقع ، الممارسة ، التجربة ، ان هذين مجرد وهمين وان الامور **يجب** الا تكون كذلك (واذا كان الامر هكذا حقيقة فان ثمة خللا ما في الثورة) وضع بعض ارباب هذين الوهمين انفسهم **في جو الهزيمة** الذي أرهبهم بالفعل وسحقهم باتجاهين متنافرين : اما الهروب الى الامام بالحكم بالاعدام على المقاومة «المهزومة» ومحاولة البحث عن شكل اخر من العمل (مقولة الحزب مثلا) متجاهلين ان المقاومة ما تزال واقعا ينبض عرقه بالدم ، واما النكوص وتبرير النكوص بحجج كالتي سلفت.

ان ما نريد ان نتوصل اليه هو ما يلي : لان المقاومة لم تهزم فهي ليست **ملزمة** بتقديم تنازل المهزوم (مرة اخرى : اقليم في مملكة عربية متحدة، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ) . اما الاوضاع العالمية والعربية والفلسطينية التي يتحدث عنها اصحاب الاتجاه التنازلي فهي تدخل في حساب كل ثورة ، كل ثورة باطلاق ويجب ان تدخل . ولو كانت جميع القضايا الدولية تواجه من اطرافها المعنية « بحسن نية» وبعدل وبغير تآمر ومساومات، ولو كانت جميع المشكلات المحلية قابلة للحل بسهولة وبدون تعقيد مغمس بالدم ، فهل كان من حاجة الى ثورة ؟

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

والتقى برجنيف بنيكسون . ثم اجتمعت دول اوروبا صغيرها وكبيرها (باستثناء البانيا) تحت شعار الامن والتعاون . ولم تعط كل هذه اللقاءات الشيء الكثير على صعيد ما يسمى « بمشكلة الشرق الاوسط » ، كما كانت تتوقع وتأمل بعض الدول العربية . الا اذا اعتبرنا ان لقاءات الكبار هي التي أنجبت هذه « الدولة الفلسطينية » التي يتحدث الكثيرون عنها باصرار ملفت للانتباه . و« الدولة » هي اليوم الموضوع « المركزي » (!). فقناة السويس والاراضي العربية المحتلة عادت الى الصفوف الخلفية . و« حقوق الفلسطينيين الشرعية » أصبحت هي الواجهة .

وهذا التعبير يغطي مفاهيم وأهدافا مختلفة . الكل يتفق اليوم وبعد ثمانية اعوام من انطلاقة المقاومة الفلسطينية الجديدة على شيء واحد كانوا يجهلونه او يرفضونه قبل ذلك : وهو وجود الشعب الفلسطيني كشعب ذي صفات مميزة يحق له بالتالي ان يجد تعبيرا ملموسا لهذا التميز . وكانت « الدولة ــ المشروع » احد هذه التعابير... واحدثها .

ولكن الاختلاف بعد ذلك كبير بين انصار الدولة المستقلة المرتبطة عربيا وانصار الدولة الهزيلة المعتمدة على رضى اسرائيل في بقائها والمجهضة للعملية الثورية الفلسطينية الممتدة عربيا (ان لم يكن طرحهم للدولة مجرد تلويح يستهدف ضرب وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية وتحالفها مع القوى العربية المتقدمة) . بالاضافة طبعا الى الذين يرفضون هذه « الدولة » على ضوء التوازن المختل لصالح القوى الامبريالية واسرائيل .

ومهما يكن من أمر ، ومهما جاءت التصريحات العربية والدولية المتنبئة « بحل قريب » ، فالحركة الوطنية الفلسطينية والعربية ــ وبالذات القوات المسلحة ــ امام وضع جديد يقتضي الكثير من اليقظة ووضوح الرؤيا .

لقاء القمة والموقف السوفياتي

انعقدت القمة السوفياتية الامريكية في جو من التساؤلات حول الاهمية التي ستعطى « للمواجهة العربية الاسرائيلية » خلاله . وكانت بعض الدول العربية ــ وبالذات مصر ــ تأمل ان يتوصل الاتحاد السوفياتي الى دفع الامريكيين للضغط على اسرائيل لتبني موقف أكثر « ليونة » .

وكانت الاوساط السياسية تشير قبل ذلك الى تأزم جديد في العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي . فمراسل كريستشان سيانس مونيتور في بيروت ذهب

الى حد القول « ان التوتر بين الاتحاد السوفياتي ومصر عاد الى ذروته » [٦/١٩] . بينما قال فؤاد مطر في النهار قبل ايام [٦/١١] « ان العلاقات رسمية ... ودون العلاقات مع سوريا والعراق » مضيفا بأن الاتحاد السوفياتي في الوقت نفسه لن يتخلى عن سياسته « بالوقوف مع مصر مهما حدث » .

وكانت القمة . وتركزت على ما يبدو بشكل اساسي حول العلاقات الثنائية . ووقعت عدة اتفاقيات في هذا المجال وكان نصيب « المشكلة » في البيان الختامي كلمات قليلة :

« أعرب الطرفان عن قلقهما العميق ازاء الوضع في الشرق الاوسط . وتبادلا الاراء حول وسائل تحقيق تسوية . وقد عرض كل طرف مواقفه ازاء المشكلة . ووافق الطرفان على متابعة جهودهما لكي يتم في اسرع وقت ممكن احراز تسوية ، تتناسب مع مصالح كافة الاطراف في المنطقة ، بما يحفظ استقلال وسيادة دول المنطقة ، ويأخذ بعين الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة » .

واذا اخذنا الكلمات وحدها بعين الاعتبار نلاحظ ان العبارات الاولى تظهر انه لم يكن هناك اتفاق بين الطرفين حول الموضوع ، وقد اشارت اذاعة اسرائيل نفسها الى ذلك [نشرة الرصد ٦/٢٥] . كما ان العبارة الاخيرة تعيدنا الى ما ذكرناه سابقا حول الاهتمام المتزايد بالمسألة الفلسطينية من وجهة النظر التمثيلية ، علما بأنها قد لا تعني اتفاقا حول شكل ومحتوى هذا التمثيل . وقد سارع احد « الموظفين الامريكيين الكبار » الى القول في لقاء مع « السفير » الاسرائيلي في واشنطن سيمحا دينتس « بأنه لا يجدر اعارة اهتمام كبير لهذه الفقرة » [رصد اذاعة اسرائيل ٦/٢٦] . ولكن ما لفت الانتباه واثار التعليقات عربيا واسرائيليا كان غياب اية اشارة الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او مهمة يارنغ . وقد اعتبرت الاوساط المصرية هذا الاغفال تنازلا من الاتحاد السوفياتي للموقف الامريكي [احسان عبد القدوس في تعليقه بأخبار اليوم ٦/٣٠] واتجاها نحو اعطاء « مشكلة الشرق الاوسط » اهمية ثانوية في جدول الاهتمامات السوفياتية [الاهرام ٦/٢٥] . الا ان محمد حسنين هيكل كان هذه المرة اقل نقدا للموقف السوفياتي من غيره : فكتب في ٦/٢٩ في الاهرام مقالا اكد فيه ان الاتفاق السوفياتي الامريكي الاخير لا ينهي التناقضات بين الدولتين وان معظم المصالح السوفياتية غير متناقضة مع المصالح العربية . وأوضح ان الدعم السوفياتي انخفض مؤخرا الى النصف الا انه قابل للتجدد والتزايد اذا أحسن استغلال ازمة الطاقة في العالم . وكان قد أكد في مقاله السابق [٦/٢٢] بأن الاتحاد السوفياتي لا يرغب في حل امريكي للنزاع في المنطقة خشية ان يفقد ما تبقى من مكانة له في العالم العربي . اما في اسرائيل ، فقد لقيت صيغة البيان والتوضيح الذي اعطاه كيسنغر له ارتياحا عاما . وكان مستشار الرئيس الامريكي قد أعلن في مؤتمر صحفي عقب انتهاء المحادثات [٦/٢٥] بأن الدولتين لم تتفقا على طريقة حل « الصراع الاسرائيلي العربي » ولكنهما لا تريدان التورط مباشرة في الصراع ، كما تحدث عن الماضي القريب مشيرا الى ان **الغزو السوري للاردن عام ١٩٧٠ (كذا) كان يهدد العالم بحرب عالمية** . وكانت الاوساط الاسرائيلية تخشى ان يؤدي اي اتفاق سوفياتي — امريكي الى دفعها لتقديم تنازلات من اجل تحريك « الوضع الجامد في الشرق الاوسط » . فقد علقت يديعوت احرونوت على نتائج القمة مشيرة الى « تغيير في سياسة موسكو ... بالاتجاه نحو تسوية سلمية وعدم استغلال النزاع العربي الاسرائيلي لمصالحها الخاصة » على حد تعبير الصحيفة [٦/٢٦] . وأشارت معاريف [٦/٢٦] الى تصميم واشنطن على محاربة « الارهاب » مع اتجاهها لادخال الفلسطينيين طرفا في التسوية . اما هآرتس [٦/٢٦] فقد كتبت بأن الوضع اعيد الى ما قبل « حرب الايام الستة » اذ فقد قرار مجلس الامن وزنه باغفال الحديث عنه .

وتحدث معلق الاذاعة الاسرائيلية دوف يئون [٦/٢٦] فقال : « ان العرب يشعرون بخيبة امل كبيرة . وبالفعل فهم يرون — وخصوصا في مصر — انهيار سياستهم القائمة على احتمال تدخل الدول الكبرى . وخيبة الامل العربية تجاه الاتحاد السوفياتي تبدو اشد منها تجاه الولايات المتحدة » . وحلل في نفس الاذاعة « الخبير » غاليه غولان الموقف السوفياتي قائلا [نشرة الرصد ٦/٢٧] : « يبدو دون شك ان السوفيات لا يريدون حاليا الاهتمام بالشرق الاوسط ولا يريدون ان تعرقل ازمة المنطقة التقارب السوفياتي الغربي ، ولذلك فهم يحاولون التقليل من اهمية الشرق الاوسط في خطبهم وشعاراتهم ... واصبحوا يتحدثون اليوم اكثر عن القوى الراديكالية داخل

المجتمعات العربيـــة ... ويقدمون مساعـــدات للفلسطينيين ... ويقلصون التزاماتهم العسكرية في العراق وسوريا ومصر » .

والعبارة الاخيرة لا تتفق مع معلومات اخرى ترد بين حين وآخر عن تزويد الاتحاد السوفياتي للدول الثلاث المعنية بأسلحة متطورة . ففي ٥/١٦ ، كتب فؤاد مطر في النهـــار يقول بأن السوفيـــات سيزودون مصر بعشر طائرات ميغ ٢٣ او ميغ ٢٥ وبأجهزة رادار وتشويش كما انهم وضعوا خطة خاصة لحماية السد العالي . وأوردت وكالات الانباء [رويتـــر ، وكالة الصحافة الفرنسيـــة ٦/٢١] اخبارا منقولة عن صحف اسرائيلية تشير الى وصول صواريخ مضادة للطائرات من نوع سام ــ ٦ لسوريا (وهي من طراز حديث جدا ويبلغ مداها ٣٠ كيلومترا وتستخدم ضد الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض) ، فتكون بذلك سوريا البلد الثاني بعد مصر التي تحصل علـــى هذه الصواريخ .

وقد تضمنت رحلة الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي موضوعـــا آخر يتعلـــق بالمسألـــة الفلسطينية ، وهو موضـــوع هجرة اليهـــود السوفيات . وكانت المنظمات الصهيونية قد صممت قبل الرحلة على استعمال كافة الضغوط المباشرة وغير المباشرة ــ عن طريق انصارها من رجال الكونغرس بشكل خاص ــ لدفع الاتحاد السوفياتي للسماح بهجرة متزايدة . وقد واجه برجنيف ضغوط بعض اعضاء الكونغرس (المجسدة في تعديـــل جاكسون الذي يحاول ربط الاتفاق التجاري بالهجرة اليهودية) باعطاء ارقام تبرز « الحرية شبه المطلقة للهجرة اليهودية » . ففي رده على جاكوب جافيتس المعروف بميوله الصهيونية في احدى اللقاءات ، أعطى برجنيف الارقام التالية :

في ١٩٧٣/١/١ ، كان ٦٨ ألف يهودي سوفياتي قد قدموا طلبات هجرة وحصلوا على ترخيص بالخروج. وخلال عام ١٩٧٢ ، قدم ٦١ ألفا طلبات خروج ، ووفق على ٦٠،٢٠٠ منها . ومنذ مطلع ١٩٧٣ قدم ١١،٤٠٠ طلب ، ووفق على ١٠،١٠٠ طلب منها . الا ان ناثان بيلد ، وزير الهجرة الاسرائيلي شكك في صحة هذه الارقام [وكالة الصحافة الفرنسية ٦/٢١] مشيرا الى ان ٣١،٤٧٨ يهوديا سوفياتيا وصلوا الى اسرائيل خلال عام ١٩٧٢ وان العدد الاجمالي لليهود السوفيات الذين وصلوا منـــذ ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٣/٦/١ يقارب الـ ٦٣،٠٠٠ بينما ادعى ان ١٢٠،٠٠٠ طلب خروج كانت قد قدمت . ورغما عن هذا النفي للارقام السوفياتية الذي تردد في معظم الصحف الاسرائيلية ، عبرت الاوساط الاسرائيلية عن ارتياحها لما جرى حول قضية اليهود السوفيات اثناء زيـــارة برجنيف [نشرة الرصد ٦/٢٠] . وذهبت غولدا مئير الى حد القول بأن مجرد تكلم برجنيف عن المشكلة هو « نصر لليهود السوفيات » . وحللت دافار [٦/٢١] الموقف السوفياتي قائلة انه « موقف تفاوضي ضعيف في موضوع الشرق الاوسط والقضيـــة اليهودية » مضيفة « بان برجنيف بمحاولته الحصول على مكانة الدولة المفضلة في مجال التجارة ، يضطر لاتخاذ موقف دفاعي بالنسبة للقضية اليهودية » .

وباختصار نستطيع ان نقول ان اللقاء السوفياتي الامريكي لم يعط جديدا علـــى صعيد المسألـــة الفلسطينية . وقد أكد برجنيف نفسه ذلك في تعبيره عن « تشاؤم واضح » لصعوبة ايجاد اي حل خلال مروره بباريس بعد الزيارة الامريكية [لوموند ٦/٢٨] . واستمر كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على موقفهما [فايننشال تايمز ٦/٢٦] مكتفين باستبعاد أية مواجهة مباشرة بينهما. اما في صدد المسألة اليهودية فلا شك انها بالغة التعقيد وتحتاج منا الى حوار مستمر مع الاصدقاء السوفيات لاستيضاحهم وتوضيح موقفنا .

الولايات المتحدة : دعم اسرائيل والسيطرة على الخليج

وزعت وكالة رويتر في ٦/١٧ خبر اتفاق امريكي ــ اسرائيلي تحصل بموجبه اسرائيل على أكثر من ٨٠ طائرة فانتوم وسكايهوك خلال السنوات الاربع القادمة (منها ٤٨ طائرة فانتوم) وذلك بمعدل طائرة فانتوم كل شهر . وهذه الشحنة تضاف الى المئة وعشرين طائرة فانتوم التي بحوزة اسرائيل . وكتبت هآرتس في اليوم التالي تقول ان اسرائيل قد تطلب مزيدا من الطائرات والاسلحة المتطورة لمواجهة « الاختلال » الذي ستخلقه برأيها شحنات الاسلحة الامريكية للسعودية والكويت . واشارت الصحيفة الى اهتمام اسرائيل بطائـــرة امريكية حديثة من طراز ف ــ ١٤ تحمل اســـم « توماكات » ازاء احتمال وصول طائرات ميغ ٢٣ وميغ ٢٥ للدول العربية في الثمانينات . كما اشارت

الى احتمال الاسراع في الشحن بمعدل طائرتين بدل الطائرة الواحدة كل شهر .

وفي ٦/٢٧ اذاع « صـــوت اسرائيل » بالعبرية خبرا مفاده ان لجنة الخارجية في مجلس النـــواب الامريكي قررت تقديم مساعدة قدرها ٥٠ مليون دولار لاسرائيل في العام المالي الجاري . وكانت اللجنة قد استبعدت تخفيض هذا المبلغ .

وكتبت جريدة جيروسالم بوست في ٦/١٩ معلقة على هذه الانباء تقول : « ان اعلان الولايات المتحدة بأنها ستبيعنا طائرات وفي هـــذا الوقت بالذات خلال هذه الزيارة (أي زيارة برجنيف) يعبر عن موقف امريكا القائل بأن اسرائيل القوية هي افضل ضمانة للاستقرار في الشرق الاوسط ». الا ان البؤرة الاسرائيلية لا تبدو الاهتمام الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة . بل يبدو اكثر فأكثر وضوحا انتقال الاهتمام الرئيسي لها الى منطقة الخليج [وصف ٦/١٧] ، وتركيزها بنفس القوة على تسليح الدولة الايرانية لمنع اي تطور ثوري في المنطقة يهدد مصالحها .

وقد كان هذا الموضـوع على رأس جدول اعمـــال المجلس الوزاري لحلف السنتو الذي اجتمع في طهران في النصف الاول من حزيران الماضي . وقد عبر وليام روجرز فور وصوله للعاصمة الايرانية عن ارتياحه « لازدياد روح التعاون بين ايـــران وجاراتها عبر الخليج الفارسي » كما أعلن عـــن ترحيبه بتحول ايران الى « اكبر قـــوة عسكرية وسياسية في الخليج » [اسوشيتدبرس ٦/٩] (والمعروف ان حلف السنتو يضم كلا من تركيا وايران وباكستان بالاضافة الى الولايات المتحدة وبريطانيا وقد حمل اسم حلف بغداد في السنوات الاولى من حياته) . واعرب موظف امريكي كبير فيما بعد [نشرة الرصد ٦/٢٩] عـــن اهتمام « دول معاهدة سنتو بصورة متزايـــدة بالنشاط التخريبي في دول الخليج الفارسي » (كذا) مضيفا بأن « الولايات المتحدة تأمـــل ان تصبـــح دول الخليج ... بقيادة السعودية وايران منطقـــة مستقرة » . ولا يلقى تسليح السعودية اجماعا في الاوساط الحاكمة الامريكية التي تتخوف مـــن انقلاب على النمط الليبي يغير كافة الحسابات . فقد عبرت جريدة نيويورك تايمز [٧/٧ و ٧/١٠] النافذة عن معارضتها لسياســـة بيع الاسلحـــة للسعودية معربة عن احتمال استخدام هذا السلاح في نهاية المطاف ضد مصالح امريكا . وقد دفعت هذه الانتقادات المسؤولين الامريكيين الى توضيح سياستهم فأكد سيسكو ان الشحنات لا تؤثر على التوازن [اذاعة اسرائيل ٦/٢٨] حتى لو حولت الطائرات لمصر ... نظرا لتأخر وصولها (١٩٧٥) ولحاجتها الطويلة الامد للصيانة والتدريب .

واضاف سيسكو في معرض تبرير سياسة حكومته « ان للسعودية والكويت مواقف ونفوذا في الشرق الاوسط ، واستمرار بقائها كدول قوية ومستقلة وذات ميول غربية من شأنه ان يساعد بصـــورة ايجابية على خلق جو من السلام » (!) .

وفي مجال الحديث عن السياسة الامريكية لا بد من لفت الانتباه الى بعض المواقف المميزة . فالشيخ وليام فولبرايت عضو مجلس الشيوخ الامريكـــي معروف بمواقفه النقدية احيانا لسياسة نيكسون . وهذا النقد لا ينطلق **بالطبـــع** من رفض للطابـــع الامبريالي للسياسة الامريكية بل **من فهم مختلف لمصلحة الامبريالية الامريكية** . ونظرا **لمـــا تمثلـــه** آراء فولبرايت من تيارات قوية داخل الجهـــاز الحاكم ، لا بد من متابعة مواقفه . ففي خطاب له امام اللجنة الخارجية (التي يرئسها) بتاريخ ٥/١٩ نقلته جريدة النهار يقول فولبرايت :

« ان الكثير من القلق الحالي حول مشكلة الطاقة مرده في الاساس الى الاعتقاد السائد ان الاعتماد الاميركي المتزايد على الدول العربية المنتجة للنفط يجب ان يؤدي حتما الى تآكل تعهـــدنـــا تجـــاه اسرائيل ...

... ان المسألة بالنسبة لنا هي ما اذا كـــان العداء العربي للولايات المتحدة أمرا محتوما او نتيجة تضارب حقيقي للمصالح او نتيجة سياسة اميركية خاطئة وغـــير منسجمـــة مع مصالحنـــا القومية ... »

وبعد التأكيد على وجود « مصلحة عاطفية قوية » مع اسرائيل والمطالبة بتعهد عسكري لحمايتها يقول بأن « لنا مصالح اخرى في الشرق الاوسط : ثمة مصلحة اقتصادية في النفط العربي ... ومصلحة استراتيجية في تفادي قيـــام نزاع مع الاتحـــاد السوفياتي ، وهاتان مصلحتان تتعارض معهمـــا سياستنا الحالية » .

ويسجل فولبرايت « رفض حكومة الولايات المتحدة، تدعمها أكثريات كونغرسية كبيرة ، تعديل التزامها

تجاه سياسة اسرائيل الحالية . ولذا فالمرجح هو ان يستمر الوضع الراهن في الوقت الحاضر ، وهو أمر أنا واثق من ان الفرقاء سيندمون عليه في الوقت المناسب » مشيرا الى احتمال تحول الدول العربية النفطية الى ما يسميه « دول راديكالية » تهدد استمرار تدفق النفط .

مواقف اسيوية

● وفي صدد الحديث عن النفط العربي ، ننسى أحيانا اهمية مصدر الطاقة هذا بالنسبة لدولة صناعية اسيوية كاليابان تفتقد تقريبا اية مواد خام رئيسية في اراضيها . **فاليابان** تستورد قرابة ٩٠ بالمئة من نفطها من منطقة الخليج (بالمناصفة بين ايران من جهة والسعودية والكويت من جهة اخرى). فلا غرابة اذا بأن تكون الدولة الصناعية الرأسمالية الثانية في العالم مهتمة بما يشاع عن ازمة الطاقة بقدر اهتمام الدولة الاولى .

وقد برز هذا الاهتمام خلال الشهر الماضي [٧/١٠] باجتماع عقده سفراء اليابان في دول « الشرق الاوسط » في طوكيو لبحث الموضوع في اطار مجمل السياسة اليابانية في المنطقة . وقد أوصى السفراء بعد انتهاء اجتماعاتهم بزيادة المساعدات الاقتصادية للبلدان التي تشتري اليابان منها معظم نفطها . كما اوصوا باستيراد النفط مباشرة من البلدان المنتجة بدل المرور بالشركات . وفيما يختص « بمشكلة الشرق الاوسط » اتجه المؤتمرون نحو دعم « جهود الدولتين الكبيرتين » لحل النزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ومن الملاحظ ان اليابان تحاول عدم التورط مع طرف او آخر لضمان التبادل التجاري المزدهر في الاتجاهين (استيراد النفط ، وتصدير العديد من المنتوجات الصناعية كالسيارات والالات الخ ...) سواء مع الدول العربية او مع اسرائيل (رغما عن التزام بعض الشركات اليابانية — وخاصة شركات السيارات — بالمقاطعة العربية) . ومن الجدير بالذكر ان اليابان درجت في السنوات الماضية داخل اروقة الامم المتحدة للتصويت في اتجاه مشابه للتصويت الاميركي ، الا ان الاعتبارات النفطية قد تدفعها لاتخاذ مواقف اكثر « اعتدالا » .

● في مؤتمر صحفي عقده في كوبنهاغن سوارانغ سينغ وزير خارجية **الهند** ، قال رادا على أسئلة صحفي اسرائيلي [نشرة الرصد ٦/٢٢] « ان الهند اعترفت باسرائيل وبأن لاسرائيل ممثلية لديها، ومنذ ذلك الوقت لم يجر تبادل للسفراء بين الدولتين » . واضاف بأنه « لا توجد علاقة مباشرة بين النزاع الاسرائيلي — العربي والجمود السائد في العلاقات الديبلوماسية بين اسرائيل والهند » و « بأن الهند مهتمة بشكل خاص باعادة فتح قناة السويس » .

● نقل « صوت اسرائيل باللغة العبرية [الرصد ٧/٥] على لسان سفير « **كامبوديا** » (طغمة لون نول) قوله بان « بلده » قد يطلب مساعدات عسكرية من اسرائيل اذا توقفت الولايات المتحدة عن مساعدتها في منتصف آب . وعلى اثر هذا التصريح طالبت كتلة راكاح الشيوعية في الكنيست بمناقشة الموضوع لمعرفة مدى تورط اسرائيل في دعم الانظمة المعادية للشعوب في الهند الصينية. ولكن الحكومة الاسرائيلية اكتفت بنفي ارسالها لاية مساعدة عسكرية لكامبوديا . الا ان الخبر بحد ذاته بالاضافة الى دعم اسرائيل لنظام فان ثيو في فيتنام الجنوبية ، مثل جديد على دور « وسيط الامبريالية » الذي تلعبه الدولة الصهيونية في مختلف دول العالم الثالث .

أوروبا : مؤتمر الامن والعلاقات البريطانية — الاسرائيلية

● في ٧/٣ بدأت جلسات مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي في هلسنكي (فنلندا) . وقد مثلت في هذا المؤتمر ٣٣ دولة اوروبية (أي مجموع دول اوروبا باستثناء دولتين : البانيا التي قاطعته لدور الاتحاد السوفياتي في الدعوة اليه ، واندورا الدولة — القرية الواقعة بين فرنسا واسبانيا). وحضرت المؤتمر كذلك كندا والولايات المتحدة اعتبارا لتواجد قوات لهما على ارض اوروبا . وقد كان الاتحاد السوفياتي بالفعل من المتحمسين أصلا لعقد هذا المؤتمر على اساس انه اعتراف رسمي بالحدود الحالية القائمة في اوروبا (وبالذات حدود ووجود المانيا الديموقراطية) وبجو الانفتاح السائد في العلاقات بين شرق القارة وغربها . وقد طرحت المسألة الفلسطينية في المؤتمر بشكل غير منتظر من قبل رئيس وزراء مالطا دوم مينوف الذي طالب بحضور مندوبين من كل من تونس والجزائر كمراقبين للمؤتمر . وأسرع الوزير الهولندي باقتراح دعوة اسرائيل . وكان ابا ايبان قد ارسل رسالة يطلب فيها دعوة اسرائيل في حال تمثيل أي بلد عربي في المؤتمر .

وقد خلق اصرار مينتوف على طلبه جو أزمة في المؤتمر ، انسحب هو على اثره واستمر سائر الوفد بتكرار الطلب . واقترح وزير خارجية فرنسا ردا على الاقتراح المالطي ، ان تدعى تونس والجزائر في المرحلة الثانية على مستوى الخبراء بعد ثلاثة أشهر وفي ذلك الاجتماع يبحث طلب اسرائيل . وقد أيدت كل من يوغوسلافيا واسبانيا هذا الاقتراح وعارضته كندا مدعومة من الولايات المتحدة والمانيا الغربية مطالبة بدعوة مماثلة لاسرائيل . وصرح مينتوف فيما بعد [رصد اذاعة اسرائيل ٧/١٠] بان السماح لاسرائيل بالحضور يعني ضرورة دعوة كل من مصر وليبيا وسوريا .

● في ٦/٣٠ وصل الى اسرائيل اللورد بالنبيل نائب وزير الخارجية البريطانية بهدف مقابلة عدد من المسؤولين الاسرائيليين (مئير ، الون ، دايان، ايبان ، العميد ايلي زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات والعميد شلومو غازيت حسب تعداد الاذاعة الاسرائيلية) .

ولم يطرأ حسب التصريحات الرسمية أي تغيير في العلاقات القائمة بعد الزيارة . ولكن وقع حادث بسيط كاد ان يتحول الى ازمة ديبلوماسية واقتضى توضيحا من الحكومة البريطانية . ففي احدى اللقاءات اشار احد اعضاء الوفد البريطاني جيمس كريغ رئيس قسم الشرق الادنى وشمال افريقيا في الوزارة الى ان اسرائيل كانت البادئة باطلاق النار في حرب ١٩٦٧ . وقد اثارت هذه الملاحظة غضب غولدا مئير واضطر الناطق الرسمي البريطاني ان يشير فيما بعد الى ان تعبير كريغ كان تعبيرا تقنيا ولا يعني بالضرورة تحميل اسرائيل مسؤولية حرب ١٩٦٧ . الا ان هذا التعقيب لم يمنع ادوات الاعلام الاسرائيلية من الاشارة الى تفاقم العلاقات البريطانية الاسرائيلية منذ تشرين الثاني ١٩٧٠ حين القى دوغلاس هيوم خطابا طالب فيه بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي المحتلة بما فيها القدس والجولان ، هذا التفاقم الذي ادى — على رأي هذه الادوات — الى تقارب في وجهات النظر الفرنسية والبريطانية. وقد انهى مراسل اذاعة اسرائيل في لندن تعليقه على الموقف البريطاني بقوله « ان البريطانيين انفسهم يعترفون بأنه ليس لهم تأثير ملموس على الاحداث في الشرق الاوسط ، ولذا فانه لا يتوجب على اسرائيل اظهار يقظة خاصة واهتمام بالسياسة البريطانية » .

داود تلحمي

(٣) المناطق المحتلة

الخامس من حزيران في المناطق المحتلة : قبل التحدث عن ردود الفعل في المناطق المحتلة بمناسبة مرور ستة أعوام على الاحتلال ، لا بد من التطرق الى مجموعة من الاحداث تشير الى صمود ونضال الجماهير العربية هناك ، وتعتبر ردود الفعل استمرارا لها ، فبالاضافة الى النشاط العسكري لخلايا الثورة الفلسطينية في المناطق المحتلة ، شهدت معظم المناطق حالة نضالية ، فقد شهدت هضبة الجولان ولادة خلايا ثورية مقاومة ، تعرف في المصادر الاسرائيلية بـ « شبكات التجسس والتخريب » ، بلغ العدد الاخير لاعضائها المعتقلين ٦٣ ، وشهدت الضفة الغربية مدا جماهيريا في اعقاب استشهاد القادة الثلاثة في بيروت ، اذهل القادة الاسرائيليين الذين أخذوا يعترفون بأن فكرة « التعايش » غير قائمة بالرغم من مرور ستة اعوام على الاحتلال ، كما وعبر هذا المد عن أصالته ابان الاحداث الاخيرة بين سلطات الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، فقد قامت سلطات الاحتلال باحباط التظاهرات التي كانت تعتزم التجمعات الفلسطينية القيام بها تعبيرا عن تلاحمها مع المقاومة ، ومع ذلك فقد عبرت الجماهير عن هذا الالتحام في المسيرة الجنائزية الضخمة لاحد شهداء الاحداث في مدينة نابلس . اما القطاع فقد شهد مدا نضاليا تمثل في تصدي رجال المقاومة هناك للمخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة لجان حارات منتخبة ومرتبطة بسلطات الاحتلال ، واحباطهم لهذا المخطط وذلك بتوجيه تحذير للزعامة التقليدية ، ووضع حد لحياة اولئك الذين لم يستجيبوا للتحذير . وقد قدم هذا المد النضالي ثلاثة شهداء من قادته على رأسهم محمود الاسود الملقب بـ « تشي غيفارا » ، مما ادخل الفرحة والبهجة في نفوس قادة الاحتلال ، وقد وصف مراسل الاذاعة هذه الفرحة بقوله : « كان من الطبيعي لدى مجيئي يوم السبت الى القطاع في ساعات الصباح ان ارى قادة اسرائيليين من اصحاب الوجوه المتجهمة عادة ، يمشون جذلين، وفي مكتب قائد القوات في القطاع كانت «الشمبانيا» تصب كالماء ، ولم يخف قائد كبير هو قائد العملية ومساعدوه سرورهم من نجاح الكمين » (معاريف ٧٣/٣/١١) وبالرغم من ذلك فقي بقي المد النضالي قائما في القطاع ، واعترفت صحيفة معولام هزيه (٧٣/٣/١٤) بذلك حينما كتبت تحت عنوان : ماذا يحدث في غزة ؟ « عندما نقل القطاع من قيادة العميد ارئيل شارون الى قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي احتفل الجميع بتطهير غزة من المخربين ، بيد أن الوقائع كانت وبقيت مختلفة: الاسرائيليون هم جسم غريب في القطاع ، يستغلون السكان ، ويمرون في الشوارع في تظاهرة قوة ، الا انهم ليسوا الحكام الحقيقيين هناك ، ففي غزة ما زال يسيطر ، كما كان يسيطر منذ ١٩٦٧ ، جيش الظل للمخربين ... ان سياسة عدم التدخل الخاصة بديان ، والتي تتلخص في اعطاء سكان المناطق حكما ذاتيا ، واقتصار مهمة الحكم العسكري على ادارة الامور من فوق — قد اختفت وزالت ، فبدل عدم التدخل يدير الان رجال الحكم العسكري كل شيء ، **انهم يديرون ومنظمات التخريب تحكم** » .

لقد كانت ردود الفعل بمناسبة مرور ستة اعوام على الاحتلال شديدة في الضفة الغربية ، خاصة وان العناصر اليسارية الوطنية ، وتنظيمات المقاومة العاملة هناك — فتح والجبهة الشعبية — قد أخذت في الاونة الاخيرة تقوم الى جانب النضال المسلح بنضال سياسي مكثف ، عبر عن نفسه في المنشورات التي تحمل اسم المقاومة الفلسطينية والتي عمت معظم مدن وقرى الضفة الغربية ، وتفاوتت ردود الفعل بين الاضرابات ووضع جواجز على الطرقات والقيام بمسيرات جنائزية كما حدث في مدينة القدس ، وبين تعطيل الدراسة في المدارس والاضراب ومحاولة القيام بتظاهرات ، ورش الطرقات بالمسامير ، كما حدث في مدينة نابلس ، وبين كتابة الشعارات على الجدران والسيارات وتوزيع المناشير المناوئة للاحتلال كما حدث في مدن وقرى الضفة الغربية ، ووسط ذلك شهدت الضفة الغربية الاعلام الفلسطينية ترفرف هناك ، ففي الرابع من يونيو رفع العلم الفلسطيني على المدرسة الثانوية لبلدة بيت جالا، وفي الخامس من يونيو ارتفعت الاعلام الفلسطينية فوق جبل جرزيم في مدينة نابلس ، كما وارتفعت اعلام فلسطينية فوق اماكن اخرى في الضفة ، فوق اسوار القدس ، وفوق المآذن ، وقد بلغ

التحدي الشعبي روعته عندما رفرف العلم الفلسطيني فوق مقر البوليس في بيت حنينا .

حدث كل ذلك، بالرغم من التدابير الامنية المشددة، واجتماع الحكام العسكريين لمناطق الضفة الغربية برؤساء البلديات والزعامة التقليدية هناك، وقد اعترفت الصحف الاسرائيلية ان هذه الاعمال « قد جرت هذه المرة على ضوء النشاط المتزايد للاوساط اليسارية المتطرفة ومؤيدي منظمات التخريب » .

هذا ، وقد وزعت الهيئة الاسلامية في القدس بيانا على الصحف ، بمناسبة « الذكرى الاليمة » جاء فيه : « اليوم تبدأ السنة السابعة والاحتلال جاثم على ارضنا ينفذ اهدافه ويحقق احلامه ، يصادر الاراضي ويهدم الابنية ، ويدمر القرى ويزيل الحضارة ويستولي على المقدسات ، فها هو باب الحرم الشريف باب المغاربة الذي استولت سلطات الاحتلال على مفتاحه عنوة وما زالت متحدية حقوق الله في بيوته ، مخالفة الانظمة والقوانين الدولية والعدالة الانسانية ، وها هو الحرم الابراهيمي الشريف يتحول الى كنيس للمرة الاولى في التاريخ ، فيحرم المسلمون من زيارة مقامات انبيائهم ويحرمون من الصلاة في ذلك الجزء العزيز من مسجدهم المحزون . تقام المستعمرات ، وتجري التغييرات خلافا لكل قانون وتحديا لكل المنظمات الدولية وتجاهلا لجميع الاعراف والحقوق الانسانية . ان الهيئة الاسلامية ، وهي ترى السنة السابعة للاحتلال تبدأ وما زالت هذه الامة تؤمن بعدالة قضيتها ، تعود وتؤكد تمسك هذه الامة بارضها وتفانيها في سبيل حريتها وتعلقها بوطنها . ان الهيئة الاسلامية وهي تستقبل هذه الذكرى الاليمة ، وبالرغم من المرارة والالم الذين تشعر بهما تجاه جميع المنظمات والهيئات الدولية ما زالت تأمل في بقية من ضمير عالمي لا بد أن يتحرك ، وهي تنبه السلطات المحتلة ان تتعظ بحوادث التاريخ وشواهده ، وان عدالة السماء لا بد ان تسود وان الايام دول ، وان الله يمهل ولا يهمل ، وانه لم يمت حق وراءه مطالب . ان الهيئة الاسلامية وهي تستقبل هذه الذكرى الاليمة ، لتحيي في الامة هذا الصمود الرائع وهذا التمسك بالارض وهذا الشعور بالمسؤولية ، وهي تناشد هذه الامة مزيدا من الصبر ومزيدا من التمسك بالارض ومزيدا من التماسك ، فان الفرج آت ، وان الله مع الصابرين » (الاتحاد ٧٣/٦/٨) .

اجراءات لتكريس الاحتلال : وفي مقابل ذلك ، كانت سلطات الاحتلال تصعد من اجراءاتها ، الرامية الى تكريس الاحتلال واستدامته ، واضفاء الشرعية عليه ، فعلاوة على شبكة المستوطنات القائمة والتي تتعزز يوما بعد يوم في جميع المناطق المحتلة ، وما يترتب على ذلك من نهب للاراضي العربية ، اتخذت مؤخرا اجراءات من أهمها :

١ ــ التصديق من قبل الكنيست في ٧٣/٥/٢٣ على مشروع قانون يقضي بضم اهالي القدس العربة الذين بلغوا سن الـ ١٨ بعد عام ١٩٦٩ الى جدول انتخابات المجلس البلدي في القدس . ومن المعروف ان الكنيست كانت قد أقرت في عام ١٩٦٨ قانونا ادخل في حينه جميع سكان القدس العربية الى سجل ناخبي المجلس البلدي ، ويأتي مشروع القانون هذا كملحق للقانون الاصلي لتكريس ضم المدينة .

٢ ــ التعويض على املاك العرب في القدس : بالاضافة الى ذلك اقدمت الكنيست بتاريخ ٦/٢٧/ ٧٣ على اقرار قانون يحمل اسم قانون املاك الغائبين (تعويضات) ، يمكن العرب سكان اسرائيل الذين ينطبق عليهم قانون « الغائب الحاضر » من تلقي تعويضات على ممتلكاتهم . وكان مشروع القانون هذا قد برز قبل حوالي عامين (تطرقنا اليه اكثر من مرة في شهريات المناطق المحتلة) واحدثت عليه تعديلات كثيرة ، الى أن اقر رسميا . وبموجب القانون ستدفع تعويضات لاصحاب الممتلكات ابتداء من مطلع يوليو ١٩٧٥ على دفعات ، الدفعة الاولى تصل الى عشرة الاف ليرة نقدا ، اما الدفعات الاخرى فستدفع على شكل سندات دين يتم تسديدها سنويا على شكل اقساط متساوية على مدى ١٥ عاما ، ومن المعروف ان القانون موجه بالاساس الى سكان القدس لخدمة هدفين أساسيين: تجريد السكان العرب من حقوقهم المغتصبة في عام ١٩٤٨ بواسطة مبالغ مالية ، وثانيا ، تكريس ضم القدس من خلال سريان مفعول هذا القانون الخاص بـ « العرب سكان اسرائيل » على مدينة القدس نفسها . ومن ناحية اخرى تواصل سلطات الاحتلال اقامة ضواح سكنية حول مدينة القدس لاحاطتها بسوار من المستوطنات اليهودية ، وقد ذكر مؤخرا روحي الخطيب محافظ القدس السابق الذي ابعدته سلطات الاحتلال ، ان الضواحي اليهودية الجديدة

التي تقام هناك ستضم حوالي ٣٥ الف وحدة سكن تتسع لنحو ١٢٢ الف يهودي اي ضعف عدد العرب القاطنين حاليا في القدس . وسيرتفع هذا العدد كما اعلن عن ذلك اكثر من وزير اسرائيلي من بينهم وزير الاسكان زئيف شيرف الى ٢٤٠ الف نسمة عام ١٩٧٥ ، اي حوالي خمسة اضعاف السكان العرب. ومن المعروف ان سلطات الاحتلال كانت قد أقدمت على مصادرة خمسة الاف دونم في عام ١٩٦٨ من اراضي القدس العربية، والحقت ذلك بمصادرة عشرة الاف دونم اخر في ٢٠ آب ١٩٧٠ بغرض تهويد مدينة القدس .

٣ — فرض الانتخابات للمجالس المحلية القروية : بعد نجاح سلطات الاحتلال في فرض الانتخابات البلدية في مدن الضفة الغربية الكبرى ، تقوم الان بالاعداد لفرض انتخابات للمجالس المحلية القروية في الضفة الغربية ، ويبلغ تعداد سكان هذه القرى حوال ١٢٠ الف نسمة ، ومن المقرر ان يتوجه سكانها الى صناديق الاقتراع عند نهاية هذا العام .

٤ — توسيع ميناء غزة : تم في ٦٣/٦/٤ افتتاح الرصيف الثاني في ميناء غزة الذي سيتم انشاؤه خلال العامين القادمين ، وسيستثمر في اقامته مبلغ ٢٥ مليون ليرة ، وحضر حفل الافتتاح عدد من كبار القادة والشخصيات الاسرائيلية من بينهم قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي ومدير مصلحة الموانىء اهارون ريمز ومحافظ بنك اسرائيل موشيه زنبار . وذكر وزير المواصلات شمعون بيرس الذي افتتح الرصيف « ان غزة قد انفصلت الى الابد عن مصر ». ومن المعروف ان تكاليف الرصيف الاول الذي اقامته سلطات الاحتلال والذي استغرق العمل فيه قرابة تسعة شهور قد بلغت مليون ونصف المليون ليرة ، وقد تم خلال عام ١٩٧٢ تفريغ ١٦٠ الف طن من الاسمنت في الميناء ، الا انه بعد الانتهاء من اقامة الرصيف الثاني سيصل الاستيعاب الى نصف مليون طن من الاسمنت .

٥ — التخطيط لاقامة مطار في منطقة غزة ! بالاضافة الى اعمال توسيع ميناء غزة ، تعكف سلطات الاحتلال على دراسة مشروع لاقامة مطار دولي على شاطىء البحر جنوبي غزة ، ويعتبر هذا المطار المزمع انشاؤه المطار الدولي الثاني الاسرائيلي بعد مطار اللد . ولم يتحدد بعد المكان الذي سيشاد عليه .

٦ — الضغط على سكان مشارف رفح لبيع اراضيهم : بعد ان رفضت محكمة « العدل » العليا في اسرائيل شكوى سكان مشارف رفح بشأن اعادتهم الى اراضيهم ومضاربهم التي اجلوا عنها بالقوة بغرض اقامة مستوطنات اسرائيلية عليها ، اخذت سلطات الاحتلال بواسطة قائد منطقة رفح تنهج اسلوب الضغط المشفوع بالتهديد لدفع القبائل العربية صاحبة الارض ، للتنازل عن اراضيها بواسطة بيعها ، ففي اواخر شهر ايار وبعد رفض محكمة « العدل » العليا بيوم واحد استدعى الحاكم العسكري لمدينة رفح وجهاء القبائل وحرص على ان يتحدث مع كل واحد منهم على حدة في محاولة منه لاحداث ثغرة في الموقف الصلب الذي يدعو الى الاعجاب ، المتمثل في عدم التخلي عن شبر واحد من اراضيهم ، الا ان محاولاته هذه باءت بالفشل ، فقد ذكر رؤساء القبائل الذين اجتمعوا مع الحاكم العسكري (كما جاء في صحيفة هآرتس ٧٣/٥/٣٠) ان الحاكم الاسرائيلي هدد كل واحد منهم بشكل مختلف ، لدفعه لبيع ارضه ، وكشفت صحيفة هآرتس بعض اساليب التهديد التي تتبعها سلطات الحكم العسكري لدفع سكان البلاد الاصليين للتخلي عن اراضيهم ، فذكرت على لسان برهم محمد عودة ، يعمل مدرسا ، بأن الحكم العسكري هدده بطرده من وظيفته خلال عشرة ايام اذا لم يقدم خلال هذه الفترة على بيع ارضه، وذكرت ايضا ان الحاكم العسكري هدد شخصا آخر بالسجن اذا لم يقم ببيع ارضه ، واضافت ان احد الشيوخ اراد الحصول على رخصة لشراء سيارة خاصة ، الا انه لم يحصل على ذلك « والسبب رفضه بيع ارضه » . ومن الجدير بالذكر هنا ان محكمة « العدل » الاسرائيلية التي رفضت مطلب البدو العادل باعادتهم الى ارضهم وبيوتهم ، قد فرضت عليهم ايضا « دفع مبلغ الف ليرة للجيش وللحكومة كنفقات للمحكمة » .

٧ — الاستمرار في شراء الاراضي العربية : لا زالت عمليات شراء الاراضي العربية واستملاكها بواسطة اليهود مستمرة وآخذة في التصاعد ، وقد كشف ذلك مراسل دافار (في ١٩٧٣/٦/١٩) عندما ذكر بان عملية الاستملاك شملت آلاف الدونمات وتركزت في الاونة الاخيرة في ضواحي بيت جالا وغوش عتسيون وشمال القدس، وذكر ان الاسعار تتحرك من ٣٠٠٠ ليرة للدونم وحتى ٢٠ الف ليرة ، واضاف ان المشترين الافراد يدفعون أسعارا أعلى

من الهيئات العامة اليهودية التي تقوم بأعمال الشراء بموجب تصريح رسمي .

اقامة الجامعة في الضفة : لا زال الحديث يدور في الضفة الغربية حول فكرة اقامة جامعة هناك ، بيد ان اخراج مشروع الجامعة الى حيز التنفيذ لا زال يتعثر بسبب المواقف المتباينة للاطراف الفاعلة وذات الصلة بالموضوع بالرغم من ان سلطات الاحتلال قد وافقت في شهر مارس هذا العام على مشروع اقامة الجامعة . كان اول من دعا الى فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية مجموعة من دعاة الكيان الفلسطيني وعلى رأسهم المحامي عزيز شحاده من رام الله ، قبل حوالي اربعة اعوام ونصف ، ولكن ومع مرور الوقت ، اخذت مشكلة المدارس الثانوية تتفاقم ، الامر الذي جلب انصارا جددا لهذه الدعوة ، وتعززت بموافقة يجآل آلون نائب رئيسة الحكومة عليها قبل حوالي عامين ، واصبح يقف الى جانب اصحاب الدعوة من دعاة الكيان الفلسطيني ، شخصيات مستقلة ، واقتصرت المعارضة على عدد من الزعامة التقليدية المرتبطة بالنظام الاردني ، ثم قطعت الفكرة شوطا كبيرا عندما وافقت سلطات الاحتلال رسميا على اقامة الجامعة ، التي ستبنى كما يقول الداعون لها بأموال عربية وستدار بواسطة اساتذة عرب ، وقد شكلت لجنة تأسيسية ضمت عناصر من الزعامة التقليدية في الضفة وكذلك بعض رجال سلك التعليم ، بغرض جمع الاموال من الدول العربية لاخراج المشروع الى حيز التنفيذ ، بيد ان ذلك اصطدم حتى الان بمعارضة اتحاد الجامعات العربية ومن معظم الدول العربية ، وشبه معارضة من النظام الاردني . ومع ذلك فان دعاة فكرة اقامة الجامعة لا زالوا يواصلون نشاطهم ، وقد الح كل من عزيز شحاده ومحمود ابو الزلف رئيس تحرير جريدة القدس ان « صندوق فورد » ابدى استعداده لتقديم معونات مالية ، وذكرا ان اقامة الجامعة تحتاج الى ستة ملايين ليرة لكي تستوعب الفي طالب ، وانهما على استعداد لتلقي المعونات من الدول العربية ، ومن الغرب .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الجانب الاسرائيلي بالرغم من الموافقة على اقامة الجامعة لا يزال منقسما هو الاخر ، فهنالك المؤيدون للفكرة وهنالك المعارضون لها . وقد لخص الصحفي الاسرائيلي ايلي ايل (معاريف ٧٣/٦/٢٢) الاسباب التي يوردها مؤيدو الفكرة بالتالي :

١ ــ « ان ذلك يعتبر جزءا من السياسة المتبعة في المناطق ، فمثلما يمتلك العرب في المناطق صحفا ومصانع ومجالس محلية تخصهم ، فلتكن لهم ايضا جامعة تخصهم .

٢ ــ من الافضل ان يبقى شباب الضفة الذين ينهون المرحلة الثانوية هنا ، على ان يلتحقوا بالجامعات العربية او الاوروبية ، حيث يكونوا هناك معرضين للتحريض وللتجنيد من قبل منظمات « التخريب » . ان هؤلاء يعتبرون افضل مادة بشرية لمنظمات التخريب ، ذلك ان هؤلاء الشباب يعرفون جيدا الاسرائيليين ويعرفون كذلك من هم الذين يتعاونون مع اسرائيل . اما في حالة بقائهم في الجامعة في الضفة فانهم يخضعون لنفوذ معين ولاشراف من قبل اسرائيل ، اما في الخارج فهم لا يخضعون لحكم ، كما وليست لديهم ارتباكات نفسية ومن السهل اقناعهم لمحاربة اسرائيل . »

اما الاسباب التي يوردها المعارضون فتمثل تخوفهم من ان تتحول الجامعة الى « بؤرة مثالية لنمو قومية معادية لاسرائيل » لاعتقاد هؤلاء « ان المثقف العربي لا يصبو نحو الليبراليين في بلده ، بل نحو المتطرفين ، فالشريحة المثقفة العربية لا تخجل من كونها متطرفة قوميا ، هذه الصفة التي يعتبرها المثقف الغربي بمثابة بقعة سوداء. حتى اليساريون من بينهم يتفوهون بالمبدأ اللينيني القائل « بأن الثورة الوطنية تسبق الثورة الاشتراكية » .

ووسط وجهات النظر المتناقضة حول اقامة الجامعة ، تتفاقم مشكلة خريجي المدارس الثانوية وتزداد اوضاعهم سوءا ، خاصة وان جامعات الدول العربية كما صرح بذلك بعض رجالات الضفة الذين قاموا بجولة في الدول العربية ، ستستوعب فقط عشر خريجي المدارس الثانوية الذين يعتزمون استكمال دراساتهم . اما فيما يتعلق بالالتحاق في جامعات اوربا الغربية واميركا . فقد ظهرت صعوبات جديدة تتمثل في عدم ترحيب هذه الجامعات بالطلبة الفلسطينيين ، فقد ذكرت صحيفة معاريف (٧٣/٦/٢٠) ان عشرات من الطلبة في الضفة الغربية الذين توجهوا قبل ثلاثة شهور الى مؤسسات تعليمية في اوربا ، لم يحظوا برد ، او اجيبوا سلبا ، « خشية التورط في نشاط تخريبي » .

ع٠ م٠

الذكرى السادسة لحرب حزيران ومناقشات مجلس الامن في صحف الضفة الغربية

تناولت الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال شهر حزيران (يونيه) الماضي ، مسألتين أساسيتين يمكن ادراجهما تحت عنوانين منفصلين على الرغم من شدة التزاوج والالتصاق فيما بينهما . **وأول** هاتين المسألتين كانت بمناسبة مرور الذكرى السنوية السادسة لحرب حزيران بكل ما عنته هذه الذكرى المؤلمة من ضياع لبقية الوطن ، وتشريد للشعب الفلسطيني ، وتعرضه للقهر والتقتيل والحصار . اما المسألة **الثانية** التي اغرت الصحافة العربية في الضفة الغربية بتناولها باسهاب واضح وشديد ، فهي مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن الدولي لمناقشة ازمة الشرق الاوسط التي ترافقت مع الذكرى السادسة لحرب حزيران ، والتي طرح فيها المندوب المصري مسألة الاعتراف بالامة الفلسطينية ضمن الحدود التي نص عليها قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الامم المتحدة لعام ١٩٤٧ .

الذكرى السنوية السادسة لحرب حزيران :

ليس مستغربا ان يكون للذكرى السادسة لحرب حزيران في الضفة الغربية مذاق خاص ولون مختلف عما لهذه الذكرى في سائر بقاع وعواصم العالم العربي . فاحساس اهلنا بالاسر والاضطهاد ، كواقع يومي يعيشونه ، يجعل هذه الذكرى أشد ايلاما واكثر مرارة . وتعرض جماهيرنا للمصادرة في حرياتها واراضيها — بشكل يومي ايضا — يزيد من ثقل كابوس الاحتلال وعسفه، وممارسة اسرائيل لسياسة الامر الواقع وسعيها الحثيث لخلق وقائع سياسية وسكانية جديدة في الارض المحتلة ، بتعديل القوانين ومصادرة البيوت والاراضي واقامة المستعمرات وجلب المستوطنين الجدد وتغيير معالم القدس ، يجعل جماهيرنا في الارض المحتلة معنية اكثر بالاحتلال ومقاومته ، ومطالبة بقوة للتعرض له ومصارعته بكل أشكال وادوات النضال المتاحة . وبالفعل ، فقد كانت جماهير شعبنا في الارض المحتلة في مستوى مسؤولياتها الوطنية ، مبرهنة من جديد على التزامها الواعي بقضية النضال الوطني ، ومتحسسة بعمق مدى مأساتها ومسؤولياتها في آن واحد . فقد اوردت صحيفة « الشعب » الصادرة في ٦ حزيران تقريرا عن الضفة الغربية في ذكرى الخامس من حزيران نورده لاهميته بنصه الكامل كما جاء في الصحيفة العربية : « بدت مدينة القدس صباح أمس مقفرة ومغلقة على أثر قيام التجار بالاضراب بمناسبة الخامس من حزيران . الا ان قوات الامن تدخلت في الساعة التاسعة والنصف وبدأت في وضع علامات على أبواب المحال المغلقة ، مما دفع بعض التجار الى فتح محلاتهم التجارية في حين رفض البعض الاخر فتح محالهم فتم اعتقال اكثر من ١٠ منهم . وعلم ان اوامر صدرت الى رجال الشرطة في القدس الذين ما انفكوا يجوبون الشوارع بالتعاون مع رجال الجيش ، بأن يبحثوا عن الحوانيت التي ظلت مغلقة لمعرفة اصحابها والتوجه الى منازلهم لاحضارهم واجبارهم على فتحها ومن يرفض فعلى الشرطة القيام باعتقاله . كما تخلف عدد من العمال العرب عن التوجه الى مراكز اعمالهم بالمناسبة . كما قام عدد من الشبان والشابات والهيئات في القدس العربية بزيارة مقابر شهداء الخامس من حزيران ووضعوا اكاليل الزهور على هذه الاضرحة ، وخاصة النصب التذكاري قرب المتحف الفلسطيني باب الساهرة . كما ناقش عدد من الاساتذة في المدارس مع طلابهم موضوع حرب الايام الستة ، وتليت الفاتحة على ارواح الشهداء . وكانت قوات الاحتلال قد اتخذت جميع التدابير والوسائل الكفيلة لكسر الاضراب العام بهذه المناسبة اذ اخذت تجوب شوارع مدينة القدس دوريات عسكرية مسلحة مشيا على الاقدام وفي سيارات عسكرية . وعلى الرغم من ذلك وعلى مرأى من رجال الجيش والشرطة ظلت الحركة التجارية مشلولة وعندئذ عمدت السلطات الى ارسال مجموعة من رجال الشرطة العرب ليقوموا برسم علامات دائرية على ابواب الحوانيت المغلقة واطلاق شائعات على مسامع الناس والمارة ... بمبيطة غرامة ١٠٠٠ ليرة . كما قالوا لاحد التجار الذي عمد الى فتح باب حانوته عندما رأى رجال الشرطة يدمغون حانوت جاره (لا...لا هات هويتك ويمكن فتح حانوتك في عمان) . وفوجيء الناس

بوزير الشرطة وكبار موظفي الداخلية والخارجية يرافقهم صحفيون ومصورون يترجلون من سياراتهم امام بريد القدس ، ومنه اتخذوا طريقهم الى محطة الباصات يتفقدون الحوانيت المغلقة وقد عمد الوزير ومرافقوه الى مصافحة بعض التجار العرب والتقاط صور بهذه المناسبة وتبادل الحديث . وفي نابلس القيت بالشوارع كميات كبيرة من المسامير مما ادى الى تفجير اطارات العديد من السيارات التي كانت تحاول العمل داخل المدينة كما جابت السيارات العسكرية والدوريات شوارع مدن الضفة الغربية . وكانت المدارس مفتوحة في الضفة الغربية ولكن الطلاب العرب بدوا وكأنهم يتجاهلون الدروس وبقوا داخل ملاعب مدارسهم طوال امس ولم ترد انباء عن وقوع مظاهرات » (الشعب ١٩٧٣/٦/٦) . وفي اليوم التالي (٧ حزيران) ذكرت الصحيفة نفسها ان سلطات الاحتلال اعتقلت سبعة عشر شخصا اكثرهم من التجار . وقالت الصحيفة انه « جرى استجوابهم بشأن الاضراب الجزئي الذي شمل عددا من المتاجر يوم أمس الاول . وقد أطلق سراح المعتقلين في المساء . ومن جهة أخرى اعرب اصحاب المتاجر العرب في المدينة عن استيائهم الشديد لقيام رجال الشرطة بوضع علامات مميزة بالدهان ، على ابواب متاجرهم » (الشعب ١٩٧٣/٦/٧) .

رغم هذا الوصف الواسع الذي قدمته صحيفة « الشعب » لردود الفعل في الضفة الغربية في ذكرى الخامس من حزيران ، وخاصة في مدينة القدس ، فان هناك كثيرا من مظاهر ردود الفعل الهامة التي وقعت قبل يوم الذكرى السادسة للحرب وبعدها ، والتي يمكن تسجيلها هنا اعتمادا على صحف الضفة الغربية نفسها . فقد ذكرت صحيفة « القدس » في عددها الصادر يوم ٤ حزيران انه « رفع اشخاص مجهولون امس العلم الفلسطيني على سور القدس القديمة قرب مغارة سليمان امام موقف الباصات . وقد ظل العلم الفلسطيني مرفوعا فوق السور عدة ساعات حتى حضرت قوات الشرطة وأنزلته من هناك . ومن جهة اخرى وزعت نشرات في الكثير من مدن وقرى الضفة الغربية خلال اليومين الماضيين . وكذلك ظهرت كتابات على الجدران تدعو المواطنين الى الاضراب غدا بمناسبة الذكرى السنوية السادسة لليوم الخامس من حزيران . وقد وقعت المنشورات « جبهة المقاومة الشعبية في الضفة الغربية » . »

(القدس ١٩٧٣/٦/٤) . كما ذكرت صحيفة الشعب تحت عنوان « المنشورات توزع بالخليل » ان تلك المنشورات وزعت بالمدينة لدعوة « المواطنين والتجار الى الاضراب في ذكرى الخامس من حزيران » (الشعب ١٩٧٣/٦/٤) . وقالت الصحيفة في العدد نفسه تحت عنوان آخر : « امتلأت جدران مدينة القدس أمس بشعارات تدعو المواطنين الى الاضراب بمناسبة ٥ حزيران وتندد بالاحتلال . كما كتب على بعض الجدران **فلسطين عربية** بالدهان الاسود . كما شوهدت بعض السيارات وهي تحمل نفس الشعارات . ويعتقد ان هذه الشعارات كتبت في الليلة الماضية. كما شوهدت نفس الشعارات في شعفاط وبيت حنينا وقلنديا » (الشعب ١٩٧٣/٦/٤) .

وبينما ذكرت صحيفة « الشعب » تحت عنوان « العلم الفلسطيني فوق سور القدس » ان البوليس الاسرائيلي نزع علما مرفوعا فوق سور البلدة القديمة (الشعب ١٩٧٣/٦/٤). وقالت صحيفة « القدس » في عدد اليوم التالي ان اشخاصا مجهولين رفعوا « خلال يوم امس العلم الفلسطيني **في عدة قرى ومناطق في القدس** . فقد شوهد العلم الفلسطيني مرفوعا قرب نصب الجندي العربي المجهول في مقبرة باب الاسباط ، وكذلك قرب مخفر شرطة بيت حنينا وصور باهر » (القدس ١٩٧٣/٦/٥) . وفي الوقت الذي ذكرت فيه صحيفة « الشعب » يوم ٦ حزيران نقلا عن راديو صوت فلسطين ان منشورات ثورية وزعت في مدن الضفة الشرقية بمناسبة الخامس من حزيران تشيد بالنضال ضد دعاة الهزيمة وتهاجم السياسة الاردنية ، ابرزت الصحيفة في عنوان آخر نبأ نقلته عن وكالة « رويتر » جاء فيه ان الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل انتقد الدعوى الى الاضراب في ذكرى الخامس من حزيران . وقال الجعبري « كان يجب على سكان الضفة الغربية الاضراب في ذكرى تأسيس جامعة الدول العربية التي كانت سبب مآسي الشعب العربي الحالية بدلا من الاضراب في ذكرى ٥ حزيران » . (الشعب ١٩٧٣/٦/٦) . وكانت صحيفة « القدس » قد ذكرت في عددها الصادر يوم ٥ حزيران ان الشيخ الجعبري نفسه شن حملة على القادة العرب ودعا الاسرائيليين والعرب الى العمل على تحقيق « السلام » على ارض السلام . كما دعا الشعب الفلسطيني « لانتخاب

لجنة تنفيذية عليا في مؤتمر عام لحل القضية مع العرب واليهود وتقرير مستقبله . وطالب الدول العربية واسرائيل ان يساعدوا على عقد مثل هذا المؤتمر ، ووضع الضفة الغربية وقطاع غزة في هذه الاثناء تحت اشراف دولي مدة خمس سنوات » (القدس ١٩٧٣/٦/٥) .

مناقشات مجلس الامن والحديث عن الدولة والامة الفلسطينية :

افتتح الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصري مناقشات مجلس الامن حول أزمة الشرق الاوسط ، في السادس من شهر حزيران ، بالحديث عن وجوب احترام حقوق الشعب الفلسطيني وفقا لما جاء في قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، مؤكدا على انه يقع على اعضاء مجلس الامن التي اعترفت دولهم باسرائيل التزام مماثل بالاعتراف للفلسطينيين بحقهم بالعيش في سلام داخل حدود وراء التقسيم المشار اليه .

ولقد أثار هذا الطرح ردود فعل مختلفة ومتفاوتة على الصعيدين العربي والفلسطيني . ففي الاردن وهي اشد الدول التصاقا بهذا الموضوع ، بدت شواهد ردود الفعل واضحة في تصريحات عدد من الرسميين ومن خلال تعليقات وسائل الاعلام الاردنية ، حيث اعتبر هذا الطرح المصري « المفاجيء » متناقضا ومضادا للتصور الاردني لمستقبل الفلسطينيين الذي لخصه مشروع المملكة العربية المتحدة . وباستثناء هذا الموقف من جانب السلطات الاردنية وتصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه ، التزمت معظم الدول العربية صمتا مطبقا حيال هذا الطرح . والذي يعنينا في هذا الصدد ، متابعة ردود فعل هذه التصريحات لدى صحف الضفة الغربية باعتبار هذه الصحف تعبر عن وجهة نظر مجموعة من الفلسطينيين المعنيين بدرجة كبيرة بمثل هذه التصورات للمستقبل السياسي للشعب الفلسطيني .

بداية لا بد من القول ان صحف الضفة الغربية لم تجمع على فهم او تصور واحد لتصريحات وزير الخارجية المصري وردود الفعل التي اثارتها هذه التصريحات لدى كل من الاردن والمقاومة الفلسطينية . فصحيفة « البشير » الاسبوعية التي تصدر في بيت لحم وجدت في تصريحات الزيات وتصريحات المندوب الاردني لدى مجلس الامن ، عبد الحميد شرف ، فهما مشتركا لمسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وقالت الصحيفة ان هذا الفهم المشترك لم يأت عن طريق الصدفة وانما جاء عبر التفاهم والتنسيق بين البلدين ، خاصة وان الشهور الاخيرة « شهدت تقاربا بين مصر والاردن كما شهدت نشاطا ملحوظا للجهد العربي الموحد في المجالات السياسية والدبلوماسية » . واضافت ان لقاء مصر والاردن حول هذه النقطة الهامة جعل شعار اقامة دولة فلسطينية « الشعار العربي القومي الذي يتفق عليه الجميع » . وبما ان تحقيق مثل هذا الشعار يحتاج الى فترة من الاتصالات والمناقشات التي قد تستغرق وقتا طويلا فقد اقترحت الصحيفة التلحمية « وضع المناطق المحتلة تحت اشراف مؤقت للامم المتحدة ، لجعل مهمة يارنغ اسهل ، وجعل خطواته نحو تحقيق السلام أسرع ... » (البشير ١٩٧٣/٦/٩) .

اما صحيفة « القدس » اليومية فقد عرضت الموقف المصري من مسألة الدولة الفلسطينية بالاشادة بدور مصر ومركزها الحضاري في العالم العربي ، منتقلة الى القول بأن الزيات قد عرض موقف بلاده في مجلس الامن « بعقل منفتح ، وادراك واع ، وبموضوعية كاملة ، وبصورة مفصلة وواضحة...» ثم عرضت الصحيفة للاسئلة الستة التي طرحها الزيات والتي تتعلق بتفسيرات ضرورية لبعض فقرات قرار المجلس رقم ٢٤٢ او تتصل بتوضيحات تتعلق بمذكرة يارنغ في ٨ شباط (فبراير) ١٩٧١ ، خالصة الى القول بأنه « يتضح ان طلب اسرائيل للمفاوضات واصرارها على ذلك انما يعتبر هروبا من الالتزام بهذه المبادىء وتجنبا مقصودا لتطبيقها » (القدس ١٩٧٣/٦/١٣) .

اما صحيفة « الشعب » التي تصدر يوميا في القدس فقد علقت على « انتهاء الفصل الاول من المناقشات » بقولها انه بعد انتهاء مناقشات الدورة الثانية فاننا سنكون امام خيارين « اولهما : الحل السلمي بطريق الفرض .. او وهو ما يميل المراقبون الى ترجيحه لعدة اسباب .. فهو اندلاع الحرب في المنطقة ، بكل ما تنطوي عليه المعركة من شراسة ونفس طويل .. **ويبدو ان المناقشات ليست للتسوية بقدر ما هي تمهيد للمعركة** ... كما يبدو ان رياحها قد اخذت تهب عاجلة ومستعجلة فيما نراه من بادرة تحقيق شعار (وضع المصالح

الاميركية في المنطقة في دائرة الخطر المباشر) وهي البادرة التي جاءت متأخرة عشرين عاما عن موعدها .. ولكل أجل كتاب » (الشعب ١٥/٦/ ١٩٧٣) . وفي تعليق آخر نشرته صحيفة «الشعب» تحت عنوان « القطر الفلسطيني هو (القومية العربية) » رأت في الطروحات المصرية والتونسية والمواقف الاردنية والعربية عامة — دون ان تسمي الاشياء بمسمياتها — سببا رئيسيا في « تعثر النشاط الفلسطيني ، وفي المجال العربي بالذات ، وعلى الصعيد السياسي والاعلامي والتنظيمي والمالي » . وقد رأت الصحيفة ان من المسلمات التي قررتها الدول العربية في مؤتمراتها على مستوى القمة منذ العام ١٩٦٤ ، « **ان الشعب الفلسطيني ممثلا في مجلسه الوطني ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، له كامل الحق في ارضه ، وهويته وتقرير مصيره ، بل ان مؤتمر الخرطوم بالذات أوضح بكل صراحة ان لا تصرف في القضية الفلسطينية الا برضى اصحابها وموافقتهم ، قطعا لكل مساومة ، او استسلام ، او انتهاز** » . وحملت الصحيفة بعض الدول العربية مسؤولية التخلص من التزامها القومي عن طريق « القاء العبء على كاهلهم [أي الفلسطينيين] في ان يتخذوا مسيرة فلسطينية منفردة وخاصة بحيث ينفرد هذا الشعب بحل ما ، يتيح لبعض هذه الانظمة اما نفض يديها كليا ، او الادعاء بانها بريئة مما فعل او قبل الفلسطينيون به » . وألمحت الصحيفة في تعليقها الى ان الحديث عن دولة فلسطينية من واقع العجز والهزيمة يقصد به«**اشغال الفلسطينيين بمنعطفات جانبية ومتاهات هامشية ، تلهيهم وتبعدهم عن الهدف الاساسي في استرداد حقهم ، بل كامل حقهم في الحياة ، والوطن ، والحرية ، وهذه الانظمة فيما تفعل وتساهم عن جهل او قصد مع المخطط الامبريالي في ابقاء النشاط الفلسطيني مكبل الايدي ، معطل الانجاز ، ولو ادى الى وقوفها من الشعب الفلسطيني في صف القوى المضادة** » . وخلصت الصحيفة الى القول بأن الطريق الصحيح الوحيد المجدي هو ان تكون كافة الاقطار العربية في خدمة القضية الفلسطينية « وان تعتبر الشعب الفلسطيني المنزرع في بقايا قطره ، او المنتظر العودة لوطنه ، هو الشعب الممتاز ، المختار ، الذي يعطى الاولوية ، ويحظى بالافضلية ، لان هذه الامة بدون هذا القطر ، وذلك الشعب ، تكون ناقصة الاستقلال ، مهيضة الوجود ، مهينة الكرامة والخلود » (الشعب ١٨/٦/١٩٧٣) .

ويمكن القول ان صحف الضفة الغربية قد اتخذت مواقف مختلفة من مسألة الدولة والامة الفلسطينية كما جاءت على لسان وزير الخارجية المصري اثناء مناقشات مجلس الامن . فصحيفة « الشعب » اتخذت موقفا مغايرا لما اتخذته كل من صحيفتي « القدس » و« البشير » اللتين التقتا مع بعض الاختلاف في التفاصيل على الترحاب بهذا الطرح المصري . فبينما ترى صحيفة « الشعب » ان مثل هذه المواقف تهدف الى الانحراف بالمسيرة الفلسطينية بما يخدم المخططات الامبريالية ، ترى صحيفة « القدس » في احد تعليقاتها انه يمكن التعايش بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الاردني ذلك لان « جميع الصور التي تطرح مشروعات لمستقبل الفلسطينيين في شكل دولة او في شكل مملكة متحدة ذات اقليمين ، لا تخرج في اي اعتبار عن الاعتراف بالشخصية الفلسطينية ، والاقرار بحق تقرير المصير المشروع ، قبل او بعد الحل ، على حد سواء » (القدس ١٩/٦/١٩٧٣). وبينما ترى « البشير » ان الاردنيين والمصريين يوحدهم فهم مشترك لمسألة الدولة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، نتيجة للتقارب بين الدولتين في الاشهر الاخيرة (البشير ٩/٦/١٩٧٣) ، ترى صحيفة « القدس » ان هناك محددات مختلفة لموقف كل من الاردن ومصر ازاء هذه المسألة تختلف باختلاف العلاقة السياسية لكلا النظامين بالفلسطينيين . اذ ترى الصحيفة ان كلام مندوب الاردن لدى الامم المتحدة لم يخرج في مبنى كلامه ومعناه عن الاعتراف فقط بالشخصية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في وطنهم وارضهم (القدس ٢١/٦/١٩٧٣) . وترى صحيفة «القدس» — عكس ما تراه صحيفة « الشعب » — ان الموقف المصري في مجلس الامن يهدف الى فضح موقف اسرائيل . وانه بمثل هذا الفهم « يغدو الموقف « تكتيكا » وليس « استراتيجية » بقصد قلب الاوضاع والمفاهيم » وتضيف الصحيفة معتمدة على « حسن النوايا » قائلة : « ان مبادرة الاردن لاعلان المملكة اقليمين اقرار بكيانين او دولتين ، فلماذا لا تقع مبادرة مصر ضمن هذا المفهوم او ضمن أي اطار قريب منه .. اليس حسن النوايا كفيلا بتنسيق الامور وتحقيق الانسجام والتفاهم ؟ » (القدس ٢٤/٦/١٩٧٣) .

وفي الختام لا بد من الاشارة الى ان صحف الضفة الغربية ، على الرغم من معرفتها المسبقة لموقف المقاومة الفلسطينية ازاء مثل هذه الحلول والمشاريع ، فانها تجنبت الخوض في مناقشة هذا الاتجاه مكتفية بالقول ان الموقف المصري الداعي الى اقامة دولة فلسطينية ضمن حدود قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ قد يعكس « وجهة نظر مصر تجاه المنظمات الفلسطينية ، لا باعتبارها الوجه الثوري او النضالي للفلسطينيين وانما باعتبارها « ومنظمة التحرير بالذات » وجههم التمثيلي والدبلوماسي » (القدس ١٩٧٣/٦/٢١) .

عيسى الشعيبي

صدر حديثا عن مركز الابحاث

ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة

بقلم

عيسى عبد الحميد

والكتاب عبارة عن عرض واستخلاص نتائج سياسية واقتصادية ، لعلاقات النظام الاردني بالضفة الغربية بعد حرب ١٩٦٧ من خلال سياسة الجسور المفتوحة . وقد رأى الكاتب تعميما للفائدة ان يضع في اجزاء مستقلة صورة وافية عن حركة انتقال الاشخاص والاموال عبر الجسور المفتوحة وعن حركة سحب الودائع من ارصدة فروع البنوك العربية ومحاولات اعادة فتحها في الضفة الغربية .

أطلب الكتاب من : مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٢٠٨ صفحات بثلاث ليرات لبنانية ، تضاف اليها

اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في البلاد العربية

١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

(٤) اسرائيليات

برانت في اسرائيل : معركة الكلمات ذات « الطابع الخاص »

زيارة المستشار الالماني الغربي ويلي برانت الى اسرائيل في شهر حزيران الماضي ، هي اول زيارة يقوم بها مستشار الماني غربي وهو في هذا المنصب الى اسرائيل .

بل أن برانت هو اول حاكم الماني يطـــأ ارض فلسطين ، لا منذ اغتصابها سنة ١٩٤٧ فحسب ، بل منذ سنة ١٨٩٨ ، يوم زار فلسطين القيصر الالماني ويلهالم فليوم الثاني ، وكان مـــن بين مستقبليه « نبي » الحركة الصهيونية بنيامـــين تيودور هرتسل .

ولقد تنبه الاسرائيليون الى الاهمية الخاصة لهذه الزيارة ، ورددوا اهتمامهم بها قبل أسابيع عديدة من بدء الزيارة ، كما برز ذلك في مقالة كتبهـــا شلومو شبير في جريدة « دافار » الاسرائيلية شبه الرسمية يوم ٧٣/٤/٦ ، وركز فيها على « الاهمية الخاصة والبالغة » لزيارة برانت .

وعادت الجريدة ذاتها قبل بدء الزيارة بثلاثـــة اسابيع لتؤكد هذه الاهمية ، عبر مقالة كتبها رئوفين عشور ، واعتبر برانت فيها « الناطق الرسمي باسم اوروبا » (دافار ٧٣/٥/١٥) .

وشهدت الاسابيع القليلة التي سبقت الزيارة ، ما يمكن اعتباره تسابقا علـــى الاشادة ببرانت وبماضيه اللانازي ، وباهمية الزيارة ، وضرورة استقباله بما « يليق به من تكريم » ، فكتبت جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٥/١٦) : « ان زيارة المستشار الالماني برانت لاسرائيل هي احدى الزيارات السياسية الهامة جدا منذ انشاء الدولة، وان حضور السيد برانت اثناء ممارسة منصبه كمستشار هو خطـــوة لا تستطيع شخصية أقـــل صداقة وأقل تمسكا بمبادئها ان تقدم عليها ... واذا لم يحظ السيد برانت في اسرائيل باستقبال لائق ، فلن يحق ذلك لاي ضيف آخر » .

وظل تسابق الصحف الاسرائيلية على تكريم برانت مستمرا حتى يوم وصوله في السابع من حزيران حين اطلق عليه لقب « القائد ذو الاهمية الكبرى في أوروبا » (معاريف ٧٣/٦/٧) .

وفي جميع هـــذه المقالات والتعليقـــات ، كـــان الاسرائيليون يركزون على ضرورة الزام المانيـــا الغربية باقامة ـــ وأحيانا باستمرار اقامة ـــ « علاقات خاصة ومتميزة مع اسرائيل » مع التذكير بماضي المانيا النازي ، كما ذكرت ذلك بوضوح افتتاحية جريدة « دافار » يوم وصول برانت حيث جاء فيها : « ينبغي ان نضمن ان يواصل الشعب الالماني تحمل مسؤوليته التاريخية، وذلك عن طريق اقامة المانيا علاقات متميزة معنا ، بالرغم مـــن مساعي بون الرامية الى تحسين علاقاتها مـــع الدول العربية » (دافار ٧٣/٦/٧) .

لكن ، وفي اليوم ذاتـــه ، كان بعض الصحف الاسرائيلية ، قد بدأ يبحث عن اعذار لعدم التمكن من الزام المانيا بالاخـــذ بسياسة « العلاقـــات الخاصة » مع اسرائيل ، وكان أول ما أوردته في هذا المجال القول بأن « هناك جهات المانية من أحزاب غير الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني الذي يتزعمه برانت ، مثل وزير الخارجية الالمانية والتر شيل ، الذين لا تروق لهم وجهة النظـــر الداعية لاقامة علاقات خاصـــة مع اسرائيل ، ويطلبون التقرب مـــن الدول العربية ويتأثـــرون بضغوطها ... » (هتسوفيه ٧٣/٦/٧) .

اضافة لهذا المطلب الاسرائيلي من المانيا الغربية، ومستشارها ، كانت هناك مطالب أخرى ، وجاءت زيارة برانت الى اسرائيل لتثيرها .

من هذه المطالب ان تعمل المانيا الغربية على عدم اتخاذ دول أوروبا الغربية موقفا موحدا ازاء ازمة الشرق الاوسط وطرق حلها .

ومنها ايضا استمرار تدفق المساعدات الالمانيـــة الغربية بأشكالها المتعددة ـــ من التعويضات الى القروض « الاشبه بالهبات » ـــ الى اسرائيل .
ومنها ايضا صدور بيان مشترك عن محادثات برانت والمسؤولين الاسرائيليين وعلى رأسهم غولدا مئير اثر انتهاء زيارته لاسرائيل .

وقبل ان نعرض ما تحقق وما لم يتحقق من هذه المطالب الاسرائيلية ، يجدر ان نذكر بأن المستشار الالماني قد رد على تحية الترحيب الاسرائيلية ،

بأحسن منها ، حيث انه ما كاد يصل الى مطـــار اللد ، وتعزف الموسيقى نشيدي « هتكفا — الامل » الاسرائيلي ، و« دويتش لاند اوبر اليس — المانيا فوق الجميع » الالماني ، حتى انتقل الى القدس وزار — كما هو مسجل في برنامج الزيارة — متحف « يادفشيم » لتخليد ذكرى ضحايا النازية ، وهناك خرج على برنامج الزيـــارة ، عندما تقدم مـــن الميكروفون داخل المتحف وقرأ فقرات من المزامير باللغة الالمانية « وكانت تلك اول مرة تقرأ فيها مثل تلك الفقرات باللغة الالمانية في ذلك المتحف » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٨) .

نعود الان الى المطالب الاسرائيلية واحدا واحدا بادئين بالاول بينها ، وهو المتعلق باقامة « علاقات خاصة » مع اسرائيل .

كان هذا الموضوع بالذات ، قد وجه بصيفـــة سؤال الى والتر شيل وزيـــر خارجية المانيـــا الغربية ، اثناء مؤتمره الصحافي الذي عقده في القاهرة يوم ٧٣/٥/٢٢ ، لدى اختتام زيارته لمصر ، ورد عليه بالقول انه « ليست هناك علاقات خاصة بين المانيا واسرائيل ، الا ان هناك علاقات ذات طابع خاص ، اساسها التاريخ المشترك الذي يميز الشعبين » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٥/٢٣). ولقد رأى بعض المعلقين العرب في هذا التصريح ردا لبقا من شيل هو في الواقع اختيار موفـــق لكلمات لا تغضب العرب اكثر منه موقفا سياسيا لحكومة المانيا الغربية .

وظل هذا التفسير واردا الى أن جاءت زيارة برانت الى اسرائيل ، حيث ردد تعبير شيل أكثر من مرة ، بل أضاف له كلمة « طبيعية » لوصف العلاقات التي تربط المانيا باسرائيل ، وحتى عندما تحايل أحد الصحافيين على برانت وسأله في المؤتمـــر الصحافي الذي عقده يوم ٧٣/٦/٩ حول ما اذا كانت المانيا تنوي « الاستمرار بعلاقاتها الخاصة مع اسرائيل » ، اجاب برانت بأنه « يجب النظر الى العلاقات بين المانيا واسرائيل على ضـــوء الاحداث في عهد الحكم النازي ، ونقصد بذلك ان العلاقات الطبيعية بيننا هي ذات طابع خاص » . (هآرتس ، داغار وغيرهما ، ٧٣/٦/١٠) .

ومع تبين ان استخدام هذا التعبير لوصف العلاقات الالمانية الاسرائيلية ، انما يعكس مبدأ سياسيا تلتزم به حكومة المانيا الغربية بأحزابها المؤتلفة ، جاءت ردود الفعل الاسرائيليـــة ، متراوحة بين عكسها للقلق وعكسها للغضب .

وفي حين اكتفت جـــريدة « هآرتس » المعروفة برصانتها — بالمقارنة مع صحف المدو الاخرى — بالقول « ان لشعب اسرائيل ودولته الحق في أن ينالوا من المانيا معاملة دائمة ذات طابع خاص ، لا ان تكون هذه المعاملة مرحلة انتقالية تنتهي بالسعي وراء المصالح » ، وكانت بذلك تعكس قلقا اسرائيليا واعترافا ضمنيـــا بأن مصالح المانيـــا الغربية تكمن في تغيير سياستها ازاء اسرائيل والدول العربية ، تجاوزت جريدة « هموديع » — الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين ، وأحد أطراف الائتلاف الحاكم في اسرائيل — هذا الحد ، وقالت « ان العبارة التي يستخدمها المستشار هي بمثابة دعوة غير طبيعيـــة ، وينبغي ان نقـــول للمستشار برانت انه لن تقوم علاقات طبيعية بين اسرائيل والمانيا . والواقع ان الوقت قد فعل فعله، لكن هناك حدودا ايضا للعلاقات الشخصية، (تقصد الصحيفة الترحيب ببرانت نظرا لماضيه المعادي للنازية) ويبدو لنا اننا وصلنا الى حافة هذه الحدود » (هموديع ٧٣/٦/١١) .

وكما كان برانت واضحا في هذه النقطـــة ، كان واضحا وحادا ازاء المطلب والامنية الاسرائيلية الثانية ، المتعلقة بالتزام المانيا الغربية موقفـــا يمنع من اتخاذ موقف موحد لاوروبا الغربية ازاء الشرق الاوسط وأزمته .

ومبعث التخوف الاسرائيلي من موقف موحد تتخذه دول اوروبا الغربية ، يفسره عدم ارتياح اسرائيل لمواقف فرنسا ، وتخوفها من انحياز بريطانيا الى جانب الحق العربي من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، اقتناع اسرائيل بأن اي موقف موحد لدول اوروبا الغربية ، لا بد الا ان يكون نتيجة لمبادرة فرنسية، او فرنسية بريطانية . وكلما يتذكر الاسرائيليون هذا الموضوع يرد في ذهنهم المشروع الذي يسمونه « وثيقة شومان سيئة الذكر » ويقصدون بذلك المشروع الذي تقـــدم به موريس شومان وزيـــر الخارجية الفرنسي وأقره مؤتمر وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة في السنة الماضية ، وهو يدعو الى انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ .

وكان برانت قد رد على سؤال في مؤتمره الصحافي المذكور ، بقوله : « آمل ان نستطيع مع مرور الزمن ان نطور سياسة اوروبية غربية مشتركة

بالنسبة للشرق الاوسط وللمناطق الاخرى . واقول لكم بصدق سيداتي وسادتي ان اوروبا الغربية ستتحد في النهاية » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/١١) .

ولقد وصف اربيه ميكل معلق اذاعة العدو هذا الرد بأنه « جواب قاطع من شأنه ان يقلق اسرائيل ان لم يكن على المدى القصير ، فعلى المدى البعيد» (المصدر السابق) .

اما فيما يتعلق بالمطلب الاسرائيلي الثالث ، وهو استمرار تدفق المساعدات الالمانية لاسرائيل ، فقد كان الموقف الالماني منسجما مع مطالب اسرائيل. ومعروف ان « العلاقات الاقتصادية بين المانيا واسرائيل كانت اول جسر اقيم للتفاوض بين اليهود والالمان بعد الحرب ، ذلك ان اتفاقية لوكسمبورغ [للتعويض على ضحايا النازية] التي أقرت عام ١٩٥٣ ، درت ولا تزال تدر على دولة اسرائيل ومواطنيها مليارات الماركات الالمانية . وبهذه المليارات وضع اساس الصناعة والملاحة في اسرائيل ، ... وعدا التعويضات تقدم المانيا الغربية لاسرائيل سنويا ومنذ ٢٢ عاما قروضا للتنمية . وفي البداية اتفق ادیناور وبن غوريون على ٤٠ مليون دولار سنويا ، واليوم تحصل سنويا على ١٤٠ مليون مارك قروضا طويلة الاجل وبفائدة منخفضة جدا ، وليس فقط قروضا تدفع على أقساط » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٤). وقالت جريدة « معاريف » في تعليق لها على ما تحقق من زيارة برانت لاسرائيل « ان احدى نتائج الزيارة كانت الاتفاق على تشجيع الاستثمارات الالمانية في اسرائيل » (معاريف ٧٣/٦/١١) .

وعن المطلب الاسرائيلي الرابع حول صدور بيان مشترك عن محادثات برانت في اسرائيل والذي لمحت بعض المصادر في اسرائيل الى رغبتها في صدوره ، اوضح برانت انه في جميع زياراته التي يقوم بها للدول الاجنبية يحرص على عدم صدور بيان مشترك ، مكتفيا بما يعطيه من تصريحات يعتبرها لازمة، وانتهت الزيارة فعلا دون ان يصدر عنها بيان رسمي مشترك .

وفي تقييم الاسرائيليين النهائي للزيارة انها — على حد تعبير جريدة « دافار » يوم ٧٣/٦/١٣ — « قد جاءت لتأخذ اكثر مما لتعطي » . وهذا التحفظ ازاء الزيارة بمجملها عكسته بالاضافة الى «دافار» جريدة « معاريف » التي قالت « ان الزيارة قد امتازت بالتوفيق الا ان اقتراحات المستشار كانت حذرة ومتحفظة ، وقد اوضح جيدا حدود صداقته لاسرائيل ، وهي الصداقة التي لا يرافقها الالتزام والتأيد السياسي او المساندة للموقف الاسرائيلي . ويعتقد ان المستشار قد طلب اعفاء بلاده من اي تعهد سياسي ينبع عن النكبة) تقصد الحرب العالمية الثانية) . ومن الصعب ان نرى في تسلسل مثل هذه الاحداث مكسبا سياسيا لاسرائيل » . (معاريف ٧٣/٦/١١) .

من ناحية ثانية ، ذكرت جريدة «يديعوت احرونوت» في عددها يوم ٧٣/٦/١٥ ، ان المستشار الالماني برانت قد قال انه « عندما سندخل الامم المتحدة في تشرين الاول (اكتوبر) المقبل سوف نتصرف ازاء اسرائيل هناك كأصدقاء ، ... واكد انه لا يجب ان تدفع اسرائيل ثمن توسيع السوق الاوروبية المشتركة » .

لكن ابرز ما نقل عما دار بين برانت ومئير ، كان تعبيره عن اعتقاده بأن على اسرائيل ان تكون مهتمة بالاسراع في الاعتناء بشؤون المنطقة ، بل كذلك المبادرة من جانبها الى التقدم نحو تسوية سلمية خلال وقت قريب ، كما حذر من ازدياد ازمة الطاقة في العالم ، الامر الذي قد يؤدي الى توجيه ضغط متزايد من جانب دول النفط العربية على الغرب ، لفرض السلام في المنطقة » (يديعوت احرونوت ٧٣/٦/١٥) .

واذا كان كل ما تقدم مقصورا على الصعيد الرسمي ، فماذا عن العلاقات الاسرائيلية الالمانية على الصعيد الشعبي ، وعلى صعيد المستقبل بشكل خاص .

بالنسبة الى اسرائيل هناك تعبير دارج يردده الاسرائيليون كثيرا ، يقول « ليس للنقود رائحة » وهم بذلك يجدون المبرر لانفسهم بأخذ المساعدات المالية الالمانية والتعويضات عن ضحايا النازية ، دون الالتزام باعتبار قضايا الماضي المعوض عنها منتهية ، وحتى الان كان اكثر الاسابيع الثقافية فشلا في اسرائيل ، الاسبوع الثقافي الالماني في العام الماضي ، ومثل « الجسر الثقافي » الذي يربط اسرائيل بألمانيا الغربية ، بقية الجسور باستثناء الجسر الاقتصادي طبعا .

اما في المانيا فقد ذكر احد الاسرائيليين في لقاء تم مع الدكتور باول فرانك سكرتير حكومة المانيا الغربية ، الذي رافق برانت في زيارته الى

اسرائيل ان استفتاء اجراه معهد « السنباخ » في المانيا وكان موضوعه موقف الالمان ازاء اسرائيل والعرب ، قد أوضح « ان ٣٧ ٪ من الذين وجهت اليهم الاسئلة قد اعربوا عن تأييد غير محدود لاسرائيل في مقابل ٥ ٪ فقط ايدوا العرب ... كما تبين انه كلما صغر سن الموجهة اليهم الاسئلة في هذا الاستفتاء ، زادت نسبة التأييد لاسرائيل ، وفي حين ٤٤ ٪ من مؤيدي اسرائيل تتراوح اعمارهم بين ١٦ و١٩ سنة فان من تزيد اعمارهم على ٦٠ سنة شكلوا ٢٨ ٪ من مؤيدي اسرائيل » (يديعوت احرونوت ٧٣/٦/١٥) .

مقابل هذا الاستفتاء الذي يصعب التأكد من دقته او عدم دقته ، فان هناك حقيقة ملموسة تدحضه تماما .

ففي الاسبوع الثاني من شهر آذار (مارس) الماضي عقدت شبيبة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني الذي يتزعمه برانت نفسه ، مؤتمرا دعت له شبيبة العديد من الاحزاب في دول اجنبية منها اسرائيل . وفي هذا المؤتمر اعيد انتخاب قادة الشبيبة المعروفين بتأييدهم للحق العربي ، كما اصدر المؤتمر توصيات تندد باسرائيل ، الامر الذي دفع الاسرائيليين في المؤتمر — وكانوا فيه بصفة مراقبين — الى الخروج من قاعة المؤتمر احتجاجا .

ونظرا لما لهذا الموقف من الشبيبة الالمانية من اهمية ، وخاصة بالنسبة لمن يهتم بالمستقبل ، فقد فشل بن حورين — سفير اسرائيل لدى المانيا الغربية — من ضبط اعصابه ، واعلن في اجتماع عقد في بون « ان شبيبة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني هي اقلية عمياء وصماء ترفض ان تميز بين التقدمية والرجعية » . (معاريف ٧٣/٣/١٥) .

الاضرابات في اسرائيل

الموجة الجديدة من الاضرابات ، التي بدأت تعم اسرائيل منذ بداية شهر حزيران (يونيو) الماضي، مرشحة لان تستمر وتتصاعد كلما اقترب موعد انتخابات الهستدروت — في شهر ايلول (سبتمبر) المقبل — والانتخابات البرلمانية العامة للكنيست — في شهر تشرين ثاني (نوفمبر) المقبل — ، وذلك نظرا لازدياد احتمالات تمكن المستخدمين والعمال من تحقيق مطالبهم وحقوقهم في ظل تنافس وتصارع الاحزاب السياسية على نيل ثقة واصوات الناخبين ، بعضها انسجاما مع منطلقاتها وسياستها وبعضها الغالب استغلالا لها ، وجميعها مما تبرز التخلخل شبه الدائم في علاقات العمل داخل اسرائيل .

وبرغم ان جريدة « دافار » هي رسميا جريدة الهستدروت ، وان الهستدروت رسميا هي التي يفترض ان تناصر وتؤيد العمال والمستخدمين لنيل حقوقهم من ارباب العمل ، بصفتها « النقابة العامة للعمال في اسرائيل » ، فان موقف الهستدروت ازاء اكثر من تحرك عمالي ، اثبت انها اقرب الى رب العمل منها الى العامل .

وفي ظل اقتراب موعد الانتخابات ، وازدياد عنف موجة الاضرابات ، تحركت غالبية الاحزاب غير المشاركة في الائتلاف الحاكم ، الى درجة ان كتلة غاحال اليمينية المتطرفة — المكونة من حزبي « حيروت » و« الاحرار » — نشرت في الصحف الاسرائيلية عددا من الاعلانات التي تهاجم فيها سياسة الحكومة الاقتصادية .

ولقد شملت موجة الاضرابات قطاعات واسعة ومتعددة ، بدءا بالاطباء وانتهاء بعمل مصنع الورق ، مرورا بأعضاء السلك الجامعي وصحافيي هيئة الاذاعة والتلفزيون ومستخدمي الجمارك وغيرهم .

ومنذ صباح يوم ٧٣/٦/٧ ، اعلن ٦٠٠٠ طبيب في اسرائيل يعملون في «صندوق المرض» والمستشفيات الاضراب عن العمل ، مطالبين بزيادة اجورهم بنسبة ٦٩ ٪ ، وذلك بعد ان كانوا قد اعلنوا عن « نزاع عمل » يوم ٧٣/٥/١٥ ، ونشروا في الصحف قبل بدء الاضراب بأيام اعلانات قالوا فيها « اننا نريد ان نتقاضى ثلث اجر الطيارين » (دافار ٧٣/٦/١١) .

ورد وزير صحة العدو على هذه المطالبة بأنه « بلغ معدل النسبة التي اقترحنا اضافتها الى رواتب الاطباء ٤٥،٦ ٪ ، وهذه اكبر علاوة اعطيت لاي قطاع من المستخدمين هذا العام » (المصدر السابق)، وزادت جريدة « دافار » الناطقة بلسان الهستدروت « ان على الذين يطالبون بتقاضي رواتب

تعادل ثلث رواتب الطيارين ، ان يعلموا بأن قضايا العمل والرواتب تخضع لقانون العرض والطلب ، وان نسبة الاطباء في اسرائيل مرتفعة جدا ، كما ان نسبتهم ستزداد كثيرا خلال السنوات المقبلة » ، وكانت « دافار » بذلك الى جانب تحريضها ضد الاطباء المستخدمين تشهر في وجههم سيف التهديد .

وكان اضراب الاطباء قد بدأ بموافقة نقابة الاطباء ، وعدم تدخل الهستدروت رسميا ، لكن بعد مرور ١٣ يوما على بدء الاضراب ، وازدياد عنف حملة التشهير بهم اعلنت اللجنة التنفيذية العامة للهستدروت عن حقيقة موقفها ، ودعت نقابة الاطباء الى انهاء الاضراب واستئناف العمل المنتظم فورا ، وتسوية نزاع العمل « طبقا للمقترحات التي قدمها ممثلو الحكومة ، وصندوق المرض ... وكان قرار المطالبة هذا قد اقر بأغلبية ٤٤ صوتا (اصوات « التجمع » و« الاحرار المستقلون ») ضد ٢٠ صوتا للكتل الاخرى ، وامتناع « كتلة الاخوة » عن التصويت » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢١) .

ومع استمرار اضراب الاطباء اخذت الازمة بينهم وبين « ارباب العمل » تزداد تعقيدا ، الى درجة اضطرتهم التهديد بتصعيد اضرابهم ، فانهالت عليهم التهم التي وصلت حد وصف تصرفهم بأنه يتنافى مع الاخلاق ، وكتبت « يديعوت احرونوت » يوم ٧٣/٦/٢٦ : « ان الاطباء كانوا يحظون بعطف غير قليل من جانب الشعب الذي كان يتفهم كذلك الدوافع التي حملتهم على الاضراب ، وهذا العطف قد يتلاشى كليا بعد ان قرر الاطباء تصعيد العقوبات وقطع الاتصال مع ارباب العمل (الاطباء المضربون يعملون في المستشفيات ومراكز وعيادات صندوق المرض) . وان الاضراب المستمر الذي يعده لنا الاطباء يتنافى مع الاخلاق » . وجاء ضمن الحملة على الاطباء تصريح سكرتير الهستدروت الذي اتهمهم بأنهم « يعزلون انفسهم عن جمهور المستخدمين ، وانهم خلافا للحق يعتقدون انهم يستطيعون القيام بنضالهم بمعزل عن سائر مستخدمي الدولة » (رصد اذاعة اسرائيل ٢٨/ ٧٣/٦) .

وبرغم هذه الحملة التي تعرض لها الاطباء المضربون ، فانهم صعدوا اضرابهم في اليوم الثالث والعشرين للاضراب (اي يوم ٧٣/٦/٢٨)، « حيث اغلق في مستشفى ايخيلوف مثلا القسم الداخلي (و) واجزاء من قسم الجراحة ، والقسم الداخلي (أ) وارسل العشرات من المرضى الى منازلهم » (المصدر السابق) .

وفي اليوم ذاته كسب الاطباء الدعوى التي تقدموا بها الى المحكمة ، وسمح لهم بموجب قرار المحكمة بتقاضي اجور مقابل معالجة المرضى اعضاء صندوق المرض (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٩) .

والاقتراح الذي تقدم به مندوبون عن الحكومة ، ورفضه الاطباء يقضي ان « يصبح الراتب غير الصافي لمدير القسم بين ٥٢٠٠ و٥٣٠٠ ليرة اسرائيلية ويحتمل ان يصل الى ٥٤٠٠ ليرة ، ويصل راتب مدير مستشفى الى ٥٦٠٠ ليرة ، وراتب الطبيب الاختصاصي يبلغ ٣٥٠٠ ليرة ، والطبيب العادي في المستوصف يبلغ راتبه ٣٦٠٠ ليرة مقابل ٢٤٠٠ ليرة سابقا ، كذلك وافق مندوبو الحكومة على ان يضاف الى رواتب الاطباء مقابل تحسين الخدمات ، مثل الزيارات في المنازل ، ٢٥٠ ليرة اضافية » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٨). على ان هذه المبالغ هي مجمل الراتب قبل حسم الضرائب العديدة .

لكن اضراب الاطباء ظل مستمرا حتى مطلع هذا الشهر ، وانهي يوم ٧٣/٧/٤ ، وقالت جريدة « معاريف » انه « ليس في الاتفاق الذي تم التوصل اليه اي بند لم يكن بالامكان الاتفاق عليه قبل بدء الاضراب ، ولم يكن للاضراب اي داع ، ولم يكن بالامكان ان ينتهي بانتصار احد الطرفين » . (معاريف ٧٣/٧/٥) ، ولم ينشر اي توضيح لشروط الاتفاق ، لكن وزير الصحة اعلن بأن زيادة الرواتب لم تزد اكثر من ٤٥،٦ ٪ واعلن الاطباء في المقابل انهم احرزوا ما طالبوا به .

وفي حين كان اضراب الاطباء مستمرا فشلت المفاوضات بين النقابة القطرية للصحافيين الاسرائيليين وهيئة الاذاعة ، وبدأ اضراب الاذاعة منذ صباح يوم ٧٣/٦/١٢ ، حيث توقف البث من اذاعة اسرائيل نهائيا باستثناء ثلاث نشرات اخبارية يوميا فقط باللغتين العبرية والعربية في الساعات السابعة صباحا والثانية ظهرا والثامنة مساء ، كذلك استمر بث نشرات الانباء عبر البرامج الموجهة الى اوروبا الشرقية ، وتوقف بث برامج التلفزيون الاسرائيلي نهائيا وبدون استثناء . (صحف يوم ٧٣/٦/١٣) .

واستمر شل اذاعة العدو اسبوعا كاملا ، حيث استؤنف بث البرامج الاذاعية عند منتصف ليل ١٨ — ٧٣/٦/١٩ ، وذلك بعد توقيع ادارة مصلحة الاذاعة ووفد النقابة القطرية للصحافيين وممثلي المستخدمين على مذكرة تقضي بأن يطبق على الصحافيين في مصلحة الاذاعة الاتفاق الذي كان وقع من قبل مع المهندسين .

وقبل انهاء اضراب الصحافيين العاملين في اذاعة العدو بثلاثة ايام كان العمال المياومون في مصنع الورق في الخضيرة — وعددهم ٨٠٠ عامل — قد أعلنوا الاضراب ، وغادروا مواقع عملهم في حين استمرت الالات في المصنع بالعمل « الامر الذي عرض محتويات المصنع للخطر » على حد قول مجلس امناء المصنع ، الذي هدد العمال عندما فوض ادارة المصنع بالاستعداد لاغلاق المصنع « الذي يزود اسرائيل بـ ٥٠ ٪ مما تستهلكه اسرائيل من الورق، ويشغل عدا المياومين المضربين ٥٠٠ مستخدم شهري » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٠) . لكن مجلس عمال الخضيرة ايد الاضراب ومنح المضربين تأييدا تاما .

ويوم عودة الاذاعة الى العمل المنتظم ، اعلن مستخدمو الجمارك والضريبة الشرائية والمكوس في تل ابيب ايقاف اعمالهم لمدة ساعتين ، وعقدوا اجتماعا اقروا اثناءه قرارات لجنتهم القطرية التي دعت الى البدء بفرض العقوبات اعتبارا من يوم ٧٣/٦/١٩ ، وذلك احتجاجا على رفض سكرتارية هستدروت مستخدمي الدولة طلبهم بتشكيل لجنة للاطلاع على شروط العمل الخاصة بهم (هآرتس ٧٣/٦/٢٠) ، وبموجب هذه القرارات امتنع المستخدمون عن استقبال الجمهور بعد الساعة ١١ ظهرا .

ويوم ٧٣/٦/٢٦ بدأ العلماء الباحثون في جهاز الامن ممارسة عقوبات ادارية ، وطالبوا الهستدروت بالموافقة على اعلان الاضراب العام في مطلع هذا الشهر (تموز — يوليو) ، وقال هؤلاء في ندوة صحافية في حيفا انهم يطالبون الحكومة بالاعتراف بمبدأ وجوب مساواة اجورهم مع زملائهم في المؤسسات الثقافية العليا . (معاريف ٧٣/٦/٢٦) .

واعلنت منظمة المعلمين ونقابة المعلمين الثانويين يوم ٧٣/٦/٢٧ عن نزاع عمل وتهديدات باتخاذ تدابير منها الاضراب عن التدريس في مطلع العام تدرجهم مع سلم التدرج الجديد للمهندسين . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٧) .

وفي اليوم التالي قررت سكرتاريات هستدروت مستخدمي الدولة ، انه اذا لم تلب الحكومة حتى عشية يوم السبت ٧٣/٦/٢٩ طلبهم الرامي الى الشروع في مفاوضات فورية حول مطالبهم بدء اضراب (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٩) .

وطلب يغال الون من مستخدمي الدولة تأجيل الموعد الذي حددوه لبدء الاضراب ريثما يعود بنحاس سابير وزير مالية العدو من اميركا ، لكن سكرتاريات مستخدمي الدولة رفضت هذا الطلب، ثم عادت فقبلته . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٣٠) .

كذلك شهدت اسرائيل اضرابات اخرى منها اضراب كبار الاساتذة والمحاضرين في الجامعة العبرية في القدس يوم ٧٣/٦/١١ ، وكان زملاء المضربين في جامعة بار ايلان ينوون اعلان الاضراب هم ايضا ، الا ان رئيس قضاة المحكمة الاقليمية للعمل في تل ابيب اصدر أمرا مساء يوم ٧٣/٦/١٠ (عشية بدء الاضراب) منع السلك الجامعي في بار ايلان بموجبه من الاضراب ، « لكن القاضي لم يصدر أمرا مماثلا لمنع اعضاء سلك المساعدين من الاضراب ، وذلك لانهم مضربون منذ الشهر الماضي (أي شهر نيسان — ابريل) » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/١١) .

ولقد عبر عن الجو الذي يخيم على علاقات العمل في اسرائيل ، اعلان في جريدة «يديعوت احرونوت» في عدد يوم ٧٣/٦/١٥ ، دفعت ثمنه كتلة غاحال اليمينية المعارضة وجاء فيه :« ٨٠٠٠ طبيب يبحثون عن وزير الصحة ، ٥٠٠٠ عضو في سلك الجامعات يبحثون عن وزير التربية والتعليم ، ٣٥٠٠٠ مستخدمي السلطات المحلية يبحثون عن وزير الداخلية . ان الاضراب يشمل مستخدمي هيئة الاذاعة الذين يبحثون عن نائب رئيسة الحكومة . وجميع هؤلاء يبحثون عن وزير المالية . ايها المواطن ، هذا هو الواقع : الخدمات الاكثر حيوية معطلة ، وانت الذي يعاني من ذلك . استخلص النتيجة ، وتكتل حول كتلة غاحال » .

وبدون ان يكون واضحا بعد مستقبل الاضرابات الجديدة ، انتقل سيلها من شهر حزيران الى شهر تموز الحالي .

غولدا مئير : من الاصرار على الرفض .. الى الاصرار على الاستمرار !

رئيسة حكومة العدو غولدا مئير، اعلنت ، رسميا، في السابع عشر من شهر حزيران الماضي ، عن عزمها الاستمرار في تولي منصب رئاسة الحكومة فترة ولاية جديدة .

ومدة الولاية في اسرائيل اربع سنوات ، تنتهي بانتخابات برلمانية عامة لتشكيل الكنيست الجديدة المكونة من ١٢٠ عضوا .

وكانت مئير قد رددت على مدى اشهر عديدة اصرارها على رفض الاستمرار في رئاسة الحكومة في الولاية المقبلة ، وهو الاصرار الذي تراجعت عنه في واشنطن ، حيث اعلنت هناك ، بعد مقابلتها لنيكسون ، عبر احدى شبكات التلفزيون الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، بقولها : « ان استمراري في منصبي يرتبط بقرار الحزب ، فوجهوا السؤال حول هذا الموضوع الى حزبي » ، واعتبر هذا التصريح — مع العلم بأن الحزب كان قد طلب وألح عليها في الاستمرار بمنصبها — تراجعا عن اصرارها السابق ، ونزولا عند رغبة الرئيس الاميركي ، لا عند رغبة حزبها — وهو حزب العمل الحاكم .

وجاء اعلان مئير الرسمي عن تراجعها، واستعدادها للاستمرار في منصبها ، في رسالة وجهتها الى اعرون يدلين سكرتير عام حزب العمل .

وذكرت مصادر في قيادة حزب العمل التي رحبت بقرار مئير هذا ، ان الدافع وراء قرار مئير بالاستجابة للضغوط القوية التي وجهت اليها ، « يكمن في شبكة من التقديرات ، في وسطها تقديرات تتعلق بالجو المخيم حاليا داخل حزب العمل ، والذي يستدعي استمرار بقاء مئير في مركز القيادة لضمان وحدة الحزب » . (دافار ٧٣/٦/١٨) .

وكان قد برز داخل الحزب اكثر من مرشح لوراثة مئير ، وبدأت تتشكل — او يعاد تشكل — كتل داخل الحزب الواحد ، تدعم وتدعو كل كتلة لمرشحها . ومن هؤلاء المرشحين بنحاس سابير وموشي دايان ويغآل آلون .

وعندما سئل شمعون بيرس — وزير المواصلات الاسرائيلي — الذي يعتبر من الداعين الى دايان عما اذا كان ترحيب حزب العمل باعلان مئير انها ستترشح لمنصب رئاسة الحكومة لولاية جديدة، يعكس خوفا من مجابهة في الحزب بين المرشحين المحتملين ، اجاب بأن هذا الامر « صحيح نوعا ما » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٧) .

وموقف غولدا مئير الذي تحول من الاصرار على الرفض الى القبول بالترشيح تحول مرة اخرى الى الاصرار على ... استمرار الترشيح حيث أعلنت انها عندما قررت الاستمرار في منصبها لم تكن تعني انها ترمي الى تسليم المنصب بعد مدة الى شخص آخر ، « بل الاستمرار فيه طوال ولاية كاملة » . (معاريف ٧٣/٦/٢٠) . وعادت الى تأكيد اصرارها في الاستمرار في رئاسة الحكومة امام طلاب من جامعة النقب في بئر السبع . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/٦) .

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

حمل الاسلحة في لبنان

في ١٩٧٣/٦/٩ نشرت صحيفة « النهار » نقلا عن مصادر السلطة العسكرية اللبنانية « ان الاوامر المعطاة الى حواجز الجيش والدرك والشرطة في انحاء لبنان هي مصادرة كل سلاح ، وتوقيف حامله ايا تكن جنسيته ، وهذه الاوامر منسجمة مع الاتفاق اللبناني الفلسطيني الحاصل في ١٧ ايار » . وفي اليوم التالي أصدرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) عن مصدر فلسطيني مسؤول تصريحا ينفي وجود أي اتفاق من هذا النوع ويقول « اننا نؤكد مرة اخرى انه لم تجر أية اتفاقات بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية في ١٧ ايار ولم يجر أي اتفاق في شأن ما ذكرت « النهار » حول قضية حمل الاسلحة . وان حق ثوارنا في حمل أسلحتهم للدفاع عن انفسهم تكفله اوراق المهمات التي يحملونها من قبل قيادتهم ، وكذلك هو حق القيادات والضباط والمرافقين بحمل أسلحتهم » . ولم يصدر عن السلطة العسكرية اللبنانية بعد ذلك ما يؤكد نبأ صحيفة النهار او ينفيه رغم ان هذا النبأ يطرح مسألة عسكرية حساسة بالغة الاهمية وهي : هل يحق للثوار وقادة الثورة حمل سلاحهم في لبنان للدفاع عن أنفسهم ضد مختلف المخاطر ؟

الثوري ، كل ثوري ، سواء كان في القاعدة أم القمة ، عنصر معبأ دائما ومستنفر في كل الحالات ، وهو يعيش حالة « مهمة دائمة » ويعتبر نفسه تحت السلاح في كل لحظة . ويقدر العدو أهمية الانسان الثوري ويعتبره هدفا اساسيا للضربات المضادة ، خاصة وان قوى الثورة لا تقدم أهدافا ماديا تصلح للضرب الا نادرا . والهدف الوحيد الذي تقدمه هو الانسان الذي لا تندلع الثورة الا به ومن أجله . وما دام الانسان الثوري هدفا فان عليه حماية نفسه على اعتبار ان هذه الحماية جزء من حماية الثورة . وتتم الحماية بالاختفاء ، والسرية ، وتطبيق قواعد الامن ، والتمويه (بمعناه الواسع) خلال التنقل والاجتماع والاقامة ، وكلها تدابير حماية سلبية لا بد وان ترافقها تدابير حماية ايجابية تتمثل في استخدام السلاح دفاعا عن النفس .

وتزداد ضرورات الحماية الشخصية مع تزايد حجم الخطر . فهي تقل في المناطق النائية المعزولة او المناطق المحررة ، او المناطق التي تسكنها جماهير مؤيدة وتندر فيها حركة الاغراب ، كما تقل اذا كان العدو قليل الديناميكية او عندما تكبر التحديدات المختلفة التي تعرقل عمل العدو خارج مواقعه ، او خارج حدود البلاد المحتلة . على حين انها تزيد بشكل ملحوظ في المدن السياحية المفتوحة وفي المناطق التي تنشط فيها الاستخبارات المعادية المباشرة او غير المباشرة . واذا طبقنا هذه القاعدة على امن الثورة في الاراضي اللبنانية وجدنا ان هناك مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية التي ترفع مستوى الخطر وتزيد بالتالي ضرورات الحماية والامن .

واذا كان من واجب الثورة نفسها سد الثغرات الذاتية ، وضبط مسألة السرية ، ومنع تسرب المعلومات ، والحد من امكانات الاختراق والتغلغل بين صفوفها ، فانها لا تستطيع التأثير على الظروف الموضوعية المحيطة بها وهي : ١ ــ طبيعة العدو الاسرائيلي الديناميكية ، وتجاهله للاعراف الدولية وخرقه للحدود العربية تحت غطاء امبريالي يحميه من عقاب المجتمع الدولي . ٢ ــ نشاط الاستخبارات الامريكية في لبنان اعتمادا على قواعد ثقافية واقتصادية وسياسية واسعة الانتشار . ٣ ــ طبيعة النظام الاقتصادي اللبناني السياحي ــ الكومبرادوري وطبيعة النظام اللبناني الحر وما ينجم عنهما من تسهيلات يحصل عليها الاجانب في مجالات التحرك والاقامة والعمل وتساعد عمليات الزرع المؤقت او الدائم لعملاء الاستخبارات الاسرائيلية او الاستخبارات الامبريالية المتحدة عضويا مع الاستخبارات الاسرائيلية واستخبارات الدول العربية الرجعية المعادية للثورة .

من هنا تأتي أهمية تأمين الثورة لحمايتها الذاتية . ولقد اشارت مجلة فلسطين الثورة (١٩٧٣/٦/٢٠) الى هذه النقطة بقولها : « ونود ان نذكر هنا بما حدث في ١٠ نيسان [الاغارة الاسرائيلية على بيروت] حيث لم توفر السلطة الحماية المطلوبة للقادة الثلاثة حتى بالرغم من تواجد مساكنهم على بعد امتار من مواقع عسكرية للسلطة ، فكانت النتيجة التي شهدنا » . ولا تتعارض الحماية الذاتية بأي شكل من الاشكال مع السيادة

اللبنانية بل تتفق معها وتساندها لانها تجابه التعديات الامبريالية والاسرائيلية على امن لبنان وسيادته بشكل مباشر او غير مباشر .

لقد صرحت السلطات اللبنانية والقوى السياسية اللبنانية انها تؤيد الثورة الفلسطينية . وتعمل السلطات ما في وسعها وضمن حدود قدراتها للحفاظ على أمن هذه الثورة . ويمكن اعتبار تآمر القوى المعادية على الثورة تعديا من هذه القوى على السيادة اللبنانية ، على حين لا يمكن بأي شكل من الاشكال اعتبار الجهود التي تبذلها أجهزة الامن اللبنانية والجهود الفلسطينية المكملة لها [الحماية الذاتية] تعديا على هذه السيادة بل تدعيما لها . والحماية الذاتية بحاجة لعدة تدابير عملية من بينها حمل السلاح الذي لا يدخل في اطار التعدي على السيادة بل يدخل في اطار منع العدو الحقيقي من التعدي على هذه السيادة.

ولننظر الى الموضوع من جانب آخر . ان الدول التي تتعرض سيادتها وسلامة اراضيها للخطر تستخدم الاساليب الدبلوماسية والسياسية لدرء هذا الخطر ، كما تستخدم القوة المسلحة للغرض نفسه . وتنقسم القوة المسلحة هنا الى جيش نظامي وقوات امن (درك وشرطة) وميليشيا شعبية مسلحة (سواء كانت الميليشيا لبنانية أم فلسطينية) . وليس من المنطق اعتبار تسليح الميليشيا اللبنانية ، او تسليح سكان الجنوب ، او تسليح مفارز الدفاع الذاتي في المدن والمصانع والمؤسسات وكل ما يمكن ان يتعرض للعدوان انتقاصا من سيادة لبنان . وينطبق هذا القول على تسليح المخيمات المعرضة للعدوان ، وتسليح افراد الثورة الفلسطينية وقادتها ما داموا معرضين للخطر في كل لحظة وفي كل مكان .

والاخطاء ؟ ان المطالبين بمنع حمل السلاح يشيرون الى ما قد تشكله هذه الاسلحة من تحد للمشاعر وما قد تسببه من فوضى ، وبلبلة ، واعتداءات الخ ... ولكن لماذا تشكل الاسلحة بين ايدي الثوار كل هذه السلبيات ، ولا تكون كذلك اذا ما حملتها الشرطة او الدرك او الجيش؟ ان النظام العسكري والقوانين الصارمة التي تمنع السلبيات التي يمكن ان يقع فيها افراد القوات المسلحة النظامية عبارة عن اساليب انضباطية لها ما يماثلها داخل قوات الثورة مع فوارق نوعية تتعلق باختلاف القوات الثورية عن القوات النظامية . وكوادر الثورة قادرة على تأمين انضباط ثوري صارم نابع من الوعي السياسي الذي تتمتع به الكوادر والافراد وقناعتهم بقداسة مهمتهم التاريخية . ومن المحتمل ان يرتكب بعض الثوار أخطاء انضباطية ، ومن المحتمل ان يؤدي حمل السلاح الى سلبيات ، ولكن من الممكن ايضا انزال العقاب الثوري بالمخالفين . وكما ان من الخطأ المطالبة بسحب اسلحة الشرطة اللبنانية مثلا لان شرطيا استخدم مسدسه « الرسمي » لقتل جاره انتقاما او نتيجة عبث بالسلاح ، فان من الخطأ المطالبة بمنع الثوار من حمل السلاح خوفا من التجاوزات والسلبيات والاخطاء . ان الانسان واحد ، والخطأ البشري واحد ، والعقاب المطلوب واحد . ولكن العقاب ينصب على المذنب والمسيء، ولا يمكن ان يكون جماعيا . وخاصة اذا كانت جماعية العقاب تعني تعريض أمن الثورة كلها للخطر .

توحيد قوات الميليشيا الفلسطينية

عقدت قيادة المقاومة في الشهر الماضي سلسلة اجتماعات تم التوصل خلالها الى توحيد قوات الميليشيا في مخيمات لبنان . وذكرت صحيفة « النهار » ١٩٧٣/٦/١٦ : « واثر ذلك تشكلت قيادات في مختلف المخيمات لتطبيق الاجراء الجديد. وذكرت مصادر المقاومة ان هذا الاجراء هو خطوة أساسية في طريق الوحدة العسكرية الشاملة بين قوات المنظمات الفدائية » .

ويأخذ هذا الخبر أهمية بالغة من حقيقتين هما :

١ — ان استراتيجية العدو وأساليبه لردع الثورة ومجابهتها تعتمد على شن حرب مستمرة ضد قوى الثورة في كل مكان عن طريق تسديد ضربات هجومية تشمل مواقع الثورة ومعسكراتها ومقرات قياداتها ، كما تشمل مخيمات الفلسطينيين ومراكز تجمعاتهم . ٢ — ان الميليشيا الفلسطينية هي الجماهير المعبأة والمسلحة والمستعدة لحماية الثورة والدفاع عن المخيمات ومراكز التجمع .

ومن المعروف ان هذا الدفاع يتم وفق اسلوب الدفاع عن مواقع الاقامة المؤقتة لا وفق اسلوب الدفاع عن جبهة محددة. لذا فهو يعتمد على الرصد والانذار ومخافر الحراسة لمنع المفاجآت ، مع السماح لبقية المقاتلين (الميليشيا) بالراحة ، شريطة ان يستطيع هؤلاء المقاتلون الالتحاق بمواقعهم (التي تكون نقاطا دفاعية او مجموعات احتياطية متحركة) فور بدء الانذار بغية الاشتراك بمهماتهم في قطاعات سكنهم — لا في قطاعات موزعة

على المنظمات — وفق خطة مدروسة واقعية جرى التدريب عليها بشكل مسبق .

ولا يمكن تنظيم هذا الدفاع ، واعداد المتطلبات الادارية اللازمة له، والقيام بتدابير الامن والتوعية الاساسية الا اذا كانت القوة القائمة به (الميليشيا) موحدة تعمل تحت قيادة ميدانية مركزية واحدة . وتقول كراسة دراسات حول بعض قضايا حرب الشعب — الدفاع عن المخيمات(مركز التخطيط): « لا يمكن لاية منظمة من منظمات الثورة الفلسطينية الموجودة في مخيم ما تنظيم الدفاع عن هذا المخيم بشكل منفرد . ولا بد ان يكون الدفاع واحدا ، وان تكون خطته واحدة متكاملة مع توزيع المهمات على المنظمات . ويخطىء من يظن ان التنسيق في هذه الحالة يكفي لمجابهة مسائل اعداد الدفاع قبل المعركة ، وتنفيذ المعركة الدفاعية . لان التنسيق بين عدة أطراف ، مهما ارتفع مستواه وحسنت نوايا المشتركين فيه ، عاجز عن مجابهة عدو يعمل ككتلة واحدة . واذا كان التنسيق في الاستراتيجية وعمليات الوحدات الكبرى وعلى مستوى قيادات المنظمات ممكنا بل ومطلوبا فان التنسيق في تكتيكات المجموعات الثورية الصغيرة داخل المخيمات امر غير مجد ولا بد من الاستعاضة عنه بتوحيد القوة تحت امرة قيادة ميدانية واحدة. تمارس دورها خلال الاشتباك بشكل فعلي » . (ص ٤) .

ان الجماهير الفلسطينية تواقة لرؤية اليوم الذي تتوحد فيه القوات المسلحة لجميع المنظمات ، لان هذا التوحيد هو السبيل الامثل لتصعيد العمليات ، وتسهيل مهمات القيادات وتوفير جهودها ، ورفع مستوى الامن والانضباط، وتحسين حالة التدريب ، وتدعيم الوعي السياسي وانهاء حالة التشتت وتعدد الولاءات . ومن الملاحظ ان التنظيمات كلها تعمل ما بوسعها لتنفيذ قرار التوحيد وتحقيق تلاحم الميليشيا بأسرع وقت ممكن. ومن المنتظر ان نرى عما قريب ميليشيا فلسطينية أشد وعيا واكثر قوة وانضباطا وقدرة على تنفيذ المهمات القتالية .

صواريخ سام — ٦ السوفييتية في سوريا

الدرع يكمل السيف ، وكل سلاح يستخدم في تقوية الدفاع يقوي بالتالي فاعلية القوة الهجومية ويزيد امكاناتها الضاربة واحتمالات نجاحها . هكذا ينبغي ان نفهم حصول الجمهورية العربية السورية على مزيد من الصواريخ المضادة للطائرات ، ومن بينها صواريخ سام — ٦ . فلقد نشرت **الجيروزاليم بوست** في عددها الصادر في ٧٣/٦/٢١ نقلا عن « مصادر اسرائيلية مسؤولة » أن سوريا تلقت من الاتحاد السوفييتي عددا من بطاريات سام — ٦ ووزعتها حول دمشق . وان هذه الصواريخ هي أحدث ما في الترسانة السوفييتية المضادة للطائرات من أسلحة (لوريان لوجور ٦/٢٢/ ١٩٧٣) .

وتعتبر سوريا الدولة الثانية — بعد جمهورية مصر العربية — التي تحصل على هذه الصواريخ الحديثة . الصالحة لمجابهة الطائرات المحلقة على ارتفاعات منخفضة وارتفاعات عالية . ويبلغ طول الصاروخ سام —٦ ستة أمتار ومجال عمله من ٩٠ مترا حتى ٣٠،٠٠٠ متر لا ١٠،٠٠٠ متر كما ذكرت المراجع الغربية من قبل عندما قارنت هذا الصاروخ مع صاروخ هوك . وهو يعمل بالوقود الصلب ، ويمتلك اجهزة خاصة للاحقة الهدف ، ويمتاز بأنه سهل الحركة ويصعب تحديد موقعه بالرصد الجوي نظرا لان شاحنته التي تحمل ٣ صواريخ تعتبر واسطة نقل وقاعدة اطلاق بآن واحد . وهذا ما يعطيه مرونة كبيرة ، ويحمي قواعده من اخطار الطيران المعادي الذي لا يزال متفوقا في سماء المنطقة . ومن المؤكد ان هناك اهمية عسكرية لوجود بطاريات سام — ٦ في مصر وسوريا الى جوار شبكة بطاريات سام — ٢ وسام — ٣ التي يبلغ مجموعها — حسب التقديرات الاسرائيلية — ١٥٠ بطارية.لان هذه الانواع الثلاثة من الصواريخ تكمل بعضها وتخلق شبكات دفاع متطورة على الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة والعالية . الامر الذي يؤدي عند انتشار القواعد في جميع المناطق الحساسة الى افقاد السلاح الجوي الاسرائيلي لجزء كبير من أهميته ، وحرمانه من امكانات الردع والضرب بالعمق بلا عقاب . هذا في الدفاع . أما في الهجوم فان المدى البعيد لهذا الصاروخ وقدرته على الحركة يجعلانه قادرا على حماية سماء المعركة الهجومية من موقعه حتى حدود المهمة اليومية للفرقة ، والتحرك خلال الليل لاخذ مواقع جديدة يستطيع منها حماية سماء الارض المكتسبة خلال اليوم السابق ، وحماية سماء المعركة الهجومية لليوم التالي . وتعلق اسرائيل اهمية كبيرة على المغزى السياسي لهذه الصفقة . ويرى العميد الاحتياطي حاييم هرتسوغ كبير المعلقين

العسكريين الاسرائيليين « ان هذا يثبت ان روسيا على الرغم من أن نقطة الثقل في مجهودها في الشرق الاوسط تتركز اليوم في الخليج الفارسي [العربي] وخاصة في العراق فانها لا تقلص مجهودها في هذا الجزء من المنطقة ، اي في دول المجابهة مع اسرائيل » ... « ولا يسمح الاتحاد السوفييتي للعرب بالتخلف في مستوى الاسلحة الموجودة في حوزتهم ، وهذا لا يعود الى ان الروس مهتمون بالضرورة بضمانة ابقاء الكلمة الاخيرة للعرب ، في ما يتعلق بالاسلحة والمعدات ، بل يعود الى ان هناك سباقا آخذا بالاشتداد اليوم ، مع دول غربية ، وخاصة بريطانيا وفرنسا ، اللتان تهتمان بالحلول محل الروس كمصدر لتسليح الدول العربية » (ر. أ. أ. ملحق العدد ٢٥٠ ص ١١٦) . وتذكر وكالات الانباء عن لسان هرتسوغ نفسه « ان تزويد مصر وسوريا بصواريخ من نوع سام ـ ٦ في وقت تعقد فيه محادثات قمة في واشنطن لخفض حدة التوتر في العالم يدل على ان الاتحاد السوفييتي غير مستعد للتخلي حتى عن جزء من أهدافه في هذه المنطقة » (النهار ٧٣/٦/٢٣) .

ان التعاون السوفييتي ـ السوري في مجال تدعيم القوة المسلحة السورية هو جزء من التعاون السوفييتي ـ السوري غير المشروط في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية . وتذكر مجلة نيوزويك « ان دمشق حصلت في هذا العام على اسلحة سوفييتية يقدر ثمنها بـ ١٨٥ مليون دولار ، وتضم هذه الاسلحة الطائرات والدبابات وصواريخ ستريلا الفردية المضادة للطائرات (التي كانت من أنجح الاسلحة في يد الشيوعيين في فيتنام) . ومجمل ثمن ما حصلت عليه سوريا خلال عام ١٩٧٢ كله هو ١٥٠ مليون دولار » (نيوزويك ١٩٧٣/٧/٩) . وتقدر المجلة عدد الخبراء والفنيين السوفييت العاملين في سوريا بـ ١٤٠٠ شخص ، وهذا رقم متوافق مع ارقام معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن الذي يقدر عدد الخبراء والفنيين السوفييت في سوريا بـ ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ شخص

The Military Balance 1972 - 1973.

ان حصول سوريا على الاسلحة والمساعدات حق من حقوقها وواجب قومي مفروض عليها رغم حاجة مشروعاتها الانمائية والبنائية والتعليمية الخ ... لكل ليرة اضافية . ومهما قيل عن اعباء هذه المصروفات وتأثيرها على خطط البناء الداخلي فهي جزء من قدر الشعب العربي السوري ، وضريبة قومية يدفعها عن طيب خاطر ، وضرورة ملحة لكل دفاع يمنع العدوان والاغتصاب ، وكل هجوم يحرر الارض المغتصبة .

الاردن تطلب اسلحة بريطانية جديدة

في يوم ١٩٧٣/٧/١٠ وصل الملك حسين الى لندن قادما من ايران لاجراء محادثات سياسية وعسكرية مع زعماء الحكومة البريطانية ومن بينهم رئيس الوزراء ادوارد هيث ، ووزير الخارجية اليك دوغلاس هيوم ، ووزير الدفاع لورد كارنغتون ، والوزير المسؤول عن المساعدات للبلدان الاجنبية ريتشارد وود . ولقد نقلت اذاعة اسرائيل عن صحيفة الغارديان « ان حسين يأمل في عقد صفقة أسلحة هنا بمبلغ ٢٥ مليون جنيه استرليني . فهو قلق حيال تزايد القوة الاسرائيلية في مجال المدرعات . ويريد أن يحصل من بريطانيا على دبابة تشيفتن المتطورة » (ر.أ.أ. ملحق العدد ٢٦٦ ، ص ٢٨٤) .

وتعتبر الدبابة تشيفتن من أحدث الدبابات في العالم . وهي دبابة ميدان رئيسية ثقيلة مزودة بمدفع عيار ١٢٠ مم مع عداد مدى قادر على حساب المسافات من ٥٠٠ الى ١٠،٠٠٠ متر واجهزة للقتال الليلي . ويستطيع مدفع الدبابة الرمي على مسافة ٣٠٠٠ متر بقذائف APDS و٨٠٠٠ متر بقذائف HESH (وبعد المدى امر مهم في قتال الدبابات وخاصة في المعارك التصادمية) . وكانت بريطانيا قد قررت تزويد قواتها المدرعة بهذه الدبابة ، ثم باعت ٨٠٠ دبابة منها لايران على ان تسلم على دفعات ، بدأ تسليم الدفعة الاولى منها في عام ١٩٧٢ . ومن المحتمل ان ترفض بريطانيا بيع هذا النوع من الدبابات للاردن بعد أن رفضت بيعه لاسرائيل نظرا لان السياسة البريطانية المعلنة تعارض بيع دبابات تشيفتن الى البلدان المشتركة في النزاع العربي ـ الاسرائيلي . وحتى لو استطاع الملك حسين الحصول على عدد من هذه الدبابات فان الصفقة التي سيعقدها ستبقى مقيدة بحدود الموقف البريطاني من مسألة النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ذلك الموقف الذي عبر عنه جوزيف غودبر امام الجمعية العربية ـ البريطانية بقوله بأن بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب

« شريطة ان لا تؤدي الاسلحة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » (النهار ٢٢/٨/ ١٩٧٢) ، كما عبر عنه الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١٩٧٢/١٠/١١ « ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تفرض حظرا على الاسلحة ، ولكنها لا ترسل الى المنطقة أسلحة تخل بميزان القوى » (ر. أ. أ. ملحق العدد رقم ٩٢) .

ان الدبابة تشيفتن ضرورية جدا لتدعيم سلاح المدرعات الاردني الذي لا يضم دبابات ثقيلة او قانصات دبابات . وكل ما فيه عبارة عن دبابات متوسطة يبلغ عددها حوالي ٣٤٤ دبابة (١٩٠ دبابة امريكية من طراز م — ٤٧ ، و١٤ دبابة امريكية من طراز م — ٦٠ ، و١٤٠ دبابة انكليزية من طراز سنتوريون) The Military Balance 1972 - 1973. وهذا هو ما يدفعه الى السعي للحصول على دبابات ثقيلة تحقق التوازن داخل سلاحه المدرع ، وتجعل هذا السلاح قادرا على تنسيق قواه لتنفيذ مختلف المهمات في المعركة .

وبالاضافة الى الدبابات فان من المحتمل ان يطلب الملك حسين عددا من طائرات لايتيننغ وذلك لتدعيم سلاحه الجوي الذي لا يضم سوى ٥٠ طائرة مقاتلة (٢٥ طائرة بريطانية من طراز هوكر هنتر للهجمات الارضية ، و١٥ طائرة امريكية من طراز ف — ١٠٤ أ)

The Military Balance 1972-1973

ولكن لماذا يتجه الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي نحو لندن للحصول على الدعم السياسي والعسكري بدلا من متابعة التوجه نحو واشنطن التي لم تتأخر في دعمه وباعته عددا من الدبابات الحديثة وسربين (٢٤ طائرة) من الطائرات المقاتلة الجديدة ف — ٥ التي يطلق عليها لقب « فانتوم الدول النامية » ؟ ان الملك حسين يجد نفسه اليوم في مأزق سياسي ، ويرى بأنه فقد القدرة على المشاركة في رسم سياسة المنطقة ، وان مشروع اقامة الدولة الفلسطينية الذي أيده عدد من الدول العربية ورفضته المقاومة بشكل حاسم ، موجه ضد مملكته التي يخشى ان تتقلص حدودها الى حدود امارة شرق الاردن القديمة . لذا فقد وجد ان من مصلحته ان يلجأ الى اصدقائه القدامى بعد ان لاحظ ميل اصدقائه الجدد لمشروع الدولة الفلسطينية .

ومهما يكن من أمر ، وسواء حصلت الاردن على أسلحتها من بريطانيا او من الولايات المتحدة الامريكية فان تحديد الاهمية القومية لهذه الصفقة مرتبط ارتباطا وثيقا بالطبيعة الطبقية لليد التي ستستخدم هذه الاسلحة ، والجهة التي ستسدد اليها ، والاهداف التي ستخدمها ، لان هذه الامور تحدد في النهاية ما اذا كانت الاسلحة معدة لمعركة التحرير ام لقمع الجماهير . ولا شك في أن جماهير الشعبين الفلسطيني والاردني تعلمت كثيرا من الدروس الثمينة في هذا المجال خلال معاركها المستمرة مع النظام الاردني .

ومن الواضح ايضا ان دبابات تشيفتن المطلوبة من بريطانيا والاسلحة الانكلو — امريكية الاخرى ستلعب بالاضافة الى دورها القمعي الداخلي دورا عربيا يتمثل في خلق قوة قادرة على مضايقة النظامين السوري والعراقي ، ولو بشكل محدود. وتذكر الاسوشيتدبرس في معرض الحديث عن زيارة الملك حسين لبريطانيا التي انتهت دون صدور بلاغ مشترك بريطاني — اردني ، ان ملك الاردن ورئيس الوزراء البريطاني بحثا الوضع في الخليج واتفقا « على وجوب منح ايران كل التأييد الممكن لسياستها الخاصة بايجاد الاستقرار في الخليج ومقاومة الضغط العراقي » (العمل ٧٣/٧/١٤). وهكذا تدعم الاردن قواتها المسلحة ، وتشحذ أسلحتها ، وتعد ما استطاعت من « قوة » بانتظار جولة جديدة على طريق « فتنمة » المنطقة العربية، وعلى طريق التحول الكامل للصراع العربي — الامبريالي الى صراع عربي — عربي سافر .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٣ — ١٩٧٣/٧/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو: البشرية قتيل جريح	خسائر العدو: المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٦/١٤	ظهرا	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٤٢	٦/١٥
٢	٦/١٥	مساء	طولكرم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل واحراق محتوياته	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٤٣	٦/٢٥
٣	٦/٢٩	٢٢،٣٠	نحلات بن يافي/تل ابيب[1]	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	تدمير المركز المهني في شارع عيحت اسرائيل — تدمير شارع السوق بما فيه من متاجر ومستودعات بلغ عددها ١٠ متاجر ومستودع — تدمير مصنعا للورق — تدمير معمل كيماويات — تدمير مصنع صابون كما امتدت النيران الى عدة ابنية مجاورة	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٤٤	٦/٣٠
٤	٦/٣٠	١٨،٠٠	١— غادة بلفور/قرب مطار رامات دافيد الحربي ٢— احراش بيت كبشيت/ الناصرة (مناطق عسكرية)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	— احتراق ٤٠٠ دونم من غادة بلفور — امتداد النيران الى معسكرات العدو واصابة المنشآت بأضرار — احتراق ١٠،٠٠٠ شجرة حرشية في بيت كيشيت — اصابة مجمع للثروات الحيوانية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٤٥	٧/ ١

٥ — ٧/١	١١٤٠٠	مزراتس/شرق مدينة حيفا (منطقة عسكرية)	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	—	—	— تدمير القسم الشمالي من معمل البتروكيماويات	تصريح عسكري رقم٧٤٦ ٧/ ٤
٦ — ٧/ ٦	٢١٤٣٠	طريق الحميدية(٢)/بيسان في الغور الشمالي	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	—	—	— اعطاب احدى آليات الدورية الثلاث واصابة عدد من الافراد	تصريح عسكري رقم٧٤٧ ٧/ ٧
٧ — ٤/١٨	ظهرا	القدس	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	—	—	— تدمير واحراق أجهزة التبريد في دار الاذاعة وامتداد النيران الى قسم الارشيف وبعض المكاتب في الطابق العلوي	تصريح عسكري رقم٧٤٨ ٧/ ٧
٨ — ٧/ ٨	ظهرا	كربات اونو/بين تل ابيب وبتاح تكفا	حرق	غير محدد	غيرمحدد	—	—	— حرق ٤٠٠ دونم من مزارع الحمضيات واستمرت النيران لمدة خمس ساعات	تصريح عسكري رقم٧٤٩ ٧/ ٩
٩ — ٧/ ٩	—	مطار دوف(٢) العسكري/ شمال شرقي تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	— حريق هائل في مصفاة البترول كما امتدت النيران الى مخازن الوقود	تصريح عسكري رقم٧٥٠ ٧/١٠
١٠ — ٧/ ٩	—	بني براك/شمال مستوطنة رامات جان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	— تدمير المنشأة	تصريح عسكري رقم٧٥١ ٧/١٠
١١ — ٧/١١	صباحا	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	— تدمير مجمع الضغط العالي الذي يزود تل ابيب والمنطقة الجنوبية بالكهرباء	تصريح عسكري رقم٧٥٢ ٧/١٢
١٢ — ٧/ ٦	—	دورا/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	— تدمير جزء من مكتب العمل واحتراق محتوياته كما يعتقد بوجود اصابتين	تصريح عسكري رقم٧٥٣ ٧/١٢

١ ــ اذاع راديو اسرائيل بتاريخ ١٩٧٣/٦/٣٠ في الساعة التاسعة ان النيران تشتعل في مجموعة من المعامل والمصانع في منطقة نحلات بنيامين بتل ابيب . واضافت بان النيران قد شبت مساء ٦/٢٩ وحاول عشرات من رجال الاطفاء اخمادها طوال الليل ، وقد أصيب ستة منهم بحروق ونقلوا الى المستشفى . وتشتعل النيران في المركز المهني القريب من رحوبوت ، عيمق يزراعيل ، نحلات بنيامين ، وشارع السوق ، وأبادت النيران حتى الان معامل نجارة ومستودعات اخشاب ومعامل ورق ومستودعا كيماويا ومعملا للصابون . وقطعت شركة الكهرباء التيار عن المنطقة واغلقت الشرطة الشوارع بوجه حركة السير ... بلغت قيمة الخسائر مليون ليرة. (راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** [الصادرة يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] العـــدد ٢٥٧ بتاريخ ١٩٧٣/٦/٣٠ ص ١٦٠) .

٢ ــ اعترف العدو بالعملية اذ اعلن « أطلقت امس في منطقة سهل بيسان بالقرب من كيبوتس حمدية عدة طلقات على دورية لحرس الحدود ، ولم يصب أحد بأذى . ورد افراد الدورية باطلاق النار ... » . (نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** العدد ٢٦٣ بتاريخ ١٩٧٣/٧/٧ ص ٢١٤) .

٣ ــ اعترف العدو بالعملية اذ اعلن « أخمد رجال الاطفاء في تل ابيب مساء اليوم الحريق الهائل الذي هدد مخازن النفط قرب مطار دوف ... » . (نشرة **رصد اذاعة اسرائيـــل** العـــدد ٢٦٥ بتاريـــخ ١٩٧٣/٧/١٠ ص ٢٢٤) .

* **ملاحظة** : تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

وثيقة جديدة

اعادة توطين اللاجئين

اتفاقية هبة

هذه الاتفاقية ، المؤرخة ٦ نيسان ١٩٧٣ ، معقودة بين حكومة الولايات المتحدة الاميركية الممثلة بوزارة الخارجية (« الوزارة ») ، والنداء الاسرائيلي الموحد ش.م. ، وهي وكالة تطوعية لا تستهدف الربح ، منظمة وقائمة بموجب قانون عضوية الشركات لولاية نيويورك ، وتوجد مكاتبها الرئيسية في ٥١٥ بارك أفنيو ، نيويورك ، ولاية نيويورك ١٠٠٢٢ (« المتلقي ») .

المادة ١ — الهبة

فقرة ١،١ **الهبة** . بالاستناد الى الفقرة ١٠١ (ب) من قانون التفويض في العلاقات الخارجية للولايات المتحدة لعام ١٩٧٢ والتشريع المتعلق بالمخصصات ، واستنادا الى بنود وشروط هذه الاتفاقية ، تهب الوزارة بموجب هذه الاتفاقية للمتلقي مبلغا لا يزيد عن واحد وثلاثين مليون (٣١،٠٠٠،٠٠٠) دولار اميركي لتقديم المساعدة لاعادة توطين اللاجئين اليهود او من هم في وضع مشابه من اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في اسرائيل ، (يشار اليهم فيما بعد بكلمة « اللاجئين ») .

فقرة ١ ، ٢ **استعمال الاموال** . (أ) ان اموال هذه الهبة سوف تستعمل من اجل (١) العناية والمحافظة على ، وبناء او توسيع مركز عبور للاجئين في فيينا ، النمسا ، في طرقهم الى اسرائيل . (٢) تعليم وتدريب واعادة تدريب اللاجئين . و (٣) بناء وحيازة مساكن جديدة ، جناح مستشفى ، ومراكز استيعاب واستقبال للاجئين . ان اموال هذه الهبة سوف تخصص وتوزع على البرامج المحددة في الفقرة ١ ، ٢ (ب) ادناه ، والتي سيجري وصفها بشكل اوفى في المادة ٢ (« البرامج ») .

(ب) ان البرامج والحد الاقصى المخصص لكل منها من هذه الهبة ستكون على الشكل التالي :

البرنامج	المبلغ بالدولار
١ — تكاليف العناية والرعاية في الطريق لـ ٣٠٠٠٠ لاجيء	١٤٢٠٠،٠٠٠
٢ — انشاء او توسيع مركز العبور في فيينا ، النمسا	٥٠٠،٠٠٠
٣ — انشاء او استملاك مراكز استيعاب واستقبال جديدة	٤٤،٠٠٠،٠٠٠
٤ — انشاء او استملاك جناح مستشفى	٢٤،٠٠٠،٠٠٠
٥ — انشاء او استملاك شقق و/ او بيوت متنقلة	١٥٤٧٠٠،٠٠٠
٦ — منح جامعية	١٤١٠٠،٠٠٠
٧ — تدريب واعادة تدريب الحرفيين والفنيين	١٤٠٠٠،٠٠٠
٨ — تكاليف رعاية للمتدربين اثناء العمل	١٤٢٥٠،٠٠٠
٩ — تكاليف رعاية في اولبانيم ، ومراكز الاستيعاب والاستقبال	٤٤،٢٥٠،٠٠٠
المجموع	٣١٤٠٠٠،٠٠٠

فقرة ١ ، ٣ **اعادة التخصيص** . يمكن اجراء تعديل على المبالغ المخصصة للبرامج المبينة في الفقرة ٢،١

---

* كلمة لاجئين المستعملة في هذه الوثيقة وضعت خصيصا من قبل واضعي الوثيقة بدلا من كلمة مهاجري الاتحاد السوفياتي لاضفاء صبغة انسانية على المشروع ولايهام العالم بان المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي هاربون من الاضطهاد .

(ب) بشرط (أ) الحصول على موافقة مكتوبة مسبقة بهذا الشأن من الوزارة للمتلقي . (ب) كل زيادة في المبلغ المخصص لبرنامج يجري مقابلها تخفيض مساو لها من المبلغ المخصص لبرنامج او اكثر من البرامج الاخرى و (ج) لا يتعدى مجموع هذه الزيادات ٣،١٠٠،٠٠٠ دولار .

المادة ٢ — البرامج

فقرة ٢،١ **العناية والرعاية في الطريق** . يمنح المتلقي مبلغ ٤٠ دولارا للوكالة او المنظمة التي تدير مركز العبور في فيينا في النمسا عن كل لاجيء تستقبله بين الاول من كانون الثاني الى ٣١ كانون الاول ١٩٧٣ . وتستخدم هذه الاموال فقط وبشكل مباشرة من اجل رعاية اللاجئين والعناية بهم في طريقهم الى اسرائيل ومن اجل نفقات تشغيل المركز المرتبطة بصورة مباشرة برعاية اللاجئين والعناية بهم.

فقرة ٢،٢ **مركز العبور** . ينشيء المتلقي مرفقا جديدا او يعيد تصميم و/ او يوسع مركز العبور الحالي خارج فيينا ، النمسا ، لاستعماله من قبل اللاجئين في طريقهم الى اسرائيل . ويساهم المتلقي بمبلغ لا يقل عن ٥٠٠،٠٠٠ دولار لاغراض هذا البرنامج من مصادر غير هذه الهبة . ويبدأ البرنامج في أو قبل ١٥ حزيران ١٩٧٣ ، وينتهي في ٣٠ حزيران ١٩٧٥ .

فقرة ٢،٣ **مراكز الاستيعاب والاستقبال** . يستملك المتلقي او ينشيء مرافق جديدة لاسكان (أ) عائلات اللاجئين القادمة حديثا الى اسرائيل والتي يتلقى واحد او اكثر من افرادها تدريبا في اللغة او في غيرها لفترة محدودة قبل استقراره بصورة اكثر دائمية (ب) اللاجئين الافراد الذين يتلقون بصورة مشابهة ، تدريبا في اللغة او غيرها لفترة محدودة . ان هذا الاسكان سوف يشار له بعبارة « مراكز الاستيعاب » و « مراكز الاستقبال » على التتالي ، ولا يقصد منها ان يشغلها اللاجئون او غيرهم بصورة دائمة . ان اي التزام رسمي او انفاق للاموال على هذه الاغراض من قبل المتلقي بعد ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ، سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢،٤ **جناح المستشفى** . يستملك المتلقي او ينشيء مرافق مستشفى جديد بحيث يكون موقعه وتجهيزه متناسبا مع الاحتياجات الطبية للاجئين . ويجري انشاء وتجهيز هذه المرافق على أحدث مستوى مطبق في ظل ظروف مشابهة في اسرائيل . ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبل المتلقي على هذه الاغراض سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢،٥ **الاسكان الدائم** . يستملك المتلقي او ينشيء بنايات جديدة ذات شقق ، او بيوتا جديدة متنقلة ، اذا وجد ذلك معقولا ومرغوبا ، لاستعمالها للسكن من أجل توطين اللاجئين . هذا الاسكان يجب ان يصمم وينشأ بحسب مستويات عمرانية وهندسية جيدة ، وفي جميع الاحوال بحسب المستويات التي تعادل، على الاقل، تلك المستويات السائدة في المناطق المجاورة . ان أي التزام او انفاق للاموال من قبل المتلقي على هذه الاغراض بعد ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ، سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢،٦ **المنح الدراسية ، التدريب واعادة التدريب** : يقدم المتلقي للوكالات والمؤسسات المناسبة في اسرائيل المبالغ المحددة في الفقرة ٢،١ (ب) (٦) و(٧) المذكورة اعلاه لتوفير (أ) التعليم الجامعي للطلاب واللاجئين المؤهلين و(ب) تدريب واعادة تدريب الحرفيين والفنيين من اللاجئين ذوي المهارات والميول المناسبة . ان الاموال التي يقدمها المتلقي بالاستناد الى هذه الفقرة ٢، ٦، سوف تستعمل فقط وبصورة مباشرة من أجل الخدمات التعليمية والتدريبية ، ويجب ان لا تستعمل للمساعدة في العناية باللاجئين ورعايتهم او لاي غرض آخر . ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبل المتلقي على هذه الاغراض بعد ١ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، سوف تعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢،٧ **تكاليف الرعاية في اسرائيل.** (أ) يستخدم المبلغ المشار اليه في الفقرة ٢،١ (ب) (٧) لرفع دخول اللاجئين الذين يتلقون تدريبا اثناء العمل ، والذين تقل دخولهم عن دخول الاشخاص الذين يقومون بعمل مشابه في اسرائيل على اساس الدوام الكامل . هذه الدفعات سوف لا تقدم للاجئين الذين يتلقون تكاليف رعاية بموجب الفقرة ٢، ٧ (ب) المذكورة ادناه ، وسوف تدار بموجب المبادىء والاسس التي تدار بموجبها البرامج المشابهة الموجودة حاليا في اسرائيل .

(ب) ان المبلغ المشار اليه في الفقرة ٢،١ (ب) (٩) سوف يستخدم من أجل العناية ب ورعاية اللاجئين المنتسبين لـ « اولبانيم » (بحسب الاستعمال

الشائع لهذا الاصطلاح في اسرائيل في هذا التاريخ)، وفي مراكز الاستيعاب ومراكز الاستقبال (بحسب وصفها في الفقرة ٢، ٣، اعلاه) .

(ج) يجري تقديم تكاليف الرعاية من خلال واحدة او اكثر من الوكالات او المنظمات المسؤولة عن ادارة هذه البرامج او المرافق المشار اليها في هذه الفقرة ٢، ٧، على ان تستخدم هذه المبالغ فقط وبصورة مباشرة من أجل رفع الدخول او العناية باللاجئين ورعايتهم ، ويجب ان لا تستخدم بأية صورة اخرى ، بما في ذلك ، وليس هذا على سبيل الحصر ، النفقات الادارية العامة ، او التكاليف غير المباشرة لادارة الوكالات والمنظمات . ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبل المتلقي على الاغراض المحددة في الفقرة ١، ٢ (ب) (٨) و (٩) بعد ١ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، سوف تعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

المادة ٣ ــ الصرف

فقرة ٣، ١ **الصرف** . (أ) بتاريخ لا يتجاوز ١٥ يوما بعد تاريخ هذه الاتفاقية تقوم الوزارة بتسليم ممثل عن المتلقي ، يعين بموجب الفقرة ٣، ٢ (ب) (١) ادناه ، في مكاتب الوزارة في جنيف بسويسرا شيكا او شيكات بمبلغ بقيمة عشرة ملايين (١٠،٠٠٠،٠٠٠) دولار امريكي تدفع لـ « النداء الاسرائيلي الموحد ، ش. م. » .

(ب) الدفعات التالية تدفع بنفس الطريقة وبنفس المكان ، بالشكل التالي :

١ ــ في ١٥ ايار ١٩٧٣ ١٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار
٢ ــ في ١٥ حزيران ١٩٧٣ ١١،٠٠٠،٠٠٠ دولار

فقرة ٣،٢ **شروط سابقة** . باستثناء موافقة الوزارة كتابيا على العكس ، فان كل عملية صرف بموجب الفقرة ١،٣ سوف تكون خاضعة لاستكمال البيانات والضمانات والتعهدات من قبل المتلقي بالصورة الواردة ادناه بتاريخ الصرف ، ولاستلام الوزارة شهادة مقدمة بنفس التاريخ ، من قبل وبالنيابة عن المتلقي ، يقدمها مسؤول او ممثل مفوض عنها تكون صورتها كالتالي : « استنادا الى الفقرة ٣، ٢ (أ) من اتفاقية هبة لاعادة توطين اللاجئين المعقودة بتاريخ ٦ نيسان ١٩٧٣ (« الاتفاقية ») بين الولايات المتحدة الاميركية ، الممثلة بوزارة الخارجية («الوزارة») والنداء الاسرائيلي الموحد ش. م. ، وهي وكالة تطوعية لا تستهدف الربح ، منظمة وقائمة بموجب قانون عضوية الشركات لولاية نيويورك (« المتلقي ») ، فان الموقع ادناه يشهد بهذا انه مسؤول او ممثل للمتلقي ، ومفوض حسب الاصول لتقديم هذه الشهادة ، وانه ، بناء على معرفته الفعلية واقتناعه ، المستندين الى استقصاء معقول للحقائق والظروف ذات العلاقة ، قد تحقق ، بهذا التاريخ، من استيفاء جميع البيانات والضمانات والتعهدات التي تتطلب الاتفاقية من المتلقي تحقيقها عند هذا التاريخ .

ان هذه الشهادة مقدمة لصالح وبالنيابة عن المتلقي مع ادراك ان الوزارة سوف تستند على البيانات الواردة هنا لاغراض الفقرة ٣، ٢ (أ) من الاتفاقية.

النداء الاسرائيلي الموحد ، ش.م.

التاريخ . . . . . من قبل . . . . .

(يكتب الاسم والمنصب)

(ب) وبالاضافة الى هذا ، فان الصرف المنصوص عليه في الفقرة ٣، ١ (أ) سوف يكون خاضعا للتقديم المسبق ، من قبل المتلقي للوزارة ، بصورة مرضية نصا وروحا ، ما يلي :

١ ــ بيان موقع من قبل مسؤول من جهة المتلقي ، يحدد فيه اسم ممثله المفوض باستلام الدفعات بموجب الفقرة ٣، ١ ، ومرفقا به افادة بتفويض هذا الممثل مع عينة من توقيعه مع التصديق على صحتها ، و

٢ ــ افادة مرضية للوزارة تفيد ان هذه الاتفاقية قد اعتمدت ووفق عليها ، ويجري تنفيذها من قبل المتلقي ، وانها تشكل التزاما قانونيا صحيحا وملزما للمتلقي ، وان تطبيقها يجري حسب شروطها .

فقرة ٣، ٣ **المبالغ المتحصلة** . (أ) ان المبالغ المتحصلة عن الدفعة الاولى والدفعات التالية سوف توضع من قبل المتلقي في حساب يحمل فائدة يفتح بأسمه لهذا الغرض فقط . وسوف يكون للمتلقي السيطرة الكاملة على هذا الحساب وسوف يقوم بالسحب منه للتوزيع على البرامج ، غير ان الفائدة المكتسبة سوف تكون من حق الوزارة وتنقل اليها فور استلامها من قبل المتلقي .

(ب) يمكن للمتلقي ان يحول المبالغ المتحصلة عن هذه الهبة ، في أي وقت ، لاية عملة اخرى ، بالسعر السائد في السوق في زمن ومكان التحويل . وسوف لا تقوم الوزارة بأي تعديل او أي صرف اضافي كنتيجة لاي تغيير في اسعار تحويل العملات الوطنية ، سواء حدث هذا قبل او بعد تاريخ الصرف .

المادة ٤ — البيانات والضمانات والتعهدات الاضافية من قبل المتلقي

فقرة ٤، ١ **الاستعمال من قبل اللاجئين** : لكي يصبح المتلقي مؤهلا لاستلام هذه الهبة ، يتوجب عليه ان يبين ويضمن للوزارة بأنه (أ) سوف يجري انفاق المبالغ المنصوص عليها في الفقرات ٢، ١ و ٢، ٦ و ٢، ٧، لمصلحة اللاجئين فقط . (ب) ان المرافق المستملكة او المنشأة ، بالاستناد الى الفقرتين ٢، ٢ و ٢، ٥ سوف تستعمل مبدئيا لمصلحة اللاجئين فقط و (ج) ان هناك توقعا معقولا بأن البنايات والمرافق المستملكة او المنشأة بموجب الفقرات ٢، ٢ و ٢، ٣ و ٢، ٤ و ٢، ٥ سوف تستعمل بالدرجة الاولى لمصلحة اللاجئين لعدد كبير من السنوات .

فقرة ٤، ٢ **السمسرة**. يبين المتلقي ويضمن للوزارة، بأنه ، فيما يتعلق بهذه الهبة وبتنفيذ هذه الاتفاقية ، لم يدفع ولن يدفع ، وانه بحسب علمه ، لم يجر ولن يجري من قبل أي شخص او هيئة ، دفع أية سمسرة او مقابل اتعاب او أية عملية دفع من أي نوع مهما كان ، باستثناء المكافآت المنتظمة للمسؤولين والمستخدمين الذين يعملون لدى المتلقي بشكل دائم ، أو باستثناء المكافآت مقابل خدمات مهنية او فنية صحيحة او ما يشابهها ، بالمعدل السائد في الزمان والمكان اللذين قدمت فيهما هذه الخدمات .

فقرة ٤، ٣ **اللوحات** . اثر اتمام برنامج مركز العبور المشار اليه في الفقرة ٢، ٢ ، واثر استملاك او اتمام بناء كل مركز استيعاب او مركز استقبال المشار اليهما في الفقرة ٢، ٣ ، ومرفق المستشفى المشار اليه في الفقرة ٢، ٤ ، وكل بناية مؤلفة من شقق المشار اليها في الفقرة ٢، ٥، يعمل المتلقي على وضع لوحة معدنية غير قابلة للتلف أو أي علامة مناسبة اخرى ، بجوار المدخل الرئيسي للبناية او المرفق ذي العلاقة ، للاعتراف بمساهمة الشعب الاميركي في اقامته . ويقوم المتلقي بعرض الشكل ونص الكلمات والموقع المقترح للوحة او العلامة بموجب هذه الفقرة ٤، ٣ ، من أجل أخذ الموافقة المسبقة للوزارة ، وذلك بتاريخ لا يقل عن ٩٠ يوما قبل الانتهاء من برنامج مركز العبور ، ومن كل بناية او مرفق جرى تشييده بموجب الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ و٢، ٥ ، وقبل استملاك أية بناية او مرفق .

فقرة ٤، ٤ **موقع المرافق والنشاطات** . (أ) يتعهد المتلقي ١ — ان يكون موقع أية بناية او مرفق يستملك او ينشأ ، استنادا الى الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ و ٢، ٥ ، في الاراضي التي كانت خاضعة لادارة حكومة اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧ .
٢ — ان تكون المنح الدراسية والتدريب الممول ، استنادا الى الفقرة ٢، ٦ ، فقط في جامعات ومدارس تدريب واقعة في هذه الاراضي او في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٣ — توفر تكاليف الرعاية بموجب الفقرة ٢، ٧ فقط للاجئين الذين يعيشون ويعملون او يتلقون التدريب في هذه الاراضي او في الولايات المتحدة الاميركية .

(ب) لا يجوز استعمال أي جزء من هذه الهبة لاستملاك او انشاء بنايات او مرافق بموجب الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ او ٢، ٥ بدون الموافقة الكتابية المسبقة للوزارة فيما يتعلق بالموقع الجغرافي لها . هذه الموافقة سوف لا ترفض بدون سبب معقول ، وسيتم النظر في طلبات الموافقة هذه بشكل فوري من قبل الوزارة .

فقرة ٤، ٥ **ملكية المرافق** . يكون للمتلقي ويحتفظ بحق الملكية القانونية والسارية المفعول لجميع البنايات والمرافق التي تستملك او تنشأ استنادا الى الفقرات ٢، ٣ و٢، ٤ و٢، ٥ ، باستثناء انه من الممكن نقل هذه الملكية مع الموافقة الكتابية المسبقة للوزارة (أ) بدون مقابل ، لمنظمة خاصة لا تستهدف الربح أو (ب) عن طريق البيع ، بسعر السوق ، للاجئين ، بحيث تستعمل الاموال المتحصلة من هذا البيع ، من قبل المتلقي، لاستملاك او انشاء مرافق او بنايات اضافية ، مشابهة لتلك التي بيعت ، مع الخضوع في كل حالة لجميع البنود والشروط التي تنطبق على هذه البرامج ، حسب الاتفاقية ، بالدرجة الاولى ، وتخضع ايضا لاعلام الوزارة بشكل مسبق ، وحق الوزارة ، الذي تحتفظ به ، بالمطالبة باعادة هذه الاموال المتحصلة الى حكومة الولايات المتحدة .

فقرة ٤، ٦ **المصروفات المباشرة** . ان الاموال المتحصلة من هذه الهبة سوف تستعمل فقط وبصورة مباشرة من اجل البرامج المذكورة في هذه الاتفاقية. ويتعهد المتلقي انه لن يخصص أي جزء من أي بند من بنود توزيع الهبة ، ولن يستعمله ليدفع (أ) اية مصروفات عامة ، او ادارية او تكاليف غير

مباشرة تكلفها المتلقي ، محسوبة على اساس المبادىء المحاسبة المقبولة عموما في الولايات المتحدة او (ب) أية مصروفات، محسوبة على هذا الاساس، لاية وكالة او منظمة تقوم بادارة هذه البرامج ، ما لم تكن ناتجة كليا عن الارتباط بهذه البرامج .

فقرة ٤، ٧ **النفقات المعقولة** . ان كلا من البرامج الممولة من هذه الهبة ، سوف يجري التخطيط لها من ادارتها من قبل المتلقي حسب المعايير والممارسات التجارية المعادلة على الاقل لتلك التي تطبق على مشاريع مشابهة تقوم بها في نفس المنطقة الجغرافية، مؤسسات تجارية ذات تجربة وسمعة حسنة . ان جميع الممتلكات والبضائع والخدمات التي يحصل عليها المتلقي او أي وكيل للمتلقي مقابل الاموال المتحصلة من هذه الهبة ، سواء كان ذلك عن طريق الشراء او الاستئجار او خلاف ذلك ، سوف يتم الحصول عليها بأسعار لا تزيد عن الاسعار السائدة للممتلكات والبضائع والخدمات في المكان والزمان اللذين تم بهما الحصول عليها . وتجري ادارة برامج المنح الدراسية والتدريب والرعاية ، مع الاخذ بعين الاعتبار الرغبة في سد حاجات اكبر عدد ممكن من اللاجئين ، وهكذا سوف يجري تحديد الانفاق على كل لاجىء بالقدر الذي يكفي لتحقيق اغراض هذا البرنامج .

المادة ٥ ــ التقارير ، والسجلات والمراقبة

فقرة ٥، ١ **التقارير** . (أ) يقوم المتلقي ، في اليوم الثلاثين او قبل ذلك بعد آخر يوم عمل من كل شهر تقويمي ، بتقديم بيان مصدق الى الوزارة ، ذاكرا فيه الاسم والموطن الاصلي لكل لاجىء انفقت عليه الاموال ، بموجب الفقرة ٢، ١ ، خلال المدة السابقة للتقرير ، وتاريخ وصوله الى مركز عبور فيينا ومغادرته له ، والمعلومات التي تعتبر الوزارة طلبها معقولا .

(ب) خلال ثلاثين يوما من انتهاء كل ربع سنة تقويمية ، يقدم المتلقي الى الوزارة تقريرا يبين وضع كل برنامج ضمن هذه الاتفاقية ، في نهاية مدة ربع السنة . ويجب ان يتضمن التقرير الربعي عن كل برنامج ، بيانا بمجموع المصروفات خلال ربع السنة ، والاغراض التي انفقت من اجلها هذه المصروفات ، والمبلغ المتبقي من الالتزام الوارد في الهبة . وستتضمن التقارير أية معلومات اضافية ترى الوزارة ان طلبها معقول . وسوف يغطي التقرير الربعي الاول الفترة الواقعة بين ١ نيسان الى ٣٠ حزيران ١٩٧٣ ، اما التقرير النهائي المتعلق بكل برنامج فسوف يقدم عن ربع السنة الذي يتم فيه البرنامج .

فقرة ٥، ٢ **البيانات المالية السنوية** . خلال ١٢٠ يوما من انتهاء كل سنة مالية للمتلقي ، يكون فيها اي برنامج غير منته ، يقدم المتلقي الى الوزارة ثلاث نسخ من بيانه المالي السنوي ، معدا حسب المبادىء المحاسبية المقبولة عموما في الولايات المتحدة ، ومصدقا من قبل مراقب حسابات عمومي مقبول للوزارة .

فقرة ٥، ٣ **السجلات ، المراقبة** . (أ) يحتفظ المتلقي في مكاتبه الرئيسية في مدينة نيويورك بسجلات وافية وتامة ودفاتر حسابات حسب المبادىء المحاسبية المقبولة عموما في الولايات المتحدة ، وتغطي التفاصيل المالية العائدة لكل برنامج ، بغض النظر عن كون المتلقي يديرها فعلا بنفسه . ويجب ان تتضمن سجلات المتلقي نسخا عن جميع الاستفسارات بشأن المناقصات وقوائم اسعار البضائع والخدمات التي تطلب بموجب هذه الهبة ، والاتفاقات المتفاوض بشأنها ، وجميع قوائم الاسعار والمناقصات المستلمة ، والفواتير التجارية للموردين ، وكشوف البضائع المشحونة او اية مستندات تتعلق بشحن البضائع المحصلة في الولايات المتحدة ، او ، حسب ما يقتضيه الحال ، اية مستندات تتعلق بالحصول على البضائع والخدمات مثل عقود البيع والخدمات ، وتقديم الاثباتات من قبل المتلقي عند تحصيله البضائع والخدمات بأسعار تزيد عن ادنى الاسعار ، او عند حيازة املاك . هذه السجلات ، وحيث يكون ضروريا السجلات الاضافية ، يجب ان يحتفظ بها بطريقة تسمح بالتحقق من التزام المتلقي بالبيانات والضمانات والالتزامات المتضمنة في هذه الاتفاقية ، بما في ذلك خاصة ، وليس على سبيل الحصر ، التزاماته بموجب الفقرة ٤، ٧ اعلاه .

(ب) يكون للوزارة والمراقب العام للحسابات في الولايات المتحدة ، وأي من ممثليهما المفوضين ، الحق في فحص وتدقيق ونسخ جميع السجلات ودفاتر الحسابات المشار اليها في الفقرة ٥، ٣ (أ) ، وجميع المستندات او التقارير المتعلقة بهذه الهبة او بالبرامج ، وذلك في جميع الاوقات المعقولة . جميع هذه الدفاتر والسجلات ، يجب ان يحتفظ بها وان تكون في المتناول لغرض المراقبة ، لمدة

لا تقل عن ست سنوات بعد تاريخ آخر دفعة من الوزارة .

(ج) يجب الاحتفاظ بسجلات اضافية من قبل المتلقي في مكاتبه الرئيسية في مدينة نيويورك ، وتقديمها للمراقبة بموجب الشروط الواردة في الفقرة ٥ ، ٣ (ب) ، على الشكل التالي :

١ — اثر استملاك مساكن دائمة او الانتهاء من انشائها ، بموجب الفقرة ٢ ، ٥ ، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل رب عائلة (او ساكن منفرد) يشغل مسكنا ، ومكان اقامته الاصلية ، وعدد الافراد الذين يعيشون مع كل رب عائلة ، وأية معلومات ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة لمدة ثلاث سنوات بعد امتلاك او الانتهاء من انشاء المساكن .

٢ — فيما يتعلق بالمنح الدراسية والتدريب، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل منتفع بها ومكان اقامته الاصلية ، ومكان ونوع التعليم او التدريب ، وأية معلومات اخرى ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة ، ما دامت هذه البرامج تمول من هذه الهبة .

٣ — فيما يتعلق بتكاليف الرعاية ، بموجب الفقرة ٢ ، ٧ ، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل شخص يتلقى او يستفيد من هذه الرعاية ، ومكان اقامته الاصلية ، ونوع التدريب الذي يتلقاه ، وأية معلومات اخرى ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة ، ما دامت هذه الرعاية تقدم بموجب هذه الهبة .

المادة ٦ — متفرقات

فقرة ٦ ، ١ **انهاء الخدمات** . بالاضافة الى حقوقها بموجب الفقرة ٣ ، ٢ ، يمكن للوزارة ، حسب تقديرها ، ان تتوقف عن صرف الدفعات بموجب هذه الاتفاقية ، اذا قررت (أ) ان أية دفعة تشكل خرقا لنصوص قوانين الولايات المتحدة ، او (ب) ان حدثا قد حدث يجعل من غير المحتمل ، في تقدير الوزارة ، ان تتحقق اغراض هذه الهبة ، او ان يتمكن المتلقي من اداء التزاماته حسب الاتفاق .

فقرة ٦ ، ٢ ، **استعادة الاموال** . (أ) اذا قررت الوزارة ان أية دفعة قدمت الى المتلقي ، تشكل خرقا لقانون الولايات المتحدة ، او انها استعملت من قبل المتلقي لاغراض مغايرة للبرامج الواردة في هذه الاتفاقية ، فستقوم باشعار المتلقي كتابيا بذلك . وسيسمح للمتلقي بمدة ٣٠ يوما من تاريخ هذا الاشعار للقيام بتصحيح الخرق او المخالفة ، وعليه ان يعلم الوزارة كتابيا بالاجراء التصحيحي الذي اتخذه . واذا لم يتخذ اجراء تصحيحي خلال ثلاثين يوما بحيث يكون مرضيا للوزارة ، فان على المتلقي ان يتخذ الاجراء المناسب لتقليل المصروفات من هذه الدفعة الى الحد الادنى ، والالغاء الالتزامات القائمة الممولة منها . وبعد دفع المصروفات التي لا يمكن حذفها والالتزامات التي لا يمكن الغاؤها ، على ان لا يتجاوز ذلك مدة ٩٠ يوما من تاريخ اشعار الوزارة ، يقوم المتلقي باعادة ذلك الجزء الذي لم ينفق من الدفعات التي تقرر انها تشكل خرقا لقانون الولايات المتحدة او انها انفقت بطريقة تشكل خرقا لهذه الاتفاقية ، الى الوزارة .

(ب) بدون الانتقاص من أية حقوق اخرى تملكها الوزارة او حكومة الولايات المتحدة بموجب هذه الاتفاقية ، يوافق المتلقي على التعويض على حكومة الولايات المتحدة عن أية تكاليف او اضرار تحملتها كنتيجة لاخفاق المتلقي في الالتزام بما نصت عليه الفقرة ٥ ، ٣ .

فقرة ٦ ، ٣ **استخدام الممثلين**. (أ) جميع الاجراءات المطلوبة او المسموح بالقيام بها او التي يتخذها المتلقي ، يمكن ان يقوم بها واحد او اكثر من الوكلاء المفوضين حسب الاصول بحيث يكونون مقبولين لدى الوزارة . وبالاستناد الى الاتفاقية المعقودة اساسا بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٠ بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ، نيويورك ، والوكالة اليهودية لاسرائيل ، القدس، (و.ي.أ.)، والتي يسري مفعولها حاليا بين المتلقي والوكالة اليهودية لاسرائيل ، القدس (يرفق طيه الاتفاقية الاصلية والوثائق اللاحقة المتعلقة بها ، باعتبارها مستند رقم ١) ، فان المتلقي يعين و.ي.أ. باعتبارها وكيلة المعتمد الوحيد في كافة الامور المتعلقة ، بين امور اخرى ، بـ « تقديم العون والمساعدة للرجال والنساء والاطفال اليهود للهجرة الى اسرائيل [و] لاستيعابهم واعادة تأهيلهم وتوطينهم هناك » (المستند رقم ١ ، المادة ١ ، الفقرة أ) . وعلى هذا الاساس توافق الوزارة على و.ي.أ. باعتبارها وكيلا للمتلقي لاغراض هذه الفقرة ٦ ، ٣ (أ) .

(ب) ان تعيين او استخدام وكيل او اكثر من قبل المتلقي ، بما في ذلك الـ و.ي.أ. ، بموجب الفقرة

٦ ، ٣ (أ) اعلاه لا يعفي المتلقي من أي التزام بموجب هذه الاتفاقية ، ولا ينتج عنه استبدال هذا الوكيل مكان المتلقي كطرف في هذه الاتفاقية لاي غرض كان .

فقرة ٦ ، ٤ **الحصانة السيادية ، عدم المسؤولية** .
(أ) ان هذه المنحة تقدم ، باعتبارها عملا حكوميا من اعمال السيادة ، من قبل حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، ولا يقصد منها اي تخل عن الحصانة السيادية لحكومة الولايات المتحدة ، ولا ينشأ عنه أي حق ادعاء فيما يتعلق بأية مسألة تنشأ عن او استنادا الى هذه الاتفاقية .

(ب) بدون الحد او الانتقاص ، بأية طريقة ، من شروط الفقرة ٦ ، ٤ (أ) اعلاه ، يؤمن المتلقي ويوافق على عدم المساس بحكومة الولايات المتحدة الاميركية ، والوزارات والوكالات التابعة لها ، ومسؤوليها ووكلائها العاملين ضمن صلاحياتهم ، فيما يتعلق بكل وأية مسؤولية تنشأ عن هذه الاتفاقية او بالارتباط بأية مسألة واردة فيها .

فقرة ٦ ، ٥ **عدم جواز انتفاع المسؤولين** . لا يجوز لاي عضو او نائب في كونغرس الولايات المتحدة ، او أي مسؤول او اي شخص مستخدم لدى حكومة الولايات المتحدة ، ان يتلقى ، بطريق مباشر او غير مباشر ، أي جزء من اموال هذه الهبة او أية منفعة تنشأ عنها .

فقرة ٦ ، ٦ **القانون الملزم** . هذه الاتفاقية خاضعة ويجري تفسيرها على اساس قانون ولاية نيويورك.
فقرة ٦ ، ٧ ، **كامل الاتفاقية** . هذه الاتفاقية تشكل الاتفاقية بأكملها بين الاطراف ذوي العلاقة بهذه الهبة ، وهي تحل محل ، وتلغي أية اتفاقية اخرى او تفاهم ، سواء كان مكتوبا او غير مكتوب ، قائم بين الطرفين فيما يتعلق بمضمون هذه الاتفاقية او أي جانب من جوانبها .

فقرة ٦ ، ٨ **الاتصالات** . ما لم ينص على غير ذلك هنا ، فان أية وثيقة او اشعار او طلب ، يعطى او يقدم او يرسل من الوزارة او المتلقي ، استنادا الى هذه الاتفاقية ، يجب ان يكون كتابة ، وسوف يعتبر انه قد أعطي او قدم او ارسل الى الطرف الموجه اليه عندما يجري تسليمه باليد او بالبريد ، او تلغرافيا او برقيا او ببرقية لاسلكية ، بالطريقة التالية :

(أ) الى الوزارة في واشنطن دي. سي.
المساعد الخاص لوزير شؤون اللاجئين والهجرة
الغرفة ٧٤٣٠
وزارة خارجية الولايات المتحدة
واشنطن دي. سي ٢٠٥٢٠
الولايات المتحدة الاميركية
(ب) الى الوزارة في جنيف
المستشار
وحدة اللاجئين والهجرة والصليب الاحمر
بعثة الولايات المتحدة الى المكتب الاوروبي للامم
المتحدة والهيئات الدولية الاخرى
٨٠ شارع دو لوزان
جنيف
سويسرا
(ج) الى المتلقي
نائب الرئيس التنفيذي
النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.
٥١٥ بارك افينيو
نيويورك ، نيويورك ١٠٠٢٢
الولايات المتحدة الاميركية
أو أي عنوان آخر يمكن ان يعينه أي فريق بواسطة اشعار كما ذكر هنا .

وشهادة على ذلك ، فان الوزارة والمتلقي ، اللذين يعملان من خلال ممثليهما المفوضين ، قد دفعا الى عقد هذه الاتفاقية نيابة عنهما ، وجرى تسليمها في التاريخ المذكور اعلاه .

الولايات المتحدة الاميركية

توقيع

فرانك كيلوغ

المساعد الخاص لوزير شؤون اللاجئين والهجرة
وزارة الخارجية

النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.

توقيع

ملفين دوبنسكي

الرئيس

توقيع

غوتليب هامر

نائب الرئيس التنفيذي

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

باللغتين العبرية والعربية

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية، واعتبارا من اول تموز١٩٧٣نشرة اسبوعية ترصد الاخبار والتعليقات التي تبثها اسرائيل باللغة العربية . وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتتميز النشرة الاسبوعية بقيمة كبيرة تكتسبها من دراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب الى جانب جميع الاخبار المتعلقة بعرب المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

أسـمـاء

المواقع والمعالم الطبيعية والبشرية الجغرافية

المعروفة في فلسـطين حتى العـام ١٩٤٨

بقـلم

قسطنطين خمار

كتاب يحوي نحو ستة آلاف اسم لجميع المعالم الجغرافية التي عرفت حتى تاريخ اغتصاب فلسطين مع ايضاح عن موقع هذا الاسم ونوعه والمنطقة التي يقع فيها وتهجئته بالحروف اللاتينية ايضا والاسم العبري المستحدث لـه .

عـدد محـدود من النسـخ

أطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بـيروت

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ١٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبه ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

An International Law Appraisal of the Juridical Characteristics of the Resistance of the People of Palestine : the Struggle for Human Rights

by

W. T. MALLISON, Jr

and

S. V. MALLISON

Published recently by the

PALESTINE RESEARCH CENTER

P. O. Box 1691 - Beirut

38 pages

Price : 1.00 Lebanese Pound or equivalent a copy

Plus postal charges : 0.50 L.L. Arab World
1.00 L.L. Europe
2.00 L.L. Other countries

اليوميات الفلسطينية

أول وأدق سجل علمي شامل للقضية الفلسطينية

في تطوراتها وأحداثهـا واخبارهـا

مـدة سبع سنـوات

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/١٢/٣١)

أربعة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عـام

٨٠٠٠ صفحة من القطع الكبـير

سعر المجموعة ١٦٠ ل. ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث ـ م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ ـ بيروت

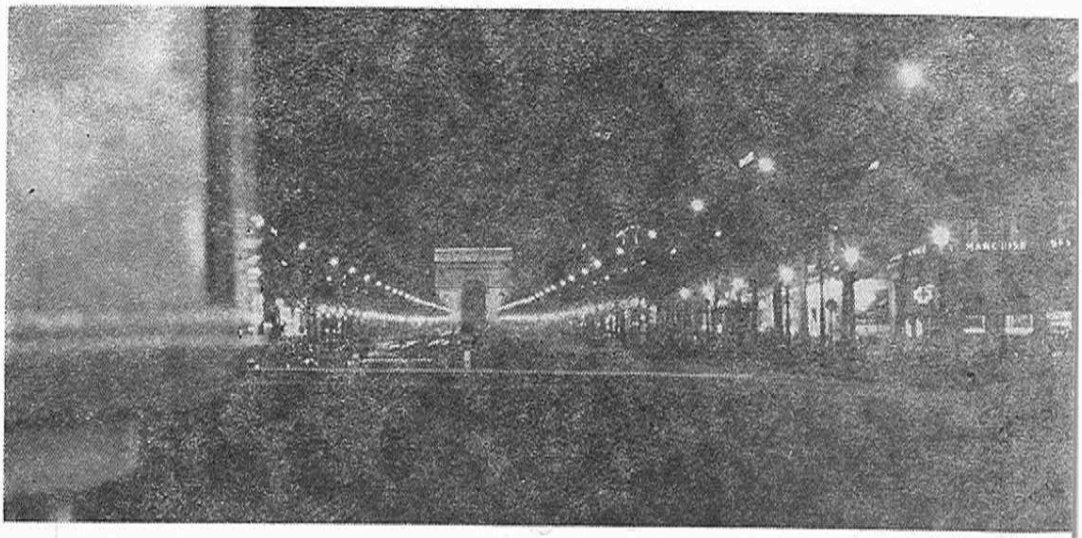

رحلات يومية من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبا الرئيسية

الثلاثاء: الكويت - اثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء: الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس: الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت: الكويت - اثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.

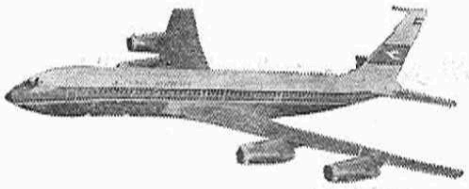

الخطوط الجوية الكويتية